

تَفْسِيرُ

كِتَابُ الدَّقَائِقِ فِي الْغَرَائِبِ

الطَّبِيعَةِ وَالْمَعْقُولَاتِ

لِلْعَلَمَةِ الْمُفْتَخِرِ الْحَاجِّ الشَّيخِ
الْمُحَرَّرِ الْمُجْتَهِدِ الْمُتَمَيِّزِ

مِنْ أَعْلَامِ الْقُرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

مُتَقَاتِلِ

مُحَسِّنِ دَرَكَائِي

فِي تَفْسِيرِ

الْبَيْزِ الْيَاسَرِ

تَفْسِيرُ

كَتَرِ الدَّقَائِقِ وَمَجَرِّ الْغَرَائِبِ

الطَّبَعَةُ الْمُتَقَدِّمَةُ

الجزء العاشر

لِلْعَلَامَةِ الْمُفَسِّرِ الْحَاضِرِ الْأَدِيبِ
الْشَيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ ضَا الْقَيْمِيِّ الْمَشْهَدِيِّ

مِنْ أَعْلَامِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

تَحْقِيقُ

مُحَمَّدِ بْنِ دُرَّكَاهِي



مَنْشُورٌ بِمَكْتَبَةِ نَيْلِ السَّيْفِ

سرشناسه : قمی مشهدی، محمد بن محمد رضا، قرن ۱۲ ق.
 عنوان و پدیدآور : تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب/ محمد بن محمد رضا القمی مشهدی؛ تحقیق حسین درگاهی.
 مشخصات نشر : تهران : شمس الضحی، ۱۳۸۷.
 مشخصات ظاهری : ۱۴ ج.
 شابک : (ج ۱۰)؛ ۹۷۸ - ۹۶۴ - ۸۷۶۷ - ۱۶ - ۲ - ۱۰
 (دوره)؛ ۹۷۸ - ۹۶۴ - ۸۷۶۷ - ۰۶ - ۳ - ۱۰
 وضعیت فهرستویی : فیا.
 یادداشت : کتاب حاضر در سال های مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است.
 موضوع : تفاسیر ماثوره -- شیعه امامیه.
 موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۲ ق.
 شناسه افزوده : درگاهی، حسین، ۱۳۳۱ - ، مصحح.
 رده بندی کنگره : ۱۳۸۷ ۵۹ کی ۸ ق ۳ / ۹۷ BP
 رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۳۶
 شماره کتابخانه ملی : ۱۶۳۰۶۱۷



تفسیر کنز الدقائق و بحر الغرائب، الجزء العاشر

تألیف : الشیخ محمد بن محمد رضا القمی مشهدی

تحقیق : حسین درگاهی

منشورات مؤسسة شمس الضحی

الطبعة الاولى: ۱۴۳۰ هـ ق - ۱۳۸۷ هـ ش.

طبع في ۱۰۰۰ نسخة

المطبعة: نگارش

سعر الدّورة في ۱۷ مجلداً: ۱۱۰/۰۰۰ توماناً

شابک (ردمک): الجزء العاشر: ۹۷۸ - ۹۶۴ - ۸۷۶۷ - ۱۶ - ۲

شابک (ردمک) الدّورة في ۱۴ مجلداً: ۹۷۸ - ۹۶۴ - ۸۷۶۷ - ۰۶ - ۳

صندوق البريد: تهران ۱۹۳۹۵ - ۳۱۴۱



مراکز توزیع:

- (۱) قم، شارع معلم، ساحة روح لله، رقم ۶۵، هاتف و فکس: ۷۷۳۳۴۱۳ - ۷۷۴۴۹۸۸ (+۹۸۲۵۱)
- (۱) قم، شارع صفائی، مقابل زقاق رقم ۳۸، منشورات دلیل ما، هاتف ۷۷۳۷۰۱۱ - ۷۷۳۷۰۰۱
- (۲) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ۳۲، منشورات دلیل ما، هاتف ۶۶۴۶۴۱۴۱ - ۰۲۱
- (۳) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراکيان، بنایه گنجینه کتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دلیل ما، هاتف ۲۳۳۷۱۱۳ - ۰۵۱۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



كلمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا وآله الطيبين الطاهرين،
ولاسيما بقيّة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائه وأعدائهم أجمعين.

النسخ التي استفدنا منها في تحقيق الربع الثالث، من سورة مريم إلى نهاية سورة فاطر،
من تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب:

١. نسخة في مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي العامّة، قم، رقم ٢٩٦٩،
مذكورة في فهرسها ١٥٠/٨. رمزها: ع.

٢. نسخة في مكتبة مدرسة الشهيد المطهري، رقم ٢٠٥٥، مذكورة في فهرسها
٤٥٠/٥، رمزها: س.

٣. نسخة في المكتبة المركزيّة لجامعة طهران، رقم ٧٣٤٥، مذكورة في فهرسها
٥١٧/١٦. رمزها: أ.

٤. نسخة في مكتبة العلامة المغفور له السيّد جلال الدين المحدث الأرموي، نزيل
طهران. رمزها: م.

٥. نسخة في مكتبة العلامة المغفور له الشيخ علي النمازي الشاهرودي، نزيل
مشهد، مكتوبة في حياة المؤلّف، سنة ١١١١ للهجرة، وعلى ظهرها كتاب الوقف لبنت
المؤلّف. رمزها: ن.

والحمد لله أولاً وآخراً

حسين درگامي

سورة القصص

سورة القصص

مَكِّيَّة.

وقيل ^(١): إلّا قوله: «إلّا الذين آتيناهم الكتاب» إلى قوله: [لا نبغى] ^(٢) الجاهلين». وهي ثمان وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال بإسناده ^(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة الطواسين الثلاثة في ليلة الجمعة ^(٤)، كان من أولياء الله وفي جواره ^(٥) وكفّه. ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً وأُعطي في الآخرة ^(٦) حتّى يرضى وفوق رضاه. وزوّجه الله مائة زوجة من الحور العين.

إوفي مجمع البيان ^(٧): وروى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ الطواسين الثلاث - وذكر مثله، وزاد في آخره - وأسكنه الله في جنّة ^(٨) عدن وسط الجنّة، مع النبيّين والمرسلين والوصيّين والراشدين.

أبيّ بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله ^(٩) قال: ومن قرأ طسم القصص، أُعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بموسى وكذّب به. ولم يبق ملك في السموات والأرض، إلّا

-
١. أنوار التنزيل ١٨٦/٢.
 ٢. من المصدر.
 ٣. ثواب الأعمال ١٣٦.
 ٤. ن: يوم الجمعة.
 ٥. المصدر: جواره الله.
 ٦. المصدر: في الآخرة من الجنة.
 ٧. مجمع البيان ١٨٣/٤.
 ٨. ما بين المعقوفتين ليس في م.
 ٩. نفس المصدر ٢٣٨/٤.

شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً. إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ.

وعن ابن عباس^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: وَأَعْطَيْتُ طَهَ والطَّوَّاسِينَ مِنْ أَلْوَحِ موسى.

﴿طسم﴾: قد مرَّ بعض تفاسيره.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٢) بإسناده إلى سفيان بن سعيد الثوري، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام حديث طويل يقول عليه السلام: وَأَمَّا طسم، فمعناه: أنا الطالب السميع، المبدئ المعيد.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(٣) ﴿تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ﴾: بعض نبئهما. مفعول «تتلو».

﴿بِالْحَقِّ﴾: محققين صادقين.

﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٤): لأنهم المتفعلون به^(٥).

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾: استئناف مبين لذلك البعض. والأرض، أرض مصر. يقال: علا علواً: إذا تجبر. ومنه: «لا يريدون علواً في الأرض»^(٦).

﴿وَجَمَلَ أَهْلَهَا شَيْعاً﴾: فرقاً يشيعونه فيما يريد. أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته. أو أصنافاً في استخدامه، استعمل كل صنف في عمل. أو أحزاباً، بأن أغرى بينهم العداوة كي لا يتفقوا عليه.

﴿يَسْتَضِعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾: وهم بنو إسرائيل. والجملة حال من فاعل «جعل». أو صفة «شيعاً». أو استئناف. وقوله:

﴿يُدَّبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: بدل منها.

وكان ذلك، لأن كاهناً قال له: يولد مولود في بني إسرائيل، يذهب ملكك على يده.

١. نفس المصدر ١٨٣/٤.

٢. معاني الأخبار ٢٢/، ضمن حديث ١.

٤. القصص ٨٣/.

٣. أ، م: المشفعون؛ س: المشبعون.

وقال السدي^(١): رأى فرعون في منامه، أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط وترك بني إسرائيل. فسأل علماء قومه، فقالوا: يخرج من هذه البلدة رجل يكون هلاك مصر على يده. وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل، وإن كذب فما وجهه.

﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢): فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيّل فاسد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): ثم خاطب الله ﷻ نبيه ﷺ فقال: «نتلو عليك» يا محمد. إلى قوله: «إنه كان من المفسدين». فأخبر الله ﷻ نبيه بما لقي موسى عليه السلام وأصحابه من فرعون من القتل والظلم، ليكون تعزية له فيما يصيبه في أهل بيته صلوات الله عليهم من أمته.

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾. أن نتفضل عليهم بإنقاذهم من بأسه.

«ونريد» حكاية حال ماضية معطوفة على «إن فرعون علا». من حيث أنهما واقعان تفسيراً للنبا. أو حال من «يستضعف» ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف، مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلّق الإرادة به حينئذ، تعلّقاً استقبالياً. مع أن منّة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه، جاز أن يجري مجرى المقارن.

﴿وَنَجْعَلُهمْ أئمةً﴾: مقدّمين في أمر الدين.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣)، متصلاً بقوله: من أمته. ثم بشره بعد تعزيته، أنه يتفضل عليهم ويجعلهم خلفاء في الأرض وأئمة على أمته، ويردّهم إلى الدنيا مع أعدائهم حتى يتصفوا منهم. فقال جلّ ذكره: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا

١. مجمع البيان ٢٣٩/٤.

٢. تفسير القمي ١٣٣/٢.

في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما وهم الذين غضبوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ. وقوله: «منهم» أي من آلِ مُحَمَّدٍ «ما كانوا يحذرون» أي من القتل والعذاب. ولو كانت هذه نزلت في موسى ﷺ وفرعون لقال: ونري فرعون وهامان وجنودهما منه ما كانوا يحذرون؛ أي من موسى ﷺ ولم يقل: منهم. فلَمَّا تقدَّم قوله: «ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً [ونجعلهم الوارثين]»^(١). علمنا أنَّ المخاطبة للنبي ﷺ وما وعد الله به رسوله. فإنَّما يكون بعده والأئمة يكونون من ولده. وإنَّما ضرب الله هذا المثل لهم في موسى وبني إسرائيل، وفي أعدائهم بفرعون وهامان وجنودهما فقال: إنَّ فرعون قتل بني إسرائيل، فظفر^(٢) الله موسى بفرعون وأصحابه حتَّى أهلكهم الله. وكذلك أهل بيت رسول الله أصابهم من أعدائهم القتل والغصب، ثمَّ يردهم الله ويردَّ أعداءهم إلى الدنيا حتَّى يقتلوهم.

وفي الكافي^(٣)، بإسناده إلى حفص بن غياث قال: أبو عبد الله ﷺ يا حفص، إنَّ من صبر صبر قليلاً. وإنَّ من جزع جزع قليلاً، إلى أن قال ﷺ: ثمَّ بشر في عترته بالأئمة ووُصفوا بالصبر، فقال جلَّ ثناؤه^(٤): «وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» فعند ذلك قال ﷺ: الصبر من الإيمان، كالرأس من الجسد. فشكر الله ﷻ ذلك له، فأنزل الله ﷻ^(٥): «وتَمَّتْ كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون [وقومه وما كانوا يعرشون] فقال ﷻ: إنَّه بشري وانتقام»^(٦).

[أقول: يجوز أن يكون المراد من ظاهر الآية، موسى وفرعون]^(٧) ومن باطنه، أهل البيت وأعداءهم وقد مرَّ أنَّ للقرآن ظهراً وبطناً. ويدلُّ عليه أيضاً ما رواه في أصول

٢. المصدر: «وظلم من ظلمهم فأظفر» بدل «فظفر»

٤. السجدة / ٢٤.

٦ و ٧. ليس في أ.

١. من المصدر.

٣. الكافي ٨٨/٢ - ٨٩.

٥. الأعراف / ١٣٧.

الكافي^(١) في كتاب فضل القرآن مسنداً: عن رسول الله ﷺ وقد ذكر القرآن: وله ظهر وبطن. فظاهره حكم وباطنه علم. ظاهره أنيق وباطنه عميق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢)، متصلاً بقوله: حتى يقتلوهم. وقد ضرب أمير المؤمنين عليه السلام (في أعدائه)^(٣) مثلاً، مثل ماضيه الله لهم في أعدائهم بفرعون وهامان. فقال: يا أيها الناس، إن أول من بغى على الله ﷻ على وجه الأرض عناق بنت آدم عليه السلام خلق الله لها عشرين إصباعاً. لكل إصباع منها ظفران طويلان كالمنجلين العظيمين. وكان مجلسها في الأرض موضع جريب. فلما بغت بعث الله ﷻ لها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار. وكان ذلك في الخلق الأول - فسلبهم الله ﷻ عليها، فقتلوها. ألا وقد قتل الله ﷻ فرعون وهامان. وخسف الله تعالى بقارون. وإنما هذا المثل لأعدائه الذين غصبوا حقّه، فأهلكهم الله.

ثم قال علي صلوات الله عليه على أثر هذا المثل الذي ضربه: وقد كان لي حق حازه دوني من لم يكن له، ولم أكن أشركه فيه. ولا توبة له إلا بكتاب منزل، أو برسول مرسل. وأتني له بالرسالة بعد رسول الله ﷺ ولا نبي بعد محمد ﷺ [فأتى يتوب]^(٤) [وهو في برزخ يوم القيامة، غرته الأماني وغرّه بالله الغرور. وقد أشفى^(٥) على جرف هار، فانهار به [في نار]^(٦) جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين]^(٧). وكذلك مثل القائم عليه السلام في غيبته وهربه واستتاره، مثل موسى عليه السلام خائفاً مستتراً إلى أن يأذن الله في خروجه وطلب حقّه وقتل أعدائه في قوله^(٨): «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْتِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ

١. الكافي ٥٥٩/٢ ح ٢ الذي أوله في ص ٥٩٨. ٢. تفسير القمي ١٣٤/٢.

٣. ليس في المصدر.

٤. هكذا في تفسير نور الثقلين، ١٠٨/٤ - ١٠٩، ح ٧، نقلاً عن المصدر وليس في المصدر. وفي النسخ: فإنه

ينوب. ٥. المصدر: أشرف.

٦. ليس في المصدر.

٧. مابين المعقوفتين ليس في متن المصدر. ولكن نسخة بدل أو ردها في حاشيته.

٨. الحج ٣٩ - ٤٠.

على نصرهم لتقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق». وقد ضرب بالحسين بن علي عليه السلام^(١) مثلاً في بني إسرائيل بذلتهم من أعدائهم.

حدثني أبي، عن النضر بن سويد^(٢) عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقي المنهال بن عمرو علي بن الحسين عليه السلام فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: ويحك، أما أن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحت في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا. وأصبح خير البرية بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم يلعن على المنابر. وأصبح عدونا يعطى المال والشرف. وأصبح من يحبنا محقوداً منقوصاً حقّه، وكذلك لم يزل المؤمنون. وأصبحت العجم تعرف للعرب حقّها^(٣) بأنّ محمداً كان منها^(٤). وأصبحت العرب لقريش حقّها^(٥) بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان منها [وأصبحت قريش تفتخر على العرب بأنّ محمداً كان منها]^(٦) وأصبحت العرب تفتخر على العجم بأنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان منها^(٧) وأصبحت أهل البيت لا يعرف لنا حقّ. فهكذا أصبحنا، يا منهال.

وفي مجمع البيان^(٨): وقال سيّد العابدين علي بن الحسين عليه السلام: والذي بعث محمداً بالحقّ بشيراً ونذيراً، إنّ الأبرار من أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته. وإنّ عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه.

﴿وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٩) لما كان في ملك فرعون وقومه.

وفي نهج البلاغة^(١٠) قال عليه السلام: لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على

١. المصدر: الحسين بن علي عليه السلام.

٢. نفس المصدر ١٣٤/٢ - ١٣٥.

٣. ليس في م.

٤. م، ن: حقاً.

٥. يوجد في المصدر بعد هذه العبارة: وأصبحت قريش تفتخر على العرب محمداً كان منها.

٦. ن: حقاً.

٧. ليس في المصدر.

٨. من م، ن، والمصدر.

٩. مجمع البيان ٢٣٩/٤.

١٠. نهج البلاغة ٥٠٦، حكمة ٢٠٩.

ولدها. وتلا عقيب ذلك: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين».

وفي كتاب الغيبة^(١) لشيخ الطائفة عليه السلام بإسناده إلى محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عن عليّ عليه السلام في قوله: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين» قال: هم آل محمد يبعث^(٢) الله مهديهم بعد جهدهم، فيعزّهم ويذلّ أعداءهم.

وفي أصول الكافي^(٣): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد عن الوشاء، عن أبان بن عثمان، عن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله تعالى: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين».

وفي أمالي الصدوق^(٤) بإسناده إلى عليّ عليه السلام قال: هي لنا، أو فينا هذه الآية: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين».

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥)، بإسناده إلى محمد بن سنان، عن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نظر إلى عليّ والحسن والحسين عليهم السلام فبكى وقال: أنتم المستضعفون بعدي.

قال المفضل: فقلت^(٦) له: ما معنى ذلك يا ابن رسول الله؟

قال: معناه: أنكم الأئمة من بعدي. إنّ الله تعالى يقول: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين». فهذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة.

٢. هكذا في المصدرون. وفي سائر النسخ: يبعثهم.

٤. أمالي الصدوق / ٣٨٧، ح ٢٦.

٦. ن: فقلنا.

١. غيبة الطوسي / ١١٣.

٣. الكافي / ٣٠٦/١، ح ١.

٥. معاني الأخبار / ٧٩، ح ١.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام عن علي بن عبد الله بن أسد^(٢)، عن إبراهيم بن محمد، عن يوسف بن كليب^(٣) المسعودي، عن عمر بن عبد الغفار بإسناده، عن ربيعة بن ناجذ قال: سمعت علياً عليه السلام يقول في هذه الآية، وقرأها قوله عليه السلام: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض» وقال: لتعطفن هذه الدنيا على أهل البيت كما تعطف الضروس على ولدها.

وقال أيضاً^(٤) حدثنا علي بن عبد الله، عن إبراهيم بن محمد، عن يحيى بن صالح الحريري بإسناده، عن أبي صالح، عن علي عليه السلام كذا قال في قوله عليه السلام: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين». والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لتعطفن علينا هذه الدنيا كما تعطف الضروس على ولدها. والضروس: الناقة يموت ولدها، أو يذبح. فيحشى جلده، فتدنو منه^(٥) وتعطف عليه. ﴿وَمُكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر والشام. وأصل التمكين، أن تجعل للشئ مكاناً يتمكن فيه. استعير للتسليط وإطلاق الأمر.

﴿وَنُرِيْ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾: من بني إسرائيل.
﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٦): من ذهاب ملكهم، وهلاكهم على يد مولود منهم.
وقرئ: «يرى» بالياء وفرعون وهامان، بالرفع^(٧).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٨)، بإسناده إلى حكيمة قالت: فلما كان اليوم السابع [من مولد القائم عليه السلام] ^(٨) جئت إلى أبي محمد عليه السلام فسلمت عليه وجلست، فقال: هلمني إليّ ابني فجئت بسيدي عليه السلام وهو في الخرقه، ففعل به كفعلته الأولى^(٩). ثم أدلى

١. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤١٤. ٢. المصدر: علي بن عبد الله بن راشد.

٣. المصدر، س، وأ: يوسف بن كلب. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. المصدر: فيدئونها.

٦. أنوار التنزيل ١٨٧/٢. وفيه: وقرأ حمزة والكسائي «ويرى» بالياء، «فرعون وهامان وجنودها» بالرفع.

٧. كمال الدين وتمام النعمة ٤٢٥-٤٢٦. ٨. ليس في المصدر.

٩. هكذا في المصدر. وفي النسخ: كفعل الأول.

لسانه في فيه كأنما^(١) يغذيه لبناً أو عسلاً. ثم قال: تكلم يا بُنَيَّ.

فقال: أشهد أن لا إله إلا الله. وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه عليه السلام ثم تلا هذه الآية: «بسم الله الرحمن الرحيم ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكنّ لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الغيبة^(٢) لشيخ الطائفة نور الله مرقده بإسناده إلى حكيمة، حديث طويل تذكر فيه مولد القائم عليه السلام تقول فيه وقد ذكرت أمر القائم عليه السلام: وجلست منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة. فقبضت على كفي وغمزته^(٣) غمزة شديدة. ثم أتت أنة وتشهدت. ونظرت تحتها، فإذا أنا بولي الله صلوات الله عليه متلقياً^(٤) الأرض بمساجده. فأخذت بكتفيه^(٥) وأجلسته في حجرى وإذا هو نظيف مفروغ منه. فناداني أبو محمد عليه السلام يا عمّة: هلمّي فأتيني بابني. فأتيته به، فتناوله. وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما، ثم أدخله في فيه فحنّكه، ثم أدخله في أذنيه. وأجلسه في راحته اليسرى، فاستوى ولي الله جالساً. فمسح يده على رأسه، وقال: يا بُنَيَّ، انطق بقدرة الله. فاستعاذ ولي الله من الشيطان الرجيم واستفتح: «بسم الله الرحمن الرحيم ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكنّ لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون» وصلى على رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه. فناولنيه أبو محمد عليه السلام وقال: يا عمّة، رديّه إلى أمة حتى «تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حقّ» ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

٢. غيبة الطوسي/ ١٤١-١٤٢.

١. المصدر: كآه.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مستلقياً.

٣. المصدر: غمزت.

٥. م: بكفيه.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ : بالهام أو رؤيا.

﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ : بَأَنْ يُحَسَّ به.

﴿فَالْقِيَّةِ فِي الْبَيْتِ﴾ : يريد النيل.

﴿وَلَا تَخَافِي﴾ : عليه ضيعة ولا شدة.

﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ : لفراقه.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ﴾ : عن قريب بحيث تأمنين عليه.

﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١) : قيل (٢) : روي أنها لما ضربها الطلق، دعت قابلة من

الموكلات بحبالى بني إسرائيل فعالجتها. فلما وقع موسى ﷺ على الأرض، هالها نوربين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه في قلبها بحيث منعها من السعاية. فأرضعته ثلاثة أشهر. ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها. فأخذت له تابوتا، فقدفته في النيل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام (٣) : حدثني أبي، عن الحسن بن محبوب (٤)، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن موسى لما حملت به أمه، لم يظهر حملها إلا عند وضعها له. وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظنهن. وذلك أنه كان لما بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون : إنه يولد فينا رجل يقال له : موسى بن عمران، يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده. فقال فرعون عند ذلك : لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون وفرق بين الرجال والنساء، وحبس الرجال في المحابس. فلما وضعت أم موسى بموسى عليه السلام نظرت إليه وحزنت عليه واغتمت وبكت وقالت : يُذبح الساعة. فعطف الله ﷻ قلب (٥) الموكلة بها عليه، فقالت لأم موسى عليه السلام : مالك قد اصفر لونك ؟ فقالت : أخاف أن يُذبح ولدي.

٢. تفسير القمي ١٣٥/٢.

١. أنوار التنزيل ١٨٧/٢.

٣. المصدر : الحسين (الحسن ط) بن محبوب . ٤. المصدر : بقلب .

فقال: لا تخافي وكان موسى لا يراه أحد إلا أحبه. وهو قول الله تعالى^(١): «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي». فأحبته القبطية الموكلة بها. وأنزل الله على أم^(٢) موسى التابوت، ونوديت أمه ضعيه في التابوت فاقدفيه في اليم؛ وهو البحر «ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين». فوضعت في التابوت، وأطبقت عليه، وألقته في النيل.

وفي روضة الواعظين^(٣) للمفيد^(٤): عن النبي ﷺ حديث طويل يقول ﷺ مخاطباً لجمع من الصحابة: وعلمتم أن موسى بن عمران^(٥) كان فرعون في طلبه، يشقّ بطون الحوامل^(٦) ويذبح الأطفال ليقتل موسى. فلما ولدته أمه، أمرت أن تأخذه من تحتها وتقذفه في التابوت وتلقي التابوت في اليم^(٧).

فقال: وهي زعرة من كلامه: يا بنيّ إني أخاف عليك الغرق. فقال لها: لا تحزني، إن الله رادّني إليك. فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى^(٨) فقال لها: يا أمّ اقدفيني في التابوت، وألقي التابوت في اليم. ففعلت ما أمرت به. فبقي التابوت في اليم إلى أن قذفه^(٩) في الساحل وردّه إلى أمه برمته، لا يطعم طعاماً ولا يشرب شرباً معصوماً.

وروي أن المدة كانت سبعين يوماً. وروي: سبعة أشهر.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١٠) بإسناده إلى سدير الصيرفي، عن أبي عبدالله^(١١) حديث طويل، وفيه يقول^(١٢): أمّا مولد موسى^(١٣) فإنّ فرعون لما وقف على أن زوال ملكه على يده، أمر بإحضار الكهنة. فدلّوه على نسبه، وأنّه يكون من

٢. ليس في المصدر.

١. طه/٣٩.

٣. روضة الواعظين/٨٢-٨٣.

٤. المصدر: «يقربون النساء الحوامل» بدل «يشقّ بطون الحوامل».

٥. يوجد في المصدر بعد هذه العبارة: «فبقيت حيرانة حتى كلمها موسى وقال لها: يا أمّ اقدفيني في التابوت وألقى التابوت في اليم» وهذا الكلام يأتي بعد قليل بلفظه ولعل لا داعي له.

٦. م: قذف. ٧. كمال الدين وتمام النعمة/٣٥٤، ضمن حديث ٥.

بني إسرائيل. ولم يزل يأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل، حتى قتل في طلبه نيفاً وعشرين ألف مولود. وتعدّر عليه الوصول إلى قتل موسى عليه السلام بحفظ الله تبارك وتعالى إياه.

﴿فَالْتَفَتَهُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾: تعليل لالتقاطهم إياه بما هو عاقبته ومؤذاه، تشبيهاً له بالعرض الحامل عليه. وقرأ حمزة والكسائي: حُزناً^(١).

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾^(٢): في كل شيء. فليس يبدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله، ثم أخذوه يرتونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون. أو قتلوا مذنبين، فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم على أيديهم. فالجملة اعتراض، لتأكيد خطئهم. أو لبيان الموجب، لما ابتلوا به.

وقرى: خاطين. على التخفيف؛ أي خاطين الصواب إلى الخطأ^(٣).

﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾: أي لفرعون. حين أخرجته من التابوت.

﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾: هو قرّة عين لنا. لأنهما لما رأياه وأخرج من التابوت أحباه.

قيل: أو لأنه كانت له ابنة برصاء، وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان. فلطخت برصاً بريقه، فبرئت.

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾: خطاب بلفظ الجمع، للتعظيم.

وفي مجمع البيان^(٤) قال ابن عباس: إن أصحاب فرعون لما علموا بموسى، جاءوا

ليقتلوه. فمنعتهم وقالت لفرعون: «قرّة عين لي ولك لا تقتلوه» [قال فرعون: قرّة عين

لك، وأما لي فلا. قال رسول الله ﷺ^(٥) والذي يحلف به، لو أقرّ فرعون بأن يكون له

قرّة عين كما أقرّت امرأته لهداه الله به كما هداها. ولكنه أبى للشقاء الذي كتبه الله عليه.

وفي كتاب كمال الدين وتعام النعمة^(٦) بإسناده إلى محمد الحلبي عن

٢. نفس المصدر والموضع.

١. أنوار التنزيل ١٨٧/٢.

٤. ليس في ن.

٣. مجمع البيان ٢٤١/٤.

٥. كمال الدين وتعام النعمة ١٤٧-١٤٩، صدر حديث ١٣.

أبي عبدالله عليه السلام قال: إن يوسف بن يعقوب عليه السلام حين حضرته الوفاة جمع آل يعقوب، وهم ثمانون رجلاً فقال: إن هؤلاء القبط سيظهرون عليكم ويسومونكم سوء العذاب، وأنما ينجيكم الله من أيديهم برجل من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه موسى بن عمران عليه السلام طوال جعد آدم. فجعل الرجل من بني إسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى.

فذكر أبان بن عثمان^(١)، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ماخرج موسى حتى خرج قبله خمسون كذاباً من بني إسرائيل، كلهم يدعي أنه موسى بن عمران. فبلغ فرعون أنهم يرجفون به ويطلبون هذا الغلام. فقال له كهنته وسحرة: إن هلاك دينك وقومك على يدي هذا الغلام الذي يولد العام من بني إسرائيل. فوضع القوابل على النساء وقال: لا يولد العام غلام^(٢) إلا ذبح. ووضع على أم موسى قابلة. فلما رأى ذلك بنو إسرائيل قالوا: إذا ذبح الغلمان واستحيى النساء هلكننا فلم نبق، فتعالوا لانقرب النساء.

فقال عمران أبو موسى عليه السلام: بل انتوهن^(٣) فإن أمر الله واقع ولو كره المشركون. اللهم من حرّمه، فإنني لا أحرّمه. ومن تركه فإنني لا أتركه. ووقع على أم موسى فحملت به. فوضع على أم موسى قابلة تحرسها؛ إذا قامت قامت، وإذا قعدت قعدت. فلما حملته أمّه وقعت عليها المحبة، وكذلك حجج الله على خلقه.

فقال لها القابلة: ما لك يا بنتي تصفري وتذويين؟

قالت: لا تلوميني فإنني إذا ولدت أخذ ولدي فيذبح^(٤).

قالت: لا تحزني، فإنني سوف أكتم عليك. فلم تصدّقها. فلما أن ولدت التفتت إليها وهي مقبلة، فقالت: ما شاء الله. فقالت لها: ألم أقل إنني سوف أكتم عليك. ثم حملته

١. المصدر: فذكر أبان بن عثمان عن أبي الحسين.

٢. المصدر: ولد.

٣. المصدر: باشروهن.

٤. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: فذبح.

فأدخلته المخذع وأصلحت أمره. ثم خرجت إلى الحرس فقالت: انصرفوا - وكانوا على الباب - فإنما خرج دم مقطّع^(١). فانصرفوا فأرضعته. فلما خافت عليه الصوت، أوحى الله إليها: أن اعملي التابوت، ثم اجعليه فيه، ثم أخرجيه ليلاً فاطرحيه في نيل مصر. فوضعت في التابوت، ثم دفعته في اليم. فجعل يرجع إليها، وجعلت تدفعه في الغمر، وإنّ الريح ضربته فانطلقت به. فلما رآته قد ذهب به الماء. همّت أن تصيح، فربط الله على قلبها.

قال: وكانت المرأة الصالحة امرأة فرعون من بني إسرائيل. قالت لفرعون: إنّها أيام الربيع، فأخرجني واضرب لي قبة على شطّ النيل حتّى أتزّه هذه الأيام. ففُضِرَت لها قبة على شطّ النيل، إذ أقبل التابوت يريدّها. فقالت: هل ترون ما أرى على الماء؟ قالوا: إي والله يا سيّدتنا، إنّنا لنرى شيئاً.

فلما دنا منها سارت^(٢) إلى الماء فتناولته بيدها. وكان الماء يغمرها، حتّى تصايحوا عليها فجذبته^(٣) وأخرجته من الماء. فأخذته فوضعت في حجرها، فإذا هو غلام أجمل الناس وأسْرهم^(٤). فوقعت عليها منه محبة. فوضعت في حجرها وقالت: هذا ابني.

فقالوا: إي والله يا سيّدتنا، الله ما لك ولد ولا للملك فأتخذي هذا ولداً. فقامت إلى فرعون وقالت: إنّني أصبت غلاماً طيباً حلواً نتّخذة ولداً، فيكون قرة عين لي ولك، فلا تقتله.

فقال: ومن أين هذا الغلام؟

فقالت: والله، ما أدري إلّا أنّ الماء قد جاء به. فلم تزل به حتّى رضي. فلما سمع الناس أنّ الملك قد تبنّى ابناً، لم يبق أحد من رؤوس من كان مع فرعون إلّا بعث إليه امرأته لتكون له ظنّاً^(٥) وتحضنه. فأبى أن يأخذ من امرأة منهجاً ثدياً.

٢. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: ثارت.

٤. المصدر: أسْرهم.

١. المصدر: منقطع.

٣. س، وأ: فأخذته.

٥. المصدر: أو.

فقال امرأة فرعون: اطلبوا لابني ظئراً، ولا تحفروا^(١) أحداً. فجعل لا يقبل من امرأة منهم.

فقال أم موسى لأخته: قصيه انظري أترين له أثراً. فانطلقت حتى أتت باب الملك، فقالت: قد بلغني أنكم تطلبون ظئراً، وههنا امرأة صالحة تأخذ ولدكم وتكفله لكم.

فقال: ادخلوها. فلما دخلت قالت لها امرأة فرعون: ممن أنت؟

قالت: امرأة من بني إسرائيل.

قالت: اذهبي يا بنية، فليس لنا فيك حاجة.

فقال^(٢) لها النساء: انظري - عافاك الله - يقبل أم لا.

فقال امرأة فرعون: أرايتم لو قبل، هل يرضى فرعون أن يكون الغلام من بني إسرائيل والمرأة من بني إسرائيل؛ تعني^(٣) الظئر. فلا يرضى. قلن: فانظري يقبل أولاً^(٤).

قالت امرأة فرعون: فاذهبي فادعيها.

فجاءت إلى أمها وقالت: إن امرأة الملك تدعوك. فدخلت عليها. فدفع إليها موسى، فوضعت في حجرها، ثم القمته^(٥) ثديها، فازدحم اللبن في حلقه. فلما رأت امرأة فرعون أن ابنها قد قبل، قامت إلى فرعون فقالت: إنني قد أصبت لابني ظئراً وقد قبل منها.

فقال: ممن هي؟

قالت: من بني إسرائيل.

قال فرعون: هذا ممّالا يكون أبداً، الغلام من بني إسرائيل والظئر من بني إسرائيل.

١. هكذا في م، ن، والمصدر. وفي سائر النسخ: تحضروا.

٢. المصدر: فقلن.

٣. المصدر: يعني.

٥. م: والتقت.

٤. المصدر: أولاً يقبل.

فلم تزل تكلمه فيه وتقول: لا تخف^(١) من هذا الغلام؛ إنما هو ابنك ينشأ في حرك. حتى قلبته عن رأيه ورضي.

﴿عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾: فَإِنَّ فِيهِ فَحَائِلَ الْيُمْنِ ودلائل النفع.

قيل^(٢): وذلك لما رأت من نور بين عينيه، وارتضاعه إبهامه لبناً، وبرء البرصاء بريقه.

﴿أَوَتَتَّخِذُهُ وَلَدًا﴾: أَوْ نَتَبَّاهُ. فَإِنَّهُ أَهْلٌ لَهُ.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣): حال، من الملتقطين. أَوْ مِنَ الْقَائِلَةِ وَالْمَقُولِ لَهُ «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أَنَّهُمْ عَلَى الْخَطَأِ فِي التَّقَاطُهِ. أَوْ فِي طَمَعٍ مِنْهُ وَالتَّبَنِّي لَهُ. أَوْ مِنْ مَفْعُولٍ «يَنْفَعُنَا». أَوْ فَاعِلٍ «تَتَّخِذُهُ».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤) متصلاً بقوله: وألقته في النيل - الخبر الذي نقلنا عنه أولاً - وكان لفرعون قصر على شط النيل منتزهاً^(٥) فنظر من قصره ومعه آسية امرأته إلى سواد في النيل، ترفعه الأمواج والرياح تضربه حتى جاءت به إلى باب قصر فرعون. فأمر فرعون بأخذه. فأخذ التابوت، ورفعه إليه. فلما فتحه، وجد فيه صبياً فقال: هذا إسرائيلي. فألقى الله في قلب فرعون لموسى محبة شديدة، وكذلك في قلب آسية رحمة الله عليها وأراد فرعون أن يقتله. فقالت آسية: لا تقتله «عسى أن ينفعنا أو نتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أَنَّهُ مُوسَى.

﴿وَاصْبِرْ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا﴾: صَفراً مِنَ الْعَقْلِ. لَمَّا دَهَمَهَا مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَيْرَةِ، حِينَ سَمِعَتْ بِوُقُوعِهِ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ؛ كَقَوْلِهِ^(٦): «وَأَفْنَدْتَهُمْ هَوَاءً» أَيَّ خِلَاءٍ، لَا عَقُولَ فِيهَا.

ويؤيده أَنَّهُ قَرِئٌ: «فَرِعًا» مِنْ قَوْلِهِمْ: دَمَاؤُهُمْ بَيْنَهُمْ فَرِغٌ؛ أَيُّ هَدْرٍ. أَوْ مِنْ الْهَمِّ وَالْغَمِّ،

١. المصدر: ما تخاف.

٢. أنوار التنزيل ١٨٨/٢.

٣. تفسير القمي ١٣٥/٢.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: منزهاً.

٥. إبراهيم ٤٣/.

لفرط وثوقها بوعد الله . أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه . وقرئ: «موسى»
إجراء للضمّة جار الواو مجرى ضمّتها في استدعاء همزة^(١).

﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ : إنها كادت لتظهر بموسى ؛ أي بأمره وقصّته . من فرط
الضجر ، أو الفرح بتبنيه .

﴿لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ : بالصبر والثبات .

﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) : من المصدّقين بوعد الله . أو من الواصلين بحفظه لا
لتبني فرعون وتعطفه . وهو علّة الربط . وجواب «لولا» محذوف ، دلّ عليه ما قبله .

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ : مريم .

﴿قُصِّيه﴾ : اتّبعي أثره ، وتتبعي خبره .

﴿فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ : عن بعد .

وقرئ: «عن جانب ، وعن جنب» ، وهو بمعناه^(٣).

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٤) : أنها تقصّ . أو أنها أخته .

﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ : ومنعناه أن يرتضع من المرضعات . جمع مرضع . وهو
الرضاع . أو موضعه ؛ يعني الثدي .

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ : من قبل قصّها أثره .

﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ : لأجلكم .

﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾^(٥) : لا يقصّرون إرضاعه وتربيته .

نقل : أن هاما لما سمعها قال : إنها لتعرفه وأهله ، خذوها تخبر بحاله . فقالت : إنّا
أردت ؛ وهم للملك ناصحون . فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله . فأتت بأمتها ،
وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلّله . فلما وجد ريحها ، استأنس والتقم ثديها .
فقال لها : من أنت منه ، فقد أبى كلّ ثدي إلاّ ثديك ؟

فقال: امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أوتى بصبي إلا قبلني. فدفعه إليها، وأجرى عليها. فرجعت به إلى بيتها من يومها، وهو قوله: «فرددناه إلى أمه كي تقر عينها» بولدها.

[وفي جوامع الجوامع^(١): وروي أنها لما قالت: «وهم له ناصحون» قال هامان: إنها لتعرفه وتعرف أهله. فقالت: إنما أردت؛ وهم للملك ناصحون]^(٢).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣)، بإسناده إلى حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام عمّة أبي محمد الحسن عليه السلام أنها قالت: كنت عند أبي محمد عليه السلام فقال: بيتي الليلة عندنا. فإنه سيولد الليلة المولود الكريم على الله ﷻ يحيي به الله ﷻ الأرض بعد موتها.

فقلت: ممّن يا سيدي، ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟

فقال: من نرجس لا من غيرها.

قالت: فوثبت إليها فقلّبتها ظهراً لبطن، فلم أربها أثر الحبل. فعدت إليه عليه السلام. فأخبرته بما فعلت. فتبسّم، ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر، يظهر لك بها الحبل لأنّ مثلها مثل أم موسى لم يظهر بها الحبل ولم يعلم لها أحد إلى وقت ولادتها. لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبالى في طلب موسى، وهذا نظير موسى عليه السلام.

وقالت حكيمة في أواخر هذا الحديث: لما وُلد القائم عليه السلام صاح^(٤) بي أبو محمد عليه السلام فقال: يا عمّاه^(٥) هاتيه. فتناولته وأتيت به نحوه. فلمّا مثلته بين يدي أبيه وهو على يدي سلّم على أبيه. فتناوله الحسن عليه السلام منّي والطير ترفرف على رأسه^(٦) فصاح بطير

١. جوامع الجوامع/ ٣٤٣.

٢. ما بين المعقوفتين ليس في ن. وتوجد في سائر النسخ بعد هذه العبارة: «ولا تحزن بفراقه». والظاهر أنها زائدة.

٣. كمال الدين وتمام النعمة/ ٤٢٧-٤٢٩، ح ٢.

٤. المصدر: يا عمّة تناوليه و.

٥. المصدر: فصاح.

٦. «الطير ترفرف على رأسه» في المصدر، بين المعقوفتين وبعدها توجد: وناول لسانه فشرب منه. ثم قال: امضي به إلى أمه لترضعه وردّه إليّ. قالت: فتناولته أمه. فأرضعته. فرددته إلى أبي محمد عليه السلام.

منها فقال: أحمله واحفظه، وردّه إلينا في كلّ أربعين يوماً. فتناوله الطير وطار به في جوّ السماء، واتّبعه سائر الطير. فسمعت أبا محمّد عليه السلام يقول: أستودعك ^(١) الذي أودعته أمّ موسى ^(٢). فبكت نرجس. فقال: اسكتي، فإنّ الرضاع محرّم عليه إلّا من ثديك. وسيعاد إليك كما رُدّ موسى إلى أمّه. وذلك قول الله تعالى: «فردناه إلى أمّه كي تقرّ عينها ولا تحزن».

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾: بولدها.

﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾: بفراقه.

﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: علم المشاهدة.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٣): أنّ وعده حقّ، فيرتابون فيه. أو أنّ الغرض الأصليّ من الرّدّ علمها بذلك. وما سواه تبع. وفيه تعريض بما فرط منها، حين سمعت بوقوعه في يد فرعون.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٤)، متّصلاً بقوله: [إنّه موسى] ^(٥) ولم يكن لفرعون ولد. فقال: اطلبوا له ^(٦) ظئراً تربّيه. فجاؤوا بعدّة نساء قد قُتل أولادهنّ، فلم يشرب لبن أحد من النساء وهو قول الله تعالى: «وحرمنا عليه المراضع من قبل» وبلغ أمّه أنّ فرعون قد أخذه، فحزنت وبكت كما قال الله تعالى: «وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغاً إن كادت لتبدي به» قال ^(٧) يعني ^(٨): كادت أن تخبر بخبره. أو تموت، ثمّ حفظت ^(٩) نفسها كما قال الله تعالى: «لو لا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين». ثمّ «قالت لأخته قصّيه» أي اتّبعيه. فجاءت أخته إليه «فبصرت به عن جنب» أي عن بعد. «وهم لا

١. المصدر: استودعك الله.

٣. تفسير القمي ١٣٥/٢ - ١٣٦.

٥. المصدر: «انتوا» بدل «اطلبوا له».

٧. من المصدر.

٢. المصدر: أمّ موسى موسى.

٤. ليس في النسخ.

٦. ليس في المصدر.

٨. المصدر: ضبطت.

يشعرون». فلَمَّا لم يقبل موسى بأخذ^(١) ثدي أحد من النساء، اغتمَّ فرعون غمًّا شديداً. فقالت أخته: «هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون» فقال: نعم. فجاءت بأمه. فلَمَّا أخذته في حجرها وألقمته ثديها، التقمه وشرب. ففرح فرعون وأهله، وأكرموا أمه. فقالوا لها: ربي لنا، ولك من الكرامة ما تختارين^(٢) وذلك قول الله تعالى: «فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون».

وفيه قال الراوي: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: فكم مكث موسى غائباً عن أمه، حتى رده الله عليها؟

قال: ثلاثة أيّام.

وفيه متصلاً بقوله: «ولكن أكثرهم لا يعلمون» قريب آخر مانقلناه عنه قريباً: وكان فرعون يقتل أولاد بني إسرائيل كلّما يلدون، ويربي موسى ويكرمه. وهو لا يعلم أن هلاكه على يده. فلَمَّا درج موسى، كان يوماً عند فرعون. فعطس موسى فقال: الحمد لله رب العالمين. فأنكر فرعون ذلك^(٣) عليه، ولطمه قال: ما هذا الذي تقول؟ فوثب موسى على لحيته - وكان طويل اللحية - فهلّبها؛ أي قلّعها. فألمه ألماً شديداً^(٤). فهَمَّ فرعون بقتله.

فقال له امرأته: هذا غلام حدث لا يدري ما يقول [وقد لطمته بلطمتك إياه]^(٥) فقال فرعون: بل يدري.

فقال له امرأته^(٦): ضع بين يديه تمرّاً وجمراً. فإن ميّز بينهما^(٧)، فهو الذي تقول.

١. ليس في المصدر وم.

٢. المصدر: «فأنا نفعل بك ما نفعل» بدل «ولك من الكرامة ما تختارين».

٣. ليس في المصدر. ٤. يوجد في المصدر بعد هذه العبارة: بلطمته إياه.

٥. ليس في المصدر. ٦. من المصدر. وفي النسخ: له.

٧. من المصدر. وفي النسخ: التمر والجمر.

فوضع بين يديه تمرأً وجمرأً، وقال له: كُلْ. فمدَّ يده إلى التمر. فجاء جبرائيل عليه السلام فصرفها إلى الجمر. فأخذ الجمر في فيه، فاحترق لسانه وصاح وبكى.

فقال آسية لفرعون: ألم أقل لك: إنه لم يعقل ^(١)؟ فعفا عنه.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: مبلغه الذي لا يزيد عليه نشؤه. وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة. فإنَّ العقل يكمل حينئذ.

وروي: أنه لم يُبعث نبي إلا رأس الأربعين ^(٢).

﴿وَاسْتَوَى﴾: قدَّه أو عقله.

في مجمع البيان ^(٣): «لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ» أي ثلاثاً وثلاثين سنة. «وَاسْتَوَى» أي بلغ أربعين سنة. عن مجاهد وقتادة وابن عباس.

وفي كتاب معاني الأخبار ^(٤): حَدَّثَنَا أَبِي عليه السلام قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هَلَالٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَنَانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِبَاطٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ الْأَحْوَلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «فَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى» ^(٥) قَالَ: «أَشُدَّهُ» ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً. «وَاسْتَوَى» التَّحْيِي.

﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾: نبوة.

﴿وَعِلْمًا﴾: قيل ^(٦): علماً بالدين. أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه، فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه. وهو أوفق لنظم القصة، لأنَّ الاستنباء ^(٧) بعد الهجرة في المراجعة.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه.

﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٨): على إحسانهم.

١. المصدر: لا يعقل.

٢. أنوار التنزيل ١٨٩/٢.

٣. مجمع البيان ٢٤٣/٤.

٤. معاني الأخبار ٢٢٦، ح ١.

٥. ذكر في المصدر بقية الآية.

٦. أنوار التنزيل ١٨٩/٢.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: لأنَّه استنبأه.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾.

قيل ^(١): دخل مصر آتياً من قصر فرعون.

وقيل ^(٢): مدينة ^(٣) منف [من أرض مصر] ^(٤). أو حائين ^(٥) أو عين الشمس من نواحيها.

﴿عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾: في وقت لا يعتاد دخوله، ولا يتوقعونه فيه.

قيل ^(٦): كان وقت القيلولة. وقيل: بين العشائين وقيل ^(٧) كان يوم عيد لهم، وقد اشتغلوا بلعبهم.

وفي مجمع البيان ^(٨): واختلفوا في سبب دخوله المدينة في هذا الوقت على أقوال:

أحدها: أنه كان موسى حين كبر يركب في مراكب ^(٩) فرعون. فلما جاء ذات يوم قيل له: إن فرعون قد ركب. فركب في أثره. فلما كان وقت القايلة، دخل المدينة ليقيل. عن السدي.

والثاني: أن بني إسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى ويسمعون كلامه. ولما بلغ أشده خالف قوم فرعون. فاشتهر ذلك منه، فأخافوه. فكان لا يدخل مصر، إلا قائلين ^(١٠). فدخلها على حين غفلة. عن ابن إسحاق.

والثالث: أن فرعون أمر بإخراجه من البلد. فلم يدخله إلا الآن. عن ابن زيد.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾: أحدهما ممن شايعه على دينه، وهم بنو إسرائيل. والآخر من مخالفه، وهم القبط. قيل ^(١١): يسخر القبطي

٣. المصدر: من.

٥. المصدر: حابين.

٧ و ٨. مجمع البيان ٢٤٣/٤.

١٠. المصدر: وم: خائفا.

١ و ٢. نفس المصدر والموضع.

٤. ليس في المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع.

٩. المصدر: مواكب.

١١. نفس المصدر ٢٤٣/٤ - ٢٤٤.

الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون.

والإشارة على الحكاية.

﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ : فسأله أن يغيثه بالإعانة. ولذلك

عُدِّي بِـ «على» وقرئ: استعانه^(١).

﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى ﴾ : فضرب القبطي. بجميع كَفَه.

وقرئ: فلكزه؛ أي فضرب به صدره^(٢).

وقيل^(٣): ضربه بعصاه.

﴿ فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ : فقتله. وأصله: أنهى حياته. من قوله^(٤): «وقضينا إليه ذلك

الأمر^(٥)».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): قال فلم يزل موسى ﷺ عند فرعون في أكرم كرامة،

حتى بلغ مبلغ الرجال. وكان ينكر عليه ما يتكلم به موسى ﷺ من التوحيد، حتى هم

به. فخرج موسى من عنده ودخل المدينة، فإذا رجلان يقتتلان. أحدهما يقول بقول

موسى، والآخر يقول بقول فرعون. فاستغاثه الذي من شيعته. فجاء موسى، فوكل

صاحب فرعون، فقضى عليه وتوارى في المدينة.

وفي مجمع البيان^(٧): وروى أبو بصير، عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: ليهنكم الاسم.

قال: قلت: وما الاسم؟

قال: الشيعة. أما سمعت الله سبحانه يقول: «فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من

عدوه».

٢. نفس المصدر والموضع.

٤. الحجر ٦٦.

١. أنوار التنزيل ١٨٩/٢.

٣. مجمع البيان ٢٤٤/٤.

٥. يوجد في هامش نسخة م: قيل: الذي كان من شيعته هو السامري والآخر طبّاخ فرعون. قيل: خبّاز

٦. تفسير القمي ١٣٧/٢.

فرعون واسمه خاتون. ف.

٧. مجمع البيان ٢٤٤/٤.

﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: أي بسببه. حَتَّى هَيَّجَ^(١) غضبي، فغضبت. وسَمَاهُ ظملاً. واستغفر عنه على عاداتهم في استعظام محقرات فرطت منهم.
وقيل^(٢): إِنَّ الأمر الذي وقع القتل بسببه من عمل الشيطان؛ أي حصل بوسوسة الشيطان^(٣).

وذكر السيّد المرتضى قَدَسَ اللهُ روحه فيه وجهين آخرين^(٤):
أحدهما: أَنَّهُ أراد أَن تَزَيَّنَ الشيطان قتلي له، وتركني لما نددت إليه من تأخّره وتفويته^(٥) ما أَستحقّه عليه من الثواب «من عمل الشيطان».
والآخر: أَنَّهُ يريد أَن عمل المقتول «من عمل الشيطان» يبيّن أَنَّهُ مخالف لله تعالى مستحقّ [للقتل].

وههنا سؤال وهو: إِنَّ هذا القتل لا يخلو من أن يكون مستحقّاً، أو غير مستحقّ^(٦).
فإن كان غير مستحقّ، فالأنبياء لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوة ولا بعدها.
وإن كان مستحقّاً، فلا معنى لندمه عليه واستغفاره منه.
والجواب: إِنَّ القتل إِنَّمَا وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من أراد ظلمه، والبغى عليه، ودفع مكروهه عنه. ولم يكن مقصوداً في نفسه. وكلّ ألم وقع على هذا الوجه، فهو حسن غير قبيح. سواء كان القاتل مدافعاً عن نفسه، أو عن غيره. والوجه في ندمه واستغفاره^(٧) ما ذكر.

﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾^(٨): ظاهر العداوة.
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾: بقتله. فَإِنَّهُمْ لو علموا ذلك، لقتلوني.

١. م: يهيج. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. يوجد في هامش نسخة م: ويحتمل والله يعلم أن يكون مرجع هذا العدو، كقوله تعالى: إِنَّهُ عمل غير

صالح. جعفر. ٤. تنزيه الأنبياء ٦٨/.

٥. المصدر: تأخيره وتفويتي. ٦. ليس في أ.

٧. المصدر: «استغفاره منه وندمه عليه» بدل «ندمه واستغفاره»

وقال المرتضى رحمته الله ^(١): إِنَّمَا قَالَ عَلَى سَبِيلِ الانْقِطَاعِ وَالرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالاعْتِرَافِ بِالتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّوْقِ نِعْمِهِ [وَأِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ذَنْبٌ] ^(٢) أَوْ مِنْ حَيْثُ حَرَّمَ نَفْسَهُ الثَّوَابَ ^(٣) الْمَسْتَحَقَّ بِفَعْلِ النَّدْبِ.

﴿ فَاغْفِرْ لِي ﴾: معناه، معنى قول آدم عليه السلام: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» ^(٤).

﴿ فَغَفَرَ لَهُ ﴾: قَبْلَ اسْتِغْفَارِهِ.

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ ﴾: لعباده.

﴿ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٥): بِهِمْ.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾: قسم محذوف الجواب؛ أي أقسم بإنعامك عليّ بالمغفرة وغيرها، لأتوبن.

﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(٦): أو استعطاف؛ أي بحق إنعامك عليّ اعصمني، فلن أكون معيناً لمن أدّت معاونته إلى جرم.

وعن ابن عباس ^(٥): إِنَّهُ لَمْ يَسْتَشِنْ وَابْتَلَى بِهِ مَرَّةً أُخْرَى.

وقيل ^(٦): معناه: أنعمت عليّ من القوة أعين أوليائك، فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك.

وفي هذا دلالة على أَنَّ مظاهرة المجرمين جرم ومعصية، ومظاهرة المؤمنين طاعة. وإِنَّمَا ظَاهَرَ مُوسَى عليه السلام مِنْ ظَاهِرِهِ الْإِيمَانَ وَخَالَفَ مِنْ ظَاهِرِهِ الْكُفْرَ.

وجاء في الأثر: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعُطَاءِ بْنِ أَبِي رَبِيعٍ: إِنَّ فَلَانًا يَكْتُبُ لِفُلَانٍ، وَلَا يَزِيدُ عَلَى كُتْبِهِ دَخْلَهُ وَخَرَجَهُ، وَإِنْ أَخَذَ مِنْهُ أَجْرًا، كَانَ لَهُ غَنَى. وَإِنْ لَمْ يَأْخُذْ، اشْتَدَّ فَقْرُهُ ^(٧) وَكَثُرَ عِيَالُهُ.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. من المصدر.

٣. ليس في المصدر.

٤. الأعراف/ ٢٣.

٥ و٦. أنوار التنزيل ١٨٩/٢.

٧. المصدر: فقر.

فقال عطاء: أما سمعت قول الرجل الصالح: «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً
للمجرمين»^(١).

﴿ فَأَضْبَحَ ﴾: في اليوم الثاني.

﴿ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً ﴾: من قتل القبطي.

﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾: يترصد الاستقادة.

﴿ فَأَذا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ ﴾: يستغيثه. مشتق من الصراح. معناه: أن
الإسرائيلي الذي قد كان خلّصه بالأمس ووكز القبطي لأجله، يستصرخ موسى،
فيستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه.

قال ابن عباس^(٢): لَمَّا فشا [أمر]^(٣) قتل القبطي، قيل لفرعون: إن بني إسرائيل قتل
منا رجلاً.

قال: أتعرفون من قاتله، ومن يشهد عليه؟

قالوا: لا. فأمرهم بطلبه. فبيناهم يطوفون، إذ مرّ موسى من الغد إلى ذلك
الإسرائيلي يطلب نصرته ويستغيث به.

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَقَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾^(٤): بين الغواية. لأنك تسببت لقتل رجل،
وتقاتل آخر مع كثرة آل فرعون. ولم يرد الغواية في الدين.

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ﴾: لموسى وإسرائيلي. لأنه لم يكن
على دينهما. ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل.

﴿ قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ ﴾: قاله الإسرائيلي لأنه لما
سمّاه غويّاً. ظنّ أنّه يبطش عليه. أو القبطي. كأنه توهم من قوله أنّه الذي قتل القبطي
بالأمس لهذا الإسرائيلي.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) متّصل بقوله: في المدينة. فلما كان من الغد، جاء

آخر فتشبت بذلك الرجل الذي يقول بقول موسى ﷺ فاستغاث بموسى . فلما نظر صاحبه إلى موسى قال له : أتريد أن تقتلني ، كما قتلت نفسك بالأمس . فخلّى عن صاحبه وهرب .

﴿إِنْ تُرِيدُ﴾ : ما تريد .

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ : تتناول على الناس ، ولا تنظر العواقب .

﴿وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (١٣) : بين الناس . فتدفع الخصام بآتي هي

أحسن . ولما قال هذا ، انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملائه ، فهمّوا بقتله . فخرج مؤمن آل فرعون - وهو ابن عم فرعون - اسمه حزقيل .

وقيل (١) : رجل اسمه شمعون .

وقيل : شمعان (٢) . ليخبر موسى كما قال :

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ : يسرع . صفة الرجل . أو حال منه ، إذا

جعل «من أقصى المدينة» صفة له لا صلة «لجاء» . لأن تخصيصه بها يلحقه بالمعارف .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة (٣) ، متصلاً بقوله : حتّى قلبته عن رأيه ورضي - إلى آخر ما نقلنا عنه قريباً - فنشأ موسى في آل فرعون . وكتمت أمّه خبره ، وأخته والقبالة حتّى هلكت أمّه والقبالة التي قلبته . فنشأ ﷺ لا يعلم به بنو إسرائيل .

قال : وكانت بنو إسرائيل تطلبه وتسأل عنه ، فيعمى عليهم خبره . قال : فبلغ فرعون ،

أنهم يطلبونه ويسألون عنه . فأرسل إليهم وزاد عليهم في العذاب (٤) ، وفرّق بينهم ونهاهم عن الإخبار به والسؤال عنه .

قال : فخرجت بنو إسرائيل ذات ليلة مقمرة إلى شيخ لهم عنده علم فقالوا : قدكنا

نستريح إلى الأحاديث ، فحتّى متى وإلى متى نحن في هذا البلاء ؟

٢ . المصدر : شمعان .

١ . مجمع البيان ٢٤٦٤ .

٣ . كمال الدين وتمام النعمة ١٤٩/ - ١٥٠ ، ح ١٢ .

٤ . المصدر : «زاد في العذاب عليهم» بدل «وزاد عليهم في العذاب» .

قال: والله، إنكم لاتزالون فيه حتّى يجيء الله تعالى ذكره بـغلام من ولد لاوي بن يعقوب، اسمه موسى بن عمران، غلام طوال جعد. فيبناهم كذلك، إذ أقبل موسى عليه السلام [يسير على بغلة حتّى وقف عليهم. فرفع الشيخ رأسه فعرفه بالصفة، فقال له: ما اسمك يرحمك الله؟ قال: موسى^(١)]. قال: ابن من؟

قال: ابن عمران.

قال: فوثب إليه الشيخ، فأخذ بيده فقَبَلها. فثاروا إلى رجله فقَبَلوها. فعرفهم وعرفوه، واتَّخذهم شيعة. فمكث بعد ذلك ما شاء الله، ثم خرج فدخل مدينة لفرعون فيها رجل من شيعته يقاتل رجلاً من آل فرعون من القبط. فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوّه القبطي، فوكزه موسى ففضى عليه. وكان موسى عليه السلام قد أعطى بسطة في الجسم، وشدة في البطش. فذكره الناس وشاع أمره، وقالوا: إنّ موسى عليه السلام قتل رجلاً من آل فرعون. فأصبح في المدينة خائفاً يترقب. فلما أصبحوا من الغد، إذا الرجل الذي استنصره بالأمس يستصرخه على آخر «فقال له موسى إِنَّكَ لغويّ مبين» بالأمس رجل واليوم رجل «فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدوّ لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلّا أن تكون جبّاراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين».

وفي عيون الأخبار^(٢)، بإسناده إلى محمّد بن الجهم^(٣) قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا عليه السلام [فقال له المأمون: يا ابن رسول الله، أليس من قولك: إنّ الأنبياء معصومون؟

قال: بلى.

١. ليس في ن وس.

٢. عيون الأخبار ١٩٨١-١٩٩، وأول الحديث في ص ١٩٥، ح ١.

٣. المصدر: علي بن محمّد بن الجهم.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى^(١) «فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان».

قال الرضا عليه السلام إن موسى عليه السلام دخل مدينة من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها. وذلك بين المغرب والعشاء «فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه السلام على العدو بحكم الله تعالى ذكره فوكزه فمات «قال هذا من عمل الشيطان» يعني الاقتتال الذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله. «إنه» يعني الشيطان. «عدو مضل مبين».

قال المأمون: فما معنى قول موسى عليه السلام: «رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي». قال: يقول: وضعت نفسي غير موضعها بدخول^(٢) هذه المدينة. «فاغفر لي» أي استرني من أعدائك لثلاً يظفروا بي، فيقتلوني. «فغفرله إنه هو الغفور الرحيم» قال موسى: «رَبِّ بما أنعمت عليّ» من القوة حتى قتلت رجلاً بوكزه. «فلن أكون ظهيراً للمجرمين» بل أجاهدهم^(٣) في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى. «فأصبح» موسى عليه السلام «في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه» على آخر. «قال له موسى إنك لغوي مبين» قاتلت رجلاً بالأمس، وتقاتل هذا اليوم لأؤدبَكَ. وأراد أن يبطش به.

«فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما» وهو من شيعته. «قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين».

قال المأمون: جزاك الله عن أنبيائه خيراً، يا أبا الحسن.
﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾: يتشاورون بسببك. وإنما سُمي

٢. المصدر: بدخولي.

١. ليس في أ.

٣. المصدر: أجاهد.

التشاور ائتماراً، لأن كلاً من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر.

﴿فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٣٠): اللام للبيان. وليس صلة «لِلنَّاصِحِينَ». لأن معمول الصلة لا يقدم الموصول.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا﴾: في المدينة.

﴿خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾: لحوق طالب.

﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣١): خلصني منهم، واحفظني من لحوقهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١)، متصلاً بقوله: عن صاحبه وهرب. وكان خازن فرعون مؤمناً بموسى عليه السلام قد كتم إيمانه ستمائة سنة. وهو الذي قال الله ﷻ «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله» وبلغ فرعون خبر قتل موسى الرجل فطلبه ليقطعه. فبعث المؤمن إلى موسى عليه السلام «أَنْ الْمَلَأُ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» فخرج منها كما حكى الله ﷻ «خائفاً يترقب» قال: يلتفت يمينه ويقول: «رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾: قبالة مدين، قرية شعيب. سُميت باسم مدين بن إبراهيم. ولم تكن في سلطان فرعون. وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام.

وفي مجمع البيان^(٢): وروى عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كانت عصا موسى قضيب آس بالجنة أتاه جبرائيل لما توجه تلقاء مدين.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٣٢): توكلأ على الله، وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق. فعن له ثلاث طرق فأخذ بأوسطها وجاء الطلاب عقيبته، فأخذوا في الآخرين.

وفي إرشاد المفيد^(٣) في مقتل الحسين عليه السلام: فسار الحسين عليه السلام إلى مكة، وهو يقرأ: «فخرج منها خائفاً يترقب قال رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ». ولزم الطريق الأعظم.

فقال له أهل بيته: لو تنكبت الطريق الأعظم كما صنع^(١) ابن الزبير، لثلاً يلحقك^(٢) الطلب.

فقال: لا والله، لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاضٍ. ولما دخل الحسين عليه السلام مكة، كان دخوله إليها ليلة الجمعة. لثلاث مضي من شعبان. دخلها وهو يقرأ: «ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل» الحديث.

فلما دعا ربه، استجاب له ودلّه على الطريق المستقيم إلى مدين. وقيل: جاء ملك على فرس وببده عنزة، فانطلق به إلى مدين. وقيل: إنّه خرج حافياً. ولم يصل إلى مدين حتى وقع خفّ قدميه^(٣).

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾: وصل إليه. وهو بشر كانوا يستقون منها.

﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾: وجد فوق شفيرها.

﴿أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ﴾: جماعة كثيرة مختلفين.

﴿يَسْقُونَ﴾: مواشيهم.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾: في مكان أسفل من مكانهم.

﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء لثلاً تختلط بأغنامهم.

وقيل^(٤): تذودان الناس عن مواشيهما.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: ما شأنكما تزودان.

﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾: يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء. حذراً عن

مزاحمة الرجال. وحذف المفعول، لأن الغرض هو بيان ما يدلّ على عفتهم ويدعوهم إلى السقي لهما ثمةً دونه.

وقرأ أبو عمر وابن عامر. «يصدر» أي ينصرف^(٥).

وقرئ: «الرعاة» بالضم.

١. المصدر: فعل.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يلحق.

٥. أنوار التنزيل ١٩٠/٢.

٣. مجمع البيان ٢٤٧/٤.

وهو اسم جمع، كالرجال^(١).

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٢): كبير السن. لا يستطيع أن يخرج للسقي، فيرسلنا اضطراراً.

﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾: مواشيهما، رحمة عليهما.

وفي جوامع الجامع^(٣): رُوي أَنَّ الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجراً، لا يقله إلا سبعة رجال. وقيل: عشرة. وقيل أربعون. فأقله وحده وسألهم دلواً، فأعطوه دلوهم. وكان لا ينزعها إلا عشرة. فاستقى بها وحده مرة واحدة. فروى عنهما وأصدرهما.

وقيل^(٤): كانت بئر أخرى عليها صخرة، فرفعها واستقى منها.

﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾: لأي شيء أنزلت.

﴿مِنْ خَيْرٍ﴾: قليل أو كثير.

﴿فَقَعِيرٌ﴾^(٥): محتاج سائل.

قال ابن عباس^(٦): سأل نبي الله فلق خبز، يقيم به صلبه.

قال الأخفش^(٧): يقال: فقير إليه، وفقير له.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨)، متصلاً بقوله: «من القوم الظالمين». ومَرَّ نحو مدين. وكان بينه وبين مدين مسيرة ثلاثة أيام فلما بلغ مدين، رأى بئراً يستقي الناس منها لأغنامهم ودوابهم. فقعده ناحية، ولم يكن أكل منذ ثلاثة أيام شيئاً. فنظر إلى جاريتين في ناحية ومعهما غنيمات، لا تدنوان من البئر.

فقال لهما: مالكما لا تستقيان؟

فقالتا كما حكى الله ﷻ: «لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير» فرحمهما

١. نفس المصدر ١٩٠/٢ - ١٩١.

٢. جوامع الجامع ٣٤٤.

٣. أنوار التنزيل ١٩١/٢.

٤ و ٥. مجمع البيان ٢٤٨/٤.

٦. تفسير القمي ١٣٨/٢.

موسى عليه السلام ودنا من البئر، فقال لمن على البئر: أستقي لي دلواً ولكم دلواً.

وكان الدلو يمدّه عشرة رجال. فاستقى وحده دلواً لمن على البئر، ودلواً لبنتي شعيب عليه السلام وسقى أغنامهما ثم تولى إلى الظلّ، فقال: «ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير» الله، ما سألت الله ﷻ إلّا خبزاً يأكله. لأنّه كان يأكل بقلة الأرض، ولقد رأوا خضرة البقل في صفاق بطنه من هزاله.

وفي الكافي: عليّ بن إبراهيم^(١) عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله الله ﷻ حكايته عن موسى عليه السلام: «ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير» قال: سأل الطعام.

وفي تفسير العياشي^(٢): عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول موسى لفته: «أتنا غداءنا» وقوله: «ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير» قال: إنّما عنى الطعام. فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ موسى لذو جوعات^(٣).

عن ليث بن سليم^(٤)، عن أبي جعفر عليه السلام شكى موسى عليه السلام إلى ربّه الجوع في ثلاثة مواضع «أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً»، «لأتخذت عليه أجراً»، «لما أنزلت إليّ من خير فقير».

وفي نهج البلاغة^(٥): قال عليه السلام: وإن شئت ثنيت بموسى كليم الله عليه السلام حيث^(٦) يقول: «إني لما أنزلت إليّ من خير فقير» والله، ما سأله إلّا خبزاً يأكله. لأنّه كان يأكل بقلة الأرض. ولقد كانت خضرة البقول ترى من شفيف صفاق بطنه، لهزاله وتشدّب^(٧) لحمه.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٨)، متصلاً بقوله: «أن تكون من المصلحين»

٢. تفسير العياشي ٢/٣٣٠، ح ٤٤.

٤. نفس المصدر ٢/٣٣٥، ح ٥٠.

٦. هكذا في المصدر، وفي النسخ: إذ.

٨. كمال الدين وتمام النعمة / ١٥٠.

١. الكافي ٦/٢٨٧، ح ٥.

٣. المصدر، س أوم: للزوجات.

٥. نهج البلاغة ٢٢٦-٢٢٧، ضمن خطبة ١٦٠.

٧. تشدّب اللحم: تفرّقه.

- آخر ما نقلنا عنه سابقاً - «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إنَّ الملائكة يأمرون بك ليقتلوك فاخرج إنِّي لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقب» فخرج من مصر بغير ظهر ولا دابة ولا خادم. تخفضه أرض وترفعه أخرى، حتَّى انتهى إلى أرض مدين. فأنتهى إلى أصل شجرة فنزل، فإذا تحتها بئر، وإذا عندها أمة من الناس يسقون، وإذا جارتان ضعيفتان، وإذا معهما غنيمة لهما.

قال: «ما خطبكما قالتا»: أبونا شيخ كبير، ونحن جارتان ضعيفتان لا نقدر أن نزاحم الرجال، فإذا سقى الناس سقيناً. فرحمهما موسى ﷺ فأخذ دلوهما وقال لهما: قدما غنمكما. فسقى لهما. ثم رجعتا بكرة قبل الناس. ثم تولى موسى إلى الشجرة فجلس تحتها، وقال: «ربَّ إنِّي لما أنزلت إليَّ من خير فقير» فروي: أنَّه قال ذلك، وهو محتاج إلى شقِّ تمره.

فلما رجعتا إلى أبيهما قال: ما أعجلكما في هذه الساعة!

قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحماً، فسقى لنا.

فقال لإحدهما: اذهبي فادعيه لي.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾: أي مستحية، على عادة النساء المخدرات.

وقيل ^(١): أراد باستحيائها، أنَّها غطَّت وجهها بكمِّ درعها.

قيل ^(٢): كانت الصغرى منها. وقيل: الكبرى. واسمها صفوراء، أو صفراء. وهي

التي تزوجها موسى.

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾: ليكافئك.

﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾: جزاء سقيك لنا. ولعلَّ موسى إنما أجابها ليتبرَّك برؤية الشيخ

ويستظهر بمعرفته، لا طمعاً في الأجر. بل روي ^(٣): أنَّه لما جاءه، قدَّم إليه طعاماً.

فامتنع عنه ، وقال : إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا يَبِيعُ دِينُنَا بِالْدُّنْيَا^(١) . حَتَّى قَالَ شَعِيبٌ : هَذِهِ عَادَتُنَا مَعَ كُلِّ مَنْ يَنْزِلُ بِنَا .

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢) : يريد فرعون وقومه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣) ، متصلاً بقوله : من هذاله - إلى آخر ما نقلنا عنه سابقاً - فلما رجعت ابنتا شعيب إلى شعيب ، قال لهما : سرعتما الرجوع . فأخبرتا به بقصة موسى عليه السلام ولم تعرفاه . فقال شعيب عليه السلام لواحدة منهما : اذهبي إليه ، فادعيه لنجزيه أجر ماسقى لنا . فجاءت إليه كما حكى الله تعالى «تمشي على استحياء فقالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا» فقام موسى معها . ومشت أمامه ، فصفتها الريح ، فبان عجزها . فقال لها موسى : تأخري ودليني على الطريق بحصاة تلقياها أمامي أتبعهما ، فأنا من قوم لا ينظرون في أدبار النساء . فلما دخل على شعيب قصص عليه قصته . فقال له شعيب عليه السلام : «لا تخف نجوت من القوم الظالمين» .

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤) ، متصلاً بقوله : «أجر ما سقيت لنا» فروي أن موسى عليه السلام قال لها : وجهيني إلى الطريق وامشي خلفي فإننا بني يعقوب لا ننظر في أعجاز النساء «فلما جاءه وقصص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين» .

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا ﴾ : يعني التي استدعته .

﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ﴾ : لرعي الغنم .

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾^(٥) : تعليل شائع ، يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستنجار . وللمبالغة فيه جعل «خير» اسماً . وذكر الفعل بلفظ الماضي ، للدلالة على أنه امرؤ مجرب معروف .

١ . يوجد في هامش نسخة : فيه إشعار بعدم قبول الهدية بعد قضاء الحاجة ؛ كما ورد في جامع الأخبار ولُبّ الأحاديث [جامع الأخبار] / ١٨٢ ، فصل ١١٧ ، بتغيير في اللفظ : من قضى حاجة لأخيه فقبل هديته فقد أكل بالسحت . جعفر .

٢ . تفسير القمي ١٣٨/٢ .

٣ . كمال الدين وتمام النعمة / ١٥١ .

نقل^(١): أَنَّ شُعَيْباً عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ [لَهَا:]^(٢) وَمَا أَعْلَمُكَ بِقُوَّتِهِ وَأَمَانَتِهِ؟ فَذَكَرَتْ إِقْلَالَ الْحَجَرِ، وَأَنَّهُ صَوَّبَ رَأْسَهُ^(٣) حِينَ بَلَغَتْهُ رِسَالَتُهُ،^(٤) وَأَمَرَهَا بِالْمَشْيِ خَلْفَهُ.

وفى تفسير علي بن إبراهيم^(٥)، متصلاً بقوله «من القوم الظالمين». قالت إحدى بنات شعيب: «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين».

فقال لها شعيب: أما قوته، فقد عرفتني أنه يستقي الدلو وحده. فيما عرفت أمانته؟ فقلت: إنه لما قال لي: تأخري عني ودليني على الطريق، فإننا من قوم لا ينظرون إلى أدبار النساء عرفت أنه ليس من الذين ينظرون أعجاز النساء. فهذه أمانته.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٦): وروى صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَام فِي قول الله عَزَّ وَجَلَّ: «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين». [قال: قال لها شعيب: يا بنيّة، هذا قوي قد عرفتني^(٧) برفع الصخرة. الأمين]^(٨) من أين عرفته؟

قالت: يا أبة إنني مشيت قدّامه، فقال: امشي من خلفي، فإن ضللت فارشدني إلى الطريق، فإننا قوم لا ننظر في أدبار النساء.

وفي مجمع البيان^(٩): قال أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَام: لَمَّا قَالَتِ الْمَرْأَةُ هَذَا، قَالَ شُعَيْبُ: وَمَا عَلِمْتُكَ بِأَمَانَتِهِ وَقُوَّتِهِ؟

قالت: [أما قوته فلاّته]^(١٠) رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا. وأما أمانته، فإنّه قال لي: امشي خلفي، فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي عجزك^(١١).

وروى الحسن بن سعيد^(١٢): عن صفوان بن يحيى^(١٣) عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَام قال:

-
١. أنوار التنزيل ١٩١/٢.
 ٢. من المصدر.
 ٣. صوّب رأسه: خفضه، وأماله.
 ٤. من المصدر.
 ٥. تفسير القمي ١٣٨/٢.
 ٦. من لا يحضره الفقيه ١٢/٤، ح ٧.
 ٧. المصدر: عرفته.
 ٨. ليس في س.
 ٩. مجمع البيان ٢٤٩/٤. وفيه: «عمر بن الخطّاب» بدل «قال أمير المؤمنين علي عَلَيْهِ السَّلَام».
 ١٠. من المصدر. وفي أم، ن: «فأنه» بدلاً منه.
 ١١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: جسدك.
 ١٢. نفس المصدر ٢٥٠/٤.
 ١٣. من المصدر.

سُئِلَ أَيُّهَا الَّتِي قَالَتْ: «إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ؟» قَالَ: الَّتِي تَزُوجُ بِهَا.

قِيلَ: فَأَيُّ الْأَجْلِينَ قَضَى؟

قَالَ: أَوْفَاهُمَا، وَأَبْعَدُهُمَا عَشْرَ سَنِينَ.

قِيلَ: فَدَخَلَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ الشَّرْطُ، أَوْ بَعْدَ انْقِضَائِهِ؟

قَالَ: قَبْلَ أَنْ يَنْقَضِيَ.

قِيلَ لَهُ: فَالرَّجُلُ يَتَزَوَّجُ الْمَرْأَةَ وَيَشْتَرِطُ لِأَيِّهَا إِجَارَةَ شَهْرَيْنِ، أَيْجُوزُ ذَلِكَ؟

قَالَ: إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَّمَ أَنَّهُ سَيَتِمُّ لَهُ شَرْطُهُ^(١).

قِيلَ: كَيْفَ؟

قَالَ: عَلَّمَ أَنَّهُ سَيَبْقَى حَتَّى يَفِي.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾: أَنْ تَأْجُرَ نَفْسَكَ

مَنِي. أَوْ تَكُونَ لِي أَجِيرًا.

وقيل^(٢): معناه: أَنْ تَجْعَلَ جَزَائِي وَثَوَابِي إِيَّاكَ عَلَى أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ، أَنْ

تَعْمَلَ لِي ثَمَانِي سَنِينَ. فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ بِمَهْرٍ وَاسْتَأْجَرَهُ لِلرَّعِي. وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ مَهْرًا،

وَأَمَّا شَرْطُ ذَلِكَ عَلَيْهِ. وَهَذَا عَلَى وَفْقِ مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ. وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَوْفَقُ لظَاهِرِ

الآيَةِ.

﴿ثَمَانِي حِجَجٍ﴾: ظَرَفَ عَلَى الْأَوَّلِينَ. وَمَفْعُولُ بِهِ عَلَى الثَّالِثِ. بِإِضْمَارِ مِضَافٍ؛

أَيَّ رَعِيَةِ ثَمَانِي حِجَجٍ.

﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾: عَمَلَ عَشْرَ حِجَجٍ.

١. يوجد في هامش نسخة م: أنت تدري أن معنى الإجارة نقل المنافع وإنما تجدد المنافع بالتدريج فما ليس

بملوك منها لا يصح تعلم كإجارة الوقف؛ مثلاً: إن مات الموقوف عليه وفق العقد على إجارة الطبقة

المستأجرة لا لاكتشاف عدم ملك الموجر للمنفعة فيما بقي من المدة فكون المهر نفقة الرجل في المتعة

مشكل لما ذكره عليه من التعليل فيصدقها ما لا يعلم ملكه. لأنه لا منفعة له بعد الموت وأما في الدائم فليس

المهر شرط صحة العقد. فالرواية إما مخصصة بالمنقطع، أو محمولة على إكراهه، أو فساد المهردون

٢. نفس المصدر ٢٤٩/٤ - ٢٥٠.

النكاح.

﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ : فإتمامه من عندك تفضلاً. لامن عندي إلزاماً عليك.

وفي الكافي^(١) : علي بن محمد بن بندار، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه، عن ابن سنان، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته عن الإجارة.

فقال : صالح لا بأس به، إذا نصح قدر طاقته. قد أجر موسى عليه السلام نفسه واشترط، فقال : إن شئت ثمان^(٢)، وإن شئت عشرأ فأنزل الله ﷻ فيه : «أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرأ فممن عندك».

وفي من لا يحضره الفقيه^(٣) : وروى إسماعيل بن أبي زياد، عن أبي جعفر محمد، عن أبيه عليه السلام أن علياً عليه السلام قال : لا يحل النكاح اليوم في الإسلام بإجارة، بأن يقول : أعمل عندك كذا وكذا على أن تزوجني أختك أو ابنتك. قال : هو حرام، لأنه ثمن رقبته. وهي أحق بمهرها.

وفي حديث آخر^(٤) : إنما كان ذلك لموسى بن عمران عليه السلام لأنه علم من طريق الوحي هل يموت قبل الوفاء أم لا. فوفى بآتم الأجلين.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٥) «قال إنني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشرأ فممن عندك» فروي : أنه قضى أتمهما. لأن الأنبياء عليهم السلام لا تأخذ^(٦) إلا بالفضل [والتمام].

وفي تفسير العياشي^(٧) : قال الحلبي : سئل أبو عبدالله عليه السلام عن البيت، أكان يحج قبل أن يبعث النبي ﷺ ؟

قال : نعم وتصديقه في القرآن^(٨) قول شعيب حين قال لموسى حيث تزوج : «على أن تأجرني ثمانى حجج» ولم يقل ثمانى سنين.

-
١. الكافي ٩٠/٥، ح ٢.
 ٢. المصدر : ثمانى.
 ٣. من لا يحضره الفقيه ٢٦٨/٣، ح ١٢٧١.
 ٤. نفس المصدر والموضع، ح ١٢٧٢.
 ٥. كمال الدين وتمام النعمة ١٥١/.
 ٦. المصدر : يأخذون.
 ٧. تفسير العياشي ٦٠/١، صدر حديث ٩٩.
 ٨. ليس في أ.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى أنس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب عليه السلام من حب الله ﷻ حتى عمي، فردّ الله ﷻ عليه بصره. ثم بكى حتى عمي، فردّ الله عليه بصره. [ثم بكى حتى عمي فردّ الله عليه بصره]^(٢) فلما كانت الرابعة، أوحى الله إليه: يا شعيب، إلى متى يكون هذا أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النار، فقد أجرتك. وإن يكن شوقاً إلى الجنة، فقد أبحتك.

قال^(٣): إلهي وسيدي، أنت تعلم أنني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك.

فأوحى الله ﷻ إليه أما إذا كان هذا هكذا، فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: إن يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام عاش بعد موسى ثلاثين سنة. وخرجت عليه صفراء بنت شعيب، زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحقّ منك بالأمر. فقاتلها فقتل مقاتلتها وأحسن أسرها.

وفيه^(٥): حديث طويل، يقول فيه عليه السلام وقد ذكر موسى عليه السلام: وخرج إلى مدينة مدين، فأقام عند شعيب ما أقام: فكانت الغيبة الثانية أشدّ عليهم من الأولى وكانت نيفاً وخمسين [سنة]^(٦).

وبإسناده إلى عبد الله بن سنان^(٧)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول في القائم عليه السلام: [فيه] سنة من موسى بن عمران عليه السلام.

فقلت: وما سنته من موسى بن عمران؟

١. علل الشرائع ٥٧/ ح ١.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «أجبتك فقال» بدل «أبحتك قال».

٣. كمال الدين وتمام النعمة ٢٧/ نفس المصدر ١٤٦/ ٥.

٤. كمال الدين وتمام النعمة ٢٧/ نفس المصدر ١٥٢/ ح ١٤.

٥. نفس المصدر.

قال: خفاء مولده، وغيبته عن قومه.

فقلت: وكم غاب موسى عن أهله؟

قال: ثمانية وعشرين سنة.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾: بالزمام إتمام العشر. أو المناقشة في مراعاة الأوقات،

واستيفاء الأعمال. واشتقاق المشقة، من الشق. فإن ما يصعب عليك [يصعب]^(١)

اعتقادك في إطاقة ورأيك في مزاولته.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢): في حسن المعاملة، ولين الجانب،

والوفاء بالمعاهدة.

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا، لا تخرج عنه.

﴿أَيُّمَا الْأَجْلَيْنِ﴾: أطولهما. أو أقصرهما.

﴿فَضِئْتُ﴾: وفيتك إياه.

﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾: لا تعتدي عليّ بطلب الزيادة.

وفي مجمع البيان^(٣): وروى الواحدي بالإسناد عن ابن عباس قال: سئل رسول

الله ﷺ: أي الأجلين قضى موسى؟

قال: أوفاهما وأبطأهما.

وبالإسناد عن أبي ذر^(٣) قال: قال لي رسول الله ﷺ: إذا سئلت أي الأجلين قضى

موسى ﷺ؟ فقل: خيرهما وأبرهما. وإن سئلت، أي المرأتين تزوج؟ فقل: الصغرى

منهما. وهي التي جاءت وقالت: «يا أبت استأجره».

وقرىء: «أيما» بسكون الياء كقوله:

تنظرت نصراً والسماكين أيهما علي من الغيث استهلّت مواطره^(٤)

وأي الأجلين ما قضيت فيكون «ما» مزيدة لتأكيد الفعل: أي أي الأجلين جرّدت

عزمني لقضائه. «وعدوان» بالكسر.

﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾: من المشاركة.

﴿وَكَيْلٌ﴾ (١٨): شاهد حفيظ.

وفي من لا يحضره الفقيه (١): قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: من خرج في سفر ومعه عصا لوز مرّ، وتلا هذه الآية: «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدِينٍ» إلى قوله: «وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ» [آمنه الله من كلّ سبع ضارّ، ومن كلّ لصّ عادٍ، ومن كلّ ذات حمّة حتّى يرجع إلى أهله ومنزله. وكان معه سبعة وسبعون] (٢) من المعقّبات يستغفرون له حتّى يرجع ويضعها (٣).

وفي كتاب ثواب الأعمال (٤)، مثله سواء.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ الْجَلَّ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾: بامرأته.

وروي (٥): أنّه أقصى الأجلين. ومكث عنده بعد ذلك عشرًا آخر، ثمّ عزّم على الرجوع.

﴿أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾: أبصر من الجهة التي تلي الطور.

وفي مجمع البيان (٦): وروي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: فلَمَّا رجع موسى إلى امرأته، قالت: من أين جئت؟

١. من لا يحضره الفقيه ١٧٦/٢، ح ٧٨٦. ٢. ليس في أ.

٣. يوجد في هامش نسخة م: وقال عليه السلام: تنفي [أي العصا من لوز مرّ] (ليس في المصدر) الفقر ولا يحاوره الشيطان. وقال عليه السلام: مرض آدم مرضاً شديداً أصابته فيه وحشة. فشكا ذلك إلى جبرئيل عليه السلام. فقال: اقطع [غصناً من لوز مرّ] (من المصدر) وخذه وضّمّها إلى صدرك. ففعل ذلك. فأذهب الله عنه الوحشة. فقال: من أراد أن يطوئ له الأرض فليتخذ العصا من لوز مرّ. وقال عليه السلام: من مشى مع العصا في السفر والحضر للتواضع يُكْتَبَ له بكل خطوة ألف حسنة ومحى عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة. من كتاب لبّ الأحاديث (جامع الأخبار/ ١٤١، ضمن فصل ٧٧).

٤. ثواب الاعمال ٢٢٢/٢، ح ١. ٥. أنوار التنزيل ١٩٢/٢.

٦. مجمع البيان ٢٥٣/٤.

قال: من عند رب تلك النار.

﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾: بخبر الطريق.

وفي مجمع البيان^(١): وروى أبو منصور، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس، أخطأ الطريق [ليلاً]^(٢) فرأى ناراً، قال لأهله امْكُثُوا،^(٣) إِنِّي آنَسْتُ ناراً.

وفي الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو. فإن موسى [بن عمران]^(٥) ذهب يقتبس ناراً لأهله، فانصرف إليهم وهو نبي مرسل.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله^(٦)، عن علي بن محمد القاساني، عن ذكره، عن عبدالله بن القاسم، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو. فإن موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس ناراً لأهله، فكلمه الله ورجع نبياً. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿أَوْجَدُوهُ﴾: عود غليظ. سواء كان في رأسه نار، أو لم تكن. ولذلك بيّنه بقوله:

﴿مِنَ النَّارِ﴾: وقرأ عاصم بالفتح. وحمزة بالضم. وكلّها لغات.

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾^(٧): تستدفئون بها.

﴿فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾: أتاه النداء من الشاطئ الأيمن لموسى.

﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾: متصل «بالشاطئ» أو صلة «لنودي».

﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾: بدل من «شاطئ» بدل الاشتمال. لأنها كانت ثابتة على الشاطئ.

﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾: أي يا موسى.

١. نفس المصدر ٢٥٠/٤-٢٥١.

٢. من المصدر.

٣. الكافي ٨٣/٥، ح ٢.

٤. من المصدر.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٣.

٦. ليس في المصدر.

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٥): في تفسير علي بن إبراهيم (١) قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام أي الأجلين قضى؟

قال: أتمها، عشر حجج.

قلت له: فدخل بها قبل أن يقضى الأجل، أو بعده؟

قال: قبل.

قال [قلت: (٢٦)] فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها إجارة شهرين [مثلاً، (٢٧)] أيجوز ذلك؟

قال: إن موسى عليه السلام علم أنه يتم له شرطه، فكيف لهذا أن يعلم أنه يبقى حتى يفي؟

قلت له: جعلت فداك، أيهما (٢٨) زوجه شعيب من بناته؟

قال: التي ذهبت إليه فدعته وقالت لأبيها: «يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين». «فلما قضى موسى الأجل» قال لشعيب: لا بد لي أن أرجع إلى وطني وأمي وأهل بيتي، فما لي عندك؟

فقال شعيب عليه السلام: ما وضعت أغنامي في هذه السنة من غنم بلق فهو لك. فعمد موسى عليه السلام عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه (٢٩) فقشر منه بعضه وترك بعضه وغرزه في وسط مريض الغنم وألقى عليه كساء أبلق، ثم أرسل الفحل على الغنم، فلم تضع [الغنم] (٣٠) في تلك السنة إلا بلقاً. فلما حال عليه الحول، حمل موسى امرأته وزوده شعيب من عنده وساق غنمه. فلما أراد الخروج قال لشعيب: أبغي عصاً تكون معي. وكانت عصى الأنبياء عليهم السلام عنده ورثها مجموعة في بيت

فقال له شعيب: ادخل هذا البيت، وخذ عصاً من بين العصي. فدخل فوثب إليه عصا نوح وإبراهيم عليه السلام وصارت في كفه. فأخرجها ونظر إليها شعيب، فقال: ردها

٢. ليس في المصدر.

٤. النسخ: أيها.

٦. من المصدر.

١. تفسير القمي ١٣٩/٢ - ١٤٠.

٣. ليس المصدر.

٥. المصدر: عصا.

وخذ غيرها. فردّها ليأخذ غيره، فوثب إليه تلك بعينها فردّها حتّى فعل ذلك ثلاث مرّات.

فلما رأى شعيب عليه السلام ذلك قال، له: اذهب، فقد خصّك الله تعالى بها. فساق غنمه فخرج يريد مصر. فلما صار في مفازة^(١) ومعه أهله، أصابهم برد شديد وريح وظلمة، وجنّهم الليل. فنظر موسى عليه السلام إلى نار قد ظهرت كما قال الله تعالى: «فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إنّي آنست نارا لعلّي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون» فأقبل نحو النار يقتبس، فإذا شجرة ونار تلتهب عليها. فلما ذهب نحو النار يقتبس منها. أهوت إليه ففزع وعدا [ورجعت النار إلى الشجرة. فالتفت إليها وقد رجعت إلى الشجرة، فرجع الثانية ليقبس فأهوت إليه فعدا]^(٢) وتركها. ثمّ التفت وقد رجعت إلى الشجرة، فرجع إليها الثالثة فأهوت إليه فعدا «ولم يعقب» أي لم يرجع. فناداه الله تعالى: «أن يا موسى إنّي أنا الله ربّ العالمين».

وفي تهذيب الأحكام^(٣): أبو القاسم جعفر بن محمّد، عن محمّد بن الحسين بن عليّ بن مهزيار، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن مهزيار^(٤)، عن الحسين بن سعيد، عن عليّ بن الحكم، عن مخرمة بن ربعي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله في القرآن، هو الفرات. والبقعة المباركة، هي كربلاء^(٥).

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾: أي فألقاها فصارت ثعباناً واهتزّت، فلما رآها تهتزّ.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مفاوزه. ٢. ليس في الأصل.

٣. تهذيب الأحكام ٣٨٨/٦، ح ٨٠. ٤. المصدر: محمّد بن الحسن بن عليّ بن مهزيار.

٥. يوجد في هامش نسخه م: لعلّ فيه دليل على أنّ كربلاء كانت ذلك اليوم تزار أيضاً؛ لأنّ بين مدين ومصر ثمانية أيّام كما مرّ في تفسير قوله: «ولمّا توجّه تلقاء مدين» وكربلاء في جانب ومصر في جانب. وليست على طريق مصر. ولا هي قريبة منه بل الخارج من مدين كلّما قرب من كربلاء بعد عن مصر، فلا مناص إلّا أن يقال موسى عليه السلام كما قصد كربلاء قصداً.

﴿كَانَهَا جَانٌّ﴾: في الهيئة والجثة. أو في السرعة.

﴿وَلَيْ مُذْبِرًا﴾: مهزوماً من الخوف.

﴿وَلَمْ يُعْقَبْ﴾: ولم يرجع.

﴿يَا مُوسَى﴾: نودي: يا موسى.

﴿اقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾^(٦): عن المخاوف. فإنه «لا يخاف لدي

المرسلون»^(١).

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾: ادخلها.

﴿تَخْرُجُ بَيَاضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾: عيب.

وفي كتاب طب الأئمة^(٢)، بإسناده إلى جابر الجعفي، عن الباقر عليه السلام قال: قال الله تعالى

في قصة موسى عليه السلام: «ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء» يعني: من غير

برص. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾: يدك المبسوطتين. تتقي بهما الحية كالخائف الفزع،

بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس. أو بإدخالهما في الجيب، فيكون

تكريراً لغرض آخر. وهو أن يكون ذلك في وجه العدو إظهار جرأة، ومبدأ لظهور

معجزة. ويجوز أن يراد بالضم: التجلّد والثبات، عند انقلاب العصا حية استعارة من

حال الطائر. فإنه إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه.

وقيل^(٣): أي ضم يدك إلى صدرك من الخوف، فلا خوف عليك.

والمعنى: أن الله تعالى أمره أن يضمّه إلى صدره، يذهب ما أصابه من الخوف عند

معاينة الحية.

﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾: أي: من أجل الرهب: أي: إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلّداً، أو

ضبطاً لنفسك.

وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر، بضم الراء وسكون الهاء^(١).

وقرئ بضمهما^(٢). وقرأ حفص بالفتح والسكون. والكل لغات^(٣).

﴿فَذَانِكَ﴾: إشارته إلى العصا واليد. وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس.

﴿بُرْهَانَانِ﴾: حجتان.

وبرهان، فعلان. أبره الرجل: إذا جاء بالبرهان. من قولهم: بره الرجل: إذا ابيضَ ويقال: برهاء وبرهرة للمرأة البيضاء.

وقيل^(٤): فعلان. لقولهم: برهن.

﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: مرسلأ بهما.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٣٣﴾: فكانوا أحقاء بأن تُرسل إليهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥)، متصلاً بقوله: «رَبِّ الْعَالَمِينَ» قال موسى ﷺ فما

الدليل على ذلك؟

قال الله ﷻ ما في يمينك يا موسى؟

قال: هي عصاي.

«قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي^(٦) حية تسعى^(٧)»، ففزع منها موسى وعدا، فناداه

الله ﷻ: خذها «ولا تخف إنك من الأمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير

سوء» أي من غير علة. وذلك أن موسى ﷺ كان شديد السمرة. فأخرج يده من جيبه^(٨)،

فأضاءت له الدنيا. فقال الله ﷻ: «فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا

قَوْمًا فَاسِقِينَ».

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ ﴿٣٤﴾: بها.

١. أنوار التنزيل ١٩٣/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي ١٤٠/٢.

٦. المصدر: «فصارت» بدل «فإذا هي».

٧. طه ١٨ - ٢٠.

٨. أ: فأخرج يده جيبه تخرج بيضاء.

﴿وَأَخِي هَارُونُ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: معيناً وهو الأصل، اسم ما يعان به. كالدفع. يقال: فلان رده لفلان: إذا كان ينصره، ويشدّ ظهره. وقرأ نافع: «رداً» بالتخفيف.

﴿يُصَدِّقُنِي﴾: بتلخيص الحق، وتقرير الحجة، وتزييف الشبهة. وإنّما كان سؤاله بعد أن أذن له فيه. لأنّ الإنسان لا يعلم أنّ المصلحة في إرسال نبيّ واحداً أو اثنين، إلّا بالوحي.

وقيل ^(١): معناه: لكي يصدّقني فرعون.

﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ ^(٢): ولساني لا يطاوعني عند الحاجة.

وقيل ^(٣): المراد، تصديق القوم لتقرير هارون ^(٤) وتوضيحه. [كنّه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب.

وقرأ عاصم وحزمة «يصدّقني» بالرفع. على أنّه صفة، والجواب محذوف ^(٥) ^(٦).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم عليه السلام ^(٧): فقال موسى كما حكى الله: «رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» [وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردهاً يصدّقني إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ] ^(٨).

قال الراوي: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: فكم مكث موسى عليه السلام غائباً عن أمّه حتّى رده الله ﷻ عليها؟

قال: ثلاثة أيّام.

قال: فقلت: فكان هارون أخا موسى عليه السلام لأبيه وأمّه؟

قال: نعم. أما تسمع الله ﷻ يقول: «يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي».

٢. أنوار التنزيل ١٩٣/٢.

١. مجمع البيان ٢٥٣/٤.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: لتقريره.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. ليس في أ.

٦. تفسير القمي ١٣٦/٢ - ١٣٧.

٧. ليس في المصدر.

فقلت: أيهما كان أكبر سنًا؟

قال: هارون.

قلت: وكان الوحي ينزل عليهما جميعاً؟

قال: كان الوحي ينزل على موسى، وموسى عليه السلام يوحىه إلى هارون.

فقلت له: أخبرني عن الأحكام والقضاء والأمر والنهي، أكان ذلك إليهما؟

قال: كان موسى عليه السلام الذي يناجي ربه، ويكتب العلم، ويقضي بين بني إسرائيل.

وهارون يخلفه إذا غاب من قومه للمناجاة.

قلت: فأيهما مات قبل صاحبه؟

قال: مات هارون قبل موسى عليه السلام وماتا جميعاً في التيه.

قلت: فكان لموسى ولد؟

قال: لا. كان الولد لهارون، والذرية له.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سنقويك به. فَإِنَّ قُوَّةَ الشَّخْصِ شِدَّةُ الْيَدِ عَلَى

مزاولة الأمور. ولذلك يعبر عنه باليد، وشدتها بشدة العضد.

﴿وَنَجْعَلُ لَكَمَّا سُلْطَانًا﴾: غلبة وحجة.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس رحمة الله عليه: حدثنا الحسن

بن محمد بن يحيى الحسيني^(٢)، عن جدّه يحيى بن الحسن، عن أحمد بن يحيى

الأزدّي عن عمر بن حامد بن طلحة، عن عبيد الله بن المهلب البصري، عن المنذر بن

زياد الضبي، عن أبان، عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله ﷺ مصداً إلى قوم.

فعدوا على المصدق، فقتلوه فبلغ ذلك النبي ﷺ فبعث إليهم علياً عليه السلام والتزمه وقبل

بين عينيه، وقال: بأبي وأمي مَنْ شَدَّ اللَّهُ بِهِ عَضُدِي، كَمَا شَدَّ عَضُدَ مُوسَى بِهَارُونَ.

﴿فَلَا يَصْلُونُ إِلَيْكَ﴾: باستيلاء. أو حجاج.

٢. المصدر: الحسين بن محمد بن يحيى الحسيني.

١. تأويل الآيات الباهرة، ج ٤، ص ٤١٦.

﴿بَايَاتِنَا﴾: متعلّق بمحذوف، أي اذهبا بآياتنا. أو «بنجعل» أي نسلطكما بها. أو بمعنى لا يصلون؛ أي تمتنعون منهم بآياتنا. أو قسم جوابه لا يصلون. أو بيان «لغالبون» في قوله:

﴿أَتَتُمَّا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٣٥﴾: بمعنى: أنّه صلة لما بينه، أو صلة له. على أنّ اللام فيه للتعريف؛ لا بمعنى: الذي.

وفي كتاب طبّ الأنمة^(١): بإسناده إلى الأصمغ بن نباتة السلمي، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال الأصمغ: أخذت هذه العوذة منه عليه السلام وقال لي: يا أصمغ، هذه عوذة السحر والخوف من السلطان. تقولها سبع مرّات: بسم الله وبالله، سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما بآياتنا، اتما ومن اتبعكما الغالبون. وتقول في وجه الساحر إذا فرغت من صلاة الليل، قبل أن تبدأ بصلاة النهار سبع مرّات. فإنّه لا يضرّك إن شاء الله.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ﴾: سحر تختلقه، لم يفعل قبل مثله. أو سحر تعلمه، ثمّ تفتريه على الله. أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر.

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾: يعنون: السحر. أو ادعاء النبوة.

﴿فِي آيَاتِنَا الْأُولَى﴾ ﴿٣٦﴾: كأننا في أيامهم. وإنّا قالوا ذلك مع اشتهاار قصّة نوح وهود وصالح وغيرهم، لأحد أمرين: إمّا للفترة التي بين الوقتين والزمان الطويل. وإمّا لأنّ آباءهم ما صدّقوا بشيء من ذلك ولا دانوا به. فيكون المعنى: ما سمعنا بآبائنا أنّهم صدّقوا الرسل فيما جاؤوا به.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾: فيعلم أنّه محقّ وأنتم مبطلون.

وقرأ ابن كثير «قال» بغير واو. لأنه «قال» جواباً لمقالتهم. ووجه العطف، أنَّ المراد حكاية القولين. ليوازن الناظر بينهما، فيميّز صحيحهما من الفاسد^(١).

﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾: العاقبة المحمودة. فإنَّ المراد بالدَّار الدنيا، وعاقبتها الأصلية هي الجنة. لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة. والمقصود منها بالذات، هو الثواب والعقاب وإنما قصد بالعرض.

وقرأ حمزة والكسائي: «يكون»^(٢) بالياء.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣): لا يفوزون بالهدى في الدنيا، وحسن العاقبة في العقبى.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾: نفى علمه بإله غيره دون وجوده، إذا لم يكن عنده ما يقتضي الجزم. وذلك أمر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال. بقوله:

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾: أي فأجج النار على الطين واتخذ الآجر.

وقيل^(٤): إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به.

﴿فَجَعَلْ لِي صَرْحاً﴾: قصرأ وبناءً عالياً.

﴿لَعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾: كأنه توهم أنه لو كان، لكان جسماً في السماء يمكن

الترقي إليه. ثم قال:

﴿وَأَنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥): أو أراد أن يبني له رصداً، يترصد منها أوضاع

الكواكب، فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول، وتبدل دولة.

وقيل^(٦): المراد بنفي العلم، نفى المعلوم. كقوله تعالى^(٧): «أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ

٢. نفس المصدر والموضع.

١. أنوار التنزيل ١٩٤/٢.

٣. نفس المصدر والموضع. وفيه: قيل: أول من اتخذ الآجر فرعون. ولذلك أمر باتخاذها على وجه يتضمّن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم. ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام.

٥. يونس ١٨/.

٤. نفس المصدر والموضع.

في السموات ولا في الأرض» فَإِنَّ معناه: بما ليس فيهنّ. وهذا من خواصّ العلوم الفعلية، فإنّها لازمة لتحقّق معلوماتها. فيلزم من انتفاؤها. ولا كذلك العلوم الانفعالية. وفي كتاب سعد السعود^(١) لابن طائوس رحمته الله نقلاً عن تفسير الكلبي، عن الكلبي^(٢)، عن أبي صالح، عن ابن عباس أَنَّ جبرائيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا صلى الله عليه وآله (٣) محمّد، لو رأيتني وفرعون يدعو بكلمة الإخلاص «أمنت أنّه لا إله إلاّ الذي أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين» وأنا أدسّه^(٤) في الماء والطين، لشدة غضبي عليه، مخافة أن يتوب فيتوب الله صلى الله عليه وآله عليه.

قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: وما كان شدة غضبك عليه يا جبرائيل؟

قال: لقوله: «أنا ربكم الأعلى» وهي كلمته الآخرة منهما، وأنما قالها حين انتهى إلى البحر. وكلمته الأولى^(٥): «ما علمت لكم من إله غيري»^(٦) فكان بين الأولى والآخرة أربعين سنة.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم رحمته الله^(٧): وأما قوله صلى الله عليه وآله: «قال فرعون يا أيّها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين» فبنى هامان له في الهواء صرحاً، حتّى بلغ مكاناً في الهواء لا يتمكّن الإنسان أن يقيم^(٨) عليه من الرياح القائمة في الهواء. فقال لفرعون: لا تقدر أن تزيد عليّ هذا. فبعث الله صلى الله عليه وآله رياحاً فرمت به. فاتخذ فرعون وهامان عند ذلك التابوت. وعمداً إلى أربعة أنسر، فأخذوا أفرأخها وربّياها. حتّى إذا بلغت القوة وكبرت، عمداً إلى جوانب التابوت الأربعة فغرسا في كلّ جانب منه خشبة. وجعلوا

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: محمد عن الكلبي.

١. سعد السعود ٢١٨.

٤. المصدر: أدفنه.

٣. ليس في المصدر.

٥. المصدر: «كلمة ما علمت لكم من إله غيري» بدل «كلمة الأولى».

٧. تفسير القمي ١٤١/٢.

٦. ليس في س، وأ.

٨. المصدر: يقوم.

على رأس كل خشبة لحماً، وجوعاً الأنسر. وشداً أرجلها بأصل الخشبة. فنظرت الأنسر إلى اللحم، فأصوت إليه [وصفت] ^(١) بأجنحتها وارتفعت بهما في الهواء وأقبلت تطير يومها. فقال فرعون لهامان: أنظر إلى السماء هل بلغناها؟ فنظر هامان، فقال: أرى السماء كما كنت أراها من الأرض في البعد. فقال: انظر إلى الأرض. فقال: لا أرى الأرض، ولكن أرى البحار والماء.

قال: فلم يزل النسر ترفقع حتى غابت الشمس، وغابت عنهم البحار والماء. فقال فرعون: يا هامان، انظر إلى السماء.

فنظر السماء فقال: أراها كما كنت أراها من الأرض. فلما جهنم الليل، نظر هامان إلى السماء. فقال فرعون: هل بلغناها؟ قال: أرى الكواكب كما كنت أراها من الأرض، ولست أرى من الأرض إلا الظلمة.

قال: ثم جالت الرياح القائمة في الهواء [فانقلبت] ^(٢) فأقلبت ^(٣) التابوت بهما. فلم يزل يهوي بهما حتى وقع على الأرض. وكان فرعون أشد ما كان عتواً في ذلك الوقت. ﴿وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بغير الاستحقاق.

وفي جامع الجوامع ^(٤): وكل متكبر ^(٥) سوى الله ﷻ فاستكباره بغير الحق. وهو ﷻ المتكبر على الحقيقة، أي البالغ في الكبرياء ^(٦).

وقال ﷻ فيما حكاه عن ربه ﷻ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري. فمن نازعني واحداً منهما، ألقيته في النار.

﴿وَقَالُوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا يَرْجِعُونَ﴾ ^(٧): بالنشور.

١. ليس في المصدر.

٢. من م.

٣. المصدر: بينهما فاقبلت.

٤. جوامع الجامع ٣٤٥-٣٤٦.

٥. المصدر: كل متكبر متكبر.

٦. المصدر: «المبالغ في كبرياء الشأن» بدل «البالغ في الكبرياء» و.

وقرأ نافع وحزمة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم^(١).

﴿فَلَاخْذَنَاءَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾: كما مرّ بيانه. وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ، واستحقار للمأخوذ. كآته^(٢) أخذهم مع كثرتهم في كف^(٣) وطرحهم في اليم. ونظيره: «وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطوّيات بيمينه»^(٤).

﴿فَانْظُرْ﴾: يا محمّد.

﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾^(٥): وحذّر قومك عن مثلها.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾: وهذا يحتاج إلى تأويله. لأنّ ظاهره يوجب أنّه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى النار، كما جعل الأنبياء يدعون إلى الجنة. وهذا ممّا لا يقول به أحد. فالمعنى: أنّه أخبر عن حالهم بذلك، وحكم بأنهم كذلك. وقد يحصل الإضافة على هذا الوجه المتعارف. ويجوز أن يكون أراد بذلك أنّه لمّا أظهر حالهم على لسان أنبيائه حتّى عرفوا فكأنّه جعلهم كذلك.

﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾: إلى موجباتها، من الكفر والمعاصي.

وفي أصول الكافي^(٥): محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد ومحمّد بن الحسين، عن محمّد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إنّ الأئمة في كتاب الله ﷺ إمامان. قال الله تبارك وتعالى: «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا» لا بأمر الناس، يقدّمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم.

قال «وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار» يقدّمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله. يأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله ﷺ. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾^(٦): بدفع العذاب عنهم.

٢. م: كأنهم... كأنهم.

٤. الزمر/ ٦٧.

١. أنوار التنزيل ١٩٤/٢.

٣. م: كأنهم... كأنهم.

٥. الكافي ٢١٦/٢، ح ٢.

﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: طرداً عن الرحمة، ولعن اللاعنين. يلعنهم الملائكة والمؤمنون.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ الْمَقْبُوحِينَ﴾^(١١): من المطرودين. أو ممن قبح وجوههم بسواد الوجوه وزرقة الأعين. أو في المقيوحين الممّوهين.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾: أقوام نوح وهود ولوط وصالح.

وقيل^(١٢): يجوز أن يريد بالقرون قوم فرعون. لأنه سبحانه أعطاه^(١٣) التوراة بعد إهلاكهم^(١٤) بمدة.

وفي مجمع البيان^(١٥): وجاءت الرواية بالإسناد: عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة ولا أهل قرية بعدذاب من [السّماء]^(١٦) منذ أنزل التوراة على وجه الأرض، غير أهل القرية التي مُسخوا قرده. ألم تر أنّ الله تعالى قال: «ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى» الآية.

﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾: أنواراً لقلوبهم. تتبصر بها الحقائق، وتميّز بين الحقّ والباطل.

﴿وَهَدَى﴾: إلى الشرائع، التي هي سبيل الله.

﴿وَرَحْمَةً﴾: لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١٧): ليكونوا على حال يرجى منهم التذكّر. وقد فسر بالإرادة [وفيه ما عرفت]^(١٨).

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾: يريد الوادي. أو الطور، فإنه كان في شقّ الغرب في مقام موسى. أو الجانب الغربيّ منه. والخطاب لرسول الله ﷺ؛ أي ما كنت حاضراً.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أعطى... إهلاكه.

١. مجمع البيان ٢٥٦/٤.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أعطى... إهلاكه.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. من المصدر.

٦. من ن.

﴿إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾: إذ أوحينا إلى موسى الأمر الذي أردنا تعريفه.
 ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١): للوحي إليه. أو على الوحي إليه، وهم السبعون المختارون للميقات. والمراد الدلالة، على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات، التي لا تعرف إلا به. ولذلك استدرك عنه بقوله:
 ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾: أي ولكنا أوحينا إليك. لأننا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد. فحُرِفَت الأخبار، وتغيّرت الشرائع، واندرست العلوم فحذف المستدرك، وأقام سببه مقامه.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَاتِمٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنِ سُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي فَاطِمَةَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ إِسْحَاقَ الْبَصْرِيِّ عَنِ النَّضْرِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْوَاسِطِيِّ، عَنْ جَوْهَرَ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» قَالَ: بِالْخِلَافَةِ لِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ مِنْ بَعْدِهِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ: لَنْ أَدْعَ نَبِيًّا مِنْ غَيْرِ وَصِيٍّ. وَأَنَا بَاعَثُ نَبِيًّا عَرَبِيًّا وَجَاعِلَ وَصِيَّهُ عَلِيًّا. فَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ» وَحَدَّثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ عليه السلام بِمَا هُوَ كَاتِنٌ. وَحَدَّثَهُ بِاخْتِلَافِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ. فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ عليه السلام مَاتَ بِغَيْرِ وَصِيَّةٍ، فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ تعالى وَعَلَى نَبِيِّهِ عليه السلام.

وجاء في تفسير أهل البيت عليهم السلام قال: روى بعض أصحابنا، عن سعيد بن الخطاب حديثاً يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّمَا هِيَ «أَوْ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي بَعْضِ رِسَالَتِهِ: لَيْسَ مِنْ مَوْقِفٍ أَوْقَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ فِيهِ لِيَشْهَدَهُ وَلَيْسَتْ شَهَدُهُ، إِلَّا وَمَعَهُ أَخُوهُ وَقَرِينُهُ وَابْنُ عَمِّهِ وَوَصِيَّهُ وَيُؤْخَذُ مِيثَاقُهُمَا مَعَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَعَلَى ذُرِّيَّتِهِمَا الطَّيِّبِينَ دَائِمَةً فِي كُلِّ أَوَانٍ وَحِينٍ.

﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ : مقيماً.

﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ : شعيب والمؤمنين به.

﴿تَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾ : تقرأ عليهم، تعلماً منهم.

﴿آيَاتِنَا﴾ : التي فيها قصّتهم.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (١٥) : إياك ومخبرين لك بها.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ : لعل المراد به وقت إعطائه التوراة. وبالأول

حينما استنبأه. لأنهما المذكوران في القصة.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرقة، حديث طويل وفيه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما بعث الله ﷺ موسى بن عمران عليه السلام واصطفاه نجياً وقل له البحر ونجى بني إسرائيل وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربه ﷻ فقال: يا رب، لقد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي.

فقال الله ﷻ يا موسى، أما علمت أن محمداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وجميع خلقي؟

قال موسى: يا رب، فإن كان محمد أكرم عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء ﷺ أكرم من آلي؟

قال الله ﷻ يا موسى، أما علمت أن فضل آل محمد على [جميع]^(٢) آل النبيين كفضل محمد على جميع المرسلين؟

فقال موسى: يا رب، فإن كان آل محمد كذلك، فهل في أمم الأنبياء أفضل عندك من أمّتي؟ ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المنّ والسلوى وفلقت لهم البحر.

فقال الله ﷻ يا موسى، أما علمت أن فضل أمة محمد على جميع الأمم كفضله على جميع خلقي؟

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٨٣/١ - ٢٨٤، حديث ٣٠ الذي أوله في ص ٢٨٢.

٢. من المصدر.

قال موسى: يا رب، ليتني كنت أراهم.

فأوحى الله ﷻ إليه: يا موسى، إنك لن تراهم. وليس هذا أوان ظهورهم ولكن سوف تراهم في الجنان، جنات عدن والفردوس، بحضرة محمد ﷺ في نعيمها يتقلبون، وفي خيراتها يتحبسون. أفتحب أن أسمعك كلامهم؟

قال: نعم إلهي.

قال الله ﷻ قم بين يدي، واشدد مثرك، قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل. ففعل ذلك موسى ﷺ فنادى ربنا ﷻ: يا أمة محمد. فأجابوه كلهم، وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك.

قال: فجعل الله ﷻ تلك الإجابة شعار الحاج. ثم نادى ربنا ﷻ: يا أمة محمد، إن قضائي عليكم؛ أن رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي. فقد استجبت لكم من قبل أن تدعوني، وأعطيتكم من قبل أن تسألوني. من لقيني بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، صادق في أقواله محق في أفعاله، وأن علي بن أبي طالب أخوه ووصيه من بعده ووليّه ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد، وأن أوليائه المصطفين الطاهرين المطهرين المنبين بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أوليائه، أدخله جنتي وإن كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال: فلما بعث الله ﷻ محمدًا ﷺ قال: يا محمد «وما كنت بجانب الطور إذ نادينا» أمتك بهذه الكرامة. ثم قال ﷻ لمحمد ﷺ: قل الحمد لله رب العالمين على ما اختصني به من هذه الفضيلة. وقال لأمته: قولوا^(١) الحمد لله رب العالمين على ما اختصنا به من هذه الفضائل.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال محمد بن العباس ﷺ: حدثنا جعفر بن محمد بن

١. المصدر: قولوا أنتم.

٢. تأويل الآيات الباهرة/ ج ١ ص ٤١٧.

مالك، عن الحسن بن علي بن مروان، عن ظاهر بن مدرار، عن أخيه، عن أبي سعيد المدائني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «وما كنت بجانب الطور إذ نادينا». قال: كتاب كتبه الله تعالى في ورقة، أثبتة فيها قبل أن يخلق الخلق بألفي عام. فيها مكتوب: يا شيعه آل محمد، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني. من أتى منكم بولاية محمد وآل محمد، أسكنته جنتي برحمتي.

ويؤيده ما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمته الله بإسناده: عن الفضل بن شاذان، يرفعه إلى سليمان الديلمي مولى جعفر بن محمد عليه السلام قال: قلت لسيدي أبي عبد الله صلوات الله عليه: ما معنى قول الله تعالى: «وما كنت بجانب الطور إذ نادينا»؟

قال: كتاب كتبه الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آس، فوضعها على العرش.

قلت: يا سيدي، وما في ذلك الكتاب؟ قال: في الكتاب مكتوب: يا شيعه آل محمد أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تعصوني، وعفوت عنكم قبل أن تذنّبوا. من جاءني بالولاية، أسكنته جنتي برحمتي.

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: ولكن علمناك رحمة، وقرئت بالرفع، على «هذه رحمة»^(١).

﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا﴾: متعلق بالفعل المحذوف.

﴿مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عليه السلام وهي خمسمائة وخمسون سنة. أو بينك وبين إسماعيل. على أن دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني إسرائيل وما حوالهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١٦) يتعظون.

﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾:

«لولا» الأولى امتناعية. والثانية تحضيضية واقعة في سياقها. لأنها إنما أُجيبَت بالفاء تشبيهاً لها بالأمر. مفعول «يقولوا» المعطوف على «تصبيهم» بالفاء المعطية معنى السببية، المنبهة على أن المقول هو المقصود بأن يكون سبباً لانتفاء ما يجاب به. وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجنهم العقوبة. والجواب محذوف.

والمعنى: لو لا قولهم إذا أصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم: ربنا هلاً أرسلت إلينا رسولاً ما يبلِّغنا آياتك فنَتَّبِعُها ونكون في المصدِّقين ما أرسلناك؛ أي إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم، والزاماً للحجة عليهم.

﴿فَتَتَّبِعْ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾: يعني الرسول المصدِّق بأنواع المعجزات.

﴿قَالُوا لَوْ لَا أَوْتِيْنَا مِثْلَ مَا أَوْتِيَ مُوسَى﴾: من الكتاب جملة، واليد، والعصا وغيرها. اقتراحاً وتعتناً.

﴿أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾: يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب. وهم كفرة زمان موسى وهارون وكان فرعون عربياً من أولاد عاد.

﴿قَالُوا سِحْرَانِ﴾: يعنون موسى وهارون. أو موسى ومحمد ﷺ.

﴿تَظَاهَرَا﴾: تعاونا بإظهار تلك الخوارق. أو بتوافق الكتابين.

وقرأ الكوفيون: «سحران» بتقدير مضاف. أو جعلهما سحرين مبالغة. وإسناد تظاهرها إلى فعلهما، دلالة على سبب الإعجاز^(١).

وقرئ: «إِظَاهَرَا» بالإدغام^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وقوله ﷻ: «سحران تظاهرا» قال: موسى وهارون.

﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ (١٨) أي بكل منهما. أو بكل الأنبياء.

﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا كِتَابَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾: ممَّا نزل على موسى وعلي.

واضمارهما لدلالة المعنى . وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد ﷺ .

﴿ اتَّبِعُوا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٥) : إنا ساحران مختلفان . وهذا في الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكي . ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم .

﴿ فَإِنْ لَمْ يَنْتَجِبُوا لَكَ ﴾ : دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى . فحذف المفعول للعلم به . ولأن فعل الاستجابة يُعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي . فإذا عُذِيَ إليه حذف الدعاء غالباً .

﴿ فَأَعْلَمْنَا إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ : إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها .

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ : استفهام ، بمعنى النفي .

﴿ يَنْتَبِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ : في موضع الحال للتوكيد . أو التقييد . فإن هوى النفس قد يوافق الحق .

وفي أصول الكافي (١) : عده من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد [عن] (٢) ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله ﷻ : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَنْتَبِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ » قال : يعني من اتخذ دينه رأيه بغير إمام من أئمة الهدى .

علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السدي (٣) ، عن جعفر بن بشير ومحمد بن يحيى ، عن أحمد بن عيسى ، عن ابن فضال جميعاً ، عن أبي جميلة ، عن خالد بن عمار ، عن سدير قال : قال أبو جعفر عليه السلام يا سدير ، فأريك (٤) الصادقين عن دين الله ؟ ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان . وهو حلق في المسجد . فقال : هؤلاء الصادقون عن دين الله ، بلا هدى في الله ولا كتاب مبين . إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم ، فجال الناس ، فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسول الله ﷺ .

٢ . يوجد في المصدر .

١ . الكافي . ٣٧٤ ، ح ١ .

٣ . نفس المصدر ٣٩٣/١ ، ذيل حديث ٣ . أوله في ص ٣٩٢ .

٤ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : أفرايت .

حتى يأتونا، فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي بصائر الدرجات^(١): أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن القاسم بن سليمان، عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله»: يعني من اتخذ دينه رأياً بغير إمام^(٢) من أئمة الهدى.

عباد بن سليمان، عن سعد بن سعد^(٣)، عن محمد بن الفضيل^(٤)، عن أبي الحسن عليه السلام في قول الله ﷻ: «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» يعني من اتخذ دينه هواه بغير هدى من أئمة الهدى.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٥): الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾: أتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال، ليتصل التذكير. أو في النظم، للترقر الدعوة بالحجة والمواعظ والمواعيد، والنصائح بالعبر.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٦): فيؤمنون ويطيعون.

وفي أصول الكافي^(٧): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن جندب قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون».

قال: إمام إلى إمام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن

١. بصائر الدرجات / ٣٣، ح ١.

٢. المصدر: «من يتخذ دينه رأيه بغير هدى أئمة» بدل «من اتخذ دينه رأياً بغير إمام».

٣. نفس المصدر والموضع، ح ٥.

٤. س، أن: محمد بن الفضل.

٥. تفسير القمي ١٤١/٢.

٥. الكافي ١٥/١، ح ١٨.

معاوية بن حكيم، عن أحمد بن محمد، عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون». قال: إمام بعد إمام.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا الحسين بن أحمد، عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون» قال: إمام بعد إمام.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) قيل^(٣): نزلت في مؤمني أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وتميم الدارمي والجارود العبدي وسلمان الفارسي فإنهم لما أسلموا نزلت الآيات.

وقيل^(٤): في أربعين من أهل الإنجيل، اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة، وثمانية من الشام.

والضمير في «من قبله» للقرآن. كالمستكن في:

﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: أي أنه كلام الله.

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبَّنَا﴾: استئناف، لبيان ما أوجب إيمانهم به.

﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾^(٥): استئناف آخر، للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذ. وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة، وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن. أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة.

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾: مرة على إيمانهم بكتابهم، ومرة على إيمانهم بالقرآن.

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾: بصبرهم وثباتهم على الإيمانين. أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده. أو أذى المشركين ومن هاجرهم من أهل دينهم.

٢. مجمع البيان ٢٥٨/٤، أنوار التنزيل ١٩٦٢.

١. تأويل الآيات الباهرة، ج ١ ص ٤٢٠.

٣. أنوار التنزيل ١٩٦٢ - ١٩٧.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام ^(١) في قوله عَلَيْكَ: «أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا» قال: الأئمة صلوات الله عليهم وقال الصادق عليه السلام ^(٢): نحن صبراء ^(٣) وشيعتنا أصبر منا. وذلك أنا صبرنا على ما نعلم، وصبروا على ما لا يعلمون.

﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾: قيل ^(٤): ويدفعون بالطاعة المعصية. لقوله عليه السلام: أتبع السيئة الحسنة ^(٥) تمحها.

وقيل ^(٦): الحسن في الكلام، الكلام القبيح الذي يسمعون من الكفار.

وقيل: يدفعون بالمعروف المنكر.

وقيل: يدفعون بالحلم جهل الجاهل. ومعناه: يدفعون بالمدارة مع التأنّي أذا هم عن أنفسهم.

وفي مجمع البيان ^(٧): وروى مثل ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام ^(٨) وقوله عَلَيْكَ: «ويدرون بالحسنة السيئة» أي يدفعون سيئة من أساء إليهم بحساناتهم.

وفي أصول الكافي ^(٩): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عَلَيْكَ: «أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا» قال: بما صبروا على التقية. «ويدرون بالحسنة السيئة» قال: «الحسنة» التقية و«السيئة» الإذاعة.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: في سبيل الخير.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّفْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾: تكمراً.

-
١. تفسير القمي ١٤١/٢.
 ٢. المصدر: صبرنا.
 ٣. أنوار التنزيل ١٩٧/٢.
 ٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الحسنة السيئة.
 ٥. مجمع البيان ٢٥٨/٤.
 ٦. نفس المصدر والموضع.
 ٧. مجمع البيان ١٤١/٢ - ١٤٢.
 ٨. الكافي ٢١٧/٢، ح ١.
 ٩. الكافي ٢١٧/٢، ح ١.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام ^(١): وقوله عَلَيْكُمْ: «وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه» قال: «اللغو» الكذب. واللهو، الغناء. [والمؤمنون] ^(٢) هم الأئمة صلوات الله عليهم يعرضون عن ذلك كله.

﴿وَقَالُوا﴾: للآغين.

﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾: متاركة لهم وتوديعاً. ودعاء لهم بالسَّلامة عما هم فيه.

﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٣): لا نطلب صحبتهم، ولا نريدها.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: لا تقدر أن تدخله في الإسلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام ^(٣) وقوله عَلَيْكُمْ: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» قال: نزلت في أبي طالب. كان ^(٤) رسول الله ﷺ يقول: يا عم، قل لا إله إلا الله ^(٥)، أنفك بها يوم القيامة. فيقول: يا ابن أخي، أنا أعلم بنفسي. فلما مات شهد العباس بن عبدالمطلب عند رسول الله ﷺ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ ^(٦)، فقال رسول الله ﷺ: أَمَا أَنَا فَلَمْ أَسْمَعْهَا مِنْهُ، وَأَرْجُو أَنْ أَنْفَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وقال رسول الله ﷺ: لو قمت المقام المحمود، لشفعت في أمي وأبي وعمي وأخ كان لي مواخياً في الجاهلية.

وفي مجمع البيان ^(٧): قيل: نزل قوله: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» في أبي طالب فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَحِبُّ إِسْلَامَهُ، فنزلت هذه الآية. وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة، فنزلت فيه: «يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ^(٨) الله» الآية، فلم يسلم أبوطالب وأسلم وحشي. ورووا ذلك عن ابن عباس وغيره.

وفي هذا نظر كما ترى. فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَجُوزُ أَنْ يَخَالَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي إِرَادَتِهِ كَمَا

٢. ليس في م وأوس ون. ولاداعي لوجودها.

٤. المصدر: فَأَنْ.

٦. المصدر: بأعلى صوته عند الموت.

٨. الزمر ٥٣.

١. تفسير القمي ١٤٢/٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. المصدر: قل لا إله إلا الله بالجهر.

٧. مجمع البيان ٢٥٩/٤ - ٢٦٠.

لا يجوز أن يخالف أوامره^(١) ونواهيهِ. وإذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان أبي طالب وأراد كفره، وأراد النبي ﷺ إيمانه، فقد حصل غاية الخلاف بين إرادتي الرسول والمرسل. وكان سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ، تَرِيدُ إيمانه. وأنا لا أريد إيمانه. ولا أخلق فيه الإيمان مع تكفله بنصرتك، وبذل مجهوده في إعانتك، والذَّبَّ عنك، ومحَبَّتَه لك، ونعمته عليك. وتكره أنت إيمان وحشي، لقتله حمزة عَمَّكَ. وأنا أريد إيمانه، وأخلق في قلبه الإيمان.

وفي هذا ما فيه. وقد ذكرنا في سورة الأنعام: أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ ﷺ قد أجمعوا على أَنَّ أبي طالب مات مسلماً. وقد تظاهرت الروايات بذلك عنهم. وأوردنا هناك طرفاً من أشعاره الدالة على تصديقه للنبي ﷺ وتوحيده. فَإِنَّ استيفاء جميعه، لا يَتَسَعُّ له الطوامير. وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يحصى، يكشف فيها من كاشف النبي ﷺ ويناضل عنه ويصحح نبوته. وقال بعض الثقات: أَنَّ قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عقد السحر وتغبر في وجه شعراء الدهر، تبلغ قدر مجلد وأكثر من هذا ولا شك في أَنَّهُ لم يختَر تمام مجاهرة الأعداء، استصلاحاً لهم، وحسن تدبيره في دفع كيادهم. لئلا يُلَجِّثُوا الرسول إلى ما أُلْجِأَوه إليه بعد موته.

وفي جوامع الجامع^(٢): وقالوا: إِنَّ الآية نزلت في أبي طالب. وقد ورد عن أئمة الهدى ﷺ: أَنَّ أبا طالب مات مسلماً وأجمعت الإمامية على ذلك. وأشعاره مشحونة بالإسلام، وتصديق النبي ﷺ.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: فیدخله في الإسلام.

وفي أصول الكافي^(٣): مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى^(٤) عَنْ ابْنِ

١. المصدر: يخالفه في أوامره. ٢. جوامع الجامع ٣٤٧.

٣. الكافي ١٦٦/١، ح ٣ و ٢١٣/٢ ح ٤ باب في ترك دعاء الناس.

٤. المصدر: «عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد» بدل «محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى».

فَصَالَ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ عَقَبَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ هَذَا^(١) اللَّهُ، وَلَا تَجْعَلُوهُ لِلنَّاسِ. فَأَمَّا مَا كَانَ اللَّهُ، فَهُوَ اللَّهُ. وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ، فَلَا يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ^(٢). وَلَا تَخَاصَمُوا بِدِينِكُمْ النَّاسَ^(٣)، فَإِنَّ الْمَخَاصِمَةَ مَرَضَةٌ لِلْقَلْبِ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» وَقَالَ^(٤): «أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ». ذَرُوا النَّاسَ، فَإِنَّ النَّاسَ أَخَذُوا عَنِ النَّاسِ. وَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ [وَعَلَيْهِ السَّلَامُ] وَلَا سِوَاءَ. وَ[^(٥)إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِذَا كَتَبَ اللَّهُ^(٦) عَلَى عَبْدٍ أَنْ يَدْخُلَهُ^(٧) فِي هَذَا الْأَمْرِ، كَانَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّيْرِ إِلَى وَكْرِهِ. وَفِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ^(٨) مِثْلُهُ سِوَاءَ.

وَفِي أَمَالِي شَيْخِ الطَّائِفَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٩) بِإِسْنَادِهِ إِلَى جَبْرِ بْنِ نَوْفٍ: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِهِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَذَكَرَ الْكِتَابَ بِطَوْلِهِ. قَالَ: فَكُتِبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ: أَمَّا بَعْدَ، إِنَّهُ

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَمْرٍ^(١٠) وَعِتَابٌ غَيْرَ طَعْنِ الْكُلِيِّ وَجَزَ الرِّقَابِ فَلَمَّا وَقَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى جَوَابِهِ بِذَلِكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١١) أَيِ الْقَابِلِينَ لِلْهُدَى. فَيَذَرُ الْأُمُورَ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ مِنْ مُصَالِحِ الْعِبَادِ.

﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَلَّفَ مِنْ أَرْضِنَا﴾: تُخْرَجُ مِنْهَا. نَزَلَتْ فِي الْحَرْثِ^(١٢) بَنُ عُثْمَانَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: نَحْنُ

١. ليس في المصدر.

٢. المصدر: «لدينكم» بدل «بدينكم الناس».

٣. يونس/٩٩.

٤. ليس في المصدر. وفيه: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا كَتَبَ.

٥. التوحيد/٤١٤-٤١٥، ح ١٣.

٦. المصدر: يَدْخُلُ.

٧. أَمَالِي الطُّوسِي ١٨٨/١. وَأَوَّلُهُ فِي ص ١٨٦.

٨. المصدر: وَبَيْنَ قَيْسٍ.

٩. ن: الْحَارِثُ.

نعلم أنك على الحق. ولكن نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب - وإنما نحن أكلة رأس - أن يتخطفونا من أرضنا^(١). فردَّ الله عليهم بقوله:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾: أولم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن بحرمة البيت الذي فيه؟ يتناحر العرب^(٢) حوله وهم آمنون فيه.

﴿يُجَبِّي إِلَيْهِ﴾: يحمل إليه ويجمع.

وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء^(٣).

﴿تَمَرَاتٍ كُلُّ شَيْءٍ﴾: من كل أوب.

﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾: فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام، فكيف نعرضهم^(٤) للخوف والتخطف إذا ضَمُّوا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥): جملة. لا يتفطنون له، ولا يتفكرون ليعلموا.

وقيل^(٥): إنه متعلق بقوله: «من لدنا» أي قليل منهم يتدبرون، فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله [وأكثرهم لا يعلمون]^(٦) إذ لو علموا، لما خافوا غيره.

وانتصاب «رزقاً» على المصدر في معنى: يجبي. أو حال من «الثمرات» لتخصصها بالإضافة. ثم بين أن الأمر بالعكس. فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله تعالى على ما هم عليه بقوله:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾: أي وكم أهل قرية كانت حالهم كحالكم في الأمن وخفض العيش، حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرَّب ديارهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): وقوله: «إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَى مَعَكَ نَتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا» قال: نزلت في قريش حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام والهجرة «وقالوا إن نتبع

٢. م، أ، س، ون: يتفاخر العرب.

٤. ن: يعرضهم.

٦. من المصدر.

١. أنوار التنزيل ١٩٧/٢.

٣. أنوار التنزيل ١٩٧/٢.

٥. أنوار التنزيل ١٩٧/٢.

٧. تفسير القمي ١٤٢/٢.

الهدى معك نتخطف من أرضنا» فقال الله ﷻ: «أولم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كلّ شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون».

وفي كشف المحجّة^(١) لابن طائوس رحمه الله: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه: فأما الآيات اللواتي في قريش، فهي قوله -إلى قوله-: والثالثة، في قول قريش لنبي الله حين دعاهم إلى الإسلام والهجرة فقالوا: «إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا» فقال الله: «أولم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كلّ شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون».

وفي روضة الواعظين^(٢) للمفيد رحمه الله: قال علي بن الحسين عليه السلام: كان أبو طالب يضرب عن رسول الله ﷺ إلى أن قال: فقال أبو طالب: يا ابن أخي، إلى الناس كافة أرسلت، أم إلى قومك خاصة؟

قال: لا بل إلى الناس أرسلت كافة الأبيض والأسود والعربي والعجمي. والذي نفسي بيده، لأدعون إلى هذا الأمر الأبيض والأسود ومن على رؤوس الجبال ومن في لجج البحار. ولأدعون ألسنة فارس والروم. فتحيّرت^(٣) قريش واستكبرت، وقالت: أما تسمع إلى ابن أخيك وما يقول؟ والله، لو سمعت بهذا فارس والروم لاختطفتنا في أرضنا، ولقلعت الكعبة حجراً حجراً. فأنزل الله تبارك وتعالى: «وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كلّ شيء» إلى آخر الآية.

﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ﴾: خاوية.

﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: من السكنى. إذ لا يسكنها إلا المازة، يوماً أو بعض يوم. أو لا يبقى من يسكنها.

١. كشف المحجّة لثمره المهجّة ١٧٥.

٢. روضة الواعظين للنيسابوري الملقب بالمفيد في بعض الأحيان / ٥٤.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فجبرت.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: من شؤم معاصيهم.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ (١٨): منهم. إذ لم يخلفهم أحد يتصرّف تصرّفهم في ديارهم،

وسائر متصرّفاتهم.

وانتصاب «معيشتها» بنزع الخافض. أو بجعلها ظرفاً بنفسها. كقولك: زيد ظني

مقيم. أو بإضمار زمان مضاف إليه. أو مفعول على تضمين «بطرت» معنى: كفرت.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾: وما كانت عادته.

﴿مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبِثَّ فِي أُمِّهَا﴾: قيل^(١): في أصلها، التي هي أعمالها. لأنّ

أهلها تكون أفطن وأنبل.

وقيل^(٢): إن معنى أمّها: أم القرى. وهي مكّة. وقيل: يريد معظم القرى من سائر

الدنيا.

﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾: لإلزام الحجّة، وقطع المَعْدَرَة.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (٢٥): بتكذيب الرسل، والعتوّ في الكفر.

﴿وَمَا أَوْثَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: من أسباب الدنيا.

﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾: تُمتعون وتزَيّنون به مدّة حياتكم المنقضية.

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: وهو ثوابه.

﴿خَيْرٌ﴾: خير في نفسه من ذلك. لأنّه لذّة خالصة. وبهجة كاملة.

﴿وَأَبْقَى﴾: لأنّه أبديّ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣٠): فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وقرئ، بالياء وهو أبلغ في الموعظة^(٣).

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾: وعداً بالجنّة. فإنّ حسن الوعد بحسن الموعد.

﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾: مدركه لا محالة. لامتناع الخلف في وعده. ولذلك عطفه «بالفاء» المعطية معنى السببية.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس رحمته الله حدثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن هشام بن علي، عن إسماعيل بن علي المعلم، عن بدل بن البحير، عن شعبة، عن أبان بن تغلب، عن مجاهد قال: قوله ﷻ «أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه» نزلت في علي وحمزة عليهما السلام.

ويؤيده ما رواه الحسن بن أبي الحسن الديلمي رحمته الله بإسناده عن رجاله إلى محمد بن علي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﷻ «أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه» قال: الموعود علي بن أبي طالب. وعده الله أن ينتقم له من أعدائه في الدنيا، ووعد الجنة له ولأوليائه في الآخرة.

وذكر أبو علي الطبرسي رحمته الله ما يؤيد الحديث الأول في سبب النزول. قال: وقيل: إنها نزلت في حمزة وفي علي بن أبي طالب عليهما السلام.

﴿كَمْ مِّن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: الذي هو مشوب بالآلام، مكدر بالمتاعب، مستعقب للتعسر على الانقطاع.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾^(٢): للحساب. أو العذاب. «وثم» للتراخي في الزمان، أو الرتبة.

وقرأ نافع وابن عامر في رواية والكسائي: «ثم هو» بسكون الهاء تشبيهاً للمنفصل بالمتصل. وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها، ولذلك رتب عليها «بالفاء»^(٣).

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾: عطف على «يوم القيامة». أو منصوب «بأذكر».

﴿يَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ تَزْعُمُونَ﴾^(٤): أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي.

فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما.

﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ : إثبتت مقتضاه وحصول مؤذاه . وهو قوله ^(١) : «لأملئن جهنم من الجنة والناس» ^(٢) «أجمعين» وغيره من آيات الوعيد .

﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ : أغويناهم . فحذف الراجع إلى الموصول .

﴿ أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ﴾ : أي هؤلاء الذين أغويناهم ، فغوا غيًّا مثل ماغوينا . وهو استيناف للدلالة على أنهم غواوا باختيارهم . وأنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلاً . ويجوز أن يكون «الذين» صفة . «وأغويناهم» الخبر لأجل ما اتصل به ، فأفاده زيادة على الصفة . وهو وإن كانت فضلة ، لكنه صار من اللوازم .

﴿ تَبَرُّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ : منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم . وهي تقرير للجملية المتقدمة . ولذلك خلت عن العاطف . وكذا

﴿ مَا كَانُوا إِلَّا نَا يَتَّبِدُونَ ﴾ ^(٣) : بل أهواءهم .

قيل ^(٤) : «ما» مصدرية متصلة «بتبرأنا» أي تبرأنا من عبادتهم إيانا .

﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ ﴾ : من فرط الحيرة .

﴿ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾ : بعجزهم عن الإجابة والنصرة .

﴿ وَرَأَوْا الْعَذَابَ ﴾ : لأربابهم .

﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٥) : لوجه من الحيل ، يدفعون به العذاب . أو إلى الحق لما رأوا العذاب . وقيل ^(٦) : «لو» للتمني ، أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٧) : عطف على الأول . فإنه تعالى ليسأل أولاً عن إشراركهم ، ثم عن تكذيبهم الأنبياء .

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْآبَاءُ يَوْمَئِذٍ ﴾ : فصارت الآباء كالعمى عليهم ، لا تهتدي إليهم . وأصله : فعموا عن الآباء . لكنه عكس مبالغة ، ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج . فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره .

٢ . ليس في الأصل .

١ . هود / ١١٩ .

٣ . أنوار التنزيل ١٩٩/٢ .

٤ . نفس المصدر والموضع .

والمراد بالأنبياء: ما أجابوا به الرسل. أو ما يعمّها. [وإذ كانت الرسل يستعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول، ويفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أمهم] ^(١).

وتعدية الفعل «بعلی» لتضمّنه معنى الخفاء.

﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ ^(٣٦): لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب، لفرض الدهشة. أو العلم بأنّه مثله.

﴿فَأَمَّا مَنْ قَابَ﴾: من الشرك.

﴿وَأَمَّنْ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾: وجمع بين الإيمان والعمل الصالح.

﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ ^(٣٧): عند الله.

و«عسى» تحقيق على عادة الكرام. أو ترجّ من التائب. بمعنى: فليتوقّع أن يفلح.

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾: لا موجب عليه، ولا مانع له.

﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾: أي التخير. كالطيرة؛ بمعنى: التطير. وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً، والأمر كذلك.

وقيل ^(٢): المراد أنّه لأحد من خلقه أن يختار عليه. ولذلك خلا عن العاطف.

ويؤيده ما روي: أنّه نزل في قولهم ^(٣): «لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم».

وقيل: «ما» موصولة مفعول «ليختار» والراجع إليه محذوف. والمعنى: ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة؛ أي الخير والصلاح.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤): وقوله ﴿يَكُنْ﴾ «ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتكم المرسلين» فإنّ العامة قد رويوا: أنّ ذلك في القيامة. وأمّا الخاصة، فإنّه حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبد الحميد الطائي، عن محمد بن مسلم، عن

٢. أنوار التنزيل ١٩٩/٢.

٤. تفسير القمي ١٤٣/٢.

١. ليس في الأصل.

٣. الزخرف ٣١/.

أبي عبدالله عليه السلام قال: إِنَّ العبد إذا دخل قبره جاء منكر وفزع منه، يسأل عن النبي ﷺ فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل كان بين أظهركم؟

فإن كان مؤمناً قال: أشهد أنه رسول الله، جاء بالحق. فيقال له: ارقد رقدة لاحلم فيها. ويتنحى عنه الشيطان. ويفسح له في قبره سبعة أذرع. ويرى^(١) مكانه في الجنة. قال: وإذا كان كافراً، قال: ما أدري. فيضرب ضربة يسمعهما كل من خلق الله إلا الإنسان. ويسلط عليه الشيطان. وله عيان من نحاس أو نار تلمعان كالبرق الخاطف فيقول له: أنا أخوك. ويسلط عليه الحيات والعقارب. ويظلم عليه قبره، ثم يضغطه ضغطة تختلف أضلاعه عليه، ثم قال بأصابعه فشرحها.

وقوله ﷺ: «وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» قال: ويختار الله ﷻ الإمام. وليس لهم أن يختاروا.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً له. أن ينازعه أحد، أو يزاحم اختياره اختيار.

﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٢): عن إشراكهم. أو مشاركة ما يشركون به.

وفي أصول الكافي^(٣): أبو القاسم بن العلاء عليه السلام عن عبدالعزيز بن مسلم، عن الرضا عليه السلام حديث طويل في فضل الإمام عليه السلام وصفاته. يقول فيه عليه السلام: هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة، فيجوز فيها اختيارهم؟ إلى قوله عليه السلام: لقد راموا صعباً، وقالوا: إفكاً، وضلوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وما كانوا مستبصرين. رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله [وأهل بيته]^(٤) إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم: «وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ [من أمرهم]^(٥) سبحانه الله وتعالى عما [يشركون]

١. المصدر: رأى.

٢. الكافي ١/ ١٩٩- ٢٠١، ضمن حديث ١ وأوله في ص ١٩٨. وفيه «محمد القاسم بن العلاء».

٣. من المصدر.

٤. من ن.

وقال ﷺ^(١): «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»^(٢).

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣)، بإسناده إلى سعد بن عبد الله القمي، عن الحجة القائم عليه السلام حديث طويل. وفيه قلت: فأخبرني يا ابن مولاي، عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم.

قال: مصلح أو مفسد؟

قلت: مصلح.

قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟

قلت: بلى.

قال: فهي العلة. وأوردها لك ببرهان ينقاد له عقلك. ثم قال عليه السلام أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله ﷻ وأنزل عليهم الكتب^(٤) وأيدهم بالوحي والعصمة. إذ هم أعلام الأمم وأهدى إلى الاختيار منهم؛ مثل: موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز وفور عقلهما [وكمال علمهما]^(٥) إذ هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن؟

قلت: لا.

قال: هذا موسى كليم الله، مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه، اختار في أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه ﷻ سبعين رجلاً ممن لا يُشك في إيمانهم وإخلاصهم. ووقع خيرته على المنافقين. قال^(٦) الله ﷻ: «واختار موسى قومه سبعين

١. الأحزاب ٣٦.

٢. ليس في أ.

٣. كمال الدين وتمام النعمة / ٤٦١ - ٤٦٢، ضمن حديث الذي أوله في ح ٢١، ص ٤٥٤.

٤. المصدر: الكتاب.

٥. من المصدر.

٦. الأعراف ١٥٥.

رجلاً لميقاتنا» إلى قوله: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم» فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله ﷻ للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن الاختيار لا يجوز أن يفعل^(١) إلا لمن يعلم ما تخفي الصدور وتكن الضمائر وتتصرف عليه السرائر. وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح. وفي مصباح الشريعة^(٢): قال الصادق عليه السلام - في كلام طويل -: ونعلم أن نواصي الخلق بيده. فليس لهم نفس ولا لحظة إلا بقدرته ومشيئته. وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلا بإذنه [ومشيئته]^(٣) وإرادته. قال الله ﷻ: «وَبِكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ».

﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: كعداوة الرسول وحقده.

﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤): كالطعن فيه.

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾: المستحق للعبادة.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا أحد يستحقها، إلا هو.

﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾: لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها. يحمد

المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا. بقولهم: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، الحمد لله الذي صدقنا وعده، ابتهاجاً بفضل، والتذاذاً بحمده.

﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ في كل شيء.

﴿وَالْبَاقِ تَوَجَّعُونَ﴾^(٥): بالنشور.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: دائماً. من السرد: وهو المتابعة.

و«الميم» مزيدة. كميم «دلامص».

١. المصدر: «لا اختيار» بدل «الاختيار لا يجوز أن يفعل».

٢. شرح فارسي لمصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة / ١١٥-١١٦. مصباح الشريعة ص ٩٣.

٣. من المصدر.

﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: بإسكان الشمس تحت الأرض. أو تحريكها فوق الأفق الغائر.
 ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ﴾: كان حقّه: هل إله. فذكر «بمن» على زعمهم: أن غيره آلهة.

وعن ابن كثير «بضياء» بهمزتين^(١).

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ (٧١): سماع تدبر واستبصار.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: بإسكانها في وسط السماء. أو تحريكها على مدار فوق الأفق.

﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُتُونَ فِيهِ﴾: استراحة عن متاعب الأشغال. ولعله لم يصف الضياء بما يقابله، لأنّ الضوء نعمة في ذاته مقصود في نفسه، ولا الليل كذلك. ولأنّ منافع^(٢) الضوء أكثر ممّا يقابله، ولذلك قرن به «أفلا تسمعون». وبالليل.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٧٢): لأنّ استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر.

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: في الليل.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: بالنهار، بأنواع المكاسب.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٣): ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك، فتشكروا عليها.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٧٤): تقرير بعد تقرير.

للاشعار بأنّه لا شيء أجلب لغضب الله تعالى في الإشراك به. أو الأول، لتقرير فساد رأيهم. والثاني، لبيان أنّه لم يكن عن سند، وإنّما كان محض تشهّي وهوى.

﴿وَنَزَعْنَا﴾: وأخرجنا.

﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: وهو نبيّه. يشهد عليهم بما كانوا عليه.

﴿فَقُلْنَا﴾: للأمم.

﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: على صحّة ما كنتم تدينون به.

﴿فَعَلِمُوا﴾: حينئذ.

﴿إِنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾: في الألوهية. لا يشاركه فيها أحد.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾: وغاب عنهم [غيبه الضائع]^(١).

﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(٢): من الباطل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى «ونزعنا من كل أمة شهيداً» يقول: من كل فرقة من هذه الأمة إمامها^(٤) «فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون»^(٥).

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾: قيل^(٦): ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي. وكان ممن آمن به.

وقيل^(٧): كان موسى ابن أخيه. وقارون عمه.

وفي مجمع البيان^(٨): «إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى» أي كان من بني إسرائيل، ثم من سبط موسى. وهو ابن خالته. عن عطاء، عن ابن عباس. وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام.

﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾: فطلب الفضل عليهم، وأن يكونوا تحت أمره. أو تكبر عليهم. أو ظلمهم. قيل^(٩): ذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل. أو حسدهم، لما روي أنه قال له: لك الرسالة، ولهارون الجبورة، وأنا في غير شيء، إلى متى أصبر؟

﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾: من الأموال المدخرة.

في مجمع البيان^(١٠) قال عطاء: أصاب كنزاً من كنوز يوسف.

﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾: مفاتيح صناديقه. جمع مفتاح. بالكسر، وهو ما يفتح به.

٢. تفسير القمي ١٤٣/٢.

٤. ليس في الأصل.

٦ و ٧. مجمع البيان ٢٦٦/٤.

٩. مجمع البيان ٢٦٦/٤.

١. من م وأوس ون.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: إماماً.

٥. أنوار التنزيل ٢٠٠/٢.

٨. أنوار التنزيل ٢٠٠/٢.

وقيل ^(١): خزائنه وقياس واحدها المفتاح.

﴿لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾: خبر «إِنَّ». والجملة صلة «ما». وهو ثاني مفعولي «أتى».

وناء به الحمل: إذا أثقله حتّى أماله.

والعصبة، والعصابة: الجماعة الكثيرة. واعتصبوا: اجتمعوا.

وقرئ: «لينوء» بالياء. على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه ^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): «وآتيانه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة» والعصبة: ما بين العشرة إلى تسعة عشر. قال: كان يحمل مفاتيح خزائنه العصبة أولو القوة.

وفي مجمع البيان ^(٤): قيل: ما بين عشرة إلى خمسة عشر. ^(٥) وقيل ^(٦): ما بين عشرة إلى أربعين. وقيل: أربعون رجلاً. وقيل: ما بين الثلاثة إلى العشرة. وقيل: إنهم جماعة يتعصب بعضهم لبعض.

وروى الأعمش عن خثيمة قال: كانت مفاتيح قارون من جلود. كلّ مفتاح مثل الإصبع.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾: منصوب «بتنوء».

﴿لَا تَفْرَحْ﴾: لا تنظر. والفرح بالدنيا مذموم مطلقاً. لأنّه نتيجة حبّها والرضا بها والذهول عن ذهابها. فإنّ العلم بأنّ ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة، يوجب الترح كما قال:

أشدّ الغمّ عندي في سرور تيقّن عنه صاحبه انتقالا

١. أنوار التنزيل ٢٠٠/٢ وفيه: وقيل: خزائنه وقياسه المفتاح.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير القمي ١٤٤/٢.

٤. مجمع البيان ٢٦٦/٤.

٥. ليس في س.

٦. نفس المصدر والموضع.

ولذلك قال الله تعالى: «ولا تفرحوا بما آتاكم»^(١) وعَلَل النهي ههنا بكونه مانعاً من محبة الله. فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٢): أي بزخارف الدنيا.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣) بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: وما يكون أولو قوة إلا عشرة آلاف [قال عز من قائل: «إِذَا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ»]^(٤).

وفي كتاب الخصال^(٥): عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام: لا تفرح بكثرة المال، ولا تدع ذكرني على كل حال. فإن كثرة المال تنسي الذنوب، وترك ذكرني يقسي القلوب.

عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٦) حديث طويل، وفيه: والفرح مكروه عند الله ﷻ.

وفي كتاب التوحيد^(٧)، بإسناده إلى أبان الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه جاء رجل إليه فقال له: بأبي أنت وأمي، عظمي موعظة.

فقال عليه السلام: إن كانت العقوبة من الله ﷻ حقاً، فالفرح لماذا؟ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَاتَّقِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾: من الغنى.

﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾: بصرفه فيما يوجبها لك. فإن المقصود منه، أن يكون وصلة

١. الحديد/ ٢٣.

٢. كمال الدين وتمام النعمة ٦٥٤، ذيل حديث ٢٠ والحديث قصير.

٣. ليس في المصدر. ولعلها زيادة. فالظاهر أن حديث كمال الدين نقل بواسطة نور الثقلين. ثم إن صاحب نور الثقلين أورد بعده مباشرة هذه الآية ليورد تفسيرها، فاشتبه المفسر عليه السلام عند النقل وظن أنها تبع لكمال الدين. والله العالم.

٤. الخصال/ ٣٩، ح ٢٣.

٥. الخصال ص ٢٣٤ عنه في تفسير نور الثقلين ١٣٨/٤، ح ١٠٦.

٦. التوحيد ٣٧٧، ضمن حديث ٢١.

إليها^(١). وفي الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبي الحسن علي بن يحيى، عن أيوب بن أعين، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يؤتى يوم القيامة برجل، فيقال: احتج.

فيقول: يا رب، خلقتني وهديتني وأوسعت^(٣) علي، فلم أزل أوسع على خلقك وأيسر عليهم. لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره.

فيقول الرب جل ثناؤه وتعالى: صدق عبدي. أدخلوه الجنة.

﴿وَلَا تَنْسَ﴾: ولا تترك ترك المنسي.

﴿نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: وهو أن تحصل بها آخرتك. أو تأخذ منها ما يكفيك^(٤).

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥) بإسناده إلى موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قول الله ﷻ: «ولا تنس نصيبك من الدنيا» قال: لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك، أن تطلب بها^(٦) الآخرة.

١. يوجد في هامش نسخة م:

مشكل: ينبغي أن لا يكون لكل من الفقرات المثلث أعني: «وأتبع»، «ولا تنس»، «وأحسن» معنى يغاير الأخرى، ولا أقل أن يكون بينها عموم من وجه. فليكن معنى «وأتبع فيما أتاك الله الدار الآخرة» نفع الناس به مع بقاء عليه؛ كالأقراض والاسكان والإعانة. فإعارة الأدوات والممالك والمراكب والحلي ونحو ذلك، وكذلك الكف عن التكبر والفساد فإن الموجب لهما والموجد في الغالب، الغنى، ولا يوجدان مع الفقر إلا نادراً. وسيجيء في هذه السورة بعد «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً» مع وجود الممد والمقتضى فقد طلب الآخرة في الدنيا، فافهم.

٣. المصدر: فأوسعت.

٢. الكافي ٤/٤٠، ح ٨.

٤. يوجد في هامش نسخة م: قد كنت قلت في سن الشباب من قصيدة لي: فما ذاخر الذي أنت باذل، وما باذل إلا الذي أنت ذاخره. ثم طُفِت في أثناء التلاوة لقوله جل شأنه: «ولا تنس نصيبك من الدنيا». فصغر في عيني ذلك البيت واستحققرته. ومعنى الآية الشريفة والله أعلم: أن ما تعمله لآخرتك من فضل مالك وفواك فهو نصيبك من دنياك والباقي إن لم يذهب من يدك قبل موتك يبقى لوارثك وكثيراً ما يجوزّه عدوك. صدر الدين الموسوي.

٥. معاني الأخبار ٣٢٥، ح ١.

٦. ن، م: تطلب عنها.

﴿وَأَحْسِنَ﴾ : إلى عباد الله .

﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ : فيما أنعم عليك .

وقيل ^(١) : أحسن بالشكر والطاعة ، كما أحسن إليك بالإنعام .

﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ : بأمر يكون علة للظلم والبغي .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧) : لسوء أفعالهم .

وفي مصباح الشريعة ^(٢) : قال الصادق عليه السلام : فساد الظاهر ، من فساد الباطن . ومن أصلح سريره . أصلح الله علانيته ، ومن خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية ^(٣) وأعظم الفساد ، أن يرضى العبد ^(٤) بالغفلة عن الله تعالى وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكبر . كما أخبر الله تعالى في قصة قارون في قوله : «ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين» وكانت هذه الخصال من صنع قارون واعتقاده . وأصلها من حب الدنيا وجمعها ، ومتابعة النفس وهواها ، وإقامة شهواتها ، وحب المحمدة ، وموافقة الشيطان ، وآتباع خطراته . وكل ذلك مجتمع تحت الغفلة عن الله ونسيان منه ^(٥) .

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ : فضلت به على الناس . واستوجبت به التفوق ^(٦) عليهم بالجاه والمال .

و«على علم» في موضع الحال . وهو علم التوراة . وكان أعلم بها . وقيل ^(٧) : هو علم الكيمياء . وقيل : علم النجارة والدهقنة وسائر المكاسب .

وقيل ^(٨) : العلم بكنوز يوسف .

١ . أنوار التنزيل ٢/٢٠١ .

٢ . شرح فارسي لمصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة ٤٤٦-٤٤٨ . مصباح الشريعة ص ١٠٧ .

٣ . المصدر : «علانيته» بدل «ستره في العلانية» .

٤ . هكذا في أوس وم ون وفي المصدر ، والأصل : الخلق .

٥ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : منته . ٦ . هكذا في س وأ . وفي سائر النسخ : التقوى .

٧ . أنوار التنزيل ٢/٢٠١ . ٨ . نفس المصدر والموضع .

﴿عِنْدِي﴾ صفة له . أو متعلق «بأوتيته» كقولك : جاز هذا عندي ؛ أي في ظني واعتقادي .

﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً﴾ : تعجب وتوبيخ ، على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك . لأنه قرأه في التوراة ، وسمعه من حفاظ التواريخ . أو ردّ لادّعائه العلم وتعظمه به ، بنفي هذا العلم منه ، أي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادّعه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين .
﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٣٨) : سؤال استعلام ، فإنه تعالى مطلع عليها . أو معاتبة ، فإنهم يعدّون بها بغتة .

قيل ^(١) : يعني أنهم يدخلون النار بغير حساب . وأنّ الملائكة يعرفونهم بسيماهم ، فلا يسألون عنهم لعلامتهم . يأخذونهم بالنواصي والأقدام . فيصيّرونهم إلى النار .
﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ : قيل ^(٢) : إنه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان ، وعليها سرج من ذهب . ومعه أربعة آلاف فارس على زينته ^(٣) . والأرجوان : صمغ أحمر .

قيل ^(٤) : [خرج] ^(٥) في جوار بيض ، على سرج من ذهب ، على قطف أرجوان ، على بغال بيض . عليهنّ ثياب حمر وحلي من ذهب .

وقيل ^(٦) : خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات .
﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ : على ما هو عادة الناس من الرغبة .
﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ : تمنّوا مثله لا عينه ، حذراً عن الحسد .
﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٩) : من الدنيا .
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ : بأحوال الآخرة ، للمتّمين .

٣ . المصدر : «على زينه» بدل «فارس على زينته» .

٥ . من المصدر .

١ و ٢ . مجمع البيان ٢٦٧/٤ .

٤ . مجمع البيان ٢٦٧/٤ .

٦ . نفس المصدر والموضع .

﴿وَيَلَكُمْ﴾: دعاء بالهلاك. استعمل للزجر عما لا يُرْتَضَى.

﴿ثَوَابُ اللَّهِ﴾: في الآخرة.

﴿خَيْرَ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾: ممّا أوتي قارون. بل من الدنيا وما فيها.

﴿وَلَا يُلْقَاهَا﴾: الضمير فيه، للكلمة التي تكلم بها العلماء. أو للثواب، فإنه بمعنى:

المثوبة. أو الجنة. أو للإيمان والعمل الصالح، فإنهما في معنى: السيرة والطريقة.

﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (٥٨): على الطاعات، وعن المعاصي.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾: نقل (١): أنّه كان يؤذي موسى عليه السلام كلّ وقت. وهو

يداريه لقربته. حتّى نزلت الزكاة، فصالحه عن كلّ ألف على واحد. فحسبه فاستكثره.

فعمد إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بني إسرائيل، ليرفضوه. فبرطل بغيّة لترميه بنفسه.

فلما كان يوم العيد قام موسى خطيباً، فقال: من سرق قطعناه. [ومن افترى جلدناه] (٢)

ومن زنا غير محصن جلدناه. ومن زنى محصناً رجمناه.

فقال قارون: ولو كنت؟

قال: ولو كنت.

قال: إنّ بني إسرائيل يزعمون أنّك فجرت بفلانة. فاستحضرت. فناشدها موسى

بالله أن تصدق.

فقالت: جعل لي قارون جعلاً، على أن أرميك بنفسي. فخرّ موسى شاكياً منه إلى

ربه. فأوحى الله إليه: أن مِرِّ الأرض بما شئت.

فقال: يا أرض خذي. [وهو على سريره وفرشه. فأخذته حتّى غيّبت سريره. ثمّ

قال: خذي. فأخذته حتّى غيّبت قدميه. ثمّ قال: خذي.] (٣) فأخذته إلى ركبتيه. ثمّ قال:

خذي. فأخذته إلى وسطه. ثمّ قال: خذي. فأخذته إلى عنقه. ثمّ قال: خذي، فخسفت

به. وكان [قارون] (٤) يتضرّع إليه في هذه الأحوال، فلم يرحمه. فأوحى الله إليه:

ما أفضك! استرحمك مراراً، فلم ترحمه. وعزّتي وجلالي، لو دعاني مرّة لأجبتّه. ثمّ قال بنو إسرائيل: إنّما فعله ليرثه. فدعا الله، حتّى خسف بداره وأمواله.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١): فقال قارون كما حكى الله ﷻ: «إنّما أوتيته على علم عندي» يعني: ماله. وكان يعمل الكيمياء. فقال الله: «أولم يعلم أنّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون» أي لا يسأل من كان قبلهم عن ذنوب هؤلاء «فخرج على قومه في زينته» قال: في الثياب المصبّغات، يجرّها بالأرض. «قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنّّه لذو حظّ عظيم». فقال لهم الخلّص^(٢) من أصحاب موسى عليه السلام: «ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلّا الصابرون. فخسفنا به وبداره الأرض». وفي كتاب الخصال^(٣): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الجامع بالكوفة، فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرني عن يوم الأربعاء والتطير منه وثقله، وأيّ أربعاء هو؟

فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر. وهو المحاق. وفيه قتل قابيل هابيل أخاه ويوم الأربعاء ألقي إبراهيم عليه السلام في النار. ويوم الأربعاء خسف الله بقارون. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٤)، في مناهي النبي ﷺ: ونهى أن يختال الرجل في مشيه. وقال: من لبس ثوباً فاختال فيه، خسف الله به من شفير جهنم وكان قرين قارون، لأنّه أوّل من اختال، فخسف الله به وبداره الأرض.

١. تفسير القمي ١٤٤/٢.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الخاص.

٣. الخصال ٣٨٨/، ضمن حديث ٧٨. وفيه: قال حدّثنا عليّ بن موسى الرضا قال: حدّثنا موسى بن جعفر

قال: حدّثنا جعفر بن محمّد قال: حدّثنا محمّد بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن الحسين قال: حدّثنا الحسين

بن عليّ عليه السلام بدل «عن أبي عبد الله عليه السلام». ٤. من لا يحضره الفقيه ٧/٤. في المناهي.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وكان سبب هلاك قارون، أنه لما خرج موسى ﷺ ببني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية^(٢) وكانوا يقومون من أول الليل يأخذون في قراءة التوراة والدعاء والبكاء، وكان قارون منهم. وكان يقرأ التوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتاً منه، وكان يسمي المنون لحسن قراءته، وكان يعمل الكيمياء، فلما طال الأمر على بني إسرائيل في التيه والتوبة. وكان قارون قد امتنع من الدخول معهم في التوبة [وكان موسى ﷺ يحبه، فدخل إليه موسى فقال له: يا قارون قومك في التوبة]^(٣) وأنت قاعد ههنا، ادخل معهم ولأ نزل^(٤) بك العذاب. فاستهان به واستهزأ بقوله. فخرج موسى من عنده مغتماً وجلس في فناء قصره. وعليه جبة شعر، ونعلان من جلد حمار شراكهما من خيط شعر^(٥)، بيده العصا. فأمر قارون أن يُصَبَّ عليه رماداً قد خلطه بالماء فُصَّب عليه. فغضب موسى ﷺ غضباً شديداً. وكان في كتفه شعرات، كان إذا غضب خرجت من ثيابه ويقطر منها الدم.

فقال موسى: يا رب، إن لم تغضب لي فلست لك ببني.

فأوحى الله ﷻ إليه: قد أمرت الأرض^(٦) أن تطيعك، فمرها بما شئت.

وقد كان قارون قد أمر أن يُغْلَقَ باب القصر. فأقبل موسى ﷺ فأومأ إلى الأبواب فانفجرت^(٧) ودخل عليه. فلما نظر إليه قارون، علم أنه قد أوتي. قال: يا موسى،

١. تفسير القمي ١٤٤/٢ - ١٤٦.

٢. في المصدر زيادة وهي: أنزل الله عليهم المن والسلوى وانفجر لهم من الحجر اثنتا عشرة عيناً، بطروا وقالوا: لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا ممّا تنبت الأرض من يقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها. قال لهم موسى: أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم. فقالوا كما حكى الله: إن فيها قوماً جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها. ثم قالوا لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ففرض الله عليهم دخولها وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض. ٣. ليس في أ.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: دخل. ٥. المصدر: «خيوط شعر» بدل «خيط شعر».

٦. المصدر: السماوات والأرض.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فأوحى إلى الباب فانفجرت.

أسألك بالرحم الذي بيني وبينك .

فقال له موسى : يا بن لاوي ، لا تزدني من كلامك . يا أرض ، خذيه . فدخل القصر بما فيه في الأرض [ودخل قارون في الأرض]^(١) إلى ركبته . فبكى وحلّقه بالرحم . فقال موسى ﷺ : يا بن لاوي ، لا تزدني من كلامك ، يا أرض ، خذيه وابتلعيه بقصره وخزائنه . وهذا ما قال موسى ﷺ لقارون يوم أهلكه الله ﷻ فعير الله تبارك وتعالى بما قاله لقارون . فعلم موسى أن الله تبارك وتعالى قد عيّره بذلك ، فقال موسى : يا رب ، إن قارون دعاني بغيرك . ولو دعاني بك . لأجبتة .

فقال الله ﷻ : [ما قلت :^(٢) يا ابن لاوي ، لا تزدني من كلامك ؟

فقال : موسى ﷺ : يا رب ، لو علمت أن ذلك لك رضى لأجبتة .

فقال الله ﷻ : [يا موسى^(٣) وعزّتي وجلالي وحقّ^(٤) جودي ومجدي وعلوّ مكاني ، لو أن قارون كما دعاك دعاني ، لأجبتة ولكنّه لمّا دعاك ، وكلّته إليك يا ابن عمران ، لا تجزع من الموت . فإني كتبت الموت على كلّ نفس . وقد مهّدت لك مهّاداً ، لو قد وردت عليه لقرّت عينك .

فخرج موسى ﷺ إلى جبل طور سيناء مع وصيّيه . وصعد موسى الجبل ، فنظر^(٥) إلى رجل قد أقبل ومعه مكتل ومسحاة . فقال له موسى ﷺ : ما تريد ؟

قال : رجل من أولياء الله قد تُوفّي . وأنا أحضره قبراً .

فقال له موسى : أفلا أعينك عليه ؟

قال : بلى .

قال : فحفروا القبر . فلمّا فرغا ، أراد الرجل أن ينزل إلى القبر . فقال له موسى ﷺ : ما

تريد ؟

٢ . من المصدر .

١ . ليس في م .

٤ . ليس في المصدر .

٣ . من المصدر .

٥ . هكذا في م وأوس ون وفي الأصل والمصدر : فنزل .

قال: أدخل القبر، فأنظر كيف مضجعه.

فقال له موسى عليه السلام: أنا أكفيك. فدخل موسى عليه السلام فاضطجع فيه، فقبض ملك الموت روحه وانضم عليه الجبل.

وفيه^(١): قد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين عليه السلام عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه؟

فقال: يا يهودي، أما السجن الذي طاف أقطار الأرض بصاحبه فإنه الحوت الذي حبس يونس في بطنه. فدخل في بحر القلزم، ثم خرج إلى بحر مصر، ثم دخل بحر طبرستان، ثم خرج في دجلة الغور^(٢). قال: ثم مرّت به تحت الأرض حتّى لحقت بقارون. وكان قارون هلك في أيام موسى. ووكل الله به ملكاً يدخله في الأرض كلّ يوم قامة رجل. وكان ذوالنون في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره، فسمع قارون صوته فقال للملك الموكل به: أنظرنى، فأني أسمع كلام آدمي. فأوحى الله إلى الملك الموكل به: أنظره. فأنظره. ثم قال قارون: من أنت؟

قال يونس: أنا المذنب الخاطئ، يونس بن متى.

قال: فما فعل شديد الغضب لله موسى بن عمران؟ قال: هيهات، هلك.

قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟

قال: هلك.

قال: فما فعلت كلثم بنت عمران، التي كانت سميت لي؟

قال: هيهات، ما بقي من آل عمران أحد.

فقال قارون: وأأسفا على آل عمران. فشكر الله له ذلك. فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا. فرفع عنه.

وفي تفسير العياشي^(٣): عن الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن يونس لما آذاه

١. نفس المصدر ٣١٨/١-٣١٩.

٢. المصدر: الغورا.

٣. تفسير العياشي ١٣٧٢-١٣٧، ج ٤٦.

قومه . وذكر حديثاً طويلاً . وفيه : فاللقى نفسه ، فالتقمه الحوت . فطاف به البحار السبعة حتى صار إلى البحر المسجور ، وبه يُعذَّب قارون . فسمع قارون دويّاً ، فسأل الملك عن ذلك . فأخبره [أنه يونس . وأن الله قد حبسه في بطن الحوت . فقال له قارون : أتأذن لي أن أكلّمه ؟ فأذن له . فسأله عن موسى . فأخبره^(١) أنه مات ، فبكى . ثم سأله عن هارون . فأخبره أنه مات ، فبكى وجزع جزعاً شديداً . وسأله عن أخته كلثم ، وكانت مسمّاة له . فأخبره أنها ماتت فبكى وجزع جزعاً شديداً^(٢) . قال فأوحى الله إلى الملك الموكل به : أن ارفع عنه العذاب بقيّة أيام^(٣) الدنيا لرفقته على قرابته .

وفي كتاب جعفر بن محمّد الدوريسي^(٤) ، بإسناده إلى النبي ﷺ حديث طويل ، يذكر فيه خروجه ﷺ للمباهلة . وفيه : فلما رجع النبي ﷺ بأهله^(٥) وصار إلى مسجده هبط جبرائيل عليه السلام وقال : يا محمّد ، إن الله يقرئك السلام ، ويقول : إن عبيدي موسى باهل عدوّه قارون بأخيه هارون وبنيه ، فخسف بقارون وأهله وماله ومن وازره من قومه . وبعزتي أقسم وجلالي يا أحمد ، لو باهلت بك وبمن تحت الكساء من أهلك أهل الأرض والخلائق جميعاً لتقطّعت السماء كسفاً والجبال زبراً ولساخت الأرض ، فلم تستقرّ أبداً إلا أن أشاء ذلك .

﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ ﴾ : أعوان . مشتقة من فأوت رأسه : إذا ميلته .

﴿ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ : فيدعون عنه عذابه .

﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾^(٦) : الممتنعين منه . من قولهم : نصره من عدوّه ،

فانتصر : إذا منعه منه ، فامتنع .

﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ ﴾ : منزلته .

١ . ليس في ن .

٢ . المصدر : [فقال : وأسفا على آل عمران] بدل [فبكى وجزع جزعاً شديداً] .

٣ . ليس في المصدر .

٤ . تفسير نور الثقلين ١٤٢/٤ ، ح ١١٧ ، نقلاً عنه .

٥ . ليس في الأصل .

﴿بِالْأَمْسِ﴾ : منذ زمان قريب .

﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ : يبسط ويقدر

بمقتضى مشيئته . لا لكرامة تقتضي البسط ، ولا لهوان يوجب القبض .

و«يَكُنَّا» عند البصريين مركب . من «وي» للتعجب ، «وَكُنَّا» للتشبيه . والمعنى ما

أشبه الأمر ، أَنَّ الله يبسط الرزق .

وقيل ^(١) : من «ويك» بمعنى : ويك وَأَنْ تقديره : ويك أعلم أَنَّ الله .

﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ : فلم يعطنا ما تمنينا .

﴿لَخَسَفَ بَنَّا﴾ : لتوليدنا فينا ما ولده فيه . فخسف به لأجله .

﴿وَيَكَاذِبُونَ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٢) : لنعمة الله . أو المكذبون برسله وبما وعد لهم من

ثواب الآخرة .

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ : إشارة تعظيم . كَأَنَّهُ قال : تلك التي سمعت خبرها وبلغك

وصفها . والدار الآخرة صفة . والخبر

﴿نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ : غلبة وقهراً .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣) : حَدَّثَنِي أَبِي ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن

داود المنقري ، عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام يا حفص ، ما منزلة الدنيا

من نفسي إلا بمنزلة الميتة . إذا اضطرت إليها ، أكلت منها . يا حفص ، إِنَّ الله تبارك

وتعالى علم ما العباد عاملون ^(٤) وإلى ما هم صائرون ، فحلم عنهم عند أعمالهم السيئة

لعلمه السابق فيهم . فلا يغرنك حسن الطلب ممن لا يخاف الفوت . ثم تلا قوله : «تلك

الدار الآخرة» . الآية ، وجعل يبكي ويقول : ذهبت والله الأمانى عند هذه الآية .

قلت : جعلت فداك ، فما حدّ الزهد في الدنيا ؟

٢ . تفسير القمي ١٤٧٢ .

١ . أنوار التنزيل ٢٠٢/٢ .

٣ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : عليه عالمون .

فقال: حدّ الله ﷻ في كتابه، فقال الله ﷻ^(١) «لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَلَا فُسَاداً﴾: ظلماً على الناس، كما أراد فرعون وقارون.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٢): وقال أبو عبد الله عليه السلام أيضاً في قوله: «علوّاً في الأرض ولا فساداً» العلوّ: الشرف. والفساد: البناء^(٣).

﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾: المحمودة.

﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) عن مالا يرضاه الله.

وفي نهج البلاغة^(٥): فلمّا نهضت بالأمر، نكثت طائفة ومقرت أخرى وقسط^(٦) آخرون. كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه إذ يقول: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين» بلى والله لقد سمعوها ووعوها. ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها.

وفي أمالي شيخ الطائفة قدس سرّه^(٧) بإسناده إلى ابن مسعود أنّه قال: قال رسول الله ﷺ في كلام طويل: أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم «إني لكم نذير مبين»^(٨) أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده. فإنّ الله تعالى قال لي ولكم: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين».

وفي مجمع البيان^(٩): وروى زاذان: عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يمشي في الأسواق وحده، وهو والي^(١٠). يرشد الضالّ، ويعين الضعيف، ويمرّ بالبيّاع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض

١. الحديد/ ٢٣.

٢. تفسير القمي ١٤٧/٢.

٣. المصدر: والفساد النساء.

٤. نهج البلاغة ٤٩/٥٠، ضمن خطبة ٣.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فسق.

٦. أمالي الطوسي ١/٢١٠.

٧. مجمع البيان ٢٦٨/٤ - ٢٦٩.

٨. نوح/ ٢١.

٩. المصدر: دالّ.

ولا فساداً» ويقول: نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة، وأهل القدرة من سائر الناس.

وروى أبو سلام الأعرج^(١): عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً قال: إن الرجل ليعجبه شراك نعله، فيدخل في هذه الآية. «تلك الدار الآخرة» الآية.

وفي كتاب سعد السعود^(٢) لابن طاوس رحمته الله يقول علي بن موسى بن طاوس: رأيت في تفسير الطبرسي عند ذكر هذه الآية قال: وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه، فيدخل تحتها.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ : ذاتاً وقدرأً ووصفاً.

﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ : وضع فيه الظاهر موضع المضمّر، تهجيناً لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم.

﴿إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣) : أي إلا مثل ما كانوا يعملون. فحذف المثل وأقام مقامه «ما كانوا يعملون» مبالغة في المماثلة.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ : أوجب عليك تلاوته، وتبليغه، والعمل بما فيه.

﴿لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ : قيل^(٤) : أي معادله وهو المقام المحمود، الذي وعدك أن يبعثك فيه. أو مكة التي اعتدت بها، على أنه من العادة رده إليها يوم الفتح. كأنه لما حكم بأن العاقبة للمتقين، وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين، وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين.

نقل: أنه بلغ جحفة في مهاجرة، اشتاق إلى مولده ومولد آبائه، فنزلت.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) : حدثني أبي، عن حريز، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أنه سئل عن جابر، فقال: رحم الله جابراً. بلغ من فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية. «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» يعني: الرجعة.

٢. سعد السعود ٨٨.

١. نفس المصدر والموضع.

٤. تفسير القمي ١٤٧/٢.

٣. أنوار التنزيل ٢٠٢/٢ - ٢٠٣.

قال^(١): وحَدَّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبد الحميد الطائي، عن أبي خالد الكابلي، عن علي بن الحسين صلوات الله عليه في قوله ﷺ: «إِنَّ الذي فرض عليك القرآن لَرَادُّكَ إِلَى معاد» قال: يرجع إليكم نبيكم ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ والأنمة صلوات الله عليهم.

حَدَّثني أبي^(٢)، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر^(٣) قال: ذُكر عند أبي جعفر ﷺ جابر. فقال: رحم الله جابراً لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية «إِنَّ الذي فرض عليك القرآن لَرَادُّكَ إِلَى معاد» يعني: الرجعة.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس ﷺ: حَدَّثنا حميد بن زياد، عن عبدالله بن أحمد بن نهيك، عن عيسى بن هشام، عن أبان، عن عبد الرحمن بن سيابة، عن صالح بن ميثم، عن أبي جعفر ﷺ قال: قلت لأبي جعفر ﷺ حَدَّثني.

قال: أو ليس قد سمعت من أبيك؟

قلت: هلك أبي وأنا صبي. قال: فأقول. فإن أصبت، قلت: نعم. وإن أخطأت، رددتني عن الخطأ.

قال: ما أشدَّ شركك!

قلت: فأقول. فإن أصبْتُ. سكْتُ. وإن أخطأت، رددتني عن الخطأ.

قال: هذا أهون.

قال: قلت فأبني أزعِمُ أَنَّ علياً ﷺ دَابَّةُ الأرض وسكْتُ.

فقال: أبو جعفر ﷺ: أراك والله تقول: إِنَّ علياً ﷺ راجع إلينا^(٥)؟

قال: فقلت: قد جعلتها فيما أريد أن أسألك عنه فنسيتها.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر ٢٥/١.

٣. م وس المصدر: عمر بن شمر.

٤. تأويل الآيات الباهرة، ج ١ ص ٤٠٧.

٥. في المصدر زيادة وهي: ويقرأ «إِنَّ الذي فرض عليك القرآن لَرَادُّكَ إِلَى معاد».

فقال أبو جعفر عليه السلام أفلا أخبرك بما هو أعظم من هذا؟ قوله ^(١) ﷻ: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً» فذلك أنه لا يبقى أرض، إلا ويؤذن فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وأشار بيده إلى آفاق الأرض.

وقال أيضاً ^(٢) حدثنا جعفر بن محمد بن مالك، عن الحسن بن علي بن مروان، عن سعد بن عمر ^(٣)، عن أبي مروان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد».

قال: فقال لي: لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب، حتى يجتمع رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام بالثوبة ^(٤). فيلتقيان، وبينان بالثوبة ^(٥) مسجداً له اثنا عشر ألف ^(٦) باب؛ يعني: موضعاً بالكوفة.

وقال علي بن إبراهيم في تفسيره ^(٧): وأما قوله: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» فإن العامة رووا: أنه معاد القيامة. وأما الخاصة فإنهم رووا: أنه في الرجعة. ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى﴾: وما يستحقه من الثواب والنصر. و«من» منتصب بفعل يفسره «أعلم».

﴿وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ^(٨): وما استحقه من العذاب والإذلال؛ يعني به نفسه والمشركين. وهو تقرير للوعد السابق. وكذا قوله:

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾: أي سيردك إلى معاد، كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾: ولكن ألقاه رحمةً منه. ويجوز أن يكون استثناءً محمولاً على المعنى. كأنه قال: وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة.

٢. نفس المصدر والموضع.

٤. المصدر: بالثوبة.

٦. ليس في المصدر.

١. سبأ ٢٨.

٣. المصدر: سعيد بن عمر.

٥. المصدر: بالثوبة.

٧. نفس المصدر والموضع.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ (٨٦): بمداراتهم، والتحمل عنهم، والإجابة إلى طلبهم.

﴿وَلَا يَصَدَّنْكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: عن قراءتها والعمل بها.

﴿بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ﴾: وقرئ: «يصدنك». من أصد^(١).

﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾: إلى عبادته وتوحيده.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٧): بمساعدتهم.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ﴾: هذا وما قبله، للتهيج وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام (٢): وقوله عليه السلام: «فلا تكونن يا محمد ظهيراً للكاferين» فقال: المخاطبة للنبي عليه السلام والمعنى للناس (٣)، وهو قول الصادق عليه السلام: إن الله عليه السلام بعث نبيه عليه السلام بإيائك أعني واسمعي يا جارة. ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الْهُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾: قيل (٤): إلا ذاته. فإن ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم.

وفي أصول الكافي (٥): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن سيف بن عميرة، عن ذكره، عن الحارث بن المغيرة النصري (٦) قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه». فقال: ما يقولون فيه؟

قلت: يقولون: يهلك كل شيء إلا وجه الله.

١. أنوار التنزيل ٢٠٣/٢. ٢. تفسير القمي ١٤٧/٢.

٣. في المصدر زيادة وهي: وقوله «ولا تدع مع الله إلهاً آخر» المخاطبة للنبي والمعنى للناس.

٤. أنوار التنزيل ٢٠٣/٢. ٥. الكافي ١٤٣/١، ح ١.

٦. النسخ: «النصري» وتفتيح المقال: ١٤٧/١، رقم ٢١٣٥.

[فقال: سبحان الله، لقد قالوا قولاً عظيماً. إِنَّمَا عَنِ بَذْلِكَ وَجْهَ اللَّهِ] ^(١) الذي يؤتى

منه.

أحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار ^(٢)، عن صفوان بن يحيى، عن فضيل بن عثمان، عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «هو الأول والآخر» وقلت: أما الأول فقد عرفناه. وأما الآخر فبين لنا تفسيره.

فقال: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا يَبِيدُ أَوْ يَتَغَيَّرُ، أَوْ يَدْخُلُهُ التَّغْيِيرُ وَالزَّوَالُ، أَوْ يَنْتَقِلُ مِنْ لَوْنٍ إِلَى لَوْنٍ، وَمِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ، وَمِنْ صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ، وَمِنْ زِيَادَةٍ إِلَى نَقْصَانٍ، وَمِنْ نَقْصَانٍ إِلَى زِيَادَةٍ، إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ. فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ بِحَالَةٍ وَاحِدَةٍ. هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْآخِرُ عَلَى مَا لَمْ يَزَلْ. وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ، كَمَا تَخْتَلِفُ عَلَى غَيْرِهِ؛ مِثْلَ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ تَرَاباً مَرَّةً، وَمَرَّةً لَحْماً وَدَمًا، وَمَرَّةً رِفَاتًا وَرَمِيمًا. وَكَالْبَسْرِ الَّذِي يَكُونُ مَرَّةً بَلْحًا، وَمَرَّةً بَسْرًا، وَمَرَّةً رَطْبًا، وَمَرَّةً تَمْرًا فَتَتَبَدَّلُ ^(٣) عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ. وَاللَّهُ ﷻ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام ^(٤): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» قَالَ: فَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ وَيَبْقَى الْوَجْهَ؟! اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ. لَا، وَلَكِنْ مَعْنَاهَا: كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا دِينَهُ. وَنَحْنُ الْوَجْهَ الَّذِي يُؤْتِي اللَّهُ مِنْهُ. لَمْ نَزَلْ فِي عِبَادِهِ، مَا دَامَ اللَّهُ لَهُ فِيهِمْ رُؤْيَةٌ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِمْ رُؤْيَةٌ، فَرَفَعْنَا إِلَيْهِ، فَفَعَلَ بِنَا مَا أَحَبَّ.

قلت: جعلت فداك، فما الرُّؤْيَةُ؟

قال: الحاجة.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٥) للطبرسي عليه السلام: عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام حَدِيثٌ طَوِيلٌ. وَفِيهِ

١. ليس في م وأوس ون. ٢. نفس المصدر ١/١١٥، ج ٥.

٣. هكذا في المصدرون. وفي سائر النسخ: فتبدل.

٥. الاحتجاج ١/٣٧٧.

٤. تفسير القمي ٢/١٤٧.

وأما قوله: «كُلُّ شيء هالك إلا وجهه» فالمراد^(١): كُلُّ شيء هالك إلا دينه. لأن من المحال أن يهلك منه كُلُّ شيء ويبقى الوجه. هو أجل وأكرم^(٢) وأعظم من ذلك. وإنما يهلك من ليس منه. ألا ترى أنه قال^(٣): «كُلُّ من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» ففصل بين خلقه ووجهه.

وفي كتاب التوحيد^(٤) بإسناده إلى أبي حمزة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله ﷻ: «كُلُّ شيء هالك إلا وجهه».

قال: يهلك كُلُّ شيء ويبقى الوجه. إن الله ﷻ أعظم من أن يوصف بالوجه. ولكن معناه: كُلُّ شيء هالك إلا دينه. والوجه الذي يؤتى منه.

وبإسناده إلى الحارث بن المغيرة النصري^(٥) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «كُلُّ شيء هالك إلا وجهه».

قال: كُلُّ شيء هالك، إلا من أخذ طريق الحق.

وفي محاسن البرقي^(٦)، مثله. إلا أن آخره: من أخذ الطريق الذي أنتم عليه.

وفي كتاب التوحيد^(٧)، بإسناده إلى صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «كُلُّ شيء هالك إلا وجهه».

قال: من أتى الله بما أمر به من طاعة محمد والأئمة من بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الذي لا يهلك. ثم قرأ «من يطع الرسول فقد أطاع الله»^(٨).

وبإسناده أيضاً إلى صفوان^(٩) قال: قال أبو عبد الله عليه السلام نحن وجه الله الذي لا يهلك.

وبإسناده إلى صالح بن سفيان^(١٠): عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «كُلُّ شيء

١. المصدر: «فإنما أنزلت» بدل «فالمراد». ٢. من م وأون.

٣. الرحمن ٢٦/. ٤. التوحيد/١٤٩، ح ١.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٢. وفي النسخ: «النصري». انظر تنقيح المقال ١/١٤٧، رقم ٢١٣٥.

٦. المحاسن ١٩٩/، ح ٣٠. ٧. التوحيد/١٤٩، ح ٢.

٨. النساء ٨٠/. ٩. نفس المصدر ١٥٠/، ح ٤.

١٠. المصدر: صالح بن سهل.

هالك إلّا وجهه» [قال: نحن].

وبإسناده إلى خيثمة^(١) قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» [٢].

قال: دينه. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام دين الله. ووجهه وعينه في عباده. ولسانه الذي ينطق به. ويده على خلقه. ونحن وجه الله الذي يؤتى منه، لن نزال في عباده مادامت لله فيهم روبة.

قلت: وما الرُّوبَةُ؟

قال: الحاجة. فإذا لم يكن لله فيهم حاجة، رفعنا إليه وصنع ما أحب.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا عبد الله بن همام، عن عبد الله بن جعفر، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن الأحول، عن سلام بن المستنير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ».

قال: [نحن والله وجهه]^(٤) الذي قال، ولن يهلك إلى يوم القيامة، بما أمر الله به من طاعتنا وموالاتنا. فذلك وجه الله^(٥) الذي قال: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» وليس مِنَّا مَيِّتٌ يموت، إلّا وخلفه عاقبة منه إلى يوم القيامة.

وقال^(٦) أيضاً أخبرنا عبد الله بن العلاء، عن المذارى^(٧) عن محمد بن الحسن بن شَمُون، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن القاسم، عن صالح بن سهيل^(٨)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» قال: نحن وجه الله تعالى.

١. نفس المصدر / ١٥١، ح ٧.

٣. تأويل الآيات الباهرة، ج ١ ص ٤٢٦.

٥. المصدر: «والله الوجه» بدل «وجه الله».

٧. م والمصدر: المزارى.

٢. ليس في أ.

٤. ليس في المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع.

٨. المصدر: صالح بن سهل.

وقال ^(١) أيضاً: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا مَا أَرِيدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ. وَوَجْهَ اللَّهِ عَلَيَّ عليه السلام».

﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ : الْقَضَاءُ النَافِذُ فِي الْخَلْقِ.

﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٨) : لِلْجَزَاءِ بِالْحَقِّ.

سورة العنكبوت

سورة العنكبوت

مَكِّيَّة كُلُّهَا، وَقِيلَ: مَدَنِيَّة كُلُّهَا. وَقِيلَ: مَكِّيَّة، إِلَّا عَشْرَ آيَاتٍ فِي أَوَّلِهَا فَإِنَّهَا مَدَنِيَّة. وَهِيَ تِسْعٌ وَسِتُّونَ آيَةً^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي كِتَابِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ^(٢) بِإِسْنَادِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْعَنْكَبُوتِ وَالرُّومِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ فِي لَيْلَةٍ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ، فَهُوَ - وَاللَّهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ - مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. لَا أَسْتَنْثِي فِيهِ أَبَدًا، وَلَا أَخَافُ أَنْ يَكْتُبَ اللَّهُ عَلَيَّ فِي عَيْنِي إِثْمًا. وَإِنَّ لِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ مِنَ اللَّهِ مَكَانًا.

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٣): أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَمَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْعَنْكَبُوتِ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بَعْدَ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ.

﴿الْم﴾^(٤): سَبَقَ الْقَوْلُ فِيهِ. وَوُقُوعُ الْإِسْتِفْهَامِ بَعْدَهُ، دَلِيلُ اسْتِقْلَالِهِ بِنَفْسِهِ. أَوْ بِمَا يَضْمُرُ مَعَهُ.

﴿أَحْسِبِ النَّاسَ﴾: الْحِسَابَانِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِمَضَامِينِ الْجَمْلِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى جِهَةِ ثُبُوتِهَا. وَلِذَلِكَ اقْتَضَى مَفْعُولِينَ مُتَلَازِمِينَ. أَوْ مَا يَسْدُ مَسَدَهُمَا كَقَوْلِهِ:

﴿أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٥) فَإِنَّ مَعْنَاهُ: أَحْسَبُوا تَرْكَهُمْ غَيْرَ مَفْتُونِينَ لِقَوْلِهِمْ: آمَنَّا. فَالْتَّرَكُ أَوَّلُ مَفْعُولِيهِ وَغَيْرُ مَفْتُونِينَ مِنْ تَمَامِهِ. وَلِقَوْلِهِمْ: آمَنَّا، هُوَ الثَّانِي، كَقَوْلِكَ: حَسِبْتُ ضَرْبَهُ لِلتَّأْدِيبِ. أَوْ أَنْفُسَهُمْ مَتْرُوكِينَ غَيْرَ مَفْتُونِينَ لِقَوْلِهِمْ: آمَنَّا. بَلْ

٢. ثَوَابِ الْأَعْمَالِ ١٣٦، ح ١.

١. مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٢٧١/٤.

٣. مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٢٧١/٤.

يُمْتَحَنُهُمُ اللَّهُ بِمَشَاقِّ التَّكَالِيفِ كَالْمَهَاجِرَةِ، وَالْمَجَاهِدَةِ، وَرَفْضِ الشَّهَوَاتِ، وَوُظَائِفِ الطَّاعَاتِ، وَأَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ. لِيُتَمَيَّزَ الْمَخْلَصُ مِنَ الْمُنَافِقِ وَالثَّابِتِ فِي الدِّينِ مِنَ الْمُضْطَرِّبِ فِيهِ. وَلِيُنَالُوا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا عَوَالِي الدَّرَجَاتِ. فَإِنَّ مَجْرَدَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَانَ عَنْ خُلُوصٍ، لَا يَقْتَضِي غَيْرَ الْخُلَاصِ مِنَ الْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ.

قِيلَ^(١): إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، جَزَعُوا مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ.

وَقِيلَ: فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، قَدْ عَذَّبَ فِي اللَّهِ.

وَقِيلَ: فِي مَهْجَعِ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَمَاهُ عَامِرُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ^(٢) بِسَهْمٍ [يَوْمَ

بَدْرٍ]^(٣) فَقَتَلَهُ. فَجَزِعَ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ وَأَمْرَأَتُهُ.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: مَتَّصِلٌ «بِأَحْسَبِ» أَوْ «بَلَا يَفْتَنُونَ».

وَالْمَعْنَى أَنَّ ذَلِكَ سَنَةٌ قَدِيمَةٌ جَارِيَةٌ فِي الْأُمَمِ كُلِّهَا. فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَوَقَّعَ خِلَافُهُ.

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتِمَامِ النِّعْمَةِ^(٤) تَوْقِيعٌ مِنْ صَاحِبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ خَرَجَ إِلَى

الْعُمَرِيِّ وَابْنِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَوَاهُ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ^(٥) [جَعْفَرُ: وَجَدْتُهُ مُثَبَّتًا

بِخَطِّ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَفَّكُمَا اللَّهُ [لِطَاعَتِهِ،]^(٧) وَثَبَّتَكُمَا عَلَى دِينِهِ،

وَأَسْعَدَكُمَا بِمَرْضَاتِهِ. انْتَهَى إِلَيْنَا مَا ذَكَرْتُمَا، أَنَّ الْمِثْمِيَّ أَخْبَرَ كَمَا عَنِ الْمُخْتَارِ وَمَنَاطِرَتِهِ

مِنْ لَقِي. وَاحْتِجَاجُهُ بِأَنَّهُ لَا خِلْفَ غَيْرِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ وَتَصَدِيقُهُ إِيَّاهُ. وَفَهَمْتُ جَمِيعَ

مَا كَتَبْتُمَا بِهِ مِمَّا قَالَ أَصْحَابُكُمَا^(٨) عَنْهُ وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْجَلَاءِ، وَمِنَ الضَّلَالَةِ

بَعْدَ الْهُدَى، وَمِنْ مَوْبِقَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُرْدِيَاتِ الْفِتَنِ. فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «أَلَمْ أَحْسَبِ النَّاسَ

أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يَفْتَنُونَ» كَيْفَ يَتَسَاقَطُونَ فِي الْفِتْنَةِ، وَيَتَرَدَّدُونَ فِي

١. أنوار التنزيل ٢٠٤/٢. وفيه: «روى» بدل «قيل».

٢. المصدر: عمار بن الحضرمي.

٣. من المصدر.

٤. كمال الدين وتمام النعمة ٥١٠-٥١١، ح ٤٢.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: «عنه» بدل «بخط سعد بن عبد الله».

٧. من المصدر.

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أصحابكم.

الحيرة، ويأخذون يميناً وشمالاً. فارقوا دينهم أم ارتابوا، أم عاندوا الحق، أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك افتناسوا. والتوقيع طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي^(١): عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» ثم قال لي: ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك، الفتنة في الدين.

فقال: يفتنون كما يُفْتَن الذهب. ثم قال: يخلصون كما يُخْلَص الذهب. وفي نهج البلاغة^(٢): وقام إليه عليه السلام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله ﷺ عنها؟

فقال عليه السلام: لَمَّا أنزل سبحانه قوله: «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» علمت أن الفتنة لا تنزل بنا، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله بها؟

فقال: يا علي، إن أمتي سَيُفْتَنُونَ من بعدي. فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أُحد، حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة، فشَقَّ ذلك عليّ، فقلت لي: فإن الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إن ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذا؟

فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشري والشكر. وقال: يا علي [إن القوم]^(٣) سَيُفْتَنُونَ بأموالهم^(٤) ويمتَنون بدينهم على ربهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء

٢. نهج البلاغة / ٢٢٠، وأخر خطبة ١٥٦.

٤. م: بأموالهم ويحقّقهم.

١. الكافي / ٣٧٠/١، ح ٤.

٣. من المصدر.

الساھية^(١). فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، الربا بالبيع.

قلت: يا رسول الله، فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك، أبنزلة ردة أم ببنزلة فتنة؟ قال: ببنزلة فتنة.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال: علي بن إبراهيم عليه السلام: حدّثني محمد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله تعالى: «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون». قال:

قال: صار العباس إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: امش حتّى يبايع لك الناس.

فقال له: أترأهم فاعلين؟

قال نعم.

قال: فأين قول الله تعالى: «الم، أحسبت الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون».

وقال محمد بن العباس عليه السلام^(٣): حدّثنا أحمد بن محمد، عن سعيد، عن أحمد بن الحسين، عن أبيه، عن حصين بن مخارق، عن عبيد الله بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن الحسين بن علي، عن أبيه صلوات الله عليهم قال: لمّا نزلت «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون» قال: قلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة؟ قال: يا علي، إنك مبتلى بك. وإنك مخاصم فأعد^(٤) للخصومة.

وقال^(٥) أيضاً: حدّثنا أحمد بن هودة، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الله بن حمّاد، عن سماعة بن مهران قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان ذات ليلة في المسجد فلمّا كان قريب^(٦) الصبح، دخل أمير المؤمنين عليه السلام فناداه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا علي.

١. هكذا في المصدر وم. وفي سائر النسخ: التاهية.

٢. تأويل الآيات الباهرة، ج ١ ص ٤٢٧. ٣. نفس المصدر والموضع.

٤. هكذا في م وس والمصدر. وفي سائر النسخ: فأعد.

٥. نفس المصدر والموضع. ٦. هكذا في المصدر، وأ. وفي سائر النسخ: قرب.

قال: لبيك.

قال: هلم إلي. فلما دنا منه قال: يا علي، بت الليلة حيث تراني. فقد سألت ربي ألف حاجة، فقضاها لي. وسألت لك مثلها، فقضاها. وسألت لك ربي، أن يجمع لك أمتي من بعدي فأبى علي ربي. فقال: «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون».

وفي إرشاد المفيد^(١): الفضل بن شاذان، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: لا يكون ما تمدون إليه أعناقكم حتى تُمَيِّزُوا وتمَحْصُوا. ولا يبقى منكم إلا القليل. ثم قرأ: «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون». ثم قال: إن من علامات الفرج، حدث يكون بين المسجدين ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً من العرب.

﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(٢): قيل: فليتعلمن علمه بالامتحان تعلقاً حالياً، لتمييزه الذين صدقوا في الإيمان والذين كذبوا فيه وينوط بهم ثوابهم وعقابهم. ولذلك قيل المعنى: وليميزن. أو ليجازين.

ويجوز أن يكون المعنى: ليصير معلومه موجوداً من صدق جماعة وكذب آخرين. بناء على أن المراد، هو العلم التفصيلي. الذي هو عين المعلوم الذي هو الموجود الخارجي.

وقرئ: «وليعلمن» من الإعلام؛ أي وليعرفنهم؛ كيباض الوجوه وسوادها^(٣). وفي مجمع البيان^(٤): وهو المروي عن جعفر بن محمد، ومحمد بن عبد الله بن الحسن.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): حدّثني أبي، عن محمد بن الفضيل، عن

٢. أنوار التنزيل ٢/٢٠٤.

١. الإرشاد ٣٦٠.

٣. نفس المصدر والموضع. وفيه: وقرئ: «وليعلمن» من «الإعلام» أي وليعرفنهم الله الناس أو يسمنهم بسمه يعرفون بها يوم القيامة؛ كيباض الوجوه وسوادها.

٥. تفسير القمي ١٤٨/٢.

٤. مجمع البيان ٢٧١/٤.

أبي الحسن عليه السلام قال: جاء العباس إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: انطلق نبايع لك الناس.

فقال له أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أوتراهم فاعلين؟

قال: نعم.

قال: فأين قوله صلى الله عليه وآله: «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم» أي اختبرناهم. «فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين».

وفي مجمع البيان^(١): عند قوله «أو يلبسكم شيعاً» وفي تفسير الكلبي: أنه لما نزلت هذه الآية قام النبي صلى الله عليه وآله فتوضأ وأسبغ وضوءه. ثم قام فصلى فأحسن صلاته. ثم سأل الله سبحانه أن لا يبعث عذاباً من فوقهم، أو من تحت أرجلهم، ولا يلبسهم شيعاً، ولا يذيق بعضهم بأس بعض. فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله تعالى سمع مقالتك، وإنه قد أجارهم من خصلتين، ولم يجرحهم من خصلتين. أجارهم من أن يبعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم^(٢). ولم يجرحهم من الخصلتين الأخيرتين. فقال عليه السلام: يا جبرائيل، ما بقاء أمتي مع قتل بعضهم بعضاً. فقام وعاد إلى الدعاء، فنزل «الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون». الآية، فقال: لا بد من فتنة تبلي بها الأمة بعد نبيها، ليتعين^(٣) الصادق من الكاذب. لأن الوحي انقطع وبقي السيف واقتراق الكلمة إلى يوم القيامة.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام [قوله^(٥) لنبئ^(٦)]: «ليس لك من الأمر شيء» فسر له لي.

قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان حريصاً على أن يكون

١. مجمع البيان ٣١٥/٢.

٢. من المصدر.

٣. المصدر: ليتبين.

٤. تفسير العياشي ١٩٧/١-١٩٨، ح ١٤٠.

٥. من المصدر.

٥. آل عمران ١٢٨.

عليّ عليه السلام من بعده على الناس . وكان عند الله خلاف ما أراد رسول الله .

قال : قلت : فما معنى ذلك ؟

قال : نعم ، عنى بذلك قول الله لرسوله عليه السلام : « ليس لك من الأمر شيء » يا محمد في عليّ . الأمر إليّ في عليّ وفي غيره . ألم أنزل ^(١) عليك يا محمد فيما أنزلت من كتابي إليك «الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» إلى قوله : «وليعلمن» قال : فوَض رسول الله عليه السلام الأمر إليه .

وفي إرشاد المفيد رحمته الله ^(٢) وقد جاءت الرواية : أنه لما تمّ لأبي بكر ما تمّ وبايعه من بايع ، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسوّي قبر رسول الله عليه السلام بمسحاة في يده ، وقال له : إنّ القوم قد بايعوا أبا بكر ، ووقعت الخذلة في الأنصار ^(٣) لاختلافهم ، وبدر الطلقاء للعقد ^(٤) للرجل خوفاً من إدراككم الأمر . فوضع طرف المسحاة على الأرض ^(٥) وبده عليها ، ثم قال : «بسم الله الرحمن الرحيم ، الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ، أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون» .

وفي الكافي ^(٦) : رُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في خطبة له : ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه - حيث بعثهم - أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن البلدان ^(٧) ومغارس الجنان وأن يحشر طير السماء ووحش الأرض معهم ، لفعل . ولو فعل لسقط البلاء واضمحَلّ الجزء ^(٨) وبطل الابتلاء ^(٩) ولما وجب للقائلين ^(١٠) أجر المبطلين ^(١١) ولا لحق المؤمنين

١ . المصدر : ألم أنزل (أنزل خ . ل .)

٢ . الإرشاد ١٠١/١-١٠٢ .

٣ . المصدر : للأنصار .

٤ . المصدر : بالعقد .

٥ . هكذا في المصدر ، وفي النسخ : في الأرض . ٦ . الكافي ١٩٨/٤ - ٢٠١ ، ح ٢ .

٧ . المصدر : معادن العقيان .

٨ . المصدر : اضمحلت الأنباء وفي ن : اضمحلّ الابتلاء .

٩ . المصدر ون : بطل الجزء .

١٠ . «القائلين» من القيلولة ؛ يعني : لو لم يكن ابتلاء لكانوا مستريحين ، فلا ينالون أجور المبطلين .

١١ . أجور المبطلين .

ثواب المحسنين. ولالزمت الأسماء أهاليها على معنى مبين. ولذلك لو أنزل الله «من السماء آية فضلت أعناقهم لها خاضعين»^(١) ولو فعل لسقط البلوى عن الناس أجمعين. ولكن الله جل ثناؤه جعل رسله أولي قوة في عزائم نياتهم، وضعفة فيماترى الأعين من حالاتهم. من قناعة تملأ القلوب والعيون غناؤه، وخصاصة تملأ الأسماع والأبصار أداؤه.

ولو كانت الأنبياء أهل قوة لاترام وعزة لاتضام وملك يمدّ نحوه أعناق الرجال ويشدّ إليه عقد الرجال، لكان أهون على الخلق في الاختبار وأبعد لهم في الاستكبار. ولأمنوا عن رهبة^(٢) قاهرة لهم أو رغبة^(٣) مائلة بهم. فكانت النيات^(٤) مشتركة والحسنات مقتسمة. ولكن الله أراد أن يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه والاستكانة لأمره والاستسلام إليه^(٥)، أموراً خاصة لا يشوبها من غيرها مشائبة. وكلما كانت البلوى والاختيار أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل.

ألا ترون أن الله جل ثناؤه اختبر الأولين من لدن آدم إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار ما تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام، الذي جعله للناس قياماً. ثم جعله بأوعر بقاع الأرض حجراً. وأقلّ نتائق الدنيا مدرأ، وأضيق بطون الأودية معاشاً، وأغلظ محالّ المسلمين [مياهاً]. بين جبال خشنة، ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرى منقطعة، وأثر من مواضع قطر السماء وأثر ليس يزكو به خف ولا ظلق^(٦) ولا حافر. ثم أمر آدم وولده أن يشنوا أعطافهم نحوه. فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية لملقى رجالهم، وتهوي إليه ثمار الأفئدة في مفاوز قفار متصلة وجزائر بحار منقطعة ومهاوي فجاج عميقة. حتى يهزوا مناكبهم ذلاً. يهللون الله^(٧)

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: رغبة.

١. الشعراء / ٤.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: رهبة.

٤. ن: السيئات.

٦. ليس في أ.

٥. المصدر: لطاعته.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «الله» بدل «يهللون الله».

حوله . ويرملون على أقدامهم شعناً غبراً له . قد نبذوا القنق والسراويل وراء ظهورهم وحسروا بالصعود^(١) حلقاً عن رؤوسهم ، ابتلاء عظيماً واختياراً كبيراً وامتحاناً شديداً وبليغاً وقنوتاً مبيناً . جعله الله سبباً لرحمته ، ووصلة^(٢) [ووسيلة]^(٣) جنته ، وعلة لمغفرته ، وابتلاء للخلق برحمته .

فلو كان الله تعالى وضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنات وأنهار وسهل وقرار جم الأشجار داني الثمار ملتف النبات متصل القرى من بزة سمراء وروضة خضراء وأرياف محدقة وعراض^(٤) مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة وحدائق كثيرة ، لكان قد صغر الجزاء على حسب ضعف البلاء . ثم لو كانت الأساس المحمول عليها أو الأحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوته حمراء ونور وضياء ، لخفف مصارعة الشك^(٥) في الصدور ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب ولنفي معتلج الريب من الناس . ولكن الله ﷻ يختبر عبده بأنواع الشدائد ويتعبدهم بألوان المجاهدة . وبتليهم بضروب المكارة ، إخراجاً للتكبر من قلوبهم وإسكاناً للتذلل في أنفسهم . وليجعل ذلك أبواباً [فتحاً]^(٦) إلى فضله ، وأسباباً ذللاً لعفوه ، وفتنة . كما قال : «الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» .

وفي شرح الآيات الباهرة^(٧) : وقال أيضاً حدثنا جعفر بن محمد الحسيني^(٨) ، عن إدريس بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمرو بن ثابت ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : فسر لي قوله ﷻ^(٩) لنبيه ﷺ : «ليس لك من الأمر شيء» .

١ . ن ، والمصدر : بالشعور . ٢ . ليس في المصدر .

٣ . من ن والمصدر . ٤ . المصدر : أعراض .

٥ . هكذا في المصدر ، ون . وفي سائر النسخ : الشكر .

٦ . من المصدر . وفيه بهذه الصورة أيضاً . ٧ . تأويل الآيات الباهرة ، ج ١ ص ٤٢٨ .

٨ . م وأر س : الحسيني . ٩ . آل عمران / ١٢٨ .

فقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ حَرِيصاً عَلَى أَنْ يَكُونَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى النَّاسِ. وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ خِلَافُ ذَلِكَ. فَقَالَ: وَعَنِي بِذَلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «الْم، أَحْسَبُ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» قال: فرضي رسول الله ﷺ بأمر الله ﷻ.

وفي جوامع الجامع ^(١): وفي الحديث: كان من قبلكم يؤخذ، فيوضع المنشار على رأسه فيُفَرَّقُ فرقتين، ما يصرفه ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: الكفر والمعاصي. فَإِنَّ الْعَمَلَ يَعْمُ أَعْمَالُ الْقُلُوبِ وَالْجَوَارِحِ.

﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾: أَنْ يَفُوتُونَا. فَلَا نَقْدِرُ أَنْ نَجَازِيَهُمْ عَلَى مَسَاوِنِهِمْ. وهو سَادَ مَسَادَ مَفْعُولِي «حَسِبَ». أو «أَمْ» منقطعة. والإضراب فيها لِأَنَّ هَذَا الْحِسَابَ أَبْطَلَ مِنَ الْأَوَّلِ. ولهذا عَقِبَهُ بِقَوْلِهِ:

﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ^(٢): أَيِ بَشَرٍ الَّذِي يَحْكُمُونَهُ. أو حَكْماً يَحْكُمُونَهُ حَكْمَهُمْ هَذَا. فحذف المخصوص بالذم.

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ ^(٣): قِيلَ: فِي الْجَنَّةِ. وقيل: المراد بِلِقَاءِ اللَّهِ: الْوُصُولُ إِلَى ثَوَابِهِ. أو إِلَى الْعَاقِبَةِ مِنَ الْمَوْتِ [وَالْبَعْثُ] ^(٣) وَالْحِسَابَ وَالْجَزَاءَ. عَلَى تَمَثُّلِ حَالِهِ، بِحَالِ عَبْدٍ قَدِمَ عَلَى سَيِّدِهِ بَعْدَ زَمَانٍ مَدِيدٍ وَقَدْ أَطْلَعَ السَّيِّدُ عَلَى أَحْوَالِهِ. فَإِمَّا أَنْ يَلْقَاهُ بِبَشَرٍ لَمَّا رَضِيَ مِنْ أَعْمَالِهِ، أَوْ يَسْخِطُ [لَمَّا سَخِطَ] ^(٤) مِنْهَا.

﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾: فَإِنَّ الْوَقْتَ الْمَضْرُوبَ لِلْقَائِهِ. ﴿لَا تِ﴾: لِجَاءٍ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ اللَّقَاءِ آتِياً، كَانَ كَائِناً لَا مُحَالَةَ. فَلْيَبَادِرْ مَا يَحَقِّقُ أَمَلَهُ

ويصدق رجاءه. أو ما يستوجب به القرية والرضا.

وفي كتاب التوحيد^(١)، حديث طويل عن عليٍّ عليه السلام يقول فيه، وقد سأله رجل عما اشبه عليه من الآيات وقوله: «من كان يرجو لقاء الله فإنَّ أجل الله لآت» يعني بقوله: من كان يؤمن بأنَّه مبعوث، فإنَّ وعد الله لآت من الثواب والعقاب. فاللقاء ههنا ليس بالرؤية. واللقاء هو البعث. فافهم جميع ما في كتاب الله عن لقائه، فإنَّه يعني بذلك: البعث.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾: لأقوال العباد.

﴿الْعَلِيمُ﴾^(٢): بعقائدهم وأفعالهم.

﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾: نفسه بالصبر على مضض الطاعة، والكف عن الشهوات.

﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾: لأنَّ منفعتة لها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣): فلا حاجة به إلى طاعتهم. وإنَّما كلف عباده رحمة

عليهم، ومراعاة لصلاحهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدَّثنا عبدالعزيز بن يحيى [عن محمد] ^(٥) بن زكريا، عن أيوب بن سليمان، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قوله عليه السلام: «أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون» نزلت في عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وهم الذين بارزوا علياً وحمزة وعبيدة. ونزلت فيهم: «من كان يرجو لقاء الله فإنَّ أجل الله لآت وهو السميع العليم، ومن جاهد فإنَّما يجاهد لنفسه» قال: في عليٍّ وصاحبيه^(٦).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾: الكفر بالإيمان، والمعاصي بما يتبعها من الطاعات.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٧): أي أحسن جزاء أعمالهم.

٢. تأويل الآيات الباهرة ج ١ ص ٤٢٨.

٤. م والمصدر: صاحبه.

١. التوحيد / ٢٦٧، ج ٥.

٣. ليس في المصدر.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾: بإتيانه فعلاً ذا حسن. أو كأنه حسن لفرط

حسنه.

و«وصى» يجري مجرى أمر، معنى وتصرفاً.

وقيل ^(١): هو بمعنى: أي وقلنا له: أحسن بوالديك حسناً.

وقيل ^(٢): [«حسناً»] ^(٣) منتصب بفعل مضمر. على تقدير قول مفسر للتوصية: أي

قلنا أو لهما. أو: افعل بهما حسناً. وهو أوفق لما بعده. وعليه يحسن الوقف على

«بوالديه».

وقرئ: حسناً. أو إحساناً ^(٤).

﴿وَأَنْ جَاهِدْكَ لِشُرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: بإلهيته. عبر نفيها بنفي العلم بها،

إشعاراً بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه، فضلاً عما علم بطلانه.

﴿فَلَا تَطْغَهَا﴾: في ذلك. فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولا بد من

إضمار القول إن لم يضمر قبل.

﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: مرجع من آمن منكم ومن أشرك. ومن برّ بوالديه ومن عقى.

﴿فَأَنْبِئْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ^(٥): بالجزاء عليه.

والآية قيل ^(٥): نزلت في سعد بن أبي وقاص وأمه حمنة. فإنها لما سمعت بإسلامه،

حلفت أن لا تتقل من الصّح ^(٦) ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد. ولبثت ثلاثة أيام

كذلك. وكذا التي في لقمان والأحقاف.

وقيل ^(٧): نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي. وذلك أنه أسلم، فخاف أهل

بيته. فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ﷺ فحلفت أمه أسماء بنت مخزومة بن أبي

٣. من المصدر.

١ و٢. أنوار التنزيل ٢/٢٠٤.

٥. نفس المصدر ٢/٢٠٥.

٤. نفس المصدر والموضع.

٦. الضح: الشمس، أو ضوءها إذا استمكن من الأرض.

٧. مجمع البيان ٤/٢٧٣-٢٧٤.

جندل التميمي، أن لا تاكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل كناً حتى يرجع إليها. فلما رأى ابنها أبو جهل والحرث ابناهشام - وهما أخوا عيَّاش لأمه - جزعها ركبا في طلبه حتى أتيا المدينة. فلقيه وذكر له القصة. فلم يزالا به حتى أخذ عليهما (العهد و^(١)المواثيق، أن لا يصرفاه عن دينه وتبعهما. وقد كانت صبرت أمه ثلاثة أيام ثم أكلت وشربت. فلما خرجا من المدينة أخذاه وأوثقاه [كتافاً]^(٢). وجلده كل واحد منهما مائة جلدة، حتى برئ من دين محمد جزعاً من الضرب وقال ما لا ينبغي. فنزلت الآية. وكان الحرث أشدهما عليه، فحلف عيَّاش لئن قدر عليه خارجاً من الحرم ليضربن عنقه. فلما رجعا إلى مكة مكثوا حيناً. ثم هاجر النبي ﷺ والمؤمنون إلى المدينة. وهاجر عيَّاش وحسن إسلامه. وأسلم الحرث بن هشام، وهاجر إلى المدينة، وباع النبي ﷺ على الإسلام ولم يحضر عيَّاش. فلقيه عيَّاش يوماً بظهر قباء - ولم يشعر بإسلامه - فضرب عنقه. ف قيل له: إن الرجل قد أسلم. فاسترجع عيَّاش وبكى. ثم أتى النبي ﷺ وأخبره بذلك. فنزل «وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ^(٣)» الآية.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (٥): في جملتهم. والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين، و متمنى أنبياء الله المرسلين. أو في مدخلهم، وهي الجنة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾: عذبهم الكفرة على الإيمان.

﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾: ما يصيبهم من أذيتهم في الصرف عن الإيمان.

﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾: في الصرف عن الكفر.

﴿وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: فتح وغنيمة.

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾: في الدين فأشركونا فيه.

والمراد: المنافقون. أو قوم ضعف إيمانهم، فارتدّوا من أذى المشركين. ويؤيد الأول.

﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦): من الإخلاص والنفاق.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: بقلوبهم.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ (١٧): فيجازي الفريقين.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: الذي نسلك في ديننا.

﴿وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾: إن كان ذلك خطيئة. أو إن كان بعث ومواخضة. وإنما أمروا

أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع^(١) مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كانت تشجيعاً لهم عليه. وبهذا الاعتبار ردّ عليهم وكذبهم بقوله:

﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٧): «من» الأولى للتبيين.

والثانية مزيدة. والتقدير: وما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): «من كان يرجو لقاء الله فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» قال: من

أحب لقاء الله جاءه الأجل «ومن جاهد» [أمال]^(٣) نفسه عن اللذات والشهوات

والمعاصي «فإنما يجاهد لنفسه إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» [وقوله]^(٤): «ووصينا الإنسان

بوالديه حسناً» قال: هما اللذان ولداه.

وأما قوله ﷺ «ومن الناس من يقول آمناً بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس

كعذاب الله» قال: إذا آذاه إنسان أو أصابه ضرراً أو فاقة أو خوف من الظالمين، دخل^(٥)

معهم في دينهم. فرأى أنَّ ما يفعلونه هو مثل عذاب الله الذي لا ينقطع «ولئن جاء نصر

من ربك» يعني: القائم صلوات الله عليه «ليقولنَّ إنا كنَّا معكم أوليس الله بأعلم بما في

صدور العالمين» وقوله ﷺ: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ

١. ليس في أ.

٢. تفسير القمي ١٤٨/٢ - ١٤٩.

٥. المصدر: ليدخل.

٣ و٤. من المصدر.

خطاياكم» قال: كان الكفار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا، فإن الذي تخافون أنتم ليس بشيء فإن كان حقاً نتحمل نحن ذنوبكم. فيعذبهم الله ^(١) مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً بذنوبهم [ومَرَّةً بذنوب غيرهم.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أثقال ما اقترفته أنفسهم.

﴿وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: وأثقالاً آخر معها. لما تسببوا ^(٢) له بالإضلال، والحمل على

المعاصي. من غير أن ينقص من أثقال من يتبعهم شيء.

﴿وَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: سؤال تقريع وتبكيث.

﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ^(٣): من الأباطيل.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾: بعد المبعث.

قيل ^(٤): إنه بُعث على رأس الأربعين. ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد

الطوفان ستين ^(٥).

وإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيتته على ما يكابده من الكفرة.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٦)، للطبرسي رحمه الله: عن النبي ﷺ حديث طويل في

مكالمة بينه وبين اليهود. وفيه قال لهم رسول الله ﷺ: لقد أقام نوح في قومه ودعاهم

ألف سنة إلا خمسين عاماً. ثم وصفهم الله تعالى فقللهم، فقال ^(٧): «وما آمن معه إلا

قليل» ولقد تبعني في سني القليلة وعمرى اليسير مالم يتبع ^(٨) نوحاً في طول عمره

وكبر سنه.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة ^(٩)، بإسناده إلى محمد بن الفضيل ^(٩)، عن

١. ليس في المصدر.

٣. أنوار التنزيل ٢٠٥/٢-٢٠٦.

٥. الاحتجاج ٥٧/١.

٧. المصدر: مالم تتبع.

٩. م وأوس ون: محمد بن الفضل.

٢. ليس في أ.

٤. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: ستين.

٦. هود/٤٠.

٨. كمال الدين وتمام النعمة ٢١٥.

أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: فمكث نوح عليه السلام [في قومه] ^(١) ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يشاركه في نبوته أحد.

وفي روضة الكافي ^(٢) بإسناده إلى أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله. علي بن إبراهيم، عن أبيه ^(٣)، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لبث فيهم نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية. فلما أبوا وعتوا قال: رب ^(٤): «إني مغلوب فانتصر» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي عيون الأخبار ^(٥)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي وما سأله عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة حديث طويل. وفيه: وسأله عن اسم نوح ما كان؟ فقال: اسمه السكن. وإنما سمي نوحاً، لأنه ناح على قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

وفي كتاب علل الشرائع ^(٦)، بإسناده إلى أحمد بن الحسن الميثمي، عن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اسم نوح عبدالغفار، وإنما سمي نوحاً، لأنه كان ينوح على نفسه.

وبإسناده إلى سعيد بن جناح ^(٧): عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: اسم نوح عبدالملك. وإنما سمي نوحاً، لأنه بكى خمسمائة عام. وبإسناده إلى محمد بن أورمة ^(٨): عن ذكره، عن سعيد بن جناح، عن رجل، عن

١. من المصدر.

٢. الكافي ١١٥/٨، ضمن حديث ٩٢.

٣. نفس المصدر ٢٨٣/٨، ضمن حديث ٤٢٤.

٤. القمر ١٠/.

٥. عيون الأخبار ٢٤٤/١.

٦. علل الشرائع ٢٨/، ج ١.

٧. نفس المصدر والموضع، ح ٢. وفي النسخ: «سعد بن جناح» انظر تنقيح المقال ٢٦٢، رقم ٤٨٢٠.

٨. نفس المصدر والموضع، ح ٣.

أبي عبدالله عليه السلام قال: كان اسم نوح عبدالأعلى. وإنما سُمِّي نوحاً. لأنه بكى خمسمائة عام.

واختلاف الأخبار في اسم نوح عليه السلام محمول على تعدد اسمه. ولا اختلاف في معنى بكائه. لأنه يمكن اجتماع جميع معانيه.

﴿فَلَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾: طوفان الماء. وهو لما طاف بكثرة، من سيل أو ظلام أو نحوهما.

﴿وَهُم ظَالِمُونَ﴾ (٤): بالكفر.

﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾: أي: نوحاً.

﴿وَأَصْحَابِ السَّفِينَةِ﴾: ومن أركب معه من أولاده وأتباعه.

قيل (١): كانوا ثمانين. وقيل: ثمانية وسبعين. وقيل: عشرة، نصفهم ذكور ونصفهم إناث.

﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾: أي السفينة. أو الحادثة.

﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥): يتعظون، ويستدلون بها.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ﴾: عطف على «نوحاً». أو نصب بإضمار «اذكر» (٢).

وقرئ بالرفع على تقدير: من المرسلين إبراهيم (٣).

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: ظرف «لأرسلنا» أي أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره، بحيث عرف الحق وأمر الناس به. أو بدل منه بدل الاشتمال، إن قُدِّر «بأذكر».

﴿وَاتَّقَوْهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾: مما أنتم عليه.

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٦): الخير والشر، وتميزون ما هو خير مما هو شر. أو كنتم

تنظرون في الأمور بنظر العلم، دون نظر الجهل.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: وتكذبون كذباً في تسميتها آلهة،

وإدعاء شفاعتها عند الله. أو تعملونها وتحتونها للإفك. وهو استدلال على شرارة ماهم عليه، من حيث أنه زور وباطل.

وقرئ «تخلقون» من خلق للتكثير. «وتخلقون» من تخلق للتكلف. «وإفكاً» على أنه مصدر كالكذب. أو نعت بمعنى: ذا إفك^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: دليل ثان على شرارة ذلك، من حيث أنه لا يجدي بطلان.

و«رِزْقاً» يحتمل المصدر. بمعنى: لا يستطيعون أن يرزقوكم، وأن يراد المرزوق. وتنكيره للتعميم.

﴿فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾: كَلَهُ. فَإِنَّهُ الْمَالِكُ.

﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: متوسلين إلى مطالبكم بعبادته، مقيدين لما حَقَّكم من النعم بشكره. أو مستعدين للقاءه بهما. فَإِنَّهُ

﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢): وقرئ بفتح التاء^(٣).

﴿وَأَنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾: مَنْ قَبْلِي مِنَ الرُّسُلِ فَلَمْ يَضُرَّهُمْ^(٤) تكذيبهم. إِنَّمَا ضُرُّ أَنْفُسِهِمْ، حَيْثُ تَسَبَّبَ لِمَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ. فَكَذَا تَكْذِيبُكُمْ.

﴿وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٥): الَّذِي زَالَ مَعَهُ الشُّكُّ، وَمَا عَلَيْهِ أَنْ يُصَدِّقَ وَلَا يَكْذِبَ.

فَالْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ جُمْلَةِ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى قَوْلِهِ: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اعْتِرَاضاً بِذِكْرِ شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَرِيشٍ وَهَدَمَ مَذْهَبَهُمُ وَالْوَعِيدَ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ، تَوَسُّطَ بَيْنِ طَرَفِي قِصَّتِهِ. مِنْ حَيْثُ أَنَّ مَسَاقَهَا تَسْلِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَنْفِيسٌ عَنْهُ. بِأَنَّ أَبَاهُ خَلِيلَ اللَّهِ كَانَ مَمْنُوراً بِنَحْوِ مَا مَنِيَ بِهِ مِنْ شَرِكِ الْقَوْمِ وَتَكْذِيبِهِمْ. وَتَشْبِيهِ حَالِهِ فِيهِمْ بِحَالِ إِبْرَاهِيمَ فِي قَوْمِهِ.

٢. نفس المصدر والموضع.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: فلا يضرهم.

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾: من مادة وغيرها.

وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء، على تقدير القول^(١).

وقرئ: «يبدأ»^(٢).

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: إخبار بالإعادة بعد الموت. معطوف على «أولم يروا» لا على «يبدئ»

فإن الرؤية غير واقعة عليه.

ويجوز أن تؤوّل الإعادة بأن ينشئ في كلّ سنة مثل ما كان السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما. ويُعطَف عليه «إنّ ذلك»: الإشارة إلى الإعادة. أو ما ذكر من الأمرين.

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٣): إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: حكاية كلام الله لإبراهيم. أو محمّد صلى الله عليهما.

﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾: على اختلاف الأجناس والأحوال.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾: بعد النشأة الأولى، التي هي الإبداء. فإنّه والإعادة

نشأتان، من حيث أنّ كلّاً اختراع وإخراج من العدم. والإفصاح باسم «الله» مع إيقاعه

مبتدأ، بعد إضماره في «بدأ» والقياس الاقتصار عليه، للدلالة على أنّ المقصود بيان

الإعادة. وأنّ من عرف بالقدرة على الإبداء، ينبغي أن يحكم له بالقدرة عليها، لأنّها

أهون. والكلام في العطف ما مرّ.

وقرئ: «النشأة» كالرأفة^(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥): لأنّ قدرته لذاته. ونسبة ذاته إلى كلّ الممكنات

على سواء. فيقدر على النشأة الأخرى، كما قدر على النشأة الأولى.

﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾: تعذيبه.

﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾: رحمته.

﴿وَالِيَهُ تُقْلَبُونَ﴾^(٦): تردّون.

٢. نفس المصدر والموضع.

١. نفس المصدر ٢/٢٠٧.

٣. أنوار التنزيل ٢/٢٠٧.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: رَبِّكُمْ عَنْ إِدْرَاكُمْ.

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾: إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ قَضَائِهِ، بِالتَّوَارِي فِي الْأَرْضِ وَالْهَبُوطِ فِي مَهَاوِيهَا وَالتَّحَصُّنِ فِي السَّمَاءِ وَالْقَلَاعِ الذَّاهِبَةِ فِيهَا.
وقيل ^(١): وَلَا مِنْ فِي السَّمَاءِ. كَقَوْلِ حَسَّانَ ^(٢):

أَمِنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سِوَاءِ

﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ^(٣): يَحْرُسُكُمْ عَنْ بَلَاءٍ يَظْهَرُ مِنَ الْأَرْضِ، أَوْ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُدْفَعُهُ عَنْكُمْ.
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بِدَلَائِلِ وَحْدَانِيَّتِهِ أَوْ بِكُتْبِهِ.
﴿وَلِقَائِهِ﴾: بِالْبَعْثِ.

﴿أُولَئِكَ يَنْتَظِرُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾: أَيِ يَنْتَظِرُونَ مِنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالْمَاضِي، لِلتَّحْقِيقِ وَالْمُبَالَغَةِ. أَوْ أَيْسَوا فِي الدُّنْيَا لِإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.
﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ^(٤): بِكُفْرِهِمْ.
﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾: قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ لَهُ.

وقرئ، بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ الْإِسْمُ، وَالْخَبَرُ
﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ ^(٥): كَانَ ذَلِكَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ. لَكِنْ لَمَّا قِيلَ فِيهِمْ وَرَضِيَ بِهِ الْبَاقُونَ، أُسْنِدَ إِلَى كُلِّهِمْ.
﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: أَيِ قَذَفُوهُ فِي النَّارِ، فَأَنْجَاهُ مِنْهَا. بِأَنْ جَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾: فِي إِنْجَائِهِ مِنْهَا.
﴿لَايَاتٍ﴾: هِيَ حِفْظُهُ مِنْ أَذَى النَّارِ، وَإِخْمَادُهَا مَعَ عَظَمَتِهَا فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ، وَإِنْشَاءُ رَوْضٍ مَكَانِهَا.

٢. نفس المصدر والموضع .

١. أنوار التنزيل ٢٠٧/٢ .

٣. نفس المصدر والموضع .

﴿لَقَوْمٌ يُؤْمِنُونَ﴾^(١): لأنهم المتتفعون بالفحص عنها والتأمل.
 ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها.

وثاني مفعولي «اتخذتم» محذوف. ويجوز أن يكون «مودة» المفعول الثاني، بتقدير مضاف. أو بتأويلها بالمودودة، أي اتخذتم أوثاناً سبب المودة بينكم.
 وقرأها نافع وابن عامر وأبو بكر، منونة ناصبة «بينكم» والوجه ماسبق. وابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس، مرفوعة مضافة. على أنها خبر مبتدأ محذوف؛ أي هي مودودة. أو سبب [مودة بينكم]. والجملة صفة «أوثاناً». أو خبر «إن» على أن «ما» مصدرية، أو موصولة. والعائد محذوف. وهو المفعول الأول^(٢).

وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح «بينكم». كما قرئ: «لقد تقطع بينكم». وقرأ: «إِنَّمَا مَوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ»^(٣).

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: أي يقوم التناكر والتلاعن بينكم. أو بينكم وبين الأوثان، على تغليب المخاطبين. كقوله^(٤): «ويكونون عليهم ضدًا».

وفي أصول الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد^(٦)، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: والوجه الخامس من الكفر، كفر البراءة. «وقال إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا» يعني: يتبرأ بعضكم من بعض. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في ن.

٤. الكافي ٣٩٠/١ و٣٩١.

٥. الكافي ٣٩٠/١ و٣٩١.

٦. في المصدر: «القاسم بن يزيد» انظر. تنقيح المقال ١٨/٢، رقم ٩٥٥٥.

وفي روضة الكافي^(١): يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن مالك الجهني قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا مالك، إنه ليس من قوم انتموا بإمام في الدنيا، إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه. إلا أنتم ومن كان على مثل حالكم. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب التوحيد^(٢)، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام وقد سأله رجل عما اشبه عليه من الآيات: وأما قوله^(٣): «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً» وقوله^(٤): «والله ربنا ما كنا مشركين» وقوله: «يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً»^(٥) وقوله: «إن ذلك لحق تخاصم أهل النار» وقوله^(٦): «لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد» وقوله^(٧): «اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون». فإن ذلك في مواطن غير واحد، من مواطن ذلك اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة. يجمع الله الخلائق يومئذ في مواطن يتفرقون، ويكلم بعضهم بعضاً، ويستغفر بعضهم لبعض. أولئك الذين كان منهم الطاعة في دار الدنيا، الرؤساء^(٨) والأتباع. ويلعن أهل المعاصي الذين بدت منهم البغضاء وتعاونوا على الظلم والعدوان في دار الدنيا، المستكبرين والمستضعفين. يكفر بعضهم ببعض. ونظيرها في سورة إبراهيم قول الشيطان^(٩): «إني كفرت بما أشركتمون من قبل» وقول إبراهيم خليل الرحمن^(١٠): «كفرنا بكم» أي تبرأنا.

وفي محاسن البرقي^(١١) عنه، عن أبيه عن حمزة بن عبد الله، عن جميل بن دراج،

١. نفس المصدر ١٤٦/٨، ضمن حديث ١٢٢. ٢. التوحيد/٦٠ ج ٥.

٣. النبأ/٣٨. ٤. الأنعام/٢٣.

٥. ص/٦٤. ٦. ق/٢٨.

٧. يس/٦٥. ٨. المصدر: للرؤساء.

٩. إبراهيم/٢٢. ١٠. الممتحنة/٤.

١١. المحاسن/١٤٤، ج ٤٣.

عن مالك بن أعين، عن أبي عبدالله عليه السلام: يا مالك، أما ترضون أن يأتي كل قوم يلعن بعضهم بعضاً إلا أنتم ومن قال بمقاتلتكم^(١).

﴿وَمَا وَائِكُمُ النَّارُ وَمَالَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^(٢): يخلصونكم منها.

﴿فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ﴾: هو ابن أخته، وأول من آمن به.

وقيل^(٣): إنه آمن به حين رأى النار لم تحرقه.

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾: من قومي.

﴿إِلَى رَبِّي﴾: إلى حيث يأمرني ربي.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى محمد بن الفضل، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حديث طويل. يقول في آخره عليه السلام وإن الأنبياء بعثوا خاصة وعامة. أما إبراهيم نبوته بكوثي [رباً]^(٥) وهي قرية من قرى السواد فيها بدأ أول أمره، ثم هاجر منها وليست بهجرة قتال. وذلك قول الله تعالى: «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ»^(٦) وكانت هجرة إبراهيم بغير قتال. وأما إسحاق فكانت نبوته بعد إبراهيم. وأما يعقوب فكانت نبوته بأرض كنعان، ثم هبط إلى مصر فتوفي فيها.

وفي أصول الكافي^(٧): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أبي يحيى الواسطي، عن هشام [بن سالم]^(٨) ودرست بن أبي منصور، عنه قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبى متبأ في نفسه لا يعدو غيرها. ونبى يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة، ولم يُبعث إلى أحد، وعليه

١. المصدر: يقولكم.

٢. كمال الدين وتمام النعمة / ٢١٩ و ٢٢٠، ج ٢. ٤. من المصدر.

٥. هكذا في النسخ والمصدر. والحق ما قال محقق المصدر في هامشه: سهر من المؤلف أو الراوي وفي المصحف «إني ذاهب» أو بدون «سيهدين». ٦. الكافي / ١٧٤/١ - ١٧٥، صدر حديث ١.

٧. من المصدر.

إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليه السلام والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .
وفي روضة الكافي ^(١) : علي بن إبراهيم ، عن أبيه وعدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخي قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كانت أم إبراهيم وأم لوط عليهما السلام سادة ^(٢) وورقة - وفي نسخة رقية - أختين . وهما ابنتان للراح . وكان الراح نبياً منذراً ، ولم يكن رسولاً والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ : الذي يمنعني عن أعدائي .

﴿ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) : الذي لا يأمرني إلا بما فيه صلاحي .

روي ^(٤) : أنه هاجر من كوثي من سواد الكوفة مع لوط وامراته سارة ابنة عمه إلى حرّان ثم منها إلى الشام . فنزل فلسطين ، ونزل لوط سدوم .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ : ولداً وناقلة ، حين أيس عن الولادة من عجوز عاقر .

ولذلك لم يذكر إسماعيل .

﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ ﴾ : فكثر منهم الأنبياء .

﴿ وَالْكِتَابَ ﴾ : يريد به الجنس ، ليتناول الكتب الأربعة .

﴿ وَآتَيْنَاهُ آجُرَهُ ﴾ : على هجرته إلينا .

﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ : بإعطاء الولد في غير أوانه ، والذرية الطيبة ، واستمرار النبوة فيهم ، وانتفاء أهل الملل إليه ، والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر .

﴿ وَرَأَاهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٥) : لفي عداد الكاملين في الصلاح .

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمته الله ^(٦) بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل . يقول فيه عليه السلام : اعلموا ^(٧) يا عباد الله ، أن المؤمن من يعمل لثلاث من الثواب : إما الخير ، فإن الله

١ . نفس المصدر ٣٧٠/٨ ، ضمن حديث ٥٦٠ . ٢ . المصدر : سارة .

٣ . أنوار التنزيل ٢٠٨/٢ . ٤ . أمالي الطوسي ٢٥/١ .

٥ . هكذا في ن ، وم . وفي سائر النسخ : اعلموا .

يثبته بعمله في دنياه. قال سبحانه لإبراهيم: «وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا والآخرة وكفاه الله فيهما.

﴿لُوطًا﴾: عطف على «إبراهيم». أو على ما عطف عليه.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾: الفعلة البالغة في القبح.

﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١٥): استيناف مقرر لفاحشتها. من حيث أنها

مما اشمأزت منه الطباع، وتحاشت عنه النفوس حتى أقدموا عليها لخبث طبيعتهم.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام في قول

لوط: «إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ».

فقال: إن إبليس أتاهم في صورة حسنة، فيه تأنيث، عليه ثياب حسنة. فجاء إلى

شبان منهم. فأمرهم أن يقعوا به. ولو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه، لكن طلب إليهم

أن يقعوا به. فلما وقعوا به التذوه. ثم ذهب عنهم وتركهم، فأحال بعضهم على بعض.

وفي الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن

أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليه السلام مثله.

﴿أَنْتُمْ لَأَتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: وتعرضون للسبالة بالقتل وأخذ المال.

أو بالفاحشة. حتى انقطعت الطرق. أو تقطعون سبيل النسل، بالإعراض عن الحرث

وإتيان ما ليس بحرث.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ﴾: في مجالسكم الغاصة. ولا يقال: النادي، إلا لما فيه أهله.

﴿الْمُنْكَرَ﴾: كالجماع، والضراط، وحل الإزار، وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها.

وقيل^(٣): الخذف ورمي البنادق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): «وقوله جل ذكره: «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ»

١. علل الشرائع ٥٤٨، ح ٣.

٢. الكافي ٥٤٤/٥، ح ٤.

٣. أنوار التنزيل ٢٠٩/٢.

٤. تفسير القمي ١٥٠/٢.

قال: هم قوم لوط. [كان يضرب بعضهم على بعض] (١).

وفي عوالي اللثالي (٢): وروي عن النبي ﷺ أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَخْذِفُ بِحِصَاةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ ﷺ: مَا زِلْتَ تَلْعَنُهُ حَتَّى وَقَعْتَ. ثُمَّ قَالَ: الْخَذَفُ فِي النَّادِي مِنْ أَخْلَاقِ قَوْمِ لُوط. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ». قال: هو الخذف. وفي مجمع البيان (٣): «وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ» قيل: فيه وجوه: أحدهما، هو أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَضَارَطُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ مِنْ غَيْرِ حِشْمَةٍ وَلَا حَيَاءٍ. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ الرُّضَاءِ (٤).

وفي جوامع الجامع (٥): وفي الحديث: من ألقى جلباب الحياء، فلا غيبة له. ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّتُمْ إِعْدَابُ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٦): في استقبح ذلك. أو في دعوة النبوة، المفهومة من التوبيخ.

﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾: بإزالة العذاب.

﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧): بابتداع الفاحشة، وسنّها فيمن بعدهم. وصفهم بذلك، مبالغة في استنزال العقاب، وإشعاراً بأنهم أحقّاء بأن يعجل لهم العذاب.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾: بالبشارة بالولد والثلاثة.

﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: قرية سدوم. والإضافة لفظية، لأنّ المعنى على

الاستقبال.

﴿إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٨): تعليل لإهلاكهم. بإصرارهم وتماديهم في ظلمهم،

الذي هو الكفر وأنواع المعاصي.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾: اعتراض عليهم، بأن فيها من لم يظلم. أو معارضة للموجب

بالمانع، وهو كون النبي بين أظهرهم.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّاهُ وَأَهْلَهُ﴾: تسليم لقوله. مع ادّعاء مزيد العلم به،

١. عوالي اللثالي ١/٣٢٧، ج ٧٢.

٢. جوامع الجامع ٣٥٣.

٣. ليس في المصدر.

٤. مجمع البيان ٢٨٠/٤.

وأنهم ما كانوا غافلين عنه . وجواب عنه بتخصيص الأهل بمن عداه .

﴿إِلَّا أَمْرًا تَكُنْتُمْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٣١) : الباقيين في العذاب . أو القرية .

وفي الكافي^(١) : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن فضال ، عن داود بن فرقد ، عن أبي يزيد الحماد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إِنْ الله ﷻ بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط : جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وكرويل . فمروا بإبراهيم عليه السلام وهم معتمون ، فسلموا عليه . فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة ، فقال : لا يخدم هؤلاء إلا أنا بنفسي . وكان صاحب ضيافة . فشوى لهم عجلًا سمينًا حتى أنضجته ، ثم قرّبه إليهم . فلمّا وضع بين أيديهم ، رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة . فلمّا رأى ذلك جبرائيل عليه السلام حسر العمامة عن وجهه . فعرفه إبراهيم عليه السلام فقال : أنت هو ؟

فقال : نعم ومرّت سارة امرأته «فبشّرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب»^(٢) . فقالت ما قال الله ﷻ فأجابوها بما في الكتاب .

فقال لهم إبراهيم : لماذا جنتم ؟

قالوا : في إهلاك قوم لوط .

فقال لهم : إن كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم ؟

فقال جبرائيل عليه السلام : لا .

قال عليه السلام : فإن كان فيها خمسون ؟

قال : لا .

[قال : فإن كان فيها ثلاثون ؟

قال : لا] (٣) .

قال : فإن كان فيها عشرون ؟

قال : لا .

١ . الكافي ٥٤٦٥ - ٥٤٧ ، صدر حديث ٦ . ٢ . هود / ٧١ .

٣ . من ن والمصدر .

فإن كان فيها عشرة؟

قال: لا.

قال: فإن كان فيها خمسة؟

قال: لا.

قال: فإن كان فيها واحد؟

قال: لا. «قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيَنه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين» قال الحسن بن علي: لا أعلم هذا القول إلا وهو يستبقيهم^(١). وهو قول الله ﷻ: «يجادلنا في قوم لوط».

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام أن رسول الله ﷺ سأل جبرائيل: كيف كان مهلك قوم لوط؟

فقال: إن قوم لوط كانوا أهل قرية لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهرون من الجنابة، بخلاء أشحاء على الطعام. وإن لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة. وإنما كان نازلاً عليهم، ولم يكن منهم ولا عشيرة له [فيهم] ولا قوم. وأنه دعاهم إلى الله ﷻ وإلى الإيمان واتباعه، ونهاهم عن الفواحش، وحثهم على طاعة الله، فلم يجيبوه ولم يطيعوه، وإن الله ﷻ لما أراد عذابهم، بعث إليهم رسلاً منذرِينَ عذراً نذراً. فلما عتوا عن أمره، بعث إليهم ملائكة ليخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين. فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين، فأخرجوهم^(٤) منها. وقالوا للوط «أسرِ بأهلك» من هذه القرية الليلة «بقطع من الليل ولا يلتفت منكم^(٥) أحد» «وامضوا حيث تؤمرون»^(٦).

فلما انتصف الليل، سار لوط ببناته. وتولت امرأته مدبرة، فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أن لوطاً قد سار ببناته. وإنني نوديت من تلقاء العرش لما طلع

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يستفهم.

٢. علل الشرائع/٥٥٠-٥٥١، ح ٥. وله ذيل.

٣. المصدر: فأخرجهم.

٤. الحجر/٦٥.

٥. هود/٨١.

٦. هود/٧٤.

الفجر: يا جبرائيل، حقّ القول من الله بختم^(١) عذاب قوم لوط. فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حَوّت، فاقبلها^(٢) من تحت سبع أرضين. ثمّ اعرج بها إلى السماء، فأوقفها حتّى يأتيك أمر الجبار في قلبها. ودع منها آية بيّنة من منزل لوط، عبرة للسّيّارة. فهبطت على أهل القرية الظالمين. فضربت بجناحي الأيمن على ما حوى عليها شرقها^(٣) وضربت بجناحي الأيسر على ما حوى عليها غربها^(٤) فاقتلعتها - يا محمّد - من تحت سبع أرضين، إلّا منزل لوط آية للسّيّارة. ثمّ عرجت بها في خوافي جناحي، حتّى أوقفتها حيث يسمع أهل السماء زقاء ديوكها ونباح كلابها. فلمّا طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش: يا جبرائيل، اقلب القرية على القوم فقلبتهم عليهم، حتّى صار أسفلها أعلاها. وأمطر الله عليهم «حجارة من سجيل» «مسومة عند ربك وماهي من الظالمين» من أمّتك «ببعيد»^(٥).

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ : جاءته المساءة والغم بسببهم. مخافة أن يقصدهم قومه بسوء.

و«أن» صلة، لتأكيد الفعلين واتّصالهما.

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ : وضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه؛ أي طاقته. كقوله: ضاقت يده. وبإزائه رحب ذرعه بكذا: إذا كان مطيقاً له. وذلك، لأنّ طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع.

﴿وَقَالُوا﴾ : لمّا رأوا فيه أثر الضجرة.

﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ : على تمكّنهم منّا.

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾^(٦) : وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ويعقوب: «لنجيتّه» و«منجوك» بالتخفيف. ووافقهم أبو بكر في الثاني.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تحتمّ. ٢. المصدر: فاقبلها.

٣. المصدر: شرقها. ٤. المصدر: غربها.

٥. هود ٨٢-٨٣.

وموضع «الكاف» على المختار الجرّ. ونصب «أهلك» بإضمار فعل. أو بالعطف على محلّها، باعتبار الأصل^(١).

﴿إِنَّا مَنَزَّلُونَا عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: عذاباً منها. سُمّي بذلك، لأنّه يلقى المعبّد. من قولهم: ارتجز: إذا ارتجس، أي اضطرب.

وقرأ ابن عامر: «منزّلون» بالتشديد^(٢).

﴿يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٣): بسبب فسقهم.

﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾: قيل^(٤): هي حكايتها الشائعة. أو آثار الديار الخربة.

وقيل: الحجارة الممطرة. فإنّها كانت باقية بعد.

وقيل: بقية أنهارها المسوّدة.

﴿لَقَوْمٌ يَّعْقِلُونَ﴾^(٥): يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار. وهو متعلّق

«بتركنا». أو «آية». أو «بيّنة».

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾: وافعلوا ما

ترجون ثوابه. فأقيم المسبّب مقام السبب.

وقيل^(٦): إنّ من الرجاء؛ بمعنى: الخوف.

﴿وَلَا تَسْغَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٧) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَاخْذَنَّهُمُ الرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة

الشديدة.

وقيل^(٨): صيحة جبرائيل، لأنّ القلوب ترجف لها.

﴿فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾: في بلدهم أو دورهم. ولم يجمع، لأمن اللبس.

﴿جَائِمِينَ﴾^(٩): باركين على الركب، ميتين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَ﴾: منصوبان بإضمار «اذكر». أو فعل دلّ عليه ما قبله؛ مثل: أهلكنا.

وقرأ حمزة وحفص ويعقوب: «وثمود» غير مصروف. على تأويل القبيلة.

﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ﴾: أي تبين لكم بعض مساكينهم. أو إهلاكهم من جهة مساكينهم، إذا نظرتم إليها عند مروركم بها.

﴿وَرَبَّنَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ﴾: من الكفر والمعاصي.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: السوي. الذي بين الرسل لهم.

﴿وَكَانُوا مُتَبَصِّرِينَ﴾ (٣٨): متمكنين من النظر والاستبصار، ولكنهم لم يفعلوا. أو متبينين أن العذاب لاحق بهم بإخبار الرسل لهم، ولكنهم لجوا حتى هلكوا.

وفي مصباح الشريعة^(١): قال الصادق عليه السلام بعد أن ذكر الشيطان: ولا يغرنك تزيينه الطاعات عليك. فإنه يفتح لك تسعة وتسعين باباً من الخير، ليظفر بك عند تمام المائة. فقابله بالخلاف، والصد عن سبيله، والمضادة باستهوائه^(٢).

﴿وَقَارُونُ وَفِرْعَوْنُ وَهَامَانَ﴾: معطوفون على «عاداً». وتقديم قارون، لشرف نسبه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (٣٩): فائتين. بل أدركهم أمر الله. من سبق طالبه: إذا فاته.

﴿فَكَلَّا﴾: من المذكورين.

﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ﴾: عاقبنا بذنبه.

﴿فَعَمِئْتُمْ مِنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: ريحاً عاصفاً فيها حصباء. أو ملكاً رماهم بها، كقوم لوط.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾: كمدين وشمود.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: كفارون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾: كقوم نوح وفرعون وقومه.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾: ليعاملهم معاملة الظالم. فيعاقبهم بغير جرم، إذ ليس ذلك من عادته.

١. شرح فارسي لمصباح الشريعة / ٧٩ ومصباح الشريعة / ٢٢٨ - ٢٢٩.

٢. المصدر: بأهوائه.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١): بالتعريض للعذاب.

وفي كتاب الخصال^(٢): عن جعيد الهمداني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إِنْ فِي التَّابُوتِ الْأَسْفَلِ [مِنَ النَّارِ اثْنَيْ عَشَرَ] ^(٣) سِتَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِتَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ. فَأَمَّا السِتَّةُ مِنَ الْأَوَّلِينَ: فابن آدم قاتل أخيه، وفرعون الفراعنة، والسامري، والدجال كتابه في الأولين ويخرج في الآخرين، وهامان، وقارون.

وفيه^(٤): قال أبو ذرٍّ: أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: شَرُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ اثْنَا عَشَرَ: سِتَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَسِتَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ. ثُمَّ سَمِيَ سِتَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ: ابْنُ آدَمَ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ، وَفِرْعَوْنَ، وَهَامَانَ، وَقَارُونَ، وَالسَّامِرِيَّ، وَالدَّجَالَ اسْمُهُ فِي الْأَوَّلِينَ وَيُخْرَجُ فِي الْآخِرِينَ، وَالْحَدِيثَانِ طَوِيلَانِ أَخَذْتُ مِنْهُمَا مَوْضِعَ الْحَاجَةِ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾: فيما اتَّخَذُوهُ مَعْتَمِداً مَتَكَلِّفاً.

﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً﴾: إِذْ مَثَلَهُمْ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَوْحَدِ، كَمَثَلِهَا بِالْإِضَافَةِ إِلَى رَجُلٍ بَنَى مِنْ حَجَرٍ وَجَصَّ فِيهِمَا نَسْجَتَهُ مِنَ الْوَهْنِ وَالْخَوَرِ، بَلْ ذَاكَ أَوْهَنُ. فَإِنَّ لِهَذَا حَقِيقَةً وَانْتِفَاعاً عَاماً.

و«العنكبوت» يقع على الواحد، والجمع، والمذكر، والمؤنث. والتاء فيه، كثناء طاغوت. ويجمع على عناكيب، وعنكاب، وعكاب، وعكبة، وأعكب.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جدِّه عليه السلام قال: المَسْخُوحُ مِنْ بَنِي آدَمَ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ صَنَفاً - إِلَى أَنْ قَالَ -: وَأَمَّا الْعَنْكَبُوتُ، فَكَانَتْ امْرَأَةً سَيِّئَةَ الْخُلُقِ عَاصِيَةً لَزَوْجِهَا مَوْلِيَةً عَنْهُ. فَمَسَخَهَا اللَّهُ عَنْكَبُوتاً.

عن جعفر بن محمد^(٥)، عن أبيه، عن جدِّه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سألت

١. الخصال / ٤٨٥، ح ٥٩. وله ذيل .

٢. ليس في المصدر .

٣. نفس المصدر / ٤٥٨، ضمن حديث ٢ .

٤. نفس المصدر / ٤٩٣، ضمن حديث ١ .

٥. نفس المصدر / ٤٩٤، ضمن حديث ٢ .

رسول الله ﷺ عن المسوخ. فقال: هم ثلاثة عشر - إلى أن قال: - وأما العنكبوت، فكانت امرأة تخون زوجها.

عن سعيد بن علاقة^(١) قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ترك نسج العنكبوت في البيت يورث الفقر.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، بإسناده إلى علي بن جعفر عن أخيه موسى بن^(٣) جعفر عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام وأما العنكبوت، فكانت امرأة سحرت زوجها. وبإسناده إلى علي بن جعفر^(٤) عن معتب مولى جعفر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن علي، عن النبي ﷺ مثله.

﴿وَأَنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾: لا بيت أوهن وأقلّ وقاية للحرّ والبرد منه. ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٥): يرجعون إلى علم، لعلموا أنّ هذا مثلهم. أو أنّ دينهم أوهن من ذلك.

ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت: دينهم سمّاه به، تحقيقاً للتّمثيل. فيكون المعنى: وإنّ أوهن ما يُعتمد في الدين دينهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): محمّد بن خالد البرقي، عن سيف بن عميرة، عن أخيه، عن أبيه، عن سالم بن مكرم، عن أبيه، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله ﷻ: «كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت» قال: هي الحميماء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾: على إضمار القول، أي قل للكفرة: إنّ الله يعلم.

١. نفس المصدر ٥٠٤/، صدر حديث ٢. وفي النسخ: «سعد بن علاقة» وهو خطأ. انظر تنقيح المقال ٢٩/٢.

رقم ٤٨٥٣. ٢. علل الشرائع ٤٨٦/، ضمن حديث ٢.

٣. المصدر: موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام. ٤. نفس المصدر ٤٨٨/، ضمن حديث ٥.

٥. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣٠.

وقرأ البصريّان ويعقوب بالياء. حملاً على ما قبله^(١).

«وما» استفهاميّة، منصوبة «يدعون» و«يعلم» معلقة عنها.

و«من» للتبيين. أو نافية. و«من» مزيدة. و«شيء» مفعول «تدعون». أو مصدرية.

و«شيء» مصدر. أو موصولة مفعول «ليعلم» ومفعول «يدعون» عائدها المحذوف. والكلام على الأولين تجهيل لهم، وتوكيد للمثل. وعلى الآخرين وعيد لهم.

﴿وَهُوَ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾^(١٢): تعليل على المعنيين. فإنّ من فرط الغباوة إشراك ما لا يعدّ شيئاً، بمن هذا شأنه. وإنّ الجماد بالإضافة إلى القادر على كلّ شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم. وإنّ من هذا صفته قادر على مجازاتهم.

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾: يعني هذا المثل ونظائره.

﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾: تقريباً لما بعد منه أفهامهم.

﴿وَمَا يَعْقُلُهَا﴾: ولا يعقل حسننها وفائدتها.

﴿إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(١٣): الذي يتدبرون الأشياء على ما ينبغي.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١٤): «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» يعني: آل محمّد صلوات الله عليهم.

وفي مجمع البيان^(١٥): «وما يعقلها إلا العالمون» وروى الواحديّ بالإسناد عن جابر قال: تلا النبي ﷺ هذه الآية وقال: العالم الذي عقل عن الله، فعمل بطاعته واجتنب سخطه.

وفي بصائر الدرجات^(١٦): محمّد بن الحسين، عن يزيد بن سعد، عن هارون بن حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم» قال: هم الأئمة خاصّة «وما يعقلها إلا العالمون» فزعم أنّ من عرف الإمام والآيات ممّن يعقل ذلك.

٢. تفسير القمي ١٥٠/٢.

١. أنوار التنزيل ٢١٠/٢ - ٢١١.

٤. بصائر الدرجات ح ١٧، ص ٢٢٧.

٣. مجمع البيان ٢٨٤/٤.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): محمد بن العباس عليه السلام قال: حَدَّثَنَا الحسين بن عامر، عن محمد بن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن مالك بن عطية، عن محمد بن مروان، عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وما يعقلها إِلَّا العالمون» قال: نحن هم صدقاً صلوات الله عليهم لأنّ منتهى العلم جميعه يرجع إليهم. لأنهم الراسخون في العلم، وإليهم الأمر فيه والحكم.

﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾: غير قاصد به باطلاً. فإنّ المقصود بالذات من خلقها، إفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته. كما أشار إليه بقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعالى: لأنهم المتفعون بها.

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: تقرّباً إلى الله بقراءته، وتحفظاً لألفاظه، واستكشافاً لمعانيه. فإنّ القارئ المتأمل، قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾: بأن تكون سبباً للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها. من حيث أنّها تذكّر الله، وتورث النفس خشية منه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٢): ثمّ خاطب الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله فقال جلّ ذكره: «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» قال: من لم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر، لم تزده^(٣) من الله تعالى إلّا بعداً.

وفي كتاب التوحيد^(٤): وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: الصلاة حجرة الله. وذلك أنّها تحجز المصلّي عن المعاصي مادام في صلاته. قال الله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ».

١. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣٠. ٢. تفسير القمي ١٥٠/٢. ٣. المصدر: يزد. ٤. التوحيد ١٦٧، ح ٤.

وفي مجمع البيان^(١): وروى أنس بن مالك [الجهني]^(٢) عن النبي ﷺ أنه قال: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعداً.

وأيضاً عن النبي ﷺ أنه قال: لا صلاة لمن لم يطع الصلاة. وطاعة الصلاة أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر.

وروى أنس^(٤): أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلوات^(٥) مع رسول الله ﷺ ويرتكب الفواحش، فوصف ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إن صلاته تنهاه يوماً.

وعن جابر قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن فلاناً يصلي بالنهار ويسرق بالليل! فقال: إن صلاته لتردعه.

وروى أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام^(٦) قال: من أحب أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تُقبل، فليُنظر هل منعه صلاته عن الفحشاء والمنكر. فبقدر ما منعه قُبلت منه.

وفي كتاب سعد السعود^(٧) لابن طاوس عليه السلام: وقد روي في الجزء الأول من كتاب المهمات والتتمات صفة الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾: قيل^(٨): والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبّر عنها به، للتعليل بأن اشتغالها على ذكره هي العمدية في كونها مفضّلة على الحسنات ناهية عن السيئات. أو لذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته.

وفي أصول الكافي^(٩): علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن الحسين بن عبد الرحمن، عن سفيان الحريري، عن أبيه، عن سعد الخفاف، عن أبي جعفر عليه السلام

قال: قلت: جعلت فداك يا أبا جعفر، وهل يتكلم القرآن؟

فتبسّم ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا، إنهم أهل التسليم. ثم قال: نعم يا سعد،

١. مجمع البيان ٢٨٥/٤.

٢. من المصدر.

٣ و٤. نفس المصدر والموضع.

٥. المصدر: الصلاة.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. سعد السعود ١٧٦.

٨. الكافي ٥٩٨/٢، ذيل حديث ١، وأوله في ص ٥٩٦.

٨. أنوار التنزيل ٢١١/٢.

والصلاة تتكلم، ولها صورة وخلق، تأمر وتنهاي.

قال: فتغير لذلك لوني، وقلت: هذا شيء لا أستطيع أن^(١) أتكلم به في الناس.

فقال أبو جعفر: وهل الناس إلا شيعتنا. فمن لم يعرف الصلاة، فقد أنكر حقنا^(٢). ثم

قال: يا سعد، أسمعك كلام القرآن؟

قال سعد: فقلت: بلى صلى الله عليك.

فقال: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» فالنهي كلام.

والفحشاء والمنكر رجال. ونحن ذكر الله. ونحن أكبر. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في

قوله: «ولذكر الله أكبر» يقول: ذكر الله لأهل الصلاة أكبر من ذكرهم إياه. ألا ترى أنه

يقول^(٤): «اذكروني أذكركم».

وفي مجمع البيان^(٥): وروى أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ولذكر الله أكبر»

قال: ذكر الله عند ما أحل أو حرم.

وعن معاذ بن جبل^(٦) قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟

قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله ﷻ.

وقال عليه السلام: يا معاذ، إن السابقين، الذين يسهرون بذكر الله ﷻ ومن أحب أن يرتع^(٧)

في رياض الجنة، فليكثر ذكر الله ﷻ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾^(٨): منه ومن سائر الطاعات. فيجازيكم به أحسن

المجازاة.

١. المصدر: [أنا].

٢. ن: حقها.

٣. تفسير القمي ١٥٠/٢.

٤. البقرة ١٥٢.

٥. لم نثر عليه في مجمع البيان ولكن: في تفسير نور الثقلين، ١٦٢/٤، ح ٦١ وتفسير الصافي ١١٩/٤ نقلًا

عنه.

٦. مجمع البيان ٢٨٥/٤ - ٢٨٦.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يرتفع.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: إلّا بالخصلة التي هي أحسن^(١).

كمعارضة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح.

وقيل^(٢): هو منسوخ بآية السيف، إذ لا مجادلة أشد منه. وجوابه أنه آخر الدواء.

وقيل: المراد به، ذور العهد منهم.

وفي كتاب الاحتجاج^(٣)، للطبرسي عليه السلام، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: نحن

المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبياً.

وقال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام^(٤): ذكر عند الصادق عليه السلام الجدل في الدين،

وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والأنمة عليه السلام قد نهوا عنه.

فقال الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقاً. ولكنه نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن.

أما تسمعون الله تعالى يقول: «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلّا بالتي هي أحسن» [وقوله^(٥):

«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» فالجدال

بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين والجدال بغير التي هي أحسن محرّم حرّمه الله

على شيعتنا. وكيف يحرم الله [الجدال]^(٦) جملة وهو يقول^(٧): «وقالوا لن يدخل الجنة

إلّا من كان هوداً أو نصارى» قال الله تعالى^(٨): «تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم

صادقين» فجعل الله علم الصدق والإيمان بالبرهان. وهل يؤتى ببرهان إلّا بالجدال

١. يوجد في هامش نسخة م: في أواخر توحيد ابن بابويه، في باب النهي عن الكلام والجدال والمراء في

الله تعالى [التوحيد ٤٥٩/ح ٢٦]: أبي عليه السلام: حدّثنا سعد بن عبدالله قال: حدّثنا محمد بن عيسى قال:

قرأت كتاب علي بن بلال أنه سأله الرجل: يعني: أبا الحسن عليه السلام أنه روي عن أبانك عليه السلام أنهم نهوا عن

الكلام في الدين. فتأول مواليك المتكلمون بأنه إنّما نهى من لا يحسن أن يتكلّم فيه. فأما من يحسن أن

يتكلّم فلم ينه. فهل ذلك كما تأولوا، أو لا؟ فكتب عليه السلام: المحسن وغير المحسن لا يتكلّم فيه. فإنّ إنهم

أكثر من نفعه. ٢. أنوار التنزيل ٢١١/٢.

٣. الاحتجاج ٥/١. ٤. نفس المصدر ١٤/١-١٦.

٥. النحل ١٢٥. ٦. من المصدر.

٧. النحل ١٢٥. ٨. البقرة ١١١.

بالتّي هي أحسن؟^(١)

قيل: يا ابن رسول الله، فما الجدل بالتّي هي أحسن وبالتّي ليست بأحسن؟
قال: أمّا الجدل بغير التّي هي أحسن، بأنّ تجادل^(٢) مبطلاً فيورد عليك باطلاً.
فلاتردّه بحجّة قد نصبها الله تعالى ولكنّ تجحد قوله. أو تجحد حقاً يريد ذلك^(٣)
المبطل أن يعين به باطله. فتجحد ذلك الحقّ، مخافة أن يكون له عليك فيه حجة.
لأنّك لا تدري كيف المخلص منه. فذلك حرام على شيعتنا، أن يصيروا فتنة على
ضعفاء إخوانهم وعلى المبطلين. أمّا المبطلون، فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا
تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله. وأمّا الضعفاء منكم، فتعمى^(٤)
قلوبهم لما يرون من ضعف المحقّ في يد المبطل.

وأمّا الجدل بالتّي هي أحسن، فهو ما أمر الله تعالى به نبيّه أن يجادل به من جحد
البعث بعد الموت وإحياءه له. فقال^(٥) الله تعالى حاكياً عنه: «وضرب لنا مثلاً ونسي
خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم» فقال الله تعالى في الردّ عليه: «قل» يا محمّد
«يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم، الذي جعل لكم من الشجر
الأخضر ناراً فإذا أنتم توقدون» فأراد الله من نبيّه، أن يجادل المبطل الذي قال: كيف
يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم؟ فقال الله تعالى: «قل يحييها الذي أنشأها أوّل
مرّة» أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى. بل ابتدأه أصعب عندكم من
إعادته. ثمّ قال ﷺ «الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً» أي إذا أكنم النار الحارّة
في الشجر الأخضر الرطب ثمّ يستخرجها، فعزّفكم أنّه على إعادة^(٦) من بلى أقدر. ثمّ
قال^(٧): «أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو

١. ليس في ن.

٢. المصدر: فان تجادل.

٣. المصدر: بذلك.

٤. م: فعمى، المصدر: فتعم.

٥. يس ٧٨ - ٨٠.

٦. المصدر: ما.

٧. يس ٨١.

الخلّاق العليم» أي إذا كان خلق السموات والأرض أعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي، فكيف جَوَزْتُم من الله خلق هذا الأعجب عندهم والأصعب لديكم ولم تجوّزوا منه ما هو أسهل عندهم من إعاد البالي؟

قال الصادق عليه السلام: فهذا^(١) الجدال بالتي هي أحسن. لأن فيها قطع عذر الكافرين^(٢)، وإزالة شبههم. وأما الجدال بغير التي هي أحسن. فإن تجحد حقاً لا يمكنك أن تفرّق بينه وبين باطل من تجادله. وإنما تدفعه عن باطله، بأن تجحد الحق. فهذا هو المحرّم. لأنك مثله، جحد هو حقاً وجحدت أنت حقاً آخر.

قال أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام: فقام إليه رجل آخر، فقال: يا ابن رسول الله، أفجادل رسول الله ﷺ؟

فقال الصادق عليه السلام: مهما ظننت برسول الله ﷺ من شيء، فلا تظنّ به مخالفة الله تعالى، أليس الله قال^(٣): «وجادلهم بالتي هي أحسن». «وقل يحييها الذي أنشأها أوّل مرة»^(٤) لمن ضرب الله مثلاً. أفظنّ أنّ رسول الله ﷺ خالف ما أمره الله به، فلم يجادل ما أمره به، ولم يخبر عن أمر الله بما أمره أن يخبر به؟

﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾: بالإفراط في الاعتداء والفساد. أو بإثبات الولد، وقولهم: «يد الله مغلولة»^(٥). أو بنقض العهد ومنع الجزية.

﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ الْكِتَابُ﴾: هو من المجادلة بالتي هي أحسن. وعن النبي ﷺ^(٦): لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وبكتبه ورسله. فإن قالوا باطلاً لم تصدّقوهم، وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم.

﴿وَالْهِنَا وَالْهَكْمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٧): مطيعون له خاصّة. وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

٢. أ: عذراً للكافرين.

٤. يس/ ٧٩.

٦. أنوار التنزيل ٢/ ٢١١.

١. المصدر: فهو.

٣. النحل/ ١٢٥.

٥. المائدة/ ٦٤.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرٍو الزَّيْرِيُّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثًا طَوِيلًا. قَالَ فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَعْدَ أَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ الْإِيمَانَ عَلَى جَوَارِحِ ابْنِ آدَمَ وَقَسَمَهُ عَلَيْهَا وَفَرَّقَهُ فِيهَا، [وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ الْقَوْلَ وَالتَّعْبِيرَ عَنِ الْقَلْبِ، بِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ وَأَقَرَّبَهُ. (٢)] وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (٣): «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حَسَنًا» وَقَالَ: «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَذَا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ». فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى اللِّسَانِ، وَهُوَ عَمَلُهُ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك الإنزال.

﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾: وحياً مصداقاً لسائر الكتب الإلهية. وهو تحقيق لقوله:

﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾: هم عبدالله بن سلام وأضرابه. أو من تقدم عهد الرسول ﷺ من أهل الكتاب.

﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾: ومن العرب. أو أهل مكة. أو ممن في عهد الرسول ﷺ من أهل الكتابين.

﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: بالقرآن.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٤): وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» فَهُم آلُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ «وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» يَعْنِي: أَهْلَ الْإِيمَانِ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَصِينِ^(٦) بْنِ مَخَارِقٍ، عَنْ أَبِي الْوَرْدِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ: «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ

١. الكافي ٣٥/٢، ح ١.

٢. ليس في م.

٣. البقرة ٨٣/.

٤. تفسير القمي ١٥٠/٢.

٥. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣١.

٦. هكذا في ن والمصدر. وفي سائر النسخ: «الحسين بن مَخَارِقٍ» انظر تنقيح المقال ٣٥٠/١، رقم ٣١٤١.

الكتاب يؤمنون به» قال: هم آل محمد صلوات الله عليهم.

﴿وَمَا يَجْعَلُ بِآيَاتِنَا﴾: مع ظهورها، وقيام الحجة عليها.

﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٧): في تفسير علي بن إبراهيم: يعني^(١) ما يجحد بأمر المؤمنين

صلوات الله عليه والأئمة عليهم السلام إلا الكافرون.

وقيل^(٢): إلا المتوغلون في الكفر. فإن جزمهم به، يمنهم عن التأمل فيما يفيد لهم

صدقها. لكونها معجزة. بالإضافة إلى الرسول ﷺ كما أشار إليه بقوله:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِمِثْلِكَ﴾: فإن ظهر هذا الكتاب

الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أُمِّي لم يعرف بالقراءة والتعلم، خارق للعادة وذكر اليمين، زيادة تصوير للمنفى، وفي التجوز في الإسناد.

﴿إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٨): أي لو كنت ممن يخطّ ويقرأ، لقالوا: لعله تعلمه، أو

التقطه من كتب الأقدمين. وإنما سماهم مبطلين، لكفرهم. أو لارتياهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الإعجاز المتكاثرة.

وقيل^(٣): لا رتأب أهل الكتاب، لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم، فيكون

إبطالهم باعتبار الواقع، دون المقدّر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٤): في قوله ﷺ: «وما كنت تتلو من كتاب ولا

تخطّه بيمينك إذا لا رتأب المبطلون» وهو معطوف على قوله تعالى في سورة

الفرقان^(٥): «اكتبها فهي تملأ عليه بكرة وأصيلاً» فردّ الله عليهم فقال: كيف يدعون أن

الذي تقرأه أو تخبر به تكتبه عن غيرك، وأنت «ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه

بيمينك إذا لا رتأب المبطلون» أي شكّوا.

وفي عيون الأخبار^(٦)، في باب مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان والمقالات في

٢ و ٣. أنوار التنزيل ٢/ ٢١٢.

٥. الفرقان / ٥.

١. تفسير القمي ٢/ ١٥١.

٤. تفسير القمي ٢/ ١٥١.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٣٦/ ١، ح ١.

التوحيد، قال الرضا عليه السلام في أثناء المحاورات: كذلك أمر محمد عليه السلام وما جاء به، وأمر كل نبي بعثه الله. ومن آياته، أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً. لم يتعلم كتاباً ولم يختلف إلى معلم. ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الأنبياء عليهم السلام وأخبارهم حرفاً حرفاً، وأخبار من مضى ومن بقي إلى يوم القيامة.

﴿بَلْ هُوَ﴾: بل القرآن.

﴿آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: يحفظونه. لا يقدر أحد تحريفه.

وفي أصول الكافي^(١): عن أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» [فأوماً بيده إلى صدره.

عنه^(٢)، عن محمد بن علي، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز العبدي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم»^(٣).

وعنه^(٤)، عن محمد بن علي، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» [هم الأنمة عليهم السلام].

محمد بن علي، عن عثمان بن عيسى^(٥)، عن سماعة، عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم»^(٦) أما والله يا أبا محمد ما قال بين دفتي المصحف.

قلت: من هم، جعلت فداك؟

١. الكافي ٢١٣/١، ح ١.

٢. نفس المصدر ٢١٤/١، ح ٢.

٣. ليس في ن.

٤. هذا الحديث مجموع وملقط من سند الحديث السابق ومتن الحديث الآتي، وليس في المصدر،

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٣.

فتلاحظ.

٦. من س. وليس في سائر النسخ.

قال: من عسى أن يكون غيرنا؟

محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين^(١)، عن بريد^(٢)، عن هارون بن حمزة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم». قال: هم الأئمة خاصّة.

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد^(٣)، عن الحسين بن سعيد، عن محمّد بن الفضيل قال: سأله عن قول الله تعالى: «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم». قال: هم الأئمة عليهم السلام [خاصّة]^(٤).

وفي بصائر الدرجات^(٥): يعقوب بن يزيد ومحمّد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم».

[قال: إيانا عنى].^(٦) من عسى أن يكونوا؟

أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد^(٧)، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن حجر، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام. وأبي عبدالله البرقي، عن أبي الجهم، عن أسباط، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم». قال: نحن.

أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد^(٨)، عن عثمان بن عيسى، عن أبي حمزة،

١. نفس المصدر والموضع، ح ٤.

٢. المصدر: يزيد شعر.

٣. نفس المصدر والموضع، ح ٥.

٤. من المصدر.

٥. بصائر الدرجات / ٢٠٤، ح ١.

٦. من المصدر. وفي النسخ: «فقال: أنتم هم. من عسى أن يكونوا» وهي ذيل حديث ٢ الذي ذكر بعد هذا

٧. نفس المصدر، ٢٠٥، ح ٤.

الحديث في المصدر. فراجع.

٨. نفس المصدر والموضع، ح ٣.

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ هذه الآية: «بل هو آيات بينات [في صدور الذين أوتوا العلم]».

قال: يا أبا محمد، ما قال بين دفتي المصحف.

قلت: من هم، جعلت فداك؟

قال: من عسى ^(١) أن يكونوا غيرنا؟

محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير ^(٢) والحسن بن علي بن فضال، عن مثنى بن الحنّاط، عن الحسن الصيقل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم».

قال: نحن وإيانا عنى.

أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد ^(٣)، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن حسن، عن حمزان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» [قلت: ^(٤) أنتم هم؟ قال: من عسى أن يكونوا؟

محمد بن الحسين، عن يزيد شعر ^(٥)، عن هارون بن حمزة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم».

قال: هم الأئمة خاصة «وما يعقلها إلا العالمون» فزعم أن من عرف الإمام والآيات ممن يعقل.

محمد بن خالد الطيالسي، عن سيف بن عميرة ^(٦)، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم».

١. ليس في أ.

٢. نفس المصدر / ٢٠٧، ح ١٦. وفيه: «جعفر بن بشر». انظر تنقيح المقال ٢١٣/١، رقم ١٧٦٥.

٣. نفس المصدر / ٢٠٥، ح ٦. ٤. من المصدر.

٥. نفس المصدر / ٢٠٧، ح ١٧. ٦. نفس المصدر / ٢٠٦، ضمن حديث ١٣.

قلت: أنتم هم؟

قال: من عسى أن يكونوا؟^(١)

أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد^(٢)، عن القاسم بن محمد الجوهرى، عن محمد بن يحيى، عن عبد الرحيم^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ انْتَهَى إِلَيَّ فِي الْقُرْآنِ. ثُمَّ جَمَعَ أَصَابِعَهُ. ثُمَّ قَالَ: «بَلْ هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ».

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْقَاسِمِ الْهَمْدَانِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّيَارِيِّ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدِ الْبَرْقِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ».

قال: نحن هم.

فقال الرجل: جعلت فداك، متى يقوم القائم عليه السلام؟

قال: كُلُّنَا قَائِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ تعالى وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ، حَتَّى يَجِيءَ صَاحِبُ السَّيْفِ. فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُ السَّيْفِ [جاء]^(٥) أَمْرٌ غَيْرُ هَذَا.

وقال أيضاً^(٦): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ هُوَذَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَبْدِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ».

قال: هم الأئمة من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين باقية دائمة في كل حين. ﴿وَمَا يَجْعَلُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾^(٧) إِلَّا الْمُتَوَغَّلُونَ فِي الظُّلْمِ. بِالْمَكَابِرَةِ بَعْدَ وَضُوحِ دَلَالَتِهَا إِعْجَازُهَا حَتَّى لَمْ يَتَعَدَّوْا بِهَا.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة

عيسى عليه السلام.

١. المصدر: يكون.

٢. نفس المصدر والموضع، ح ١٤.

٣. المصدر: عبد الرحمن.

٤. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣٢.

٥. من م ون.

٦. نفس المصدر والموضع.

وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص: آيات^(١).

﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: ينزلها كيف يشاء. لست أملكها، فأتاكم بما تقترحونه.

﴿وَأِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٢): ليس من شأني، إلا الإنذار وإبائه بما أعطيت من

الآيات.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾: آية مغنية عما اقترحوه.

﴿أَنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾: تدوم تلاوته عليهم، متحدّين به. فلا يزال

معهم آية ثابتة لاتضمحل، بخلاف سائر الآيات. أو «يتلى عليهم» يعني: اليهود.

بتحقيق ما في أيديهم من نعمتك ونعت دينك.

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾: في ذلك الكتاب. الذي هو آية مستمرة، وحجة مبينة.

﴿لَرَحْمَةً﴾: لنعمة عظيمة.

﴿وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣): وتذكرة لمن همم بالإيمان دون التعتت.

وفي مجمع البيان^(٤): «إِنْ فِي ذَلِكَ لآية» قيل: إِنْ قوماً من المسلمين كتبوا شيئاً من

كتب أهل الكتاب. فهدّدهم سبحانه في هذه الآية ونهاهم عنه.

وقال النبي ﷺ^(٥): جنتكم بها بيضاء نقية.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾: بصدقي. وقد صدّقني بالمعجزات. أو بتبليغي

ما أرسلت به إليكم ونصحي، ومقابلتكم إياي بالتكذيب والتعتت.

﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فلا يخفى عليه حالي وحالكم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾: وهو ما يعبدون من دون الله.

﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾: منكم.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٦): في صفقتهم. حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

١. أنوار التنزيل ٢١٢/٢. ولا داعي لهذه القراءة لأن كلمة «آيات» موجودة في نفس الآية. أمّا البيضاوي فقد

أورد كلمة «آية» بدل «آيات» في الآية القرآنية ولذلك قال: وقرأ نافع (إلى آخره).

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. مجمع البيان ٢٨٩/٤.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾: بقولهم: «أمطر علينا حجارة من السماء»^(١).

﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: لكل عذاب. أو قوم.

﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾: عاجلاً.

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾: فجأة في الدنيا، كوقعة بدر. أو الآخرة، عند نزول الموت.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢): بإتيانه.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣): ستحيط بهم يوم يأتيهم

العذاب. أو هي كالمحيطة بهم الآن، لإحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم.

وال«لام» للعهد. على وضع الظاهر موضع المضمر، للدلالة على موجب الإحاطة،

أو للجنس. فيكون استدلالاً بحكم الجنس على حكمهم.

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾: ظرف «لمحيطة». أو مقدّر؛ مثل: كان كيت وكيت.

﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾: من جميع جوانبهم.

﴿وَيَقُولُ﴾: الله. أو بعض ملائكته بأمره.

وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريون، بالنون^(٤).

﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥): أي جزاءه.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُون﴾^(٦): أي إذا لم يتسهّل لكم

العبادة في بلدة ولم يتيسّر لكم إظهار دينكم، فهاجروا إلى حيث يتمشّي لكم ذلك.

وال«فاء» جواب شرط محذوف. إذ المعنى: إن أرضي واسعة إن لم تخلصوا العبادة

لي في أرض، فأخلصوها في غيرها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر^(٨) في

قوله: «يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة» يقول: لاتطيعوا أهل الفسق من الملوك.

فإن خفتموهم أن يفتنوكم عن دينكم، فإن «أرضي واسعة»^(١) وهو يقول^(٢): «فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض» فقال: «ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها». وفي مجمع البيان^(٣): وقال أبو عبدالله عليه السلام: معناه: إذا عصي الله في أرض أنت بها، فاخرج منها إلى غيرها.

وفي جوامع الجامع^(٤): وعن النبي صلى الله عليه وآله من فرّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض، استوجب الجنة. وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليه السلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ : تناله لامحالة .

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٥) : للجزاء . ومن هذا عاقبته، ينبغي أن يجتهد في الاستعداد

له .

وفي عيون الأخبار^(٦)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة، وبإسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَمَّا أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» قُلْتُ: يَا رَبِّ، أَمُوتَ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ وَتَبْقَى^(٧) الْأَنْبِيَاءُ؟ فَنَزَلَتْ «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ».

وفي تفسير العياشي^(٨): عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة، واستخفيت ذلك. قلت لأسألن مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي. فقلت: أخبرني عمّن قتل، أ مات؟

قال: لا. الموت موت، والقتل قتل.

قلت: ما أحد يُقْتَلُ إلا وقدمات.

فقال: قول الله أصدق من قولك. فرّق بينهما في القرآن، فقال: «أفإن مات أو قُتِلَ».

١. ليس في مس.

٢. النساء/٩٧.

٣. مجمع البيان ٢٩١/٤.

٤. جوامع الجامع/٣٥٥.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٣١/٢، ح ٥١.

٦. الزمر/٣٠.

٨. تفسير العياشي ٢٢٠/١: ضمن حديث ١٦٠.

٧. المصدر: يبقی.

وقال: «ولئن مَتَمَّ أو قتلتم لإلَى الله تحشرون» وليس كما قلت يا زرارة، الموت موت والقتل قتل.

قلت: [١] فَإِنَّ الله يقول: «كُلْ نَفْسٌ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ».

قال: من قُتِلَ لم يذوق الموت. ثم قال: لا بَدَّ من أن يرجع حَتَّى يذوق الموت.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾: لننزلتهم.

﴿مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: علالي.

وقراءة حمزة والكسائي: «لنُبَوِّئَنَّهُمْ» أي لنقيمَنَّهُمْ. من الشواء. فيكون انتصاب

«غرفاً» لإجرائه مجرى «لننزلتهم». أو بنزع الخافض. أو تشبيهه الظرف المؤقت بالمبهم (٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٣): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ

الْعَلَاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) يَقُولُ:

أَيُّمَا مُؤْمِنٍ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (ع) حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ، بَوَّاهُ اللهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يَسْكُنُهُ أَحْقَابًا.

﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (٤): وقرئ: «فنعم».

والمخصوص بالمدح محذوف، دلَّ عليه ما قبله (٥).

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على أذى المشركين، والهجرة للدين. إلى غير ذلك من المحن

والمشاق.

﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٦): ولا يتوكلون إلا على الله.

﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾: لا تطيق حمله لضعفها، أو لاتدخره، وإنما

تصبح ولا معيشة عندها.

﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾: ثم إنها مع ضعفها وتوكلها، وإياكم مع قوتكم واجتهادكم،

١. ليس في س.

٢. أنوار التنزيل ٢/٢١٣.

٣. تفسير القمي ٢/٢٩١.

٤. أنوار التنزيل ٢/٢١٣.

سواء في أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله . لأن رزق الكل بأسباب ، هو المسبب لها وحده . فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة . فإنه لما أمروا بالهجرة قال بعضهم : كيف نقدم بلدة ليس لنا فيه معيشة ؟ فنزلت ^(١) .

﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ : لقولكم هذا .

﴿ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) : بضميركم .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام ^(٣) : في قوله ﷻ : «وَكَايْنِ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ» قال : كانت العرب يقتلون أولادهم مخافة الجوع . فقال الله ﷻ : «اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ» .

وفي مجمع البيان ^(٤) : وعن عطاء ، عن ابن عمر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخلنا ^(٥) بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل .

فقال : يا ابن عمر ، مالك لا تأكل ؟

فقلت : لا أشتهيه ، يا رسول الله .

قال : لكنني أشتهيه . وهذه صبيحة رابعة منذلم أذق طعاماً . ولو شئت لدعوت ربّي ، فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر . فكيف بك - يا ابن عمر - إذا بقيت مع قوم يخبئون ^(٥) رزق سنتهم لضعف اليقين . فوالله ما برحنا حتى نزلت «وَكَايْنِ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» .

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ : المسؤول عنهم أهل مكة .

﴿ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ : لما تفرّر في العقول ، وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود .

٢ . تفسير القمي ١٥١/٢ .

١ . نفس المصدر ٢١٣/٢ - ٢١٤ .

٤ . المصدر : دخل .

٣ . مجمع البيان ٢٩١/٤ .

٥ . هكذا في ن والمصدر . وفي م ، س ، أ : «يحتازون» . وفي الأصل : يختارون .

﴿فَأَنى يُؤَفَكُونَ﴾^(١٦): يُصَرَفُونَ عن توحيدِهِ، بعد إقرارهم بذلك.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: يحتَمِلُ أن يكون الموسع له والمضيق عليه واحداً. على أن البسط والقبض على التعاقب. وأن لا يكون على وضع الضمير موضع «من يشاء» وإيهامه، لأن «من يشاء» مبهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١٧): يعلم مصالحهم ومفاسدهم.

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: معترفين بأنه الموجد للممكّنات بأسرها، أصولها وفروعها. ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر على شيء من ذلك.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على ما عصمك من مثل هذه الضلالة. أو على تصديقك وإظهار حجّتك.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١٨): فيتناقضون. حيث يَقْرُونَ بأنه المبدئ لكل ما عداه، ثم إنهم يشركون به الصنم.

وقيل^(١٩): لا يعقلون ما تريد بتحמידك عند مقالهم^(٢٠).

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: إشارة تحقير. وكيف لا، وهي لاتزن عند الله جناح بعوضة.

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: إلّا كما يلهي ويلعب به الصبيان، ويجمعون عليه، ويبتهجون به ساعة. ثم يتفرقون متعبين.

﴿وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾: لَهِيَ دار الحياة الحقيقية، لامتناع طريان الموت عليها. أو هي في ذاتها حياة، للمبالغة.

و«الحيوان» مصدر حيي. سُمي به ذوالحياة. وأصله: حييان، فقلبت الياء الثانية واواً. وهو أبلغ من الحياة، لما في بناء «الفعلان» من الحركة والاضطراب اللازم للحياة. ولذلك اختير عليها ههنا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٤): لم يؤثروا عليها الدنيا، التي أصلها عدم الحياة. والحياة فيها عارضة سريعة الزوال.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ﴾: متصل بما دلّ عليه شرح حالهم؛ أي هم على ما وصفوا به من الشرك. فإذا ركبوا البحر.

﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: كائنين في صورة من أخلص دينه من المؤمنين. حيث لا يذكرون إلا الله، ولا يدعون سواه. لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد إلا هو.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(١٥): فاجؤوا المعاودة إلى الشرك. ﴿يَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: «اللام» فيه، لام كي؛ أي: يشركون، ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة.

﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾: باجتماعهم على عبادة الأصنام وتوادهم عليها. أو «لام» الأمر على التهديد. ويؤيده قراءة ابن كثير وحزمة والكسائي وقالون عن نافع: «وليتمتعوا» بالسكون^(١٦).

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(١٧): عاقبة ذلك حين يعاقبون. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعني أهل مكة. ﴿أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾: أي جعلنا بلدكم مصوناً عن النهب والتعدي، آمناً أهله عن القتل والسبي.

﴿وَيُخَفَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾: يُخْتَلَسُونَ قتلاً وسبياً. إذ كانت العرب حوله في تغاور وتناهب.

﴿أَفَبِلَاظِلِّ﴾: أبعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها من لا يقدر عليه إلا الله؟ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: بالصنم. أو الشيطان.

﴿وَيَنْعَمَ اللَّهُ يَكْفُرُونَ﴾^(١٨): حيث أشركوا به غيره. وتقديم الصلتين للاهتمام. أو الاختصاص على طريق المبالغة.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: بأن زعم له شريكاً.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾: يعني الرسول ﷺ أو الكتاب.

وفي «لما» تسفيه لهم. بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم، بل سارعوا إلى التكذيب أول ما سمعوه.

﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٨): تقدير لثوابهم. كقوله:

ألستم خير من ركب المطايا^(١)

أي ألا يستوجبون الثواب فيها، وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب؟ أو لاجترائهم؛ أي ألم يعلموا أن في جهنم مثنًى للكافرين، حتى اجتروا هذه الجراءة.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾: أي في حقنا. وإطلاق المجاهدة، لتعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة بأنواعه.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: سبل السير إلينا، والوصول إلى جنابنا. أو لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير، توفيقاً لسلوكها. كقوله^(٢): «والذين اهتدوا زادهم هدى».

وفي الحديث^(٣): من عمل بما علم، ورثه الله علم ما لم يعلم.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٩): بالنصر والإعانة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وقوله ﷻ: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم» أي صبروا وجاهدوا مع رسول الله ﷺ «لنهدينهم» أي لنثبتنهم. «وإن الله لمع المحسنين». وفي رواية أبي الجارود^(٥)، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: هذه الآية لآل محمد صلوات الله عليهم ولأشيعهم.

١. نفس المصدر ٢/٢١٥.

٢. محمد ١٧/.

٣. أنوار التنزيل ٢/٢١٥، بحار الأنوار ٢/٣٠، ح ١٤، بتفاوت يسير.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي ٢/١٥١.

وفي كتاب معاني الأخبار^(١)، بإسناده إلى عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ألا وإنّي مخصوص في القرآن بأسماء احذروا أن تغلبوا عليها، فتضلّوا في دينكم. أنا المحسن. يقول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): محمد بن العباس عليه السلام قال: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن عمرو بن محمد بن زكي، عن محمد بن الفضيل، عن محمد بن شعيب، عن قيس بن الربيع، عن منذر الثوري، عن محمد بن الحنفية، عن أبيه علي عليه السلام قال: يقول الله تعالى: «وَأَنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» فأنا ذلك المحسن.

وقال أيضاً: حدّثنا محمد بن الحسين الخثعمي، عن عباد بن يعقوب، عن الحسن بن حماد، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ». قال: نزلت فينا.

وقال أيضاً^(٣): حدّثنا أحمد بن محمد، عن أحمد بن الحسن، عن أبيه، عن حصين بن مخارق، عن مسلم الحذاء، عن زيد بن علي عليه السلام في قول الله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ». قال: نحن هم.

قلت: وإن لم تكونوا وإلا فمن؟

٢. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣٣.

١. معاني الأخبار/ ٥٩، ضمن حديث ٩.

٣. نفس المصدر والموضع.

سورة الروم

سورة الروم

مَكِّيَّة، إلّا قوله: «فسبحان الله» وهي ستون، أو تسع وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١)، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين، فهو - والله يا أبا محمد - من أهل الجنة. لا أستثني فيه أبداً. ولا أخاف أن يكتب الله عليّ ما في يميني إثماً. وإنّ لهاتين السورتين من الله مكاناً.

وفي مجمع البيان^(٢): أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: ومن قرأها، كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله ما بين السماء والأرض. وأدرك ما ضيع في يومه وليلته.

﴿الم﴾^(١): مرّ تفسيره.

﴿عُلِيتِ الرُّومُ﴾^(٢) ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾: قيل^(٣): «أدنى الأرض» من أرض

العرب.

وقيل^(٤): في أدنى أرض، من أرض الشام إلى أرض فارس. يريد الجزيرة، وهي

أقرب أرض الروم إلى أرض فارس.

وقيل^(٥): يريد أذرعات وكسكر.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): محمد بن العباس عليه السلام عن أحمد بن محمد بن سعيد،

٢. مجمع البيان ٢٩٤/٤.

٦. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣٤.

١. ثواب الأعمال ١٣٦، ح ١.

٣-٥. نفس المصدر والموضع.

عن الحسن بن القاسم قراءة عن علي بن إبراهيم الملعلي، عن فضيل بن إسحاق، عن يعقوب بن شعيب، عن عمران بن ميثم^(١)، عن عباية، عن علي صلوات الله عليه قال: قوله ﷻ: «الم، غلبت الروم» هي فينا وفي بني أمية.

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾: من إضافة المصدر إلى المفعول.

وقرئ «غلبهم» وهو لغة. كالجلب^(٢).

﴿سَيَغْلِبُونَ﴾^(٣): وقرئ: «غلبت» بالفتح. و«سَيَغْلِبُونَ» بالضم^(٤). ومعناه: أن الروم

غلبوا على ريف الشام، والمسلمون سيغلبونهم. وفي السنة التاسعة من نزوله، غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم. وعلى هذا يكون إضافة الغلب إلى الفاعل.

وفي كتاب الاستغاثة^(٥)، للشيخ ميثم: ولقد روينا من طريق علماء أهل البيت ﷺ في أسرارهم وعلومهم التي خرجت منهم إلى علماء شيعتهم: أن قوماً ينسبون إلى قريش. وليسوا من قريش بحقيقة النسب. وهذا مما لا يجوز أن يعرفه إلا معدن النبوة وورثة علم الرسالة - وذلك مثل بني أمية. ذكروا: أنهم^(٦) ليسوا من قريش. وأن أصلهم من الروم. وفيهم تأويل هذه الآية «الم، غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون». معناه: أنهم غلبوا على الملك. وسيغلبهم على ذلك بني العباس.

﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾: في مجمع البيان^(٧): قال: كان المشركون يجادلون المسلمون، وهم بمكة. يقولون: إن الروم أهل الكتاب، وقد غلبهم الفرس. وأنتم تزعمون أنكم ستغلبون^(٨) بالكتاب الذي نزل على نبيكم فسنغلبكم كما غلب قوم فارس من الروم. فأنزل الله تعالى «الم، غلبت الروم». إلى قوله: «في بضع سنين».

١. المصدر: «عمر بن الميثم» انظر تنقيح المقال ٣٥٢/٢، رقم ٩١٢٣.

٢. أنوار التنزيل ٢١٥/٢. وفيه: «كالحلب» وفي مجمع البيان ٢٩٤/٤: قال الزجاج: الغلب والغلبة مصدر

غلبت؛ مثل: الجلب والجلبة. ٣. نفس المصدر ٢١٦/٢.

٤. تفسير نور الثقلين ١٦٩/٤، ح ٣، نقلاً عنه: الاستغاثة ٨٧/٨٨.

٥. هنا زيادة في النسخ وهي: من قريش و. ٦. مجمع البيان ٢٩٥/٤. وفيه: عن الزهري قال.

٧. ليس في أ.

قال: فأخبرني عبدالله بن عتبة بن مسعود، أنَّ أبا بكر ناصب بعض المشركين قبل أن يُحرَّم القمار على شيء إن لم تغلب فارس في سبع سنين.

فقال رسول الله ﷺ: لمَ فعلت؟ فكلَّ مادون العشر بضع. فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين. ثمَّ أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية، ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب.

وروى أبو عبدالله الحافظ ^(١) بالإسناد: عن ابن عباس في قوله: «الم، غلبت الروم». قال: قد مضى. وكان ذلك في أهل فارس والروم. وكانت فارس قد غلبت عليهم، ثمَّ غلبت الروم بعد ذلك. ولقي نبيَّ الله مشركي العرب، والتقت الروم وفارس. فنصر الله النبيَّ ومن معه على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم ففرح المسلمون بنصر الله إيَّاهم، ونصر أهل الكتاب على العجم.

قال: عطية: وسألت أبا سعيد الخدريَّ عن ذلك.

فقال: التقينا مع رسول الله ﷺ ومشركو العرب، والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على المجوس. ففرحنا بنصر الله إيَّانا على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على المجوس. فذلك قوله: «يومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله».

وقيل ^(٢): لما غلب فارس على الروم وبلغ الخبر مكة، فرح المشركون وشتموا بالمسلمين. وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب. ونحن وفارس أمّيون. وقد ظهر إخواننا على إخوانكم. ولنظهِرْ عليكم، فنزلت.

فقال لهم أبو بكر: لا يقرن الله أعينكم. فوالله ليظهرنَّ الروم على فارس بعد بضع سنين.

فقال له أبي بن خلف: كذبت، اجعل بيننا وبينك أجلاً أناحبك عليه. فنأخذه على

٢. أنوار التنزيل ٢١٦/٢، بتصرف في أول المنقول هنا.

١. نفس المصدر والموضع.

عشر قلائص من كل واحد منهما. وجعلنا الأجل ثلاث سنين. فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ.

فقال: البضع ما بين الثلاث إلى التسع. فزايدته في الخطر ومادته في الأجل، فجعلناه مائة قلوصل إلى تسع سنين. ومات أبي بن خلف من جرح رسول الله ﷺ بعد قفوله من أحد. وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية. فأخذ أبو بكر الخطر من ورثة أبي، وجاء به إلى رسول الله ﷺ.

فقال: تصدق به.

﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾: من قبل كونهم غالبين، ومن بعد كونهم غالبين. وهو وقت كونهم غالبين؛ أي له الأمر حين غلبوا وحين يغلبون. ليس شيء منهما إلا بقضائه.

وقرئ: «من قبل ومن بعد» من غير تقدير مضاف إليه. كأنه قيل: قبلاً بعداً؛ أي أولاً وآخر^(١).

وفي الخرائج والجرائح^(٢)، في أعلام الحسن العسكري عليه السلام ومنها ما قال أبو هاشم: سأل محمد بن صالح أبا محمد عليه السلام عن قول الله تعالى: «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ». فقال: له الأمر من قبل أن يأمر به. وله الأمر من بعد أن يأمر به بما يشاء.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: ويوم يغلب الروم.

﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ﴾: قيل^(٤): من له كتاب على من لا كتاب له. لما فيه من انقلاب التفاضل، وظهور صدقهم فيما أخبروا به المشركين، وغلبتهم في رهانهم، وازدياد يقينهم، وثباتهم في دينهم.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير نور الثقلين ١٧٠/٤، ح ٥، نقلاً عنه؛ الخرائج والجرائح، ج ٢، ص ٦٨٦، ح ٨.

٣. نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١): بنصر الله المؤمنين، بإظهار صدقهم. أو بأن ولي بعض أعدائهم بعضاً حتى تغانوا.

﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾: فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء أخرى.

وفي روضة الكافي ^(٢): ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «الم، غلبت الروم، في أدنى الأرض».

قال: فقال: يا أبا عبيدة إن لهذا تأويلاً لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم من آل محمد عليهم السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر إلى المدينة وأظهر الإسلام، كتب إلى ملك الروم كتاباً وبعث به مع رسول يدعو به إلى الإسلام. وكتب إلى ملك فارس كتاباً يدعو به إلى الإسلام، وبعثه إليه مع رسوله. فأما ملك الروم، فعظم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأكرم رسوله. وأما ملك فارس، فإنه استخف بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومزقه واستخف برسوله.

وكان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم. وكان المسلمون يهونون أن يغلب ملك الروم ملك فارس. وكانوا لناحيته أرجى منهم لملك فارس. فلما غلب ملك فارس ملك الروم، كره ذلك المسلمون فاغتموا به. فأنزل الله تعالى بذلك كتاباً قرأناً: «الم، غلبت الروم، في أدنى الأرض» يعني: غلبتها فارس في أدنى الأرض. وهي الشامات وما حولها. «وهم» يعني: وفارس «من بعد غلبهم» الروم «سيُغلبون» يعني: يغلبهم المسلمون. [«في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء» فلما غزا المسلمون] ^(٣) فارس وافتتحوها فرح المسلمون بنصر الله تعالى.

قال: قلت: أليس الله تعالى يقول: «في بضع سنين» وقد مضى للمؤمنين سنون كثيرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي إمارة أبي بكر، وإنما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر؟

فقال: ألم أقل لك: إن لهذا تأويلاً وتفسيراً؟ والقرآن - يا أبا عبيدة - ناسخ ومنسوخ. أما تسمع لقول الله ﷻ: «الله الأمر من قبل ومن بعد» يعني: إليه المشيئة في القول. أن يؤخر ما قدم، ويقدم ما أخر في القول إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين. وذلك قوله ﷻ: «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله» أي يوم يحتم القضاء بالنصر.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس حدثنا الحسن بن محمد بن جمهور القمي، عن أبيه، عن جعفر بن بشير، عن الوشاء، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير «الم، غلبت الروم».

قال: هم بنو أمية. وإنما أنزلها الله: «الم، غلبت الروم» بنو أمية «في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله» عند قيام القائم عليه السلام.

﴿وَهُوَ الْغَزِيرُ الرَّحِيمُ﴾^(٢): ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة، ويتفضل عليهم بنصرهم أخرى.

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾: مصدر مؤكد لنفسه. لأن ما قبله في معنى الوعد.

﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾: لا امتناع الكذب عليه.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣): وعده، ولا صحة وعده. لجهلهم، وعدم

تفكيرهم.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها.

وفي مجمع البيان^(٤): وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قوله ﷻ: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا».

فقال: الزجر والنجوم.

﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ﴾: التي هي غايتها والمقصود منها.

﴿هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٥): لاتخطر ببالهم.

و«هم» الثانية تكرير للأولى. أو مبتدأ و«غافلون» خبره. والجملة خبر الأولى.

وهو على الوجهين مناد على تمكّن غفلتهم عن الآخرة، المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله: «لا يعلمون» تقريراً لجهالتهم، وتشبيهاً لهم بالحيوانات المقصور إدراكها من الدنيا ببعض ظاهرها. فإنّ من العلم بظاهرها، معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وأفعالها وأسبابها وكيفية التصرف فيها. فلذلك قال: «ظاهراً» وأما باطنها، فإنّها مجاز إلى الآخرة ووصلة إلى نيلها وأنموذج لأحوالها. وإشعاراً بأنّه لافرق بين عدم العلم والعلم الذي يختصّ بظاهر الدنيا.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم (١): «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» يعني: ما يرونه حاضراً. «وهم عن الآخرة هم غافلون» قال: يرون حاضر الدنيا ويتغافلون عن الآخرة. ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾: أولم يحدثوا التفكّر فيها. أو أولم يتفكّروا في أمر أنفسهم، فإنّها أقرب إليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات بأسرها. ليتحقّق له قدرة مبدعها على إعادتها من قدرته على إبدائها.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾: متعلّق بقول. أو علم محذوف، يدلّ عليه الكلام.

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: تنتهي عنده. ولا تبقى بعده.

﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بقاء جزائه. عند انقضاء قيام الأجل المسمّى، أو قيام الساعة.

﴿لِّكَافِرُونَ﴾ (٦): جاحدون. يحسبون أنّ الدنيا أبدية، والآخرة لا تكون.

﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: تقرير

لسيرهم في أقطار الأرض، ونظرهم إلى آثار المدثرين قبلهم.
وفي كتاب الخصال^(١) : سُئِلَ الصادق عليه السلام عن قول الله تعالى : «أو لم يسيروا في الأرض».

فقال : معناه . أولم ينظروا في القرآن .
﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ : كعاد وشمود .
﴿وَأَنزَلُوا الْأَرْضَ﴾ : قلبوا وجهها . لاستنباط المياه ، واستخراج المعادن وزرع
البذور وغيرها .

﴿وَعَمَرُوهَا﴾ : وعمرها الأرض .
﴿أَكْثَرِمًا عَمَرُوهَا﴾ : من عمارة أهل مكة إياها . فإنهم أهل وادٍ غير ذي زرع لا تبسط
لهم في غيرها . وفيه تهكم بهم ، من حيث أنهم مغترّون بالدنيا مفتخرون بها وهم
أضعف حالاً فيها . إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف
في أقطار الأرض بأنواع العمارة ، وهم ضعفاء ملجئون إلى دار لا نفع بها .
﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ : بالمعجزات . أو الآيات الواضحات .
﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ : ليفعل بهم ما يفعل الظلمة . فيدمرهم من غير جرم ولا
تذكير .

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٢) : حيث عملوا ما أدى إلى تدميرهم .
﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَى﴾ : أي ثم كان عاقبتهم العاقبة السوْأَى . أو
الخصلة السوْأَى . فوضع الظاهر موضع الضمير ، للدلالة على ما اقتضى أن تكون تلك
عاقبتهم وأنهم جاؤوا بمثل أفعالهم .

«والسوْأَى» تأنيث الأسوأ . كالحسنى . أو مصدر ، كالشرى . نُعت بها .
﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(٣) : علة . أو بدل . أو عطف بيان
«للسوْأَى» . أو خبر «كان» .

و«السوأي» مصدر «أساؤوا». أو مفعوله؛ بمعنى: ثم كان عاقبة الذين اقتربوا الخطيئة، أن طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤوا بها. ويجوز أن تكون «السوأي» صلة الفعل. «وأن كذبوا» تابعها. والخبر محذوف للإيهام والتهويل. وأن تكون «أن» مفسرة. لأن الإساءة إذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء، كانت متضمنة معنى القول.

وقرأ ابن عامر والكوفيتون: «عاقبة» بالنصب. على أن الاسم «السوأي» و«أن كذبوا» على الوجه المذكورة^(١).

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾: ينشئهم.

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: يبعثهم.

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾^(٢): للجزاء والعدول إلى الخطاب، للمبالغة في المقصود.

وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وروح، بالياء على الأصل^(٣).

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٤): يسكتون، متحيرين آيسين. يقال: نازره فأبلس: إذا سكت وأيس من أن يحتج. ومنه الناقة المبالس: التي لاترغو. وقرئ بفتح اللام. من أبلسه: إذا أسكته^(٥).

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ﴾: ممن أشركوهم بالله.

﴿شُفَعَاءَ﴾: يجيرونهم من عذاب الله. ومجيئه بلفظ الماضي، لتحقيقه.

﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾^(٦): يكفرون بآلهتهم حين يشكروا منهم.

وقيل^(٧): كانوا في الدنيا كافرين بسببهم. وكتب في المصحف «شفعاء» و«علماء بني إسرائيل» بالواو. وكذا «السوأي» بالألف. إثباتاً للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها.

١. أنوار التنزيل ٢١٧/٢ وفي المصحف الإمام أيضاً بالنصب. وأما في تفسير الصافي ١٢٨/٤ رفعها، فتلاحظ.
٢. نفس المصدر والموضع.
٣. أنوار التنزيل ٢١٧/٢-٢١٨.
٤. نفس الموضع ٢١٨/٢.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِّ يَتَفَرَّقُونَ﴾^(٥): أي المؤمنون والكافرون.

وفي كتاب الخصال^(١): عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: تقوم الساعة يوم الجمعة، بين صلاة الظهر والعصر.

وعن أبي عبد الله عليه السلام^(٢) قال: السبت لنا، والأحد لشيعتنا، إلى أن قال عليه السلام: وتقوم القيامة يوم الجمعة^(٣).

عن أبي لبابة بن عبد المنذر^(٤) قال: قال رسول الله ﷺ: إن يوم الجمعة سيد الأيام - إلى قوله -: وما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر ولا بحر، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة أن تقوم فيه الساعة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷺ: «يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون». قال: إلى الجنة والنار.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: أرض ذات أزهار وأنهار.
﴿يُخْبَرُونَ﴾^(٦): يُسَرِّون سروراً تهللت له وجوههم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٧): «فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يُحبرون». أي يُكرمون.

وفي مجمع البيان^(٨): «في روضة يُحبرون». قيل: يلذذون بالسماع.

عن يحيى بن أبي كثير الأوزاعي^(٩)، أخبرنا أبو الحسن عبد الله بن محمد بن أحمد البيهقي قال: أخبرنا جدّي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قال: حدّثنا أبو سعيد

٢. نفس المصدر ٣٩٤/٢، ح ١٠١.

١. الخصال، ج ٢، ص ٣٩٠، ح ٨٤.

٣. يوجد في هامش نسخة م: والاثني عشر لأعداءنا والثلاثاء لبني أمية والأربعاء يوم شرب الدواء والخميس تُقضى فيه الحوائج والجمعة للتنظيف والتطيب، وهو عيد المسلمين، وهو أفضل من الفطر. ويوم غدیر خم أفضل الأعياد. وهو الثامن عشر من ذي الحجة. ويخرج قاتننا أهل البيت يوم الجمعة. وتقوم القيامة

٤. نفس المصدر، ٣١٥/٢، ح ٩٧.

يوم الجمعة. الخصال.

٦. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي ١٥٣/٢.

٨. نفس المصدر والموضع.

٧. مجمع البيان ٢٩٨/٤.

عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن بندار قال : أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن القرباني قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال : حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك ، عن أبيه ، عن خالد بن معدان ، عن أبي أمامة الباهلي أن رسول الله ﷺ قال ما من عبد يدخل الجنة ، إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن . وليس بمزمار الشيطان ، ولكن بتحميد الله وتقديسه .

وعن أبي الدرداء ^(١) قال : كان رسول الله ﷺ يذكر الناس . فذكر الجنة وما فيها من الأزواج والنعيم ، وفي القوم أعرابي . فجثا لركبته ، وقال : يا رسول الله ، هل في الجنة من سماع ؟

قال : نعم ، يا أعرابي . إن في الجنة نهراً حافته الأبكار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط . فذلك أفضل نعيم الجنة .

قال الراوي : سألت أبا الدرداء بم يتغنين ؟

قال : بالتسبيح .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ^(١٦) :
مُدْخَلُونَ لَا يَغِيْبُونَ عَنْهُ .

﴿فُسَبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ^(١٧) ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ^(١٨) : إخبار في معنى الأمر ، بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الأوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته . أو دلالة على ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة ، وتنزيهه ، واستحقاقه الحمد ممن له تمييز من أهل السموات والأرض .

وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح ، لأن آثار القدرة والعظمة فيها أظهر .

وتخصيص الحمد بالعشي، الذي هو آخر النهار من عشي العين: إذا نقص نورها. والظهيرة التي هي وسطه، تجدد النعم فيها أكثر. ويجوز أن يكون «عشيًا» معطوفاً على «حين تمسون» وقوله: «وله الحمد في السموات والأرض» اعتراضاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنه ^(١) أن الآية جامعة للصلوات [الخمسة] ^(٢) «تمسون» صلاتا المغرب والعشاء. و«تصبحون» صلاة الفجر. و«عشيًا» صلاة العصر و«تظهرون» صلاة الظهر. ولذلك زعم الحسن أنها مدنية. لأنه كان يقول: كان الواجب بمكة ركعتين في أي وقت اتفقت، وإنما فرضت الخمس بالمدينة. والأكثر على أنها فرضت بمكة. وقرئ: «وحيث تمسون وحيث تصبحون» أي تمسون فيه وتصبحون فيه ^(٣).

وفي من لا يحضره الفقيه ^(٤): ورؤي عن الحسن بن علي أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: جاء نفر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أعلمهم عن مسائل. فكان فيما سأله: أخبرني عن الله صلى الله عليه وسلم لأي شيء فرض هذه الخمس الصلوات في خمس مواقيت على أمتك في ساعات الليل والنهار؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها، إلى أن قال صلى الله عليه وسلم: وأما صلاة المغرب، فهي الساعة التي تاب الله صلى الله عليه وسلم فيها على آدم صلى الله عليه وسلم وكان ما بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله صلى الله عليه وسلم عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا. وفي أيام الآخرة يوم كآلف سنة ما بين العصر إلى العشاء. فصلّى آدم ثلاث ركعات ركعة لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لتوبته. ففرض الله صلى الله عليه وسلم هذه الثلاث ركعات على أمتي. وهي الساعة التي يستجاب فيها الدعاء. فوعدني ربّي صلى الله عليه وسلم أن يستجيب من دعاه فيها. وهي الصلاة التي أمرني ربّي بها في قوله: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

٢. من م ون.

١. أنوار التنزيل ٢/٢١٨.

٤. من لا يحضره الفقيه ١/١٣٧، ح ١.

٣. أنوار التنزيل ٢/٢١٨.

وفي كتاب ثواب الأعمال^(١): عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: من قال حين يمسي ثلاث مرّات: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون». لم يفته خير يكون في تلك الليلة^(٢) وصرف عنه جميع شرّها. ومن قال مثل ذلك حين يصبح، لم يفته خير يكون في ذلك اليوم وصرف عنه جميع شرّه.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾: كالإنسان من النطفة. والطائر من البيضة.
﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾: النطفة والبيضة. أو يعقب الحياة بالموت وبالعكس.
وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٣) في قوله ﷻ: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي» قال: يخرج المؤمن من الكافر. ويخرج الكافر من المؤمن.
﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾: بالنبات.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يبسها.
﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك الإخراج.
﴿تُخْرِجُونَ﴾^(٤): من قبوركم فإنّه أيضاً تعقيب الحياة بالموت.
وقرأ حمزة والكسائي، بفتح التاء^(٥).
وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٦): «ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون». ردّ على الدهريّة^(٧).

وفي جوامع الجامع^(٨): عن النبي ﷺ: من سرّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل: «فسبحان الله حين تمسون» إلى قوله: «تخرجون».

-
١. ثواب الأعمال/ ١٩٩، ح ١.
 ٢. ن: في ذلك اليوم.
 ٣. تفسير القمي ١٥٤/٢.
 ٤. أنوار التنزيل ٢١٨/٢.
 ٥. نفس المصدر والموضع.
 ٦. المصدر: «وهو ردّ على أصناف الزنادقة» بدل «ردّ على الدهريّة».
 ٧. جوامع الجامع/ ٣٥٧.

وفي الكافي^(١): أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن موسى بن سعدان، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي إبراهيم عليه السلام في قوله الله تعالى: «يحيي الأرض بعد موتها» قال: ليس يحييها بالقطر. ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل، فتحيي الأرض لإحياء العدل. ولإقامة العدل فيه^(٢)، أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٣)، بإسناده إلى حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى الرضا عمّة أبي محمد الحسن عليه السلام أنها قالت: كنت عند أبي محمد عليه السلام فقال: بيتي الليل عندنا. فإنه سيولد المولود الكريم على الله تعالى الذي يحيي الله الأرض بعد موتها.

فقلت: ممّن يا سيدي. ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل؟!

فقال: من نرجس، لا من غيرها.

قالت: فوثبت إليها، فقلّبتها ظهراً لبطن. فلم أربها أثر الحبل. فعدت إليه عليه السلام فأخبرته بما فعلت.

فتبسّم ثم قال لي: إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل. كان^(٤) مثلها مثل أم موسى، لم يظهر بها الحبل، ولم يعلم بها أحد إلى وقت ولادتها. لأنّ فرعون كان يشقّ بطون الحبال في طلب موسى عليه السلام وهذا نظير موسى عليه السلام والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: أي في أصل الإنشاء. لأنّه خلق أصلهم منه.

﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾^(٥): ثمّ فاجأتم وقت كونكم بشراً منتشرين في الأرض.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾: لأنّ النساء خُلِقن من نطف الرجال. أو لأنّهن من جنسهم، لا من جنس آخر.

١. الكافي ١٧٤/٧، ح ٢.

٢. المصدر: «الحد لله» بدل «العدل فيه».

٣. كمال الدين وتمام النعمة ٤٢٧/٢، ح ٢.

٤. ص وأ: لأنّ.

﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾: لتميلوا إليها وتألفوا بها. فإنَّ الجنسيَّة علَّة للضمِّ، والاختلاف

سبب للتنافر.

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾: أي بين الرجال والنساء. أو بين أفراد الجنس.

﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾: بواسطة الزواج، حال الشبق وغيرها - بخلاف سائر الحيوانات -

نظماً لأمر المعاش. أو بأنَّ تعيش الإنسان متوقِّف على التعارف والتعاون، المحوج إلى التواذ والتراحم.

وقيل ^(١): «المودة» كناية عن الجماع. و«الرحمة» عن الولد. كقوله ^(٢): «رحمة منّا».

وفي الكافي ^(٣): محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمَّد، عن علي بن الحكم، عن

معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: انصرف رسول الله ﷺ من سرية، قد كان أصيب فيها ناس كثير من المسلمين. فاستقبلته النساء. يسألنه عن قتلاهن.

فدنت منه امرأة، فقالت: يا رسول الله، ما فعل فلان؟

فقال وما هو منك؟

قالت: أبي.

قال: احمدني الله واسترجعي، فقد استشهد.

ففعلت ذلك. ثمَّ قالت: يا رسول الله، ما فعل فلان؟

فقال: وما هو منك؟

قالت: زوجي.

قال: احمدني الله واسترجعي، فقد استشهد.

فقالت: واويلي.

فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أظنُّ أنَّ المرأة تجد بزوجها هذا كله، حتَّى رأيت هذه

المرأة.

أحمد بن محمد، عن معمر بن خلاد^(١) قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ لابنة جحش: قُتِلَ خالك حمزة. قال: فاسترجعت وقالت: أحسبه عند الله. ثم قال لها: قُتِلَ أخوك. فاسترجعت وقالت: أحسبه عند الله. ثم قال لها: قُتِلَ زوجك. فوضعت يدها على رأسها وصرخت.

فقال رسول الله ﷺ: ما يعدل الزوج عند المرأة شيء.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢): فيعلمون ما في ذلك من الحكم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّتَكُم﴾: لغاتكم. بأن علم كل صنف لغة. أو ألهمه وضعها، وأقدره عليها. أو أجناس نطقكم وأشكاله. فإنه لا تكاد تسمع منطقتين متساويتين في الكيفية.

﴿وَالْوَانِكُمْ﴾: بياض الجلد وسواده. أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وحلاها. بحيث وقع التمايز والتعارف. حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق، يختلفان في شيء من ذلك لامحالة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣): لا تكاد تخفى على عاقل، من ملك وإنس.

وقرأ حفص، بكسر اللام. ويؤيده قوله^(٢): «وما يعقلها إلا العالمون»^(٣).

وفي أصول الكافي^(٤): أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عيسى^(٥) بن هشام، عن عبدالله بن سليمان^(٦)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الإمام إذا بصر إلى الرجل عرفه، وعرف لونه. وإن سمع كلامه من خلف حائط، عرفه وعرف ما هو. إن الله يقول: «ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآياتٍ للعالمين». وهم العلماء. فليس يسمع شيئاً من الأمر ينطق

١. نفس المصدر والموضع، ح ٢.

٢. العنكبوت ٤٣/.

٣. أنوار التنزيل ٢١٩/٢.

٤. م: عميس؛ س: أ: قيس. وانظر تنقيح المقال ٢٤٣/٢، رقم ٧٧١٣.

٥. س: أ: ومن: ون: أبي عبدالله بن سليمان.

به، إلا عرفه أنه ناجٍ أو هالك. فلذلك يجيبهم بالذي يجيبهم. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام^(١) قال: كفى لأولي الأبواب بخلق الربّ المسخّر وملك الربّ القاهر - إلى قوله -: وما أنطق به ألسن العباد، وما أرسل به الرسل، وما أنزل على العباد دليلاً على الربّ.

وفي توحيد المفضل بن عمر ^(٢) المنقول عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الردّ على الدهرية: تأمل - يا مفضل - ما أنعم الله تقدّست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق. الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه، ونتيجة فكره. به يفهم غيره ما في نفسه. ولولا ذلك، كان بمنزلة البهائم المهملة التي لاتخبر عن نفسها بشيء ولاتفهم عن مخبر شيئاً.

وكذلك الكتابة التي بها تفيد أخبار الماضين للباقيين وأخبار الباقيين للآتين. وبها تجلّد ^(٣) الكتب في العلوم والآداب وغيرها. وبها يحفظ الإنسان ذكرى ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب. ولولاها لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودُرست العلوم، وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم ممّا لا يسعهم جهله. ولعلّك تظنّ أنّها ممّا يخلص إليه بالحيلة والفطنة، وليس ممّا أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه.

وكذلك الكلام. إنّما هو شيء يصطّلع عليه الناس، فيجري بينهم. ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بألسن مختلفة. وكذلك بالكتابة، ككتابة العربيّ والسريانيّ والعبرانيّ والروميّ وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرّقة في الأمم إنّما اصطّلحوا عليها، كما اصطّلحوا على الكلام. فيقال لمن ادّعى ذلك: إنّ الإنسان وإن كان له في

الأميرين جميعاً فعل أوحيلة، فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيل عطية وهبة من الله ﷻ له في خلقه. فإنه لولم يكن له لسان مهياً للكلام وذهن يهتدي به للأمر لم يكن ليتكلم أبداً. و [ولولم يكن له كف مهياة وأصابع للكتابة، لم يكن ليكتب أبداً. و^(١)] اعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة. فأصل ذلك فطرة الباري جل وعز وما تفضل به على خلقه. فمن شكر أئيب. «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين»^(٢).

وفي بصائر الدرجات^(٣): أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن حماد بن عبدالله الفراء، عن معتب أنه أخبره: أن أبا الحسن الأول لم يكن يرى له ولد. فأتاه يوماً إسحاق ومحمد أخواه، وأبو الحسن يتكلم بلسان ليس بعربي. فجاء غلام سقلابي، فكلّمه بلسانه. فذهب فجاء بعلي ابنه، فقال لإخوته: هذا علي ابني. فضموه إليه واحداً بعد واحد فقبلوه. ثم كلّم الغلام بلسانه. فذهب به ثم تكلم بلسان غير ذلك اللسان. فجاء غلام أسود فكلّمه بلسانه. فذهب فجاء بإبراهيم فقال: هذا إبراهيم ابني فكلّمه بكلام. فحمله فذهب به. فلم يزل يدعو بغلام بعد غلام ويكلّمهم، حتى جاء بخمسة أولاد. والغلمان مختلفون في أجناسهم وألستهم.

محمد بن عيسى، عن علي بن مهزيار^(٤) قال: أرسلت إلى أبي الحسن عليه السلام غلامي، وكان سقلابياً. قال: فرجع الغلام إليّ متعجباً.

فقلت له: مالك يا بني؟

قال: كيف لا أتعجب؟! ما زال يكلّمني بالسقلابية، كأنه واحد منا. فظننت أنه إنما دار بينهم.

أحمد بن محمد، عن أبي القاسم وعبدالله بن عمران^(٥)، عن محمد بن بشير، عن

٢. آل عمران / ٩٧.

١. من المصدر.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ٣.

٣. بصائر الدرجات / ٣٥٣، ح ٢.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٤.

رجل، عن عَمَّار السَّاباطِي قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عَمَّار «أبو مسلم فضله فكسا فكسحه فسطورا».

قلت: جعلت فداك، ما رأيت نبطياً أفصح منك.

فقال: يا عَمَّار، وبكلّ لسان.

وروى يعقوب بن يزيد^(١)، عن ابن أبي عمير، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام يرفع الحديث إلى الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما وعلى آبائهما أنّه قال: إنّ لله مدينتين. إحداهما بالشرق، والأخرى بالمغرب. عليهما سور من حديد. وعلى كلّ مدينة ألف ألف مصراع من ذهب. وفيها سبعون ألف لغة يتكلّم كلّ لغة بخلاف صاحبه. وأنا أعرف جميع اللغات. وما فيها، وما بينهما، فما عليهما حجة غيري والحسين أخي.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، بإسناده إلى عبد الله بن يزيد بن سلام أنّه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: فأخبرني عن آدم، لم سُمّي آدم؟ قال: لأنّه من طين الأرض وأديمها.

قال: فأدم خلّق من الطين كلّهُ أو من طين واحد؟

قال: بل من الطين كلّهُ. ولو خلّق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة.

قال: فلهم في الدنيا مثل؟

قال: التراب. فيه أبيض، وفيه أخضر، وفيه أشقر، وفيه أغبر، وفيه أحمر، وفيه أزرق، وفيه عذب، وفيه ملح، وفيه خشن، وفيه لين، وفيه أصهب. فلذلك صار الناس فيهم لين، وفيهم خشن، وفيهم أحمر وأبيض، وفيهم أصفر وأصهب وأسود على ألوان التراب. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده إلى سهل بن زياد الأدمي^(١) قال حَدَّثَنَا عبدالعظيم بن عبدالله الحسني قال: سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول: عاش نوح ألفين وخمسمائة سنة. وكان يوماً في السفينة نائماً، فهبَّت ريح فكشفت عن عورته. فضحك حام ويافث، فزجرهما سام عليه السلام ونهاهما عن الضحك. وكان كلما غطى سام شيئاً تكشفه الريح، كشفه حام ويافث. فانتبه نوح عليه السلام فرأهم وهم يضحكون، فقال: ما هذا؟ فأخبره سام بما كان. فرفع نوح يده إلى السماء يدعو ويقول: اللهم غَيِّرْ ماء صلب حام حتَّى لا يولد له ولد إلا السودان. اللهم غَيِّرْ ماء صلب يافث، فغيَّر الله ماء صلبهما. فجميع السودان حيث كانوا من حام. وجميع الترك والسقالب وأجوج والصين من يافث حيث كانوا. وجميع البيض سواهم من سام. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: منامكم في الزمانين، لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما. أو منامكم بالليل وابتغاءكم بالنهار، فلَفَّ وضمَّ بين الزمانين والفعلين بعاطفين، إشعاراً بأنَّ كلاً من الزمانين وإن اختصَّ بأحدهما صالح للآخر عند الحاجة. ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه^(٢).

١. نفس المصدر ٣٢/٣٣، ح ١.

٢. يوجد في هامش نسخة م: عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى سماء الدنيا. فما رأت الروح في سماء الدنيا، فهو حقٌّ. وما رأت في الهواء، فهو الأضغاث.

قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إنَّ المرء إذا نام، خرجت روحه. فإنَّ روح الحياة (المصدر: روح الحيوان) باقية في البدن. فالذي يخرج منه روح العقل، وكذلك هو في المنام أيضاً.

قال عبدالغفار الأسلمي: يقول الله تعالى [الزمر/٤٢]: «الله يتوفى الأنفس حين موتها» إلى قوله: «إلى أجل مسمى» أفليس ترى الأرواح كلَّها تصير إليه عند منامها فيمسك ما يشاء ويرسل ما يشاء؟

فقال له أبو الحسن: إنَّما يصير إليه أرواح العقول: فأما أرواح الحياة، فإنَّها في الأبدان لا تخرج إلا بالموت. ولكنَّه إذا قضى على نفس الموت، فقبض الروح الذي فيه روح العقل. ولو كانت روح الحياة خارجة، لكان بدنًا ملقى لا يتحرَّك. ولقد ضرب الله لهذا مثلاً في كتابه في أصحاب الكهف حيث قال [الكهف

وفي توحيد المفضل بن عمر^(١) المنقول عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في الرد على الدهرية: والكرى يقتضي^(٢) النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه، إلى أن قال عليه السلام: وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم، بالتكفر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه، كان عسى أن يتناقل عن ذلك في دفعه حتى ينهك^(٣) بدنه.

وفي كتاب علل الشرائع^(٤)، بإسناده إلى يعقوب بن شعيب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: في بني آدم ثلاثمائة وستين عرقاً. ثمانون ومائة متحركة، وثمانون ومائة ساكنة. فلو سكن المتحرك، لم ينم. أو تحرك الساكن، لم ينم. فكان رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: الحمد لله رب العالمين كثيراً على كل حال. ثلاثمائة وستين مرة. وإذا أمسى، قال مثل ذلك.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٥)، حديث طويل، يقول فيه الحسن بن علي عليه السلام مجيباً للخضر عليه السلام بأمر أبيه أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله وقد سأله عن مسائل: أما ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه. فإن روحه متعلقة بالريح. والريح متعلقة^(٦) بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة. فإن أذن الله ﷻ برد تلك الروح على صاحبها [جذبت تلك الروح الريح وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت الروح فأسكنت في بدن صاحبها]^(٧) وإن لم يأذن الله ﷻ برد تلك الروح على صاحبها، جذب الهواء الريح، وجذبت الريح الروح، فلم تُردَّ على صاحبها إلى وقت ما يُبعث.

⇒ ١٨/ : «ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال» أفلا ترى أن أرواحهم فيهم بالحركات؟ من كتاب جامع الأخبار [ص ١٩٩ - ٢٠٠، فصل ١٣٦] وما يأتي في سورة السجدة من أحاديث النوم والموت مناسب للمقام.

١. بحار الأنوار ٧٩/٣.

٢. المصدر: يقضي.

٣. هكذا في المصدر. وفي م ون: «ينهلك». وفي سائر النسخ: «يهلك».

٤. علل الشرائع ٣٥٣-٣٥٤، ح ١.

٥. كمال الدين وتمام النعمة ٢١٣/١-٢١٤، ح ١.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «معلقة».

٧. ليس في أ.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من خبر الشامي، وما سأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام في جامع الكوفة، حديث طويل، وفيه: وسأله عن النوم، على كم وجه هو؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: النوم على أربعة أصناف: الأنبياء تنام على أقيمتها مستقبلة، وأعينها لاتنام، متوقعة لوجي ربها صلى الله عليه وآله والمؤمنون ينامون على يمينهم، مستقبلين القبلة. والملوك وأبناؤها على شمانها ليستمرؤوا ما يأكلون. وإبليس وإخوانه وكل مجنون وذو عاهة ينامون على وجوههم منبطحين.

وفي كتاب الخصال^(٢): عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قالت أم سليمان بن داود لسليمان: إياك وكثرة النوم بالليل. فأث كثره النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة.

عن أبي الحسن عليه السلام^(٣) قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة: الأكل زاده وحده، والراكب في الفلاة وحده، والنائم في بيت وحده.

وفيما أوصى به النبي عليه السلام^(٤): يا علي، ثلاث يتخوف منهن: الجنون إلى قوله صلى الله عليه وآله: والرجل ينام وحده.

وفيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمائة باب^(٥): إذا نام أحدكم^(٦) فليضع يده اليمنى تحت خده الأيمن. فإنه لا يدري أبتنه من رقدته أم لا. لا ينام الرجل على المحجّة^(٧).

لا ينام الرجل على وجهه. من رأيتموه نائماً على وجهه، فأنبهوه ولا تدعوه^(٨). إذا أراد أحدكم النوم، فليضع يده اليمنى تحت خده الأيمن وليقل: بسم الله وضعت

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/١٩٣، ح ١.

٢. الخصال ١/٢٨، ح ٩٩.

٣. نفس المصدر ١/٩٣، ح ٣٨.

٤. نفس المصدر ١/١٢٥، ح ١٢٢.

٥. نفس المصدر ٦٣٦.

٦. المصدر: إذا أراد أحدكم النوم.

٧. نفس المصدر ٦١٣. وفيه: المحجّة.

٨. نفس المصدر والموضع.

جنبني الله على ملة إبراهيم ودين محمد وولاية من افترض الله طاعته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فمن قال ذلك، حفظ من اللص المغير والهدم واستغفرت له الملائكة^(١).

من قرأ: «قل هو الله أحد» حين يأخذ مضجعه، وكل الله ﷻ به خمسين ألف ملك يحرسونه ليلته^(٢).

وإذا أراد أحدكم النوم، فلا يضعن جنبه على الأرض حتى يقول: أعيذ نفسي وديني وأهلي [وولدي]^(٣) ومالي وخواتيم عملي وما رزقني ربي وخولني، بعزة الله وعظمة الله وجبروت الله وسلطان الله ورحمة الله ورأفة الله وغفران الله وقوة الله وقدرة الله وجلال الله وبصنع الله وأركان الله وبجمع الله وبرسول الله ﷺ وبقدرة الله على ما يشاء، من شر السامة والهامة، ومن شر الإنس والجن، ومن شر ما يدب في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن [شر]^(٤) كل دابة ربي^(٥) آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فإن رسول الله ﷺ [كان يعوذ الحسن والحسين. وبذلك أمرنا رسول الله ﷺ]^(٦).

إذا انتبه أحدكم من نومه، فليقل: لا إله إلا الله الحليم^(٧) الكريم الحي القيوم، وهو على كل شيء قدير، سبحان ربّ النبيين وإله المرسلين، سبحان ربّ السموات السبع وما فيهنّ وربّ الأرضين السبع وما فيهنّ وربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين. وإذا جلس من نومه، فليقل قبل أن يقوم: حسبي الله، حسبي الرب من العباد،

١. نفس المصدر / ٦٣١.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. من المصدر.

٤. من المصدر.

٥. المصدر: أنت.

٦. من المصدر. والحديث في نفس المصدر والموضع.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الحكيم.

حسبي الذي هو حسبي مذ كنت ، حسبي الله ونعم الوكيل ^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام ^(٢) قال : ثلاث خصال فيهنّ المقت من الله تعالى : نوم من غير سهر . وضحك من غير عجب . وأكل على الشبع .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ ^(٣) : سماع تفهّم واستبصار . فإنّ الحكمة فيه ظاهرة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ﴾ : مقدّر « بأن » كقوله :

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلد
أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر . كقولهم : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه . أو صفة
لمحذوف ، تقديره : آية يريكم بها البرق . كقوله :

فما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيس أكدح

﴿ خَوْفًا ﴾ : من الصاعقة ، للمسافر .

﴿ وَطَمَعًا ﴾ : للغيث ، للمقيم .

ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور ^(٤) . فإنّ إراءتهم تستلزم رؤيتهم . أوّله على
تقدير مضاف ، نحو : إرادة خوف ، أو طمع . أو تأويل الخوف والطمع ، بالإخافة
والإطماع . كقولك : فعلته رغماً للشيطان . أو على الحال ؛ مثل : كلمته شفاهاً .

﴿ وَنُزِّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ : وقرئ بالتشديد ^(٥) .

﴿ فَبُخِّي بِهِ الْأَرْضَ ﴾ : بالنبات .

﴿ بَعْدَ مَوْنِهَا ﴾ : بيسها .

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٦) : يستعملون عقولهم في استنباط أسبابه ،
وكيفية تكوّنها . ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ : قيامهما بإقامته لهما وإرادته لقيامهما

٢ . نفس المصدر / ٨٩ ، ج ٢٦ .

١ . نفس المصدر / ٦٢٥ .

٤ . أنوار التنزيل / ٢٢٠/٢ .

٣ . هكذا في ن . وفي سائر النسخ : الذكور .

في حَيَزَهما المعَيَّنَينِ، من غير مقيم محسوس. والتعبير بالأمر، للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(١): «ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره» يعني: السماء والأرض هاهنا.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٠): عطف على «أن تقوم» على تأويل مفرد. كأنه قيل: ومن آياته قيام السموات والأرض بأمره، ثم خروجكم من القبور إذا دعاكم دعوة واحدة. فيقول: أيها الموتى، اخرجوا.

والمراد، تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على تعلق إرادته. بلا توقف واحتياج إلى تجشّم عمل، بسرعة ترتب إجابة الداعي المطاع على دعائه. و«ثم» إمّا لتراخي زمانه. أو لعظم ما فيه.

و«من الأرض» متعلق «بدعا». كقوله: دعوته من أسفل الوادي، فطلع عليّ. لا «بتخرجون». لأنّ ما بعد «إذا» لا يعمل فيما قبلها. و«إذا» الثانية للمفاجأة. ولذلك نابت مناب «الغاء» في جواب الأولى.

وفي عوالي اللثالي^(٢) وفي الحديث عنه عليه السلام قال: من قرأ حين يصبح: «فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون» الآيات الثلاث إلى «تخرجون» أدرك ما فاته في يومه. وإن قالها حين يمسي، أدرك ما فاته في ليلته.

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَائِتُونَ﴾ (٢١): منقادون لفعله. فهم لا يمتنعون عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: بعد هلاكهم. ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: والإعادة أسهل عليه من الأصل، بالإضافة إلى قدركم والقياس إلى أصولكم. ولأفهما عليه سواء. ولذلك قيل: «الهاء» للخلق.

وقيل ^(١): «أهون» بمعنى: هينَ وتذكير «هو» لِـ «أهون». أو لأنَّ الإعادة بمعنى: أن يعيد.

﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾: الوصف العجيب الشأن. كالقدرة العامة، والحكمة التامة. ومن فسره يقول: لا إله إلا الله، أراد به الوصف بالواحدانية.

﴿الْأَعْلَى﴾: ليس لغيره ما يساويه، أو يدانيه.

وفي كتاب التوحيد ^(٢): بإسناده إلى حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل. يقول فيه: وقوم وصفوه ببدين، فقالوا: «يد الله مغلولة» ^(٣). وقوم وصفوه بالرجلين، فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس، فمنها ارتقى إلى السماء. وقوم ^(٤) وصفوه بالأنامل، فقالوا: إنَّ محمداً قال: إنِّي وجدت برد أنامله على قلبي ^(٥). فلمثل هذه الصفات. قال ^(٦): «رَبَّ العرشَ عَمَّا يصفون». يقول: رَبَّ المثل الأعلى عَمَّا به مثله. «ولله المثل الأعلى» ^(٧) الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يُتوهَّم. فذلك المثل الأعلى.

وفي عيون الأخبار ^(٨) بإسناده إلى ياسر الخادم، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام يا علي، أنت حجة الله. وأنت باب الله. وأنت الطريق إلى الله. وأنت النبا العظيم. وأنت الصراط المستقيم. وأنت المثل الأعلى. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي عيون الأخبار ^(٩) أيضاً في الزيارة لجميع الأئمة عليهم السلام المنقولة عن الجواد عليه السلام ^(١٠): السلام على أئمة الهدى - إلى قوله -: وورثة الأنبياء والمثل الأعلى.

١. أنوار التنزيل ٢/ ٢٢٠.

٢. التوحيد ٣٢٣-٣٢٤، ضمن حديث ١.

٤. المصدر: قوماً.

٣. المائدة/ ٦٤.

٦. الأنبياء/ ٢٢. والزخرف/ ٨٢.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: قلبه.

٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦/ ٢، ح ١٣.

٧. النحل/ ٦٠.

١٠. المصدر: عن الهادي عليه السلام.

٩. نفس المصدر ٣/ ٢٧٧، ح ١.

عن عبدالله بن العباس^(١) قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيباً. فقال في آخر خطبته: نحن كلمة التقوى، وسبيل الهدى، والمثل الأعلى، والحبّة العظمى، والعروة الوثقى. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾: يصفه به ما فيهما، دلالة ونطقاً.
 ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾: القادر. الذي لا يعجز عن إبداء ممكن، وإعادته.
 ﴿ الْحَكِيمُ ﴾^(٢): الذي يجري الأفعال على مقتضى حكمته.
 ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾: منتزعاً من أحوالها. التي هي أقرب الأمور إليكم.
 ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾: من ممالئكمكم.
 ﴿ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾: من الأموال وغيرها.
 ﴿ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾: فتكونون أنتم وهم فيه شرعاً. يتصرفون فيه كتصرفكم. مع أنهم بشر مثلكم، وأنها معارة لكم.

و«من» الأولى، للابتداء. والثانية، للتبويض. والثالثة، مزيدة لتأكيد الاستفهام، الجاري مجرى النفي.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): فَأَمَّا قَوْلُهُ ﷻ: «ضَرَبَ اللَّهُ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ» فَإِنَّهُ كَانَ سَبَبَ نَزُولِهَا: أَنَّ قَرِيشاً وَالْعَرَبَ كَانُوا إِذَا حَجَّوْا يَلْبُتُونَ. وكانت تلبيتهم: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ لَا شَرِيكَ [لَكَ]^(٤). وهي تلبية إبراهيم والأنبياء^(٥) فجاءهم إبليس في صورة شيخ فقال لهم: ليس هذه تلبية أسلافكم. قالوا: وما كانت تلبيتهم؟

قال: كانوا يقولون: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ. ففترق

١. لم نعثر عليه في العيون، ولكن في الخصال ٤٣٢، ضمن حديث ١٤. وأورده عن الخصال في البحار

٢. تفسير القمي ١٥٤/٢.

٣. ٢٤٤/٢ ح. ٥.

٣. من ن.

قريش من هذا القول. فقال لهم إبليس: على رسلكم حتى آتي على آخر كلامي.

فقالوا: ما هو؟

[فقال: ^(١)إلا شريك هو لك، تملكه وما يملك. ألا ترون أنه يملك الشريك وما ملكه. فرضوا بذلك وكانوا يلبّون بهذا قريش خاصة. فلما بعث الله ﷺ رسوله ﷺ أنكر ذلك عليهم وقال: هذا شرك. فأنزل الله ﷻ: «ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء» أي ترضون أنتم فيما تملكون أن يكون لكم فيه شريك. وإذا لم ترضوا أنتم أن يكون لكم فيما تملكونه فيه شريك، فكيف ترضون أن تجعلوا لي شريكاً فيما أملك.

﴿تَخَافُونَهُمْ﴾: يستبدّوا بالتصرّف فيه.

﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: كما يخاف الأحرار بعضهم من بعض.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك التفصيل.

﴿فُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾: نبّيها. فإنّ التمثيل ممّا يكشف المعاني ويوضحها.

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ^(٢): يستعملون عقولهم في تدبّر الأمثال.

﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بالإشراك.

﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلين. لا يكفهم شيء. فإنّ العالم إذا اتبع هواه ربّما ردعه

عنه.

﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾: فمن يقدر على هدايته.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ^(٣): يخلصونهم من الضلالة، ويحفظونهم عن أفاتنا.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾: فقومه له، غير ملتفت، أو ملتفت عنه. وهو تمثيل

للإقبال والاستقامة عليه ^(٢)، والاهتمام به.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣): وقوله ﷻ: «أقم وجهك للدين حنيفاً» أي طاهراً.

أخبرنا الحسين بن محمد^(١)، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن جعفر بن بشير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً» قال: هي الولاية.

أخبرنا أحمد بن إدريس^(٢)، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن حماد بن عثمان النائب وخلف بن حماد، عن الفضيل بن يسار وربيع بن عبدالله، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً». قال: يقيم^(٣) في الصلاة، لا يلتفت يمينا ولا شمالاً.

وفي أصول الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً» قال: هي الولاية.

وفي تهذيب الأحكام^(٥): علي بن الحسن الطاطري، عن محمد بن أبي حمزة، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأله عن قول الله تعالى: «فأقم وجهك للدين حنيفاً».

قال: أمره أن يقيم وجهه للقبلة، ليس فيه شيء من عبادة الأوثان^(٦).

﴿فَطَرَهُ اللَّهُ﴾: خلقته. نصب على الإغراء. أو المصدر. بما دل عليه ما بعدها.

﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾: خلقهم عليها. وفي قبولهم للحق، وتعكنهم من إدراكه.

أو ملة الإسلام، فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها.

وقيل^(٧): العهد المأخوذ من آدم وذريته.

وفي أصول الكافي^(٨): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر ١٥٤/٢ - ١٥٥.

٣. المصدر. قم.

٤. الكافي ٤١٨/١، ح ٣٥.

٥. تهذيب الأحكام ٤٢/٢، ح ١.

٦. في المصدر زيادة وهي: خالصاً مخلصاً.

٧. الكافي ١٢/٢، ح ١.

٨. أنوار التنزيل ٢٢١/٢.

سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت: «فطرة الله التي فطر الناس عليها». قال: التوحيد. علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى^(١)، عن يونس عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألت عن قول الله تعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» ما تلك الفطرة؟

قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد. قال^(٢): «ألست برَبِّكم» وفيه المؤمن والكافر.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد^(٣)، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها». قال: فطرهم جميعاً على التوحيد.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٤)، عن ابن فضال، عن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «فطرة الله التي فطر الناس عليها». قال: فطرهم على التوحيد.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(٥)، عن الحسن بن محبوب، عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: لِمَ يكون الرجل عند الله مؤمناً قد ثبت له الإيمان عنده، ثم ينقله الله بعدُ من الإيمان إلى الكفر؟

قال: فقال: إِنَّ الله تعالى هو العدل. إِنَّمَا دعا العباد إلى الإيمان به، لا إلى الكفر. ولا يدعوا أحداً إلى الكفر. فمن آمن بالله ثم ثبت له الإيمان عند الله، لم ينقله الله تعالى من الإيمان إلى الكفر.

قلت له: فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله، ثم ينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟

١. نفس المصدر والموضع، ح ٢.
 ٢. نفس المصدر والموضع.
 ٣. نفس المصدر ١٣/٢، ح ٥.
 ٤. الأعراف ١٧٢.
 ٥. نفس المصدر ٤١٧/٢، ح ١.

قال: فقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَهُمْ عَلَيْهَا. لَا يَعْرِفُونَ إِيْمَانًا بِشَرِيعَةٍ وَلَا كُفْرًا بِجُحُودٍ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّسُلَ يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى الْإِيْمَانِ بِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَهْدِهِ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(١): حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّمَازِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرِّضَا، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا». قَالَ: هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُّ اللَّهِ. إِلَى هَاهُنَا التَّوْحِيدُ.

وفي بصائر الدرجات^(٢): أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا».

قال: فقال: على التوحيد، ومحمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين عليه السلام. وفي كتاب التوحيد^(٣): أَبِي عليه السلام قَالَ: حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ سَنَانَ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ فَضِيلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا». قَالَ: عَلَى التَّوْحِيدِ.

[حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ عليه السلام^(٤) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الصَّفَّارُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ وَيَعْقُوبَ بْنَ يَزِيدَ، عَنْ ابْنِ فَصَّالٍ، عَنْ بَكِيرٍ، عَنْ زُرَّارَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا». قَالَ: فَطَرَهُمْ عَلَى التَّوْحِيدِ.

[حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ عليه السلام^(٥) قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ

٢. بصائر الدرجات ٧٨/، ح ٧.

٤. نفس المصدر والموضع، ح ٣.

١. تفسير القمي ٢٥٤/٢ و ٢٥٥.

٣. التوحيد ٣٢٨/، ح ١.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٧.

الصفار، عن علي بن حسان الواسطي، عن الحسن بن يونس، عن عبدالرحمن [بن كثير] ^(١) مولى أبي جعفر، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «فطرة الله التي فطر الناس عليها».

قال: علي ^(٢) التوحيد ^(٣) ومحمد رسول الله، وعلي أمير المؤمنين عليه السلام.
أبي عليه السلام قال ^(٤): حدثنا سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن ابن مسكان، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله، قول الله ﷻ في كتابه: «فطرة الله التي فطر الناس عليها».

قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق، وعلى معرفة أنه ربهم.

قلت: وخاطبوه؟

قال: فطأطأ رأسه. ثم قال: فلو لا ذلك، لم يعلموا من ربهم ولا من رازقهم.
حدثنا أبو أحمد القاسم بن محمد بن أحمد السراج الهمداني ^(٥) قال: حدثنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن إبراهيم السرنديبي قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن عبدالله بن هارون الرشيد بحلب قال: حدثنا محمد بن آدم بن أبي إياس قال: [حدثنا] ^(٦) ابن أبي أديب، عن ابن عمر ^(٧) قال: قال رسول الله ﷺ لا تضربوا أطفالكم على بكائهم. فإن بكاءهم أربعة أشهر، شهادة أن لا إله إلا الله. وأربعة أشهر، الصلاة على النبي ﷺ وأربعة أشهر، الدعاء لوالديه.

حدثنا علي بن أحمد بن محمد بن محمد بن عمران الدقاق عليه السلام ^(٨) قال: حدثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي قال: حدثنا ^(٩)

٢. ليس في المصدر.

١. من المصدر.

٤. نفس المصدر / ٣٣٠، ح ٨.

٣. ليس في ن.

٦. من المصدر.

٥. نفس المصدر / ٣٣١، ح ١٠.

٧. المصدر: «ابن أبي ذئب عن نافع» بدل «ابن أبي أديب عن ابن عمر».

٩. المصدر: حدثني.

٨. نفس المصدر / ٥٦، صدر حديث ١٤.

علي بن العباس قال: حدثنا^(١) جعفر بن محمد الأشعري، عن فتح بن يزيد الجرجاني قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد، فكتب إلي بخطه. قال جعفر، وإن فتحاً أخرج إلي الكتاب، فقرأته بخط أبي الحسن عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الملهم عباده الحمد، وفاطهم على معرفة ربوبيته. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي^(٢): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت شريعة نوح صلوات الله عليه أن يُعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد. وهي الفطرة التي فطر الناس عليها. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٣) وعدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن زياد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثي ربا. وكان أبوه من أهلها. وكانت أم إبراهيم وأم لوط سادة وورقة. وفي نسخة رقية - أختين. وهما ابنتان للآحج. وكان الآحج نبياً منذراً، ولم يكن رسولاً. وكان إبراهيم عليه السلام في شببته على الفطرة التي فطر الله عليها الخلق عليها، حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتبه. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن مسعدة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «كان الناس أمة واحدة» الآية، وذكر حديثاً طويلاً. وفي آخره قلت: أفضللاً كانوا قبل النبيين، أم على هدي؟

٢. الكافي ٢٨٢/٨، صدر حديث ٤٢٤.

١. المصدر: حديثي.

٣. نفس المصدر ٣٧٠/٨، صدر حديث ٥٦٠.

٤. تفسير العياشي ١٠٥/١، ذيل حديث ٣٠٩ وأوله في ص ١٠٤.

٥. البقرة ٢١٣.

قال: لم يكونوا على هدى. كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها «لا تبدل لخلق الله» ولم يكونوا ليهدوا حتى يهديهم الله، أما تسمع لقول إبراهيم^(١): «لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين»: ناسياً للميثاق.

وفي محاسن البرقي^(٢): عن أبيه، عن علي بن النعمان، عن عبدالله بن مسكان، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «فطرة الله التي فطر الناس عليها». قال: فطرهم على معرفته، أنه ربهم. ولو لا ذلك، لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ومن رازقهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): محمد بن العباس عليه السلام قال: حدثنا أحمد بن الحسن المالكي، عن محمد بن عيسى، عن الحسن بن سعيد^(٤)، عن جعفر بن بشير، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله ﷻ: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها». قال: هي الولاية.

وروى محمد بن الحسن الصفار^(٥)، بإسناده عن عبدالرحمن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله ﷻ: «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها». قال: على^(٦) التوحيد. وأن محمداً رسول الله. وأن علياً أمير المؤمنين، صلوات الله عليهما وعلى ذريتهما الطيبين صلاة دائمة إلى يوم الدين.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لا يقدر أحد أن يغيره. أو ما ينبغي أن يغيره. وفي أصول الكافي^(٧): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله ﷻ: «حنفاء لله غير مشركين به».

٢. المحاسن ٢٤١/٢، ح ٢٢٤.

١. الأنعام ٧٧.

٤. م والأصل: الحسين بن سعيد.

٣. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣٥.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: هي.

٥. نفس المصدر والموضع.

٨. الحج ٣١.

٧. الكافي ١٢/٢-١٣، ح ٤.

قال: الحنيفية من الفطرة التي فطر الله الناس عليها. «لا تبديل لخلق الله» قال: فطرهم على المعرفة.

فقال زارة: وسألت عن قول الله ﷻ^(١): «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى».

قال: أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذرة. فعرفهم وأراهم نفسه. ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه. قال: وقال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة. يعني على المعرفة بأن الله ﷻ خالقه. وكذلك قوله^(٢): «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله».

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له. أو الفطرة، إن فُسرت بالملة.

﴿الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾: المستوي^(٣)، الذي لا عوج فيه.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤): استقامته، لعدم تدبرهم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه. من أناب: إذا رجع مرة بعد أخرى.

وقيل^(٥): منقطعين إليه.

والإنابة: الانقطاع إلى الله بالطاعة. فأصله على هذا: القطع. ومنه الناب لأنه قاطع، وينيب في الأمر: إذا نشب فيه، كما ينشب القاطع.

وهو حال من الضمير في الناصب المقدّر «لفطرة الله». أو في «أقم» لأن الآية خطاب للرسول ﷺ ولأمته، لقوله:

﴿وَاتَّقُوا وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦): غير أنها صُدّرت بخطاب

النبي ﷺ تعظيماً له، يعني: فأقيموا وجوهكم منيبين إليه، راجعين إلى كل ما أمر به، مع التقوى وأداء الفرض والإخلاص في التوحيد.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: بدل من «المشركين» أي الذين فرقوا عن دينكم.

وقيل ^(١): تفريقهم: اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم. فبعضهم يعبدونه بطريق، وبعضهم بطريق آخر.

وقيل ^(٢): معناه: الذين أوقعوا في دينهم الاختلاف، وصاروا ذوي أديان مختلفة. فصار بعضهم يعبد وثناً، وبعضهم يعبد ناراً، وبعضهم يعبد شمساً إلى غير ذلك. وقرأ حمزة والكسائي: «فارقوا» بمعنى: تركوا دينهم الذي أمروا به ^(٣). وهو يؤيد المعنى الأول.

﴿وَكَانُوا شَيْعاً﴾: فرقاً. تشايح كل إمامها، الذي أضل دينها.

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ^(٤): راضون معجبون مسرورون. ظناً بأنه الحق.

قيل ^(٥): ويجوز أن يجعل «فرحون» صفة «كل» على أن الخبر «من الذين فرقوا».

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾: شدة.

﴿دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعين إليه من دعاء غيره.

﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾: خلاصاً من تلك الشدائد.

﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ^(٦): فاجأ فريق منهم بالإشراك بربهم الذي عافاهم.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾: «اللام» فيه للعاقبة.

وقيل ^(٧): للأمر، بمعنى: التهديد. لقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾: غير أنه التفت فيه بمبالغة.

وقرئ: «وليتمتعوا» ^(٨).

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٩): عاقبة تمتعكم.

وقرئ بالياء، على أن «تمتعوا» ماض ^(١٠).

﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً﴾: حجة.

٢. مجمع البيان ٤/٣٠٤.

٤-٧. نفس المصدر والموضع.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. أنوار التنزيل ٢/٢٢١.

وقيل ^(١): «ذا سلطان، أي ملكاً معه برهان.

﴿فَهُوَ يَنْكَلِمُ﴾: تكلّم دلالة على الأول. وتكلّم نطق على الثاني.

﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْرِكُونَ﴾ ^(٢): بإشراكهم وصحّته. أو بالأمر الذي بسببه يشركون به في الوهيته.

والمعنى: إنهم لا يقدرّون على تصحيح ذلك بوجه.

﴿وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: من نعمة وسعة وصحة.

﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: بطروا بسببها.

﴿وَأَن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدة.

﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بشؤم معاصيهم.

﴿إِذَا هُمْ يَقْتِنُونَ﴾ ^(٣): فاجأوا القنوط من رحمته.

وإنما قال: «بما قدّمت أيديهم» ولم يقل: بما قدّموا، على التغليب للأكثر الأظهر. فإن أكثر العمل للبدن. والعمل للقلب وإن كان كثيراً، فإنه أخفى.

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويضيق لمن يشاء على حسب ما تقتضيه مصالح العباد. فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾: في بسط الرزق لقوم، وتضييقه لقوم آخرين.

﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٤): فيستدلّون بها على كمال القدرة والحكمة.

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾: أي اعط ذوي قرباك يا محمّد حقوقهم، التي جعلها الله لهم من الأخماس.

وفي مجمع البيان ^(٥): «روى أبو سعيد الخدري وغيره: أنّه لما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ أعطى فاطمة فدكاً، وسلّمه إليها. وهو المروي عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليه السلام.

وقيل ^(١): إنّه خطاب له ولغيره. والمراد بالقربى: قرابة الرجل. وهو أمر بصلة الرحم بالمال والنفس.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عثمان بن عيسى وحمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا بويع لأبي بكر واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى فذك فأخرج وكيل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله منها.

فجاءت فاطمة إلى أبي بكر فقالت: يا أبا بكر، منعني ^(٣) ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله وأخرجت وكيلي من فذك، وقد جعلها ^(٤) لي رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله صلى الله عليه وآله. فقال لها: هاتي على ذلك شهوداً.

فجاءت بأُم أيمن، فقالت: لا أشهد حتّى أحتجّ - يا أبا بكر - عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: أنشدك الله - يا أبا بكر - أأست تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ أُم أيمن امرأة من أهل الجنّة؟ قال: بلى.

قالت: فأشهد بأنّ الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: «فأت ذا القربى حقّه» فجعل فذكاً لفاطمة بأمر الله. وجاء عليّ، فشهد بمثل ذلك. فكتب لها كتاباً بفذك ودفعه إليها. فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟

فقال أبو بكر: إنّ فاطمة ادّعت في فذك، وشهدت لها أُم أيمن وعليّ، فكتبت لها بفذك. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فمزّقه، وقال: هذا فيء للمسلمين. وقال: أوس بن الحدثان ^(٥) وعائشة وحفصة يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّنا معاصر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة. وإنّ عليّاً زوجها يجرّ إلى نفسه. وأمّ أيمن فهي امرأة

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ١٥٥/٢ - ١٥٩.

٣. ن: منعت.

٤. ن: وهبه.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «أويس بن الحدثان» انظر تنقيح المقال ١٥٦/١، رقم ١١١٩.

صالحة. لو كان معها غيرها، لنظرنا فيه.

فخرجت فاطمة عليها السلام من عندهما باكية حزينة. فلما كان بعد هذا، جاء علي عليه السلام إلى أبي بكر وهو في المسجد وحوله المهاجرون والأنصار. فقال: يا أبا بكر لِمَ منعت فاطمة من ميراثها من رسول الله ﷺ وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هذا فيء للمسلمين. فإن أقامت شهوداً أن رسول الله ﷺ جعله لها، وإلا فلا حق لها فيه.

فقال أمير المؤمنين: تحكم - يا أبا بكر - فينا بخلاف حكم الله في المسلمين؟ قال: لا.

قال: فإن كان في يد المسلمين شيء يملكونه وأدعيت أنا فيه، ممن تسأل البيّنة؟ قال: إني كنت أسأل البيّنة على ما تدعيه على المسلمين. قال: وإذا كان في يدي شيء فادّعي فيه المسلمون، فتسألني البيّنة على ما في يدي وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ وبعده، ولم تسأل المسلمين [البيّنة] ^(١) على ما ادّعوا عليّ شهوداً كما سألتني على ما ادّعيت عليهم؟ فسكت أبو بكر. ثم قال عمر: يا عليّ، دعنا من كلامك. فإنا لا نقوى على حججك ^(٢). فإن أتيت شهوداً عدولاً، وإلا فهو فيء للمسلمين، ولا حق لك ولفاطمة فيه.

فقال أمير المؤمنين: يا أبا بكر أقرأ ^(٣) كتاب الله؟ قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله ﷻ ^(٤) «إِنَّمَا يريد الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فيمن نزلت، فينا أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم.

٢. هكذا في ن والمصدر. وفي سائر النسخ: حجتك.

٤. الأحزاب/ ٢٣.

١. من المصدر.

٣. المصدر: قرأ.

قال: فلو أنَّ شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدَّ، كما أقيم على سائر المسلمين.

قال: كنت إذاً عند الله من الكافرين.

قال: ولم؟

قال: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها. كما رددت حكم الله وحكم رسوله ان جعل لها فدياً^(١) وقبضته في حياته، ثمَّ قبلت شهادة أعرابيٍّ بائل على عقيبه عليها. فأخذت منها فدياً^(٢) وزعمت أنه فيء للمسلمين^(٣). وقد قال رسول الله ﷺ: البيّنة على من ادّعى، واليمين على من ادّعى عليه.

قال: فدمدم الناس وبكى بعضهم. فقالوا: صدق - والله - عليّ عليه السلام ورجع عليّ صلوات الله عليه إلى منزله.

قال: فدخلت فاطمة عليها السلام المسجد وطافت بقبر أبيها عليه السلام وهي تبكي وتقول:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب
قد كان بعدك أنباء وهنبنة	لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
قد كان جبرائيل بالآيات يؤنسنا	فغاب عنا فكلَّ الخير محتجب
وكنتم بدرأ منيراً ^(٤) يستضاء به	عليك تنزل من ذي العزة الكتب
تهضممتنا رجال واستخف بنا	إذ غبت عنا فنحن اليوم نُغتصب
فكلَّ أهل لهم ^(٥) قربي ومنزلة	عند الإله لدى الأذنين مقرب
أبدت رجال لنا نجوى ^(٦) صدورهم	لما مضيت وحالت دونك التراب ^(٧)
فقد رزئنا بما لم يرزاه ^(٨) أحد	من البرية لا عجم ولا عرب

١. المصدر والنسخ: فذك.

٢. المصدر والنسخ: فذك.

٣. المصدر: المسلمين.

٤. المصدر: ونوراً.

٥. المصدر: له.

٦. المصدر: فحوى.

٧. المصدر: الكتب.

٨. في النسخ: «يزروه».

فقد رزنا به محضاً خليقته صافي الضرائب والأعراق والنسب
 فأنت خير عباد الله كلهم وأصدق الناس حين الصدق والكذب
 فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت منّا العيون بهمال لها سكب^(١)
 سيعلم المتوّلّي^(٢) ظلم حامتنا يوم القيامة أنى كيف ينقلب
 فرجع أبوبكر إلى منزله. وبعث إلى عمر، فدعاه. فقال: أما رأيت مجلس عليّ بنا
 اليوم. والله لئن قعد مقعداً مثله ليفسد [علينا]^(٣) أمرنا. فما الرأي؟
 قال عمر: الرأي أن نأمر بقتله.

قال: فمن يقتله؟

قال: خالد بن الوليد.

فبعثنا إلى خالد، فأتاهما. فقالا: نريد أن نحملك على أمر عظيم.

قال: حمّلاني على ما شئتما، ولو قتل عليّ بن ابى طالب.

قالا: هو ذاك.

قال خالد^(٤): متى أقتله؟

قال أبوبكر: إذا حضر المسجد، فقم بجانبه في الصلاة فإذا أنا سلّمت، فقم إليه
 فاضرب عنقه.

قال: نعم.

فسمعت أسماء بنت عميس ذلك، وكانت تحت أبي بكر. فقالت لجاريتها: اذهبي
 إلى منزل عليّ وفاطمة فاقرئيهما السلام، وقولي لعلّي^(٥) «إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ
 لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ».

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «همال وهي تنسكب». ويمكن أن يكون الأظهر: «بتهمال» بدل «بهمال».

٢. هكذا في المصدر و ن. وفي سائر النسخ: الموتى.

و«همال».

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: خالد بن وليد.

٣. من م.

٥. القصص / ٢٠.

فجاءت الجارية إليهما. فقالت لعلِّي صلوات الله عليه: إن أسماء بنت عميس تقرأ عليكما^(١) السلام، وتقول لك: «إن الملائمة يأترون بك ليقتلوك فاخرج إنني لك من الناصحين».

فقال علي عليه السلام: إن الله يحول بينهم وبين ما يريدون. ثم قام وتهيأ للصلاة، وحضر المسجد. ووقف خلف أبي بكر، وصلى لنفسه، وخالد بن الوليد لجنبه ومعه السيف. فلما جلس أبو بكر للتشهد، ندم على ما قال، وخاف الفتنة وشدة علي عليه السلام وبأسه. فلم يزل متفكراً لا يجسر أن يسلم، حتى ظن الناس أنه قد سهى. ثم التفت إلى خالد، فقال: يا خالد، لا تفعل ما أمرتك به. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: يا خالد، ما الذي أمرك به؟

قال: أمرني بضرب عنقك.

قال: أو كنت فاعلاً؟^(٢)

قال: إي والله، لو لا أنه قال لي: لا تفعل. لقتلتك بعد التسليم.

قال: فأخذه علي فضرب به الأرض. واجتمع الناس^(٣) عليه.

فقال عمر: يقتلته الساعة، ورب الكعبة.

فقال الناس: يا أبا الحسن، الله بحق صاحب هذا القبر. فخلّى عنه.

قال: فالتفت إلى عمر فأخذ بتلابيبه، وقال: يا ابن صهاك، لو لا عهد من رسول

الله ﷺ وكتاب من الله ﷻ سبق، لعلمت^(٤) أننا «أضعف ناصراً وأقل عدداً»^(٥) ثم دخل منزله.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): قال محمد بن العباس: حدثنا علي بن العباس

١. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: عليك.

٢. المصدر: تفعل.

٣. من المصدر.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: لعلمنا.

٥. الج ٢٤/.

٦. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٣٥.

المقاني^(١)، عن أبي كريب، عن معاوية بن هشام، عن فضل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري. قال: لَمَّا نزلت «فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» دعى رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها وأعطاهما فداً.

﴿وَالسَّكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾: والمسافر المحتاج، ما وظَّفَ لهما من الزكاة. والخطاب للنبي ﷺ أو لمن بسط له.

﴿ذَلِكَ﴾: أي إعطاء الحقوق مستحقها.

﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: ذاته. أو جهته، أي يقصدون بمعرفتهم إياه خالصاً. أو جهة التقرب إلى الله تعالى لا جهة أخرى من الرياء والسمعة وغيرهما.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢): الفائزون بثواب الله. حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً﴾: من عطية، يُتَوَقَّعُ بها مزيد مكافاة. أو زيادة محرمة في المعاملة.

وقرأ ابن كثير بالقصر، بمعنى: ما جئتم به من إعطاء رِباً^(٣).

وفي الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الربا ربا، ان: رِباً يؤكل، ورباً لا يؤكل.

فأما الذي يؤكل، فهديثك إلى الرجل تطلب منه الثواب أفضل منها. فذلك الربا الذي يؤكل. وهو قول الله ﷻ: «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ».

وأما الذي لا يؤكل، فهو الذي نهى الله عنه وأوعد عليه النار.

وفي تهذيب الأحكام^(٥): الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن

١. المصدر: «المعاني». م، الأصل: «المقاني». ن: «المقاتلي». أوس: «المقاتي» انظر تنقيح المقال ٢/٢٩٤،

رقم ٨٣٤٠. ٢. أنوار التنزيل ٢/٢٢٢.

٣. الكافي ٥/١٤٥-١٤٦، ج ٦. ٤. تهذيب الأحكام ٧/١٥، ح ٦٧.

عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية، فقال: هو هديتك إلى الرجل، تطلب منه الثواب أفضل منها، فذلك رباً يؤكل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حدثني أبي، عن القاسم بن محمد [عن سليمان]^(٢) بن داود المنقري، عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبدالله عليه السلام الربا رياءان: أحدهما حلال، والآخر حرام.

فأما الحلال، فهو أن يقرض الرجل أخاه قرضاً، طمعاً أن يزيده ويعوّضه بأكثر مما يأخذه بلا شرط بينهما. فإن أعطاه أكثر مما أخذه على غير شرط بينهما، فهو مباح له. وليس له عند الله ثواب فيما أقرضه. وهو قال الله: «فلا يربو عند الله».

وأما الحرام، فالرجل يقرض قرضاً ويشترط أن يردّ أكثر مما أخذه، فهذا هو الحرام.

وفي مجمع البيان^(٣): قيل في الربا المذكور في الآية قولان: أحدهما أنه رباً حلال. وهو أن يعطي الرجل العطية، أو يهدي الهدية ليثاب أكثر منها. فليس فيها أجر ولا وزر. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

﴿لِيُزَبَّوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾: ليزيد ويزكو في أموالهم.

﴿فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾: ولا يبارك فيه، وقرأ نافع ويعقوب: «لتربوا» أي لتزيدوا. أو لتصيروا ذوي رباً^(٤).

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾: تبتغون به وجهه خالصاً، ولا تطلبون بها المكافأة.

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾^(٥): ذوّوا أضعاف من الثواب. ونظيره: المقوي لذي القوة، والمؤسر لذي اليسار. أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم ببركة الزكاة، كما يأتي في الخبر: إنّ الله تعالى جعل الزكاة سبباً لزيادة المال.

٢. من ن والمصدر .

٤. أنوار التنزيل ٢/٢٢٢.

١. تفسير القمي ١٥٩/٢.

٣. مجمع البيان ٣٠٦/٤.

وقرئ بفتح العين، على لفظ اسم المفعول.

وتغيّره عن سنن المقابلة عبارة ونظماً، للمبالغة والالتفات للتعظيم. كأنه خاطب به الملائكة وخواصّ الخلق، تعريفاً لحالهم. أو للتعميم. كأنه قال: فمن فعل ذلك فأولئك هم المضعفون.

والراجع فيه محذوف، إن جعلت «ما» موصولة، تقديره: المضعفون به. أو فمؤتوه أولئك هم المضعفون^(١).

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٢)، خطبة للزهراء عليها السلام وفيها: ففرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة زيادة في الرزق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال الصادق عليه السلام: على باب الجنة مكتوب: القرض بشماني عشرة، والصدقة بعشرة.

وفي مجمع البيان^(٤): في الحديث: مانقص مال من صدقة.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام^(٥): فرض الله تعالى الصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيهاً^(٦) للرزق، والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق، وصلة الأرحام منماة للعدد. في كلام طويل.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾: عود إلى دليل التوحيد، أي أوجدكم.

﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾: أعطاكم أنواع النعم.

﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾: ليفتح أبصاركم إلى ما عرضكم له من الثواب الدائم.

﴿ثُمَّ يُخَيِّطُكُمْ﴾: ليجازيكم على أعمالكم.

وفي مصباح الشريعة^(٧): قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: الحريص محروم،

٢. من لا يحضره الفقيه ٣/٣٧٢، ضمن حديث ١٧٥٤.

٤. مجمع البيان ٤/٣٠٦.

٦. المصدر: تسبيهاً.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير القمي ٢/١٥٩ - ١٦٠.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. شرح فارسي لمصباح الشريعة ص ١١٧.

ومع حرمانه مذموم في أي شيء كان. وكيف لا يكون محروماً، وقد فرّ من وثاق الله تعالى وخالف قول الله ﷻ حيث يقول الله: «الذي خلقكم ثمّ رزقكم ثمّ يميّتكم ثمّ يحييكم».

﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾: التي عبدتموها من دونه ^(١).

﴿مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ﴾: فيجوز لذلك توجيه العبادة إليه. أثبت له لوازم الألوهية، ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له من الأصنام وغيرها مؤكداً بالإنكار على ما دلّ عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق، ثمّ استنتج من ذلك تقدّسه عن أن يكونوا له شركاء فقال:

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٢): قيل ^(٣): ويجوز أن تكون الكلمة الموصولة ^(٣) صفة. والخبر «هل من شركائكم». والرباط «من ذلكم». لأنّه بمعنى: من أفعاله.

و«من» الأولى والثانية، تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال. والثالثة، مزيدة لتعميم النفي. فكلّ منها مستقلة بالتأكيد، لتعجيز الشركاء.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾: قيل ^(٤): «الفساد» كالجذب، والموتان، وكثرة الحرق والغرق، وإخفاق الغاصّة، ومحق البركات، وكثرة المضار. أو الضلالة والظلم. وقيل ^(٥): ظهر الفساد في البرّ بقتل قابيل ابن آدم أخاه. وفي البحر، بأنّ ملك عمان ^(٦) جلندا كان يأخذ كلّ سفينة غصباً، وهو ضعيف.

وقيل ^(٧): المراد بالبحر قرى السواحل، حيث ظهر القحط بدعاء النبي ﷺ. وقرئ: البحور ^(٨).

١. هنا زيادة في أ، وهي: «هل من شركائكم التي عبدتموها من دونه». ولا داعي لوجودها.

٢. أنوار التنزيل ٢٢٢/٢.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «يكون الموصول» بدل «تكون الكلمة الموصولة».

٥. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر ٢٢٣/٢.

٧. نفس المصدر والموضع.

٦. ليس في المصدر.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾: بشؤم معاصيهم. أو بكسبهم إياها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١)، في هذه الآية قال: «في البرّ» فساد الحيوان إذا لم تمطر، وكذلك هلاك دوابّ البحر بذلك. وقال الصادق عليه السلام^(٢): «حياة دوابّ البحر بالمطر. فإذا كَفَّ المطر ظهر الفساد في البرّ والبحر. وذلك إذا كثرت الذنوب والمعاصي».

أخبرنا أحمد بن إدريس^(٣) قال: حَدَّثَنَا أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن ميسر، عن أبي جعفر عليه السلام^(٤) قال: قلت: «ظهر الفساد في البرّ والبحر بما كسبت أيدي الناس».

قال: ذلك - والله - يوم قالت الأنصار: مَنَّا أمير^(٥) ومنكم أمير^(٥).

وفي روضة الكافي^(٦): محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين^(٧)، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام^(٨) في هذه الآية.

قال: ذاك - والله - حين قالت الأنصار: مَنَّا أمير ومنكم أمير.

﴿لِيَذِقَهِمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: بعض جزائه. فَإِنَّ تمامه في الآخرة.

«واللام» للعلّة. أو للعاقبة.

وعن ابن كثير ويعقوب: «لنذيقهم» بالتّون^(٩).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١٠): عَمَّا هُمْ عليه في المستقبل.

وقيل^(١١): معناه: ليرجع من يأتي بعدهم عن المعاصي.

﴿قُلْ﴾: يا محمد.

﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾: ليس المراد الأمر، بل المبالغة في العظة.

٢ و٣. نفس المصدر والموضع.

٦. الكافي ٥٨/٨، ح ١٩.

٧. هكذا في المصدر والأصل وفي سائر النسخ: محمد بن الحسن.

٩. مجمع البيان ٣٠٧/٤.

١. تفسير القمي ١٦٠/٢.

٤ و٥. المصدر: رجل.

٨. أنوار التنزيل ٢٢٣/٢.

وعن ابن عباس^(١): من قرأ القرآن وعلمه، سار في الأرض، لأن فيه أخبار الأمم.
﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾: من الملوك العاتية والقرون العاصية.
كيف أهلكهم الله، وكيف صارت قصورهم ومحاصرهم قبورهم. فلم يبق لهم عين ولا أثر.

﴿كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾^(١١): استئناف للدلالة على أن سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغللبته فيهم. أو كان الشرك في أكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم.
وفي روضة الكافي^(٢): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى [عن محمد بن عيسى]^(٣) عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد جميعاً، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبدالله بن مسكان، عن يزيد بن الوليد الخثعمي، عن أبي الربيع الشامي قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم».

فقال: عنى بذلك أي انظروا في القرآن، فاعلموا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم وما أخبركم عنه.

﴿فَاقِمِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: أي استقم للدين البليغ الاستقامة بصاحبه إلى الجنة، التي لا يعدل عنه يميناً ولا شمالاً.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ﴾: لا [يقدر أن] يردّه أحد. وقوله:
﴿مِنْ اللَّهِ﴾: متعلق «بآيتي» ويجوز أن يتعلق^(٥) «بمرده» أنه مصدر على معنى: لا يردّه الله، لتعلق إراداته بمجيئه. وهو يوم القيامة.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾^(٦): يتصدعون. من الصدع، وهو الشق. وتصدع القوم:

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الكافي ٢٤٩/٨، ضمن حديث ٣٤٩، وأوله في، ص ٢٤٨.

٣. ليس في المصدر.

٤. من م.

٥. هكذا في م. وفي سائر النسخ: «أو متعلق» بدل «ويجوز أن يتعلق».

تَفَرَّقُوا، أَي يَتَفَرَّقُونَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. كَمَا قَالَ:

﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: أَي وَبَالُهُ. وَهُوَ النَّارُ الْمُؤَبَّدَةُ. لَا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِذَنْبِهِ.

﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾^(٥): يَسَوُونَ مَنْزِلًا فِي الْجَنَّةِ، يَعْنِي: ثَوَابٌ

ذَلِكَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى غَيْرِهِمْ.

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(١): وَرَوَى مَنْصُورُ بْنُ حَازِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنْ الْعَمَلُ

الصَّالِحُ لَيْسَ بِصَاحِبِهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَمْهَدُ لَهُ كَمَا يَمْهَدُ لِأَحَدِكُمْ خَادِمُهُ فَرَاشَهُ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: عِلَّةٌ «لِيَمْهَدُونَ». أَوْ «لِيَصَدَّعُونَ».

﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾: قِيلَ^(٢): يَجْزِيهِمْ عَلَى قَدَرِ اسْتِحْقَاقِهِمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

وَقِيلَ^(٣): مَعْنَاهُ: بِسَبَبِ فَضْلِهِ، لِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ وَهَدَاهُمْ وَمَكَّنَهُمْ وَأَزَاحَ عَنْهُمْ، حَتَّى

اسْتَحَقُّوا الثَّوَابَ^(٤).

وَقِيلَ^(٥): [مِنْ فَضْلِهِ]^(٦) يَعْنِي: فَضْلًا مِنْ فَضْلِهِ وَثَوَابًا لَا يَنْتَقِطُ^(٧).

وَالِاِقْتِصَارُ عَلَى جِزَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْإِشْعَارِ بِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ بِالذَّاتِ. وَالِاِكْتِفَاءُ عَلَى

فَحْوَى قَوْلِهِ:

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(٨): فِيهِ إِثْبَاتُ الْبُغْضِ لَهُمْ وَالْمَحَبَّةَ لِلْمُؤْمِنِينَ. وَتَأْكِيدُ

اِخْتِصَاصِ الصَّلَاحِ^(٩) الْمَفْهُومِ مِنْ [تَرَكَ]^(١٠) ضَمِيرُهُمْ إِلَى التَّصْرِيحِ بِهِمْ، تَعْلِيلٌ لَهُ.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ﴾: إِرْسَالُ الرِّيحِ: تَحْرِيكُهَا، وَاجْرَاءُهَا فِي الْجِهَاتِ

١. مَجْمَعُ الْبَيَانِ ٣٠٧/٤.

٢. نَفْسُ الْمَصْدَرِ ٣٠٧/٤-٣٠٨.

٣. نَفْسُ الْمَصْدَرِ وَالْمَوْضِعِ.

٤. الْمَصْدَرُ: «لَأَنَّهُ خَلَقَهُمْ وَهَدَاهُمْ وَمَكَّنَهُمْ وَأَزَاحَ عَنْهُمْ حَتَّى اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ» بَدَلُ «لَأَنَّهُ خَلَقَهُمْ وَهَدَاهُمْ وَمَكَّنَهُمْ

وَأَزَاحَ عَنْهُمْ حَتَّى اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ». ٥. نَفْسُ الْمَصْدَرِ وَالْمَوْضِعِ.

٦. مِنَ الْمَصْدَرِ.

٧. هَكَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخِ: «وَهُوَ الثَّوَابُ الْغَيْرُ الْمُنْقَطِعُ» بَدَلُ «وَتَوَابًا لَا يَنْتَقِطُ».

٨. هَكَذَا فِي ن. وَفِي سَائِرِ النُّسخِ: صَلَاحٌ. ٩. مِنْ ن.

المختلفة. تارة شمالاً وتارة جنوباً، ومرة صبا وأخرى دبوراً. على حسب ما يعلمه الله في ذلك من المصلحة.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: «الريح» على إرادة الجنس^(١).

﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾: بالمطر. فكأنها ناطقات بالبخارة، لما فيها من الدلالة عليه.

﴿وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: يعني: المنافع التابعة لها.

وقيل^(٢): الخصب، التابع لنزول المطر المسبب عنها. أو الروح الذي هو مع هبوبها. والعطف على علة محذوفة، دلّ عليها «مبشرات». أو عليها، باعتبار المعنى. أو على «يرسل» بإضمار فعل، أي ليمطر^(٣).

﴿وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ﴾: بالرياح.

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: قيل^(٤): لتطلبوا بركوب السفن أرباح التجارات^(٥).

وقيل^(٦): لتطلبوا بالأمطار فيما تزرعونه من فضل الله. والحمل على العموم، أولى.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٧): ولتشكروا نعمة الله فيها. تلتطف سبحانه بلفظ «لعلكم»

في الدعاء إلى الشكر، كما تلتطف في الدعاء إلى البرّ بقوله^(٨): «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾: يا محمد، تسلياً له.

﴿مِنْ قَبْلِكَ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات والآيات الباهرات.

وها هنا حذف، تقديره: فكذبوهم، فاستحقوا^(٩) العذاب.

١. أنوار التنزيل ٢٢٣/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: «دلل عليه» بدل «أي ليمطر».

٤. مجمع البيان ٣٠٩/٤.

٥. المصدر: «الأرباح» بدل «أرباح التجارات».

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. البقرة ٢٤٥/١١.

٨. الأصل: «فاستحبوا». وما أثبتناه في المتن موافق لسائر النسخ.

﴿ فَاتَّقِنَا مِنَ الدِّينِ أَجْرُمُوا ﴾: بالتدوير. وإيراد الظاهر موضع المضمّر، للتعليل والتخصيص.

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٧): ورفعنا عنهم السوء والعذاب. وكان واجباً علينا نصرهم، بإعلاء الحجة ودفع الأعداء عنهم. وقد يوقف على «حقاً» على أنه متعلّق بالانتقام.

وفي مجمع البيان^(١): وجاءت الرواية عن أمّ الدرداء قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من امرئ مسلم يردّ عن عرض أخيه، إلّا كان حقّاً على الله أن يردّ عنه نار جهنّم يوم القيامة. ثمّ تلا^(٢) ذلك.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣): وروى ابن أبي عمير، عن أبي زياد النهدي، عن عبدالله بن وهب، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: حسب المؤمن نصرة، أن يرى عدوّه يعمل بمعاصي الله ﷻ.

﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيْرُ ﴾: تهيج.

﴿ سَحَاباً فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾: إن شاء بسطه مسيرة يوم، وإن شاء بسطه مسيرة يومين. ويجريها إلى أيّ بلد شاء، وإلى أيّ جهة شاء.

﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ﴾: قيل^(٤): قطعاً متفرّقة.

وقيل^(٥): متراكباً بعضه على بعض حتّى يغلظ.

وقيل^(٦): قطعاً^(٧)، يغطي ضوء الشمس.

وقراءة ابن عامر بالسكون على أنّه مخفّف. أو جمع كسفة. أو مصدر وُصف به^(٨).

﴿ فَتَرَى الْوَدْقَ ﴾: المطر.

١. مجمع البيان ٣٠٩/٤.

٢. المصدر: قراء.

٣. من لا يحضره الفقيه ٢٨٤/٤، ح ٨٤٧.

٤. مجمع البيان ٣٠٩/٤.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: قلماً.

٨. أنوار التنزيل ٢٢٤/٢.

﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾: في مجمع البيان^(١): وروي عن علي عليه السلام: «خلله».

﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: أي بلادهم وأراضيهم.

﴿وَإِذَا هُمْ يَنْتَبِشِرُونَ﴾^(٢): بمجيء الخصب.

﴿وَأَنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾: المطر.

﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾: قيل: تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم.

وقيل^(٣): الضمير للمطر^(٤). أو السحاب. أو الإرسال.

﴿لَمُبْلِسِينَ﴾^(٥): قانطين وأيسين من نزول المطر.

﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾: وهو الغيث. من النبات والأشجار وأنواع الثمار.

ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص^(٦).

﴿كَيْفَ يُخْبِي الْأَرْضَ﴾: بظهور النبات والشجر.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد يبسها. جعل اليبوسة والجذوبة بمنزلة الموت وظهور النبات فيها بمنزلة الحياة، توسعاً واستعارة. وهي في الفعل تبعية، وفي الموت أصلية.

وقرئ الفعل بالتاء، على إسناده إلى ضمير «الرحمة»^(٧).

﴿أَنَّ ذَلِكَ﴾: أي الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها.

﴿لَمُخْبِي الْمَوْتَى﴾: لقادر على إحيائهم في الآخرة بعد كونهم رُفَاتًا.

﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٨): لأن نسبة قدرته إلى جميع الممكنات على السواء.

﴿وَلَنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾: باردة مؤذية إلى الهلاك.

١. نفس المصدر ٣٠٨/٤.

٢. أنوار التنزيل ٢٢٤/٢.

٣. هكذا في المصدر وم. وفي سائر النسخ: «إِنَّ الْأَوَّلَ مِنْ أَنْزَالِ الْمَطَرِ» بدل «الضمير للمطر».

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾: قيل^(١): فرأوا الزرع والنبت، الذي كان من آثار^(٢) رحمته مصفراً من البرد بعد الخضرة والنضارة. فإنه مدلول عليه بما تقدّم.
وقيل^(٣): «الهاء» تعود إلى السحاب. ومعناه: فرأوا السحاب مصفراً، لأنه إذا كان كذلك، لم يكن فيه مطر.

«واللام» توطئة للقسم، دخلت على حرف الشرط. وقوله:
﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾^(٤): جواب، سدّ مسدّ الجزاء. ولذلك فسّر بالاستقبال.
وهذه الآيات ناعية على الكفار بقلة ثبوتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم، لعدم تفكيرهم وسوء رأيهم. فإنّ النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله ويلتجئوا إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم يئاسوا من رحمته، وأن يبادروا إلى التكثير والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار، وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾: وهم مثلهم. لما سدّوا عن الحقّ مشاعرهم.
﴿وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾: وهم مثلهم. إذ لا ينتفعون بدعائك. لكن لا مطلقاً، بل
﴿إِذَا وَلَوْ أَمْذَبَرِينَ﴾^(٥): قيد الحكم به، ليكون أشدّ استحالة. فإنّ الأصمّ المقبل وإن لم يسمع الكلام، يظن منه بواسطة الحركات شيئاً.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾: سمّاهم عمياً، لفقدهم المقصد الحقيقي من الإبصار. أو لعمي قلوبهم.

﴿إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾: فإنّ إيمانهم يدعوهم إلى تلقّي اللفظ وتدبر المعنى. ويجوز أن يراد بالمؤمن: المشارف للإيمان.

﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٦): منقادون لأمر الله.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾: خلقكم من أصل ضعيف. وهو النطفة.

وقيل ^(١): ابتدأكم ضعفاء. وجعل الضعف أساس أمركم، بأن خلقكم أطفالاً لا تقدرّون على البطش والمشى والتصرّفات.

﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾: وذلك إذا تعلّق الروح بأبدانكم، وإذا بلغت الحلم. ﴿ثُمَّ جَعَلْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: في حال الشيخوخة والكبر.

وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها، وهما لغتان. كالفقر والفقر. والتكثير مع التكرير، لأنّ المتأخّر ليس عين المتقدّم ^(٢).

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾: من ضعف، وقوة، وشيبة.

﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ^(٣): فإنّ الترديد في الأحوال المختلفة مع إمكان غيره، دليل

العلم والقدرة.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة.

قيل ^(٤): سُميت بها، لأنّها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا. أو لأنّها تقع بغتة.

وصارت علماً لها بالغلبة، كالكوكب للزهرة.

﴿يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ﴾: يحلفون.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾: واحدة في الدنيا. أو في القبور. أو فيما بين فناء الدنيا

والبعث وانقطاع [عذابهم، واستقلّوا مدّة لبثهم إضافة إلى مدّة عذابهم في الآخرة. أو نسياناً].

قال البيضاوي ^(٥): وفي الحديث ما بين [فناء الدنيا والبعث أربعون. وهو محتمل

للساعات والأيام والأعوام.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد: وأربعون عقبة تمكّن.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق.

٢. نفس المصدر والموضع.

٤. أنوار التنزيل ٢/٢٢٥.

١. أنوار التنزيل ٢/٢٢٥.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. ليس في ن.

﴿كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (٥): يُصْرَفُونَ. صرفهم جهلهم عن الحق في الدارين.

وقيل (١): أي يكذبون.

ومن استدلل بهذه الآية على نفي عذاب القبر، فقد أبعد لاحتمال أن يراد: أنهم مالبثوا بعد عذاب الله إلا ساعة. أو عدّوا مكنتهم في عذاب القبر ساعة، بالقياس إلى مكنتهم في عذاب جهنم (٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾: قيل (٣): من الملائكة. أو من الإنس.

وقيل (٤): هم الأنبياء.

وقيل (٥): هم المؤمنون.

وقيل (٦): إن هذا على التقديم. وتقديره: «وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله» وهم الذين يعلمون كتاب الله والإيمان. وهو قول علي بن إبراهيم في تفسيره.

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾: في علمه. أو قضائه. أو ما كتبه لكم، أي أوجبه. أو اللوح. أو القرآن. وهو قوله (٧): «ومن ورائهم برزخ».

﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾: ردّوا بذلك ما قالوه وحلفوا عليه.

﴿فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾: الذي أنكرتموه.

﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨): أنه حق، لتفريطكم في النظر. و«الفاء» لجواب

شرط محذوف. تقديره: إن كنتم منكرين البعث فهذا يومه، أي فقد تبين بطلان إنكاركم.

وفي عيون الأخبار (٨)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمام والإمامة،

١. مجمع البيان ٣١٠/٤.

٢. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: «بالقياس إلى عذاب جهنم» بدل «في عذاب جهنم».

٣. أنوار التنزيل ٢٢٥/٢. ٤. الكشف ٢٢٧/٣.

٦. تفسير القمي ١٦٠/٢ وتفسير الصافي ١٣٨/٤، نقلاً عنه.

٧. المؤمنون ١٠٠. ٨. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٧١/١-١٧٢، ح ١.

وذكر فضل الإمام ورتبته، حديث طويل، يقول فيه عليه السلام: ثم أكرمه الله ﷻ بأن جعلها في ذرّيته وأهل الصفوة والطهارة. فقال ﷻ ^(١): «ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلاً جعلنا صالحين، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين». فلم يزل في ذرّيته، يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً، حتّى ورثها النبي ﷺ فقال الله ﷻ ^(٢): «إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين». فكانت له خاصة فقلّدها ﷺ علياً عليه السلام بأمر الله ﷻ على رسم ما فرض ^(٣) الله تعالى فصارت في ذرّيته الأصفياء، الذين آتاهم الله تعالى العلم والإيمان بقوله: «وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث» فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة. إذ لا نبي بعد محمّد ﷺ. وفي أصول الكافي ^(٤): عن الرضا عليه السلام مثله سواء.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذَرَتُهُمْ﴾: وقرأ الكوفيون بالياء. لأنّ المعذرة بمعنى: العذر. أو لأنّ تأنيثها غير حقيقي، وقد فصل بينهما ^(٥).

﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ^(٦): لا يدعون إلى ما يقتضي إعتابهم، أي إزالة عتبهم من التوبة والطاعة، كما دعوا إليه في الدنيا. من قولهم: استعتبني فلان فأعتبته، أي استرضاني فأرضيته.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: ولقد وصفناهم فيه بأنواع الصفات التي هي في الغرابة كالأمثال، مثل: صفة المبعوثين يوم القيامة، وما يقولون، وما يقال لهم، وما لا يكون لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب. أو بيّنا لهم من كلّ مثل، ينتههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول ﷺ.
﴿وَلَوْ أَنَّ جُنُودَهُمْ بِآيَةٍ﴾: من آيات القرآن.

٢. آل عمران ٦٧.

١. الأنعام ٨٤-٨٥.

٤. الكافي ١٩٩/١، ح ١.

٣. المصدر: فرضها.

٥. أنوار التنزيل ٢٢٥/٢.

﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من فرط عنادهم، وقساوة قلوبهم.

﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾: يعنون الرسول ﷺ والمؤمنين.

﴿إِلَّا مَبْطُلُونَ﴾ (٣٥): مزورون.

﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك.

﴿يُطْبِخُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦): لا يطلبون العلم، ويصرّون على

خرافات اعتقدوها. فإنّ الجهل المركّب، يمنع إدراك الحقّ ويوجب تكذيب المحقّ.

﴿فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بنصرتك، وإظهار دينك على الدين كلّه.

﴿حَقٌّ﴾: لا بدّ من إنجازه.

﴿وَلَا يَسْتَخَفِّنْكَ﴾: ولا يحملنك على الخفة والقلق.

﴿الَّذِينَ لَا يُوَفُّونَ﴾ (٣٧): بتكذيبهم وإيذائهم. فإنّهم شاكّون ضالّون لا يستبعد منهم

ذلك.

وعن يعقوب بتخفيف النون (١).

وقرئ: «ولا يستخفّنك» أي لا يزيغّنك فيكونوا أحقّ بك من المؤمنين (٢).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم (٣): «لا يستخفّنك» أي لا يغضبّنك قال: كان عليّ بن

أبي طالب عليه السلام يصلي وابن الكواء خلفه وأمير المؤمنين صلوات الله عليه يقرأ. فقال ابن

الكواء (٤): «ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك

ولتكونن من الخاسرين». فسكت أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتّى سكت ابن

الكواء. ثمّ عاد في قراءته. ثمّ فعل ابن الكواء ثلاث مرّات. فلمّا كان في الثالثة، قال

أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «فاصبر إنّ وعد الله حقّ ولا يستخفّنك الذين لا

يوفّون».

وفي أصول الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن الجارود، عن موسى بن بكر، عمن حدّثه، عن أبي جعفر عليه السلام: أن زيد بن علي بن الحسين دخل على أبي جعفر محمد بن علي ومعه كتب من أهل الكوفة، يدعون فيها إلى أنفسهم ويخبرونه باجتماعهم. ويأمرونه بالخروج. فقال له أبو جعفر: هذه الكتب ابتداءً منهم أو جواب ما كتبت به إليهم ودعوتهم إليه؟

فقال: بل ابتداءً من القوم، لمعرفتهم بحقنا وبقربتنا من رسول الله ﷺ ولما يجدون في كتاب الله ﷻ من وجوب مودّتنا وفرض طاعتنا، ولما نحن فيه من الضيق والظنك والبلاء.

فقال له أبو جعفر: إن الطاعة مفروضة من الله ﷻ وسنة أمضاها في الأولين، وكذلك يجريها في الآخرين. والطاعة لواحد منّا والمودة للجميع. وأمر الله يجري لأوليائه بحكم موصول^(٢)، وقضاء مفصول، وحتم مقضي، وقدر مقدور، وأجل مسمى لوقت^(٣) معلوم «فلا يستخفّنك الذين لا يوقنون». إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، فلا تعجل. فإن الله لا يعجل لعجلة العباد. ولا تسبقن^(٤) الله، فتعجلك^(٥) البليّة فتصرعك. والحديث طويل، أخذت منه موضع الحاجة.

١. الكافي ٣٥٦/١-٣٥٧، صدر حديث ١٦. ٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مفصول.

٣. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: أو وقت.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ لا تسبقن. ٥. المصدر: فتعجزك.

سورة لقمان

سورة لقمان

مَكِّيَّة.

وقيل ^(١): «إِلَّا آيَةٌ، وهي «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة». فَإِنْ وجوبهما بالمدينة» وهو ضعيف. لِأَنَّهُ لَا يَنَافِي شَرْعِيَّتُهُمَا بِمَكَّةَ.

وقيل: إِلَّا ثَلَاثًا. من قوله: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ» إِلَى آخِرِهِنَّ.

عدد آيها أربع، أو ثلاث وثلاثون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في كتاب ثواب الأعمال ^(٢) بإسناده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من قرأ سورة لقمان في ليلة ^(٣)، وكلَّ الله به في ليلته ملائكة يحفظونه من إبليس وجنوده حتَّى يصبح. فإذا قرأها بالنهار، لم يزالوا يحفظونه من إبليس وجنوده حتَّى يمسي.

وفي مجمع البيان ^(٤): أَبِي بِنِ كَعْبٍ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ومن قرأ سورة لقمان، كان لقمان له رقيقاً يوم القيامة. وأعطى من الحسنات عشراً، بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر.

﴿الم﴾ ١ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ ٢: تقدّم تفسيره في سورة يونس.

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾: منصوبان بالحالِية من «الآيات». والعامل فيهما معنى الإشارة.

ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر. أو الخبر المحذوف ^(٥).

٢. ثواب الأعمال ١٣٦/١، ح ١.

٤. مجمع البيان ٣١٢/٤.

١. أنوار التنزيل ٢٢٦/٢.

٣. المصدر: في كلِّ ليلة.

٥. أنوار التنزيل ٢٢٦/٢.

﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾^(٢): للذين يحسنون العمل.

وقيل^(١): للمطيعين. وقيل: للموحدّين.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٣): بيان

لإحسانهم. أو تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه، لفضل اعتداد بها. وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره.

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤): لاستجماعهم العقيدة

الحقّة، والعمل الصالح.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾: ما يلهي عما يغني. كالأحاديث التي لا

أصل لها، والأساطير التي لا اعتبار فيها، والمضاحيك، وفصول الكلام. والإضافة بمعنى: من. وهي تبينيّة، إن أراد بالحديث المنكر. وتبعيضيّة، إن أراد به الأعم منه.

وقيل^(٥): نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة بن كلفة بن عبدالدار بن قصي بن

كلاب. كان يتجر، فيخرج إلى فارس. فاشترى كتب الأعاجم. «وكان يحدث بها قريشاً ويقول: إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود، فأنا أحدثكم بحديث رستم

واسفنديار والأكاسره. فيستحلون حديثه ويتركون استماع القرآن.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام - في

قول الله ﷻ: «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله» فهو النضر بن الحرث بن علقمة بن كلفة بن بني عبدالدار بن قصي بن كلاب. وكان النضر ذا رواية

لأحاديث الناس وأشعارهم. يقول الله ﷻ: «وإذا تلىٰ عليه آياتنا ولّىٰ مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه قرأً فبشره بعذاب أليم».

«وقيل^(٤) [نزلت]^(٥) في رجل اشترى جارية مغنيّة^(٦) تغنيّه ليلاً ونهاراً.

٢. مجمع البيان ٣١٣/٤ وأنوار التنزيل ٢٢٧/٢.

١. مجمع البيان ٣١٣/٤.

٤. مجمع البيان ٣١٣/٤.

٣. تفسير القمي ١٦١/٢.

٦. ليس في المصدر.

٥. من المصدر.

وقيل ^(١): كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرته من أراد الإسلام ومنعه عنه. وفي كتاب معاني الأخبار ^(٢): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ [ابن أحمد بن الوليد قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ] ^(٣) الصَّفَّارُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قُلْتُ: قَوْلُهُ ﷺ: «وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُو الْحَدِيثَ».

قال: منه الغناء.

وفي الكافي ^(٤): عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ كَسْبِ الْمَغْنِيَّاتِ. فَقَالَ: الَّتِي يَدْخُلُ عَلَيْهَا الرَّجُلُ حَرَامٌ. وَالَّتِي تَدْعِي إِلَى الْأَعْرَاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: «وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُو الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ».

عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ ^(٥)، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ ابْنِ مَسْكَانٍ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْغِنَاءُ مِمَّا أَوْعَدَ ^(٦) اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ النَّارَ. وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: «وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُو الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

ابن أبي عمير، عن مهران بن محمد ^(٧)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: الغناء

١. أنوار التنزيل ٢/٢٢٧.

٢. السند المذكور هنا هو سند حديث آخر في المعاني، موجود في باب تسبق باب متن الحديث المذكور هنا ببيان بينهما. (ص ٣٤٩، ح ١) وأما سند المتن المذكور هنا فهو في المصدر هكذا: حَدَّثَنَا الْمُظْفَرُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْمُظْفَرِ الْعُلَوِيِّ عليه السلام قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَشْكِيْبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي أَحْمَدَ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام.

٣. الكافي ٥/١١٩، ح ١

٤. ليس في م.

٥. نفس المصدر ٤٣١/٦، ح ٤.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ٥.

٧. نفس المصدر والموضع، ح ٥.

مِمَّا قَالَ اللَّهُ: «وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ».

عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ^(١)، عَنِ الْوَشَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْغَنَاءِ.

فَقَالَ: هُوَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: «وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ». عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ^(٢)، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ مَهْرَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ هَارُونَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: الْغَنَاءُ مَجْلِسٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِهِ. وَهُوَ مِمَّا قَالَ اللَّهُ ﷻ: «وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ».

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٣): وَرَوَى أَبُو أَمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا يَحِلُّ تَعْلِيمُ الْمَغْنِيَّاتِ وَلَا بَيْعُهُنَّ. وَأَثْمَانُهُنَّ حَرَامٌ. وَقَدْ نَزَلَ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ «وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثَ» وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَارَفَعَ رَجُلٌ عَقِيرَتَهُ يَتَغَنَّى إِلَّا ارْتَدَفَهُ شَيْطَانَانِ يَضْرِبَانِ بِأَرْجُلِهِمَا عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ حَتَّى يَسْكُتَ.

وَاعْلَمْ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ صَرِيحَةٌ فِي حُرْمَةِ الْغَنَاءِ، بِنَاءً عَلَى تِلْكَ الْأَخْبَارِ.

وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ^(٤): الْغَنَاءُ، كَكَسَاءٍ. مِنَ الصَّوْتِ: مَا طَرِبَ بِهِ. وَقَالَ فِيهِ^(٥): الطَّرِبُ، مُحَرَكَةٌ الْفَرْحِ وَالْحُزْنِ ضَدَّهُ، أَوْ خَفَّةٌ تَلْحَقُكَ، تَسْرُكٌ أَوْ تَحْزَنُكَ. وَتَخْصِيصُهُ بِالْفَرْحِ وَهُمْ وَالْحَرَكَةُ وَالشُّوقُ. وَرَجُلٌ مَطْرَابٌ وَمَطْرَابَةٌ وَطُرُوبٌ. وَاسْتَطْرِبَ: طَلَبَ الطَّرِبَ. وَالْإِبْلُ: حَرَكُهَا بِالْحَدَاءِ وَالتَّطْرِيبِ: الْإِطْرَابِ. كَالْتَطَرَّبِ وَالتَّغَنَّى. انْتَهَى. فَعَلَى هَذَا، الْغَنَاءُ: الصَّوْتُ الْمَفْرَحُ أَوِ الْمَحْزَنُ، وَهُوَ حَرَامٌ. يَجِبُ اجْتِنَابُهُ فِي كُلِّ صَوْتٍ، بِكُلِّ وَجْهٍ، حَيْثُ لَا تَخْصِيصَ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ مَلَأَ مَسَامِعَهُ مِنْ غَنَاءٍ، لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ أَنْ يَسْمَعَ صَوْتَ الرُّوحَانِيِّينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٢. نفس المصدر ٤٣٣/٦، ح ١٦.

٤. القاموس المحيط ٣٧٢/٤.

٦. مجمع البيان ٣١٤/٤.

١. نفس المصدر ٤٣٢/٦، ح ٨.

٣. مجمع البيان ٣١٣/٤.

٥. نفس المصدر ٩٧/١.

قيل: وما الروحانيون يا رسول الله؟

قال: قرءاء أهل الجنة.

وفي مجمع البيان^(١): وزُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: هو الطعن في الحق^(٢) والاستهزاء به، وما كان أبو جهل وأصحابه يجيئون به. إذ قال: يا معاشر قريش، ألا أطعمكم من الزقوم الذي يخوفكم به صاحبكم؟ ثم أرسل إلى زيد وتمر، فقال: هذا هو الزقوم الذي يخوفكم به. قال: ومنه الغناء.

وروى الواحدي^(٣) بالإسناد عن نافع، عن ابن عمر^(٤) أنه سمع عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية: «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» قال: باللعب والباطل كثير النفقة، سمح فيه^(٥) ولا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به.

فعلى هذا، يدخل فيه كل شيء يلهي عن سبيل الله وعن طاعته من الأباطيل والمزامير والملاهي والمعازف. ويدخل فيه السخرية بالقرآن واللغو فيه.

﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي ليضل غيره.

«وسبيل الله» دينه. أو قراءة القرآن.

وقراءة ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء. بمعنى: ليثبت على ضلاله ويزيد فيه^(٦). أو ليصير أمره إلى الضلال. وهو وإن لم يشتتر للضلالة، فإنه يصير أمره إلى ذلك. وحسب المرء من الضلالة، أن يختار حديث الباطل على حديث الحق.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: في موضع النصب على الحال، أي ليضل الناس جاهلاً، أو غير عالم. وهو حال مؤكّد.

ويحتمل أن يتعلّق «بِيشتري» أي يشتري من غير علم. بحال ما يشتريه. أو بالتجارة، حيث استبدل اللهو بالقرآن.

٢. المصدر: بالحق.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ابن أبي عمير.

٦. أنوار التنزيل ٢٢٧/٢.

١. نفس المصدر ٣١٣/٤.

٣. نفس المصدر ٣١٤/٤.

٥. الأصل: فيه الملاهي.

﴿وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: ويتخذ السبيل سخرية. أو آيات الله هزواً يستهزئ بها.

وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص، عطفاً على «ليضل»^(١).

﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢): يهينهم الله به. لإهانتهم الحق، باستئثار الباطل

عليه.

﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: أي أعرض عن سماعها، رافعاً نفسه فوق

مقدارها.

﴿كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾: مشابهاً حاله حال من لم يسمعها.

﴿كَأَنَّهُ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ﴾: مشابهاً من في أذنيه ثقل لا يقدر أن يسمع.

والأولى، حال من المستكبر في «ولّى» أو «مستكبراً» والثانية، بدل منها. أو حال من

المستكبر في «لم يسمعها».

ويجوز أن يكونا استئنافين. [أ] والأولى حالاً، والثانية استئنافاً.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٣): أعلمه بعذاب مؤلم موجه، يحيق به لا محالة. وذكر

البشارة، على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾^(٤): مبتدأ وخبر. قُدِّم الخبر

لإفادة الاختصاص، أي لهم لا لغيرهم نعيم الجنات. فعكس للمبالغة. وقيل^(٥): رفع

الجنات بالظرف، على المذهبين. لأنه جرى [خبراً على] المبتدأ.

ويرد عليه فوت الدلالة على الاختصاص.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: حال من الضمير في «لهم». أو من «جَنَّات» والعامل [٣] ما تعلق به

«اللام».

﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾: قيل^(٤): مصدران مؤكدان. الأول لنفسه، والثاني لغيره. لأن قوله:

١. نفس المصدر والموضع.

٢. مجمع البيان ٣١٣/٤.

٣. ليس في م.

٤. انوار التنزيل ٢٢٧/٢.

«لهم جنّات النعيم» وعد، وليس^(١) كلّ وعد حقّاً.

وفيه: أن المصدر المؤكّد «وعد الله» لا الوعد المطلق. «ولهم جنّات النعيم» يحتمل مضمونه وعد غير الله. ووعد الله لا يحتمل غير الحقّ. فالمصدر الأول مؤكّد لغيره. والثاني بعد تقيّده بالمؤكّد الأول مؤكّد لنفسه. على عكس ما قاله ذلك القائل.

وقيل^(٢): «وعد الله» مصدر فعل محذوف. «وحقّاً» صفة المصدر. تقديره: وعد الله وعداً حقّاً.

وفيه: أنه إن جُعل «حقّاً» وصفاً للوعد المذكور، يلزم الاختلاف بين الصفة والموصوف. وآلاً يلزم الحذف بدون داع.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلبه شيء. فيمنعه عن إنجاز وعده ووعيده.

﴿الْحَكِيمُ﴾^(٣): الذي لا يفعل إلّا ما تقتضيه حكمته.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾: استئناف، أي أنشأها واختراعها.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُونَهَا﴾: جملة في موضع جزّ. لكونها صفة «لعمد»، أي بغير عمد مرئية.

وجوّز أن يكون «الباء» للحال من «السماءات». وأن يتعلّق «بترون». والجملة في موضع نصب على الحال من «السماءات».

قيل^(٤): لو كان لها عمد، لرأيتموها. لأنّها [لو]^(٥) كانت [تكون]^(٥) أجساماً عظماً حتّى يصحّ منها أن تقلّ السماءات. ولو كانت كذلك، لاحتاجت إلى عمد آخر فكان يتسلّس فإذا لا عمد لها.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الضعف. فإنّ من الجائز أن يكون لها عمد ولا

١. هنا زيادة في م وهي: على المبتدأ أو يرّد عليه فورت الدلالة على الاختصاص «خالدين فيها» حال من الضمير في «لهم» أو من «جنّات» «والعامل» ولا داعي لها. لأنّها وردت قبل قليل.

٢. مجمع البيان ٣١٣/٤. ٣. نفس المصدر ٣١٤/٤.

٤. من المصدر. ٥. من المصدر.

ترونها. أو يكون لها عمد لا يحتاج إلى عمد آخر.

وقيل ^(١): إنَّ المراد، بغير عمد مرثية. والمعنى: أنَّ لها عمداً، لا ترونها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٢): حدَّثني أبي، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن قول الله تعالى ^(٣): «والسماوات ذات الحجب».

فقال: هي محبوبة إلى الأرض. وشبك بين أصابعه.

فقلت: كيف تكون محبوبة إلى الأرض والله يقول ^(٤): «رفع السماوات بغير عمد

ترونها»؟

فقال: سبحان الله، أليس يقول: «بغير عمد ترونها»؟

فقلت: بلى.

فقال: فثُمَّ عمد ولكن لا ترونها.

وفي نهج البلاغة ^(٥): قال عليه السلام: فمن شواهد خلقه، خلق السماوات موطّات ^(٦) بلا

عمد، قائمات بلا سند.

وفيه: كلام له عليه السلام ^(٧) يذكر فيه خلق السماوات: جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً،

وعلياهنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمد تدعّمها، ولا دسار ينتظمها.

وفي كتاب الإهليلجة ^(٨): قال الصادق عليه السلام: فنظرت العين إلى خلق مختلف ^(٩)،

متّصل بعضه ببعض. فدلت ^(١٠) القلب على أنَّ لذلك خالقاً. وذلك أنَّه فكّر حيث

دلّته ^(١١) العين على ما عاينت من عظم ^(١٢) السماء وارتفاعها في الهواء بغير عمد

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ٣٢٨/٢.

٣. الذاريات ٧/.

٤. الرعد ٢/.

٥. نهج البلاغة ٢٦١/، ضمن خطبة ١٨٢.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: موطّبات.

٧. نفس المصدر ٤١/، ضمن خطبة ١.

٨. بحار الأنوار ١٦٢/٣.

٩. ليس في المصدر.

١٠. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ودلّها.

١١. المصدر: «على ما عاينت وتفكّر والقلب حين دلّته» بدل «على أنَّ لذلك خالقاً وذلك أنَّه فكّر حيث

١٢. المصدر: ملكوت.

دلّته».

ولا دعامة تمسكها. وأنها لا تتأخر^(١)، فتتكشط. ولا تتقدم^(٢)، فتزول. ولا تهبط مرة، فتدنو. ولا ترتفع، فلا ترى.

﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾: جبالاً شوامخ.

وقيل^(٣): ثابتة.

﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾: في موضع نصب على المفعول له «لألقى» أي كراهة أن تميد

بكم.

والميد، والميدان: التحرك. فإن تشابه أجزائها، يقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها. لامتناع اختصاص كل منها لذاته. أو شيء^(٤) من لوازمه. بحيز ووضع معينين.

﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾: أي فرق في الأرض.

﴿مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾: تدب على وجهها. من أنواع الحيوانات.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: أي مطراً. وفيه التفات من الغيبة إلى التكلّم.

﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾: في الأرض، بذلك الماء.

﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾: صنف.

﴿كَرِيمٍ﴾: كثير المنفعة. وكأنه استدلّ بذلك على عزّته التي هي كمال القدرة،

وحكمته التي هي كمال العلم.

﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾: هذا الذي ذكر مخلوقه. فماذا

خلق آلهمكم، حتّى استحقوا مشاركته؟

و«أروني» من الرؤية العلمي، أي دلّوني عليه. وهو يتعدّى إلى ثلاثة مفاعيل: أولهما

ضمير المتكلّم. والثاني «ما» الاستفهاميّة. والثالث «ذا» بصلته، أي أروني أي شيء خلقه

آلهمكم؟ والتعليق إنّما هو إذا كان إرادة^(٥) التعليق مقدّماً على العمل.

١. المصدر: «لا تؤخر مرة أخرى فتناي» بدل «لا تتأخر».

٢. المصدر: «لا تتقدم أخرى». مجمع البيان ٣١٤/٤.

٤. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: أي لشيء. ٥. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: أداة.

وقيل ^(١): «ماذا» نُصِبَ ^(٢) «بخلق»، أو «ما». مرتفع بالابتداء. وخبره «ذا» بصلته. و«أروني» معلق ^(٣) عنه.

ويرد على الأول، بقاء «أروني» بلا مفعول، أو مفعولين. وعلى الثاني، احتمال كون الاسمين منصوبين على المفعولية كما ذكرناه. وحكاية التعليق قد سمعتها.

﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ^(٤): إضراب عن تبكيتهن إلى التسجيل عليهم بالإضلال، الذي لا يخفى على ناظر. ووضع الظاهر موضع المضمر، للدلالة على أنهم ظالمون بإسراهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾: قيل ^(٥): إن لقمان لم يكن نبياً، وكان حكيماً. وقيل: كان نبياً.

وقيل ^(٥): خُيِّر بين الحكمة والنبوة، فاختار الحكمة.

وقيل ^(٦): إنه عاش ألف سنة، حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم.

ومن قال: إنه نبي، فسر الحكمة بالنبوة ^(٧). ومن قال: لم يكن نبياً، فسرها بالفهم والمعرفة والعقل.

وفي أصول الكافي ^(٨): [أبو عبدالله الأشعري، عن] ^(٩) بعض أصحابنا رفعه، عن هشام بن الحكم قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام، إن الله قال: «ولقد آتينا لقمان الحكمة» قال: الفهم والعقل.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١٠): أخبرنا الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد،

١. أنوار التنزيل ٢/٢٢٧-٢٢٨.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: بمنزلة اسم واحد منصوب.

٣. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: متعلق.

٤. مجمع البيان ٤/٣١٥.

٥. أنوار التنزيل ٢/٢٢٨.

٦. الكافي ١٦/١، ضمن حديث ١٢، وأوله في ص ١٣.

٧. من المصدر.

٨. تفسير القمي ١٦١/٢.

عن عليّ بن محمّد، عن بكر بن صالح، عن جعفر بن يحيى، عن عليّ بن النضر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك [ما تقول في] ^(١) قوله: «ولقد آتينا لقمان الحكمة»؟

قال: أوتي معرفة إمام زمانه.

وفي مجمع البيان ^(٢): وروي عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكير حسن اليقين. أحبّ الله فأحبّه ومنّ عليه بالحكمة. كان نائماً نصف النهار، إذ جاءه نداء: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق؟

فأجاب الصوت: إن خيرني ربّي، قبلت العافية ولم أقبل البلاء. وإن هو عزم عليّ، فسمعاً وطاعة. فإني أعلم أنّه إن فعل بي ذلك، أعانني وعصمني.

فقال الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟

قال: لأنّ الحكم أشدّ المنازل وأكدها. يغشاه الظلم من كلّ مكان. إن وفي، فبالحرّي أن ينجو. وإن أخطأ، أخطأ طريق الجنّة. ومن يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً، خير من أن يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً. ومن يختار الدنيا على الآخرة، تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة. فتعجبت الملائكة من حسن منطقته. فنام نومة، فأعطي الحكمة قانتبه يتكلّم بها. ثم كان يؤازر ^(٣) داود بحكمته. فقال له داود: طوبى لك - يا لقمان - أعطيت الحكمة، وصرفت عنك البلوى.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٤): حدّثني أبي، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقري، عن حماد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لقمان وحكمته التي ذكرها الله تعالى.

٢. مجمع البيان ٣١٥/٤-٣١٦.

١. ليس في المصدر.

٣. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: يوازي.

٤. تفسير القمي ١٦١/٢-١٦٣.

فقال: أما والله، ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال. ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله، متورعاً في الله، ساكناً، مسكيناً، عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر لم ينم نهاراً قط. ولم يره أحد من الناس على بول ولا غائط ولا اغتسال، لشدة تستره، وعمق نظره، وتحفظه في أمره. ولم يضحك من شيء قط، مخافة الإثم. ولم يغضب قط. ولم يمازح إنساناً قط. ولم يفرح بشيء إن أتاه من أمر الدنيا، ولا حزن منها على شيء قط. وقد نكح من النساء، وولد له من الأولاد الكثير. وقدم أكثرهم إفراطاً، فما بكى على موت أحد منهم. ولم يمزج برجلين يختصمان أو يقتتلان، إلا أصلح بينهما. ولم يمض عنهما، حتى تحابا. ولم يسمع قولاً قط من أحد استحسنه، إلا سأل عن تفسيره وعن أخذه. وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء. وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين. فيرثي للقضاة مما ابتلوا به، ويرحم الملوك والسلاطين لغرّتهم بالله وطمانينتهم في ذلك. ويعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه، ويجاهد به هواه، ويحترز به من الشيطان. وكان يداوي قلبه بالفكر، ويداوي نفسه بالعبر. وكان لا يظعن إلا فيما يعنيه. فبذلك أوتي الحكمة ومنح العصمة.

وإن الله تبارك وتعالى أمر طوائف من الملائكة حين انتصف النهار وهدأت العيون بالقائلة، فنادوا لقمان حيث يسمع ولا يراهم. فقالوا: يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس؟

فقال لقمان: إن أمرني الله بذلك، فالسمع والطاعة. لأنه إن فعل بي ذلك، أعاني عليه وعلمني وعصمني. وإن هو خيرني، قبلت العافية.

فقال الملائكة: يا لقمان، لم [قلت ذلك؟] ^(١)

قال: لأن الحكم بين الناس أشد المنازل من الدين، وأكثر فتناً وبلاء. ما يخذل ولا

يعان، وينشأه الظلم من كل مكان. وصاحبه فيه بين أمرين: إن أصاب فيه الحق، فبالحرى أن يسلم. وإن أخطأ، أخطأ طريق الجنة. ومن يكن في الدنيا ذليلاً ضعيفاً، كان أهون عليه في المعاد من أن يكون فيه حكماً سرياً شريفاً. ومن اختار الدنيا على الآخرة، يخسرهما كليهما. تزول هذه ولا يدرك تلك.

قال: فتعجب الملائكة من حكمته، واستحسن الرحمن منطقه. فلما أمسى وأخذ مضجعه من الليل، أنزل الله عليه الحكمة فغشاها بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم. وغطاه بالحكمة غطاءً. فاستيقظ، وهو أحكم الناس في زمانه. وخرج على الناس ينطق بالحكمة ويثبتها^(١) فيها.

قال: فلما أوتي الحكم^(٢) بالخلافة ولم يقبلها، أمر الله ﷻ الملائكة فنادت داود بالخلافة فقبلها، ولم يشترط فيها بشرط لقمان. فأعطاه الله ﷻ الخلافة في الأرض. وابتلى بها غير مرة، كل ذلك يهوي في الخطأ يقيله الله تعالى ويغفر له. وكان لقمان يكثر زيارة داود عليه السلام ويعظه بمواعظه وحكمته وفضل علمه. وكان داود عليه السلام يقول له: طوبى لك - يا لقمان - أوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية. وأعطي داود الخلافة وابتلي بالحكم والفتنة.

ولا يخفى ما في دلالة الخبرين، على أنه خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة. وفي مجمع البيان^(٣): وقيل: إنه كان عبداً أسود، حبشياً، غليظ المشافر، مشقوق الرجلين في زمن داود.

وقال له بعض الناس: ألست كنت ترعى معنا؟

قال: نعم.

قال: فمن أين أوتيت ما أرى؟

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ينهى.

٢. هكذا في تفسير نور الثقلين ١٩٨/٤، نقلاً عن المصدر. وأما في المصدر والنسخ: الحكمة.

٣. مجمع البيان ٣١٥/٤.

قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، والصمت عملاً لا يعنيني.

وقيل: إنّه كان ابن أخت أيوب.

وقيل: كان ابن خالة أيوب.

وفيه^(١): ذكر في التفسير أنّ مولاہ دعاه، فقال: اذبح شاة، فأتني بأطيب مضغتين فيها. فذبح شاة، وأتاه بالقلب واللسان. [ثم بعد أيام أمر بأن يأتي بأخبث مضغتين. فأتني بهما أيضاً]^(٢) فسأله عن ذلك.

فقال: إنهما أطيب شيء، إذا طابا. وأخبث شيء، إذا خبثا.

وقيل: إنّ مولاہ دخل المخرج، فأطال فيه الجلوس. فناداه لقمان: إنّ طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد، ويورث منه الباسور، وتصعد الحرارة إلى الرأس. فاجلس هوناً، وقم هوناً.

قال: فكُتِبَتْ حكمته على باب الحشّ^(٣).

[﴿أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾: قيل^(٤): لأن اشكر الله. أو أي اشكر. فإنّ ايتاء الحكمة في معنى القول.

وقيل^(٥): قلنا له: اشكراً^(٦)

﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾: لأنّ نفعه عائد إليه. وهو دوام النعمة، واستحقاق مزيدها.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾: لا يحتاج إلى الشكر.

﴿حَمِيدٌ﴾^(٧): حقيق بالحمد، وإن لم يُحمد. أو محمود، نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال. ووضع «الكفر» موضع لم يشكر، للمبالغة في توبيخ من لم يشكر.

١. نفس المصدر ٣١٦/٤-٣١٧.

٣. الحشّ: الكنيف، والمتوضأ.

٥. مجمع البيان ٣١٦/٤. وله تنمة.

٢. ليس في المصدر.

٤. أنوار التنزيل ٢٢٨/٢.

٦. ليس في أ.

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ﴾: أي اذكر يا محمد ﷺ^(١) إذ قال لقمان .

﴿لِإِنِّي﴾: وهو أنعم . أو أشكم . يقال : وشكم . أو ماثان^(٢) .

﴿وَهُوَ يَعِظُهُ﴾: حال من «لقمان» .

أو ابنه ، أي قال له في حال يؤدبه ويذكره .

﴿يَا بُنَيَّ﴾: تصغير إشفاق .

وقرأ ابن كثير: «يَا بُنَيَّ» بإسكان الياء^(٣) . إجراء للوصل مجرى الوقف .

﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾: أي لا تعدل بالله شيئاً في العبادة .

قيل^(٤): كان كافراً . فلم يزل به حتى أسلم . ومن وقف على «لا تشرك» جعل «بالله»

قسماً .

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٥) ، في الحقوق المروية عن سيد العابدين ع^(٦) : حق

الله الأكبر عليك أن تعبدته ولا تشرك به شيئاً . فإذا فعلت ذلك بإخلاص ، جعل لك على

نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧) ، في الحديث السابق ، متصلاً بقوله : وابتلى بالحكم

والفتنة . ثم قال أبو عبد الله ع^(٨) في قول الله ﷻ: «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا

تشرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» . قال : فوعظ لقمان ابنه^(٩) ماثان^(١٠) ، حتى تفطر

وانشق^(١١) . وكان فيما وعظ به - يا حماد - أن قال : يا بني ، إنك منذ سقطت إلى الدنيا

استدبرتها واستقبلت الآخرة . فدار أنت إليها تسير ، أقرب إليك من دار أنت عنها

متباعد .

٢ . أنوار التنزيل ٢٢٨/٢ . وليس فيه : وشكم .

١ . ص / ٢٠ .

٤ . أنوار التنزيل ٢٢٨/٢ .

٣ . أنوار التنزيل ٢٢٨/٢ .

٥ . من لا يحضره الفقيه ٣٧٦/٢ ، صدر حديث ١٦٢٦ .

٧ . المصدر : لابنه .

٦ . تفسير القمي ١٦٣/٢ - ١٦٥ .

٨ . هكذا في ن . وفي م : «ماثان» . وفي سائر النسخ والمصدر : «ماثان» .

٩ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : تعطل واشق .

يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك. ولا تجادلهم، فيمنعوك. وخذ من الدنيا بلاغاً ولا ترفضها، فتكون عيلاً على الناس. ولا تدخل فيها دخولاً يضرّ بأخرك. وصم صوماً يقطع شهوتك. ولا تصم صياماً^(١) يمنعك من الصلاة. فإن الصلاة أحب إلى الله تعالى من الصيام.

يا بني، إن الدنيا بحر عميق. قد هلك فيها عالم كثير. فاجعل سفينتك فيها الإيمان. واجعل شراعها التوكل. واجعل زادك فيها تقوى الله. فإن نجوت، فبرحمة الله. وإن هلك، فبذنوبك.

يا بني، إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً. ومن عني^(٢) بالأدب اهتم به. ومن اهتم به تكلف علمه. ومن تكلف علمه اشتد له طلبه. ومن اشتد له طلبه أدرك منفعته. فاتّخذه عادة. فإنك تخلف في سلفك^(٣)، ويتنفع^(٤) به من خلفك، ويرتجيك^(٥) فيه راغب، ويخشى صولتك راهب. وإياك والكسل عنه بالطلب لغيره. فإن غلبت على الدنيا، فلا تغلبن على الآخرة. وإذا فاتك طلب العلم في مظانه، فقد غلبت على الآخرة. واجعل في أيامك ولياليك وساعاتك لنفسك نصيباً في طلب العلم. فإن فاتك لن تجد له تضييعاً أشد من تركه. ولا تمارين فيه لجوجاً، ولا تجادلن فقيهاً^(٦)، ولا تعادين سلطاناً، ولا تماشين ظلوماً ولا تصادقته، ولا تصاحبن فاسقاً ناطقاً ولا تصاحبن متهما. واخزن علمك كما تخزن ورقك.

يا بني، خف الله ﷻ خوفاً لو أتيت القيامة ببر الثقلين خفت أن يعذبك، وارج الله رجاءً لو وافيت القيامة بإثم الثقلين رجوت أن يغفر^(٧) لك.

فقال له ابنه: يا أبت وكيف أطيق هذا وإنمالي قلب واحد؟

١. المصدر: صوماً.

٢. المصدر: غني.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «عبادة ربك بخلف في سلفك» بدل «عادة فأنت تخلف في سلفك».

٤. المصدر: تنفع.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ما يرتجي.

٦. ن: فيه فقيهاً.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يغفر الله.

فقال له لقمان: يا بني لو استخرج قلب المؤمن فُشِقَ، يوجد فيه نوران: نور للخوف، ونور للرجاء. لو وُزِنَا لما رجح أحدهما على الآخر بمِثْقَالِ ذَرَّةٍ. فمن يؤمن بالله يَصْدَقْ ما قال الله ﷻ ومن يَصْدَقْ ما قال الله، يفعل ما أمر الله. ومن لم يفعل ما أمر الله، لم يَصْدَقْ ما قال الله. فإن هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض. فمن يؤمن بالله إيماناً صادقاً، يعمل لله خالصاً ناصحاً [ومن عمل لله خالصاً ناصحاً^(١)] فقد آمن بالله صادقاً. ومن أطاع الله خافه. ومن خافه فقد أحبه. ومن أحبه اتبع أمره. ومن اتبع أمره، استوجب جَنَّاتِهِ^(٢) ومرضاته. ومن لم يتبع رضوان الله، فقد هان عليه سخطه نعوذ بالله من سخط الله.

يا بني، لا تركز إلى الدنيا ولا تشغل قلبك بها. فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه منها. ألا ترى أنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين^(٣)، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين؟ وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٤): وروى سليمان بن داود المنقري، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في وصية لقمان لابنه: يا بني، سافر بسيفك وخفك وعمامتك وخبائك^(٥) وسقائك وخيوطك ومخزرك، وتزود معك من الأدوية ما تنتفع به أنت ومن معك، وكن لأصحابك موافقاً إلا في معصية الله ﷻ^(٦).

يا بني^(٧)، إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمورهم، وأكثر التبسّم^(٨) في وجوههم، وكن كريماً على زادك بينهم، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوا بك فأعنهم، واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة أو ماء أو زاد، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم، وأجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا

١. من المصدر. ٢. ن والمصدر: جنة.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ثواب المطيعين.

٤. من لا يحضره الفقيه ١٨٥/٢، ح ٨٣٤. ٥. المصدر: حبالك.

٦. هنا زيادة في المصدر وهي: وزاد فيه بعضهم وفرسك.

٧. نفس المصدر ١٩٤/٢ - ١٩٥، ح ٨٨٤. وسنده نفس سند الحديث السابق. فدمجهما المفسر رحمه الله معاً.

٨. وليس فيه «يا بني». ٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: التوسم.

تعزم حتى تثبت وتنظر، ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقع وتنام وتأكل وتصلّي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورتك^(١)، فإن من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه ونزع منه^(٢) الأمانة، وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم، وإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، وإذا تصدقوا أعطوا قرضاً فاعط معهم، واسمع لمن هو أكبر منك سنّاً، وإذا أمروك بأمر وسألوك شيئاً^(٣) فقل: نعم، ولا تقل لا، فإن «لا» عي ولوم، وإذا تحيرت في الطريق فانزلوا وإذا شككتهم في القصد فقفوا وتأمروا، وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه، فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص^(٤) أو يكون هو الشيطان الذي حيركم، واحذروا^(٥) الشخصين أيضاً إلا أن تروا ما لا أرى، فإن العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

يا بني، إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء وصلها واسترح منها فإنها دين وصل جماعة ولو على رأس زج، ولا تنام على دابتك، فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون في محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل، وإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وأبدأ بعلفها قبل نفسك، فإنها تعينك^(٦)، وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عُشْباً، فإذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس، وإذا أردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض، وإذا ارتحلت فصل ركعتين ثم ودّع الأرض التي حلت بها وسلّم عليها وعلى أهلها، فإن لكل بقعة أهلاً من الملائكة، وإن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتى تصدق منه فافعل، وعليك بقراءة كتاب الله مادمت راكباً، وعليك بالتسبيح مادمت عاملاً عملاً،

١. هكذا في المصدر وفي النسخ: مشورته. ٢. المصدر: نزع عنه.

٣. هكذا في المصدر وم. وفي سائر النسخ: بشيء.

٤. ن: اللص. ٥. م: واحذر.

٦. المصدر: نفسك.

وعليك بالدعاء مادمت خالياً، وإيتاك والسير من أول الليل وسرفي آخره، وإيتاك ورفع الصوت في مسيرك.

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٧): لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه.

وفي أصول الكافي^(١): وقد روي: أكبر الكبائر الشرك بالله.

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد^(٢)، عن أبيه، عن هارون بن الجهم، عن المفضل بن صالح، عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر قال: الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله؛ وظلم لا يغفره؛ وظلم لا يدعه الله. فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك. وأما الظلم الذي يغفره، فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله. وأما الظلم الذي لا يدعه الله، فالمدانة بين العباد.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾: لما قدم الأمر بشكر نعمته، أتبعه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم. فبدأ بالوالدين، أي أمرناه بطاعة الوالدين وشكرهما والإحسان إليهما. وإنما قرن شكرهما بشكره، لأنه الخالق المنشئ وهما السبب في الإنشاء والتربية، وهو عطف على قوله «أتينا لقمان الحكمة» بعد تقييده بمتعلقاته. ثم بين سبحانه زيادة نعمة الأم، فقال:

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا﴾: ذات وهن، أوتهن وهناً. وهو في موضع الحال.

﴿عَلَى وَهْنٍ﴾: أي تضعف ضعفاً فوق ضعف. فإنها لا تزال يتزايد ضعفها.

قيل^(٣): يعني: ضعف نطفة الوالد على ضعف [نطفة]^(٤) الأم.

وقيل^(٥): لأن الحمل يؤثر فيها. فكلما ازداد الحمل، ازدادت ضعفاً على ضعف.

وقيل^(٦): لأنها ضعيفة الخلق^(٧)، فازدادت ضعفاً بالحمل.

١. الكافي ٢/٢٧٨، ذيل حديث ٤ وسنده: يونس، عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام.

٢. مجمع البيان ٤/٣١٧.

٣. نفس المصدر ٢/٣٣٠-٣٣١، ح ١.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. من المصدر.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الخلق.

٧. نفس المصدر والموضع.

وقيل^(١): «وهناً على وهن»^(٢) أي شدة على شدة^(٣)، وجهداً على جهد.
 وقرئ بالتحريك. يقال: وهن يهن وهناً، ووهن يوهن وهناً^(٤).
 ﴿وَفَصَالُهُ فِي عَامَتَيْنِ﴾: وفطامه في انقضاء عامين. لأن العامين جملة مدة الرضاع.
 والمراد: بعد ما تلده، ترضعه عامين وتربيّه. فيلحقها المشقة بذلك أيضاً.
 وقرئ: فصله^(٥). وهو أعم من الفصل.
 ﴿إِنْ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ﴾: تفسير «لوصينا». أو علة له. أو بدل من «والديه» بدل
 الاشتمال. وذكر الحمل والفصال في البين، اعتراض مؤكّد للتوصية في حقها
 خصوصاً.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٦)، في الحقوق المروية عن زين العابدين عليه السلام: وأما
 حق أمك: أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما
 لا يعطي أحد أحداً، وَوَقَّتْكَ بجميع جوارحها. ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش
 وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك. وَوَقَّتْكَ الحرّ
 والبرد لتكون لها. فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه.
 وأما حق أبيك: فأن تعلم أنه أصلك. فإنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما
 يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه. فاحمد الله واشكره على قدر ذلك. ولا
 قوة إلا بالله.

وفي أصول الكافي^(٧): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر
 بن خلاد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أدعو لوالدي إذا كانا لا يعرفان الحق؟
 قال: ادع لهما، وتصدق عنهما، وإن كانا حيّين لا يعرفان الحق، فدارهما. فإن

١. نفس المصدر والموضع. ٢. من المصدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي ن: «شدة بعد شدة». وفي سائر النسخ: شدة بعد شدة بعد شدة.

٤. أنوار التنزيل ٢/٢٢٨. ٥. نفس المصدر والموضع.

٦. من لا يحضره الفقيه ٢/٣٧٨. ٧. الكافي ١٥٩/٢، ح ٨.

رسول الله ﷺ قال: إن الله بعثني بالرحمة، لا بالعقوب.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(١)، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، من أبر؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أباك.

وبإسناده إلى محمد بن مروان^(٢) قال: قال أبو عبدالله عليه السلام ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيّين وميتين؟! يصليّ عنهما، ويتصدّق عنهما، ويحجّ عنهما، ويصوم عنهما. فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك. فيزيده الله ﷻ ببرّه وصلته خيراً كثيراً.

ابن محبوب، عن خالد بن نافع البجلي^(٣)، عن محمد بن مروان قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني.

فقال: لا تشرك بالله شيئاً وإن حُرقت بالنار وعُذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، والديك فأطعهما وبرّهما حيّين كانا أو ميتين، وإن أمراك أن تخرج من أهلِكَ ومالك فافعل. فإنّ ذلك من الإيمان.

الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد^(٤)، وعلي بن محمد، عن صالح بن أبي حماد، جميعاً عن الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم، عن معلى بن خنيس، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: جاء رجل، وسأل النبي ﷺ عن برّ الوالدين.

١. نفس المصدر ١٥٩/٢ - ١٦٠، ح ٩.

٢. نفس المصدر ١٥٩/٢، ح ٧.

٣. نفس المصدر ١٥٨/٢، ح ٢.

٤. نفس المصدر ١٦٢/٢، ح ١٧.

فقال: أبرر أمك، أبرر أمك، أبرر أمك. أبرر أباك، أبرر أباك^(١). وبدأ بالأثم قبل الأب. علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٢)، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عقبة^(٣)، عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: شكر كل نعمة وإن عظمت أن يُحمد الله ﷻ^(٤). عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد^(٥)، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكرًا؟

قال: نعم.

قلت: ماهو؟

قال: يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال. وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حق، أذاه. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب^(٦)، عن علي بن مهزيار، عن القاسم بن محمد، عن إسماعيل بن أبي الحسن، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أذى شكرها.

علي، عن أبيه^(٧)، عن ابن أبي عمير، عن أبي عبد الله صاحب السابري، فيما أعلم أو غيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: [قال: فيما]^(٨) أوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام: يا موسى اشكرني حق شكري.

فقال: يا رب، وكيف أشكرك حق شكرك؟ وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي!

١. تكرر «أبرر أباك» في المصدر، ثلاث مرّات. ٢. نفس المصدر ٩٥/٢، ح ١١.

٣. المصدر: «علي بن عيينة». ولم نثر عليه في كتب الرجال وأما بالنسبة إلى «علي بن عقبة» فراجع تنقيح

المقال ٣٠٠/٢، رقم ٨٤٠٤ و ٨٤٠٥. ٤. المصدر: نحمد الله.

٥. نفس المصدر ٩٥/٢-٩٦، صدر حديث ١٢. ٦. نفس المصدر ٩٦/٢، ح ١٥.

٧. نفس المصدر ٩٨/٢، ح ٢٧. ٨. من المصدر.

قال: يا موسى، الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني.

وفي عيون الأخبار^(١)، بإسناده إلى الرضا عليه السلام حديث طويل، وفيه يقول عليه السلام: وأمر بالشكر له وللوالدين. فمن لم يشكر والديه، لم يشكر الله تعالى.

وإسناده إلى محمود بن أبي البلاد^(٢)، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: من لم يشكر المنعم من المخلوقين، لم يشكر الله تعالى.

﴿إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(٣): فأحاسبك على شركك وكفرك. فيه تهديد ووعد.

﴿وَأَنْ جَاهِدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾: باستحقاقه الإشراك، تقليداً لهما.

والمراد نفيه، لأن ما يكون حقاً يُعلم صحته، فما لا يكون يُعلم صحته فهو باطل. فكأنه قال: فإن دعواك إلى باطل.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾: في ذلك.

﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾: صحاباً معروفاً يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم.

وفي مصباح الشريعة^(٤): قال الصادق عليه السلام: برّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله، إذ لا عبادة أسرع بلوغاً بصاحبها إلى رضا الله تعالى من حرمة^(٥) الوالدين المسلمين لوجه الله تعالى. لأن حقّ الوالدين مشتقّ من حقّ الله تعالى إذا كانا على مناهج الدين والسنة، ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله تعالى إلى معصيته، ومن اليقين إلى الشك، ومن الزهد إلى الدنيا، ولا يدعوانه إلى خلاف ذلك. فإذا كانا كذلك فمعصيتهما طاعة، وطاعتها معصية. قال الله تعالى^(٥): «وَأَنْ جَاهِدَكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا». وأمّا في باب العشرة فدارهما، واحتمل أذاهما نحو ما احتملا

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/٢٥٨، ضمن حديث ١٣.

٢. نفس المصدر ٢/٢٤، ح ٢.

٣. شرح فارسي لمصباح الشريعة ٧١/٧٠.

٤. المصدر: برّ.

٥. المصدر: «قال الله تعالى [المنكوت ٨]: وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بِالْأَدْنَى حَسَنًا».

عنك في حال صغرك، ولا تضيق عليهما ممّا قد وسع الله عليك من المأكول^(١) والملبوس، لا تحوّل بوجهك عنهما، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما. فإنّ تعظيمهما من الله تعالى^(٢). وقل لهما بأحسن القول والطفه. «فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين»^(٣). وفي كتاب المناقب^(٤) لابن شهر آشوب: مرّ الحسين عليه السلام على عبدالله بن عمرو بن العاص. فقال عبدالله: من أحبّ أن ينظر إلى أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء فليُنظر إلى هذا المجتاز. وما كلمته منذ ليالي صفتين. فأتى به أبوسعيد الخدري إلى الحسين عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام: أتعلم أنّي أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء وتقاتلني وأبي يوم صفتين؟ والله، إنّ أبي لخير منّي. فاستعذر، وقال: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لي: أطع أباك.

فقال له الحسين عليه السلام: أما سمعت قول الله تعالى: «وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما». وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّما الطاعة بالمعروف». وقوله: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»؟

وفي عيون الأخبار^(٥)، في باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام وشرائع الدين: وبرّ الوالدين واجب وإن كانا مشركين. ولا طاعة لهما في معصية الخالق^(٦) ولا لغيرهما. فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي كتاب الخصال^(٧): عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: هذه شرائع الدين، إلى أن قال عليه السلام: وبرّ الوالدين واجب. فإن كانا مشركين، فلا تطعهما ولا غيرهما في المعصية. فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: المال. ٢. المصدر: من أمر الله تعالى.

٣. يوسف / ٩٠. ٤. مناقب آل أبي طالب ٣/ ٧٣٤.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢/ ١٢٤، ح ١. ٦. المصدر: الله تعالى.

٧. الخصال ٦٠٨، ضمن حديث ٩. وأوّل في ص ٦٠٣.

عن سليم بن قيس الهلالي^(١)، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول، وذكر كلاماً طويلاً. وفي أثنائه: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولا ينبغي للمخلوق أن يكون جنة^(٢) لمعصية الله. فلا طاعة في معصيته. ولا طاعة لمن عصى الله. وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣)، في ألفاظه عليه السلام الموجزة: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي محاسن البرقي^(٤)، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: أطيعوا آباءكم فيما أمروكم، ولا تطيعوهم في معاصي الله. وفي حديث آخر^(٥)، عنه عليه السلام وفيه يقول: إني لا أمرك بعقوق الوالدين، ولكن صاحبهما في الدنيا معروفاً.

وفي أصول الكافي^(٦): يونس، عن عبدالله بن سنان، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن من الكبائر، عقوق الوالدين واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله^(٧). ﴿وَاتَّبِعْ﴾: في الدين.

﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾: طريق من رجع إلى طاعتي. فأقبل إليّ بقلبه. وهو النبي صلى الله عليه وآله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ يقول: اتَّبِعْ سَبِيلَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله. ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: مرجعك ومرجعهم.

١. نفس المصدر / ١٣٩، ضمن حديث ١٥٨.

٢. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: «حبه». وقيل في هامشه: في بعض النسخ: جنة.

٣. من لا يحضره الفقيه ٢٧٣/٤، ذيل حديث ٨٢٨، وأوله في ص ٢٧١.

٤. المحاسن ٢٤٨/، ضمن حديث ٢٥٣. ٥. نفس المصدر والموضع، ذيل نفس الحديث.

٦. الكافي ٢٧٨/٢، ح ٤. ٧. المصدر: «لمكر الله» بدل «من مكر الله».

٨. تفسير القمي ١٦٥/٢.

﴿فَاتَّبِعْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٧): بأن أجازيك على عملك، وأجازيهما على عملهما.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبان بن عثمان، عن عبد الله بن سليمان قال: شهدت جابر الجعفيّ عند أبي جعفر عليه السلام وهو يحدّث الناس^(٢) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام [أرحم]^(٣) الوالدين [قال]^(٤) قال عبد الله بن سليمان: وسمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: منّا الذي أحلّ الخمس. ومنّا الذي جاء بالصدق. ومنّا الذي صدّق به. ولنا المودة في كتاب الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام والرسول صلى الله عليه وآله والوالدان. وأمر الله ذرّتهما بالشكر لهما.

وقال أيضاً⁽⁶⁾: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ دُرْسْتِ الْحَلْبِيِّ، عَنْ ابْنِ مَسْكَانٍ، عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ الْمُخْتَارِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا أَحَدَ الْوَالِدَيْنِ لِلَّذِينَ قَالَ اللَّهُ ﷻ: «اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ»؟

قال زرارۃ: فكنت لا أدري أية آية، هي التي في بني إسرائيل أو التي في لقمان؟^(٧)
قال: فقصي لي أن حججت. فدخلت على أبي جعفر عليه السلام. فخلوت به.
فقلت: جعلت فداك، حديثاً جاء به عبد الواحد.
قال: نعم.

قلت: آية آية، هي التي في لقمان أو التي في بني إسرائيل؟

١. تأويل الآيات الباهرة، ص ١٥٧. ٢-٤. من المصدر.

5. نفس المصدر والموضع. وفيه: «حدثنا أحمد بن درست، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن حسن بن سعيد، عن نضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن زرارة، عن عبد الواحد المختار قال: ولعل الصواب: أحمد بن إدريس».

٦. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: «فكنت لا أدري أية آية هي التي في لقمان أو التي في بني إسرائيل. قال: التي في لقمان» بدل «فكنت لا أدري أية آية هي التي في بني إسرائيل أو (المصدر: ر) التي في لقمان».

قال: التي في لقمان.

وقال أيضاً^(١): حدّثنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيوب، عن أبان بن عثمان، عن بشير الدهان، أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: رسول الله ﷺ أحد الوالدين.

قال: قلت: والآخر؟

قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي أصول الكافي^(٢): الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد عن بسطام بن مرّة، عن إسحاق بن هفان^(٣)، عن الهيثم بن واقد^(٤)، عن علي بن الحسين العبدّي، عن سعد الإسكاف، عن الأصمغ بن نباتة أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: «أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير». فقال:

الوالدان اللذان أوجب الله الشكر لهما، هما اللذان ولدا العلم وورثا الحكم وأمر الناس بطاعتها. ثمّ قال الله: «إليّ المصير». فمصير العباد إلى الله. والدليل على ذلك الوالدان. ثمّ عطف القول على ابن حنّمة^(٥) وصاحبه، فقال في الخاصّ والعام: «وإن جاهدك على أن تشرك بي» تقول^(٦) في الوصيّة وتعديل^(٧) عمّن أمرت بطاعته، «فلا تطعهما» ولا تسمع قولهما. ثمّ عطف القول على الوالدين فقال: «وصاحبهما في الدنيا معروفاً». ويقول: عزّف الناس فضلهما، وادع إلى سبيلهما. وذلك قوله: «واتبع سبيل من أناب إليّ ثمّ إليّ مرجعكم».

١. نفس المصدر والموضع. ٢. الكافي ٤٢٨/١، ح ٧٩.

٣. المصدر: اسحاق بن حسان.

٤. هكذا في المصدرون. وفي سائر النسخ: الهيثم بن واقد.

٥. هكذا في المصدر. وفي الاصل: «من حسنه». وفي ن: «ابن حسنه». وفي م وس وا: ابن حثيمة.

٦. هكذا في المصدر. وفي الاصل ون: «تعديل» وفي م وس وا: يطول.

٧. هكذا في المصدرون. وفي سائر النسخ: تقول.

فقال: إلى الله ثم إلينا. فاتقوا الله، ولا تعصوا الوالدين. فإنّ رضاها رضا الله وسخطهما سخط الله.

عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد^(١)، عن أبيه، عن عبد الله بن بحر، عن عبد الله بن مسكان، عمّن رواه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال - وأنا عنده - لعبد الواحد الأنصاريّ في برّ الوالدين، في قول الله ﷻ: «وبالوالدين إحساناً». فظننّا أنّها الآية التي في بني إسرائيل^(٢): «وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا إياه»^(٣). فلمّا كان بعدُ سأله. فقال: هي التي في لقمان^(٤): «ووصينا الإنسان بوالديه حسناً» «وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما».

فقال: إنّ ذلك أعظم من أن يأمر بصلتها وحقّها على كلّ حال. «وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم».

فقال: لا بل يأمر بصلتها وإن جاهد^(٥) على الشرك ما زاد حقّها إلّا عظماً. ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾: ثمّ عاد سبحانه إلى الإخبار عن لقمان ووصيته لابنه.

معناه^(٦): إنّ الفعلة من خير أو شرّ أو الخصلة منهما إن تك مثقال حبة من خردل. في الثقل والصغر.

ورفع نافع «مثقال» على أنّ الهاء ضمير القصّة. «وكان» تامّة، وتأتيها لإضافة المثقال إلى الحبة. أو لأنّ المراد به الحسنة، أو السيّئة^(٧).

وقيل^(٨): إنّ ابن لقمان سأل لقمان، فقال: أرايت الحبة تكون في مقل البحر، أي في مغاص البحر، أي علمها الله؟

٢. الاسراء/٢٣.

١. نفس المصدر ١٥٩/٢، ح ٦.

٣. في المصدر زيادة وهي: [وبالوالدين إحساناً]. ٤. بل في العنكبوت ٨/، وذيلها في لقمان.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: جاهدك. ٦. ن: معناه.

٨. مجمع البيان ٣١٩/٤، وفيه: «يروى» بدل «وقيل». ٧. أنوار التنزيل ٢٢٩/٢.

فقال: إِنَّهَا - أي إِنْ التي سألتني عنها - إِنْ تَكْ مثقال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ.

﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾: قيل^(١): أي في جبل. والمعنى: في صخرة عظيمة. لِأَنَّ الحَبَّةَ فيها أخفى وأبعد من الاستخراج.

وقيل^(٢): أي في جوف صخرة. فَإِنَّهُ أخفى مكاناً وأحزره.

﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾: في أعلى مكان؛ كمحذب^(٣) السماوات، أو في أسفله؛ كمقعر الأرض.

وقرئ بكسر الكاف. مِنْ وَكَنَّ الطائر: إِذَا اسْتَقَرَّ فِي وَكْنَتِهِ^(٤).

﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾: يحضرها. فيحاسب عليها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) قال: من الرزق يأتيك به الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾: يصل علمه إلى كل خفي.

﴿خَبِيرٌ﴾^(٦): عالم بكنهه.

وفي مجمع البيان^(٧): وروى العياشي بالإسناد عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتَّقُوا المحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا طَالِباً. لَا يَقُولُنَّ أَحَدُكُمْ: أَذْنُبُ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «إِنْ تَكْ مثقال حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» الآية.

وفي أصول الكافي^(٨): الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن الوشاء، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: اتَّقُوا المحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا طَالِباً. لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ: أَذْنُبُ وَأَسْتَغْفِرُ. إِنَّ اللَّهَ عليه السلام يقول^(٩): «ونكتب ماقدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين». وقال عليه السلام: «إنّها

١. نفس المصدر والموضع.

٣. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: كحذب.

٥. تفسير القمي ١٦٥/٢.

٧. الكافي ٢٧٠/٢ - ٢٧١، ح ١٠.

٩. يس ١٢.

٢. أنوار التنزيل ٢٢٩/٢، بتقديم وتأخير.

٤. أنوار التنزيل ٢٢٩/٢.

٦. مجمع البيان ٣١٩/٤.

٨. المصدر: يقول.

إن تلك مثقال حبة الآية، إلى قوله: «لطيف خبير».

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾: فإنها قربان كل تقى.

وفي الكافي^(١)، بإسناده إلى معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام: عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله ﷻ ما هو؟

فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة^(٢). ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام: قال^(٣): «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً»؟

علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى^(٤)، عن يونس، عن هارون بن خارجة^(٥)، عن زيد الشحام، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: سمعته يقول: أحب الأعمال إلى الله ﷻ الصلاة، وهي آخر وصايا الأنبياء.

أبو داود، عن الحسين بن سعيد^(٦)، عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: الصلاة قربان كل تقى.

﴿وَأَوْمِرُ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بما يعرفه العقل والشرع من الطاعات.

﴿وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: وهو كل معصية قبيح ينكرها العقل والشرع.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٧)، في وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية: يا بُنَيَّ، اقبل من الحكماء مواعظهم وتدبر أحكامهم، وكن آخذ الناس بما تأمر به وأكف الناس عما تنهى عنه، وأمر بالمعروف تكن من أهله. فإن استتمام الأمور عند الله تبارك وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي الكافي^(٨): عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن

١. نفس المصدر ٣/٢٦٤، ح ١.

٢. نفس المصدر والموضع، صدر حديث ٢.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «يونس بن هارون بن خارجة» بدل «يونس عن هارون بن خارجة».

٤. نفس المصدر ٣/٢٦٥، ح ٦.

٥. من لا يحضره الفقيه ٤/٢٧٧، ضمن حديث ٨٣٠.

٦. الكافي ٥/٥٦، ح ٣.

عيسى عن محمد بن عرفة^(١) قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد^(٢)، عن علي بن النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن داود بن فرقد، عن أبي سعيد الزهري، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قال^(٣): ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. [وإسناده^(٤) قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ينس القوم قوم يعيبون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]^(٥).

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾: من الشدائد، سيما في ذلك.

وفي مجمع البيان^(٦): «واصبر على ما أصابك». من المشقة والأذى، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عن علي عليه السلام.

وفي أصول الكافي^(٧)، بإسناده إلى حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حفص، إن من صبر، صبر قليلاً. ومن جزع، جزع قليلاً.

ثم قال: عليك بالصبر والرفق في جميع أمورك. فإن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر والرفق.

فقال^(٨): «واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً، وذرنى والمكذابين أولي النعمة». وقال تبارك وتعالى^(٩): «ادفع بالتي هي أحسن [السيئة]. فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم». فصبر عليه حتى نالوه بالعظام، ورموه بها. الحديث.

٢. نفس المصدر ٥٦/٥-٥٧، ح ٤.

١. المصدر: محمد بن عمر بن عرفة.

٤. نفس المصدر ٥٧/٥، ح ٥.

٣. المصدر: قال.

٦. مجمع البيان ٣١٩/٤.

٥. ليس في الأصل ون.

٨. المزمّل ١٠/١١.

٧. الكافي ٨٧٢، صدر حديث ٣.

٩. فصلت ٣٤-٣٥.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(١)، عن عليّ بن الحكم، عن عبدالله بن بكر^(٢)، عن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر. فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة. وجهنم محفوفة^(٣) باللذات والشهوات. فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها^(٤) دخل النار.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد^(٥)، عن ابن سنان، عن أبي الجارود، عن الأصمغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن جميل. وأحسن من ذلك الصبر عند ماحرم الله ﷻ عليك.

أبو عليّ الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ الكوفي^(٦)، عن العباس بن عامر العرزيّ^(٧)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالغصب والبخل، ولا المحبة إلا باستخراج الدين وأتباع الهوى. فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذلّ وهو يقدر على العزّ، أتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممّن صدّق بي.

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه^(٨)، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة الثماليّ قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: من ابتلي من المؤمنين [ببلاء]^(٩) فصبر عليه، كان له مثل أجر مائة شهيد.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(١٠)، عن محمد بن سنان، عن عمّار بن مروان، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله ﷻ أنعم على قوم فلم يشكروا،

١. نفس المصدر ٨٩/٢-٩٠، ح ٧.

٢. المصدر: عبدالله بن بكير.

٣. من المصدر.

٤. ن: لذاتها وشهواتها.

٥. نفس المصدر ٩٠/٢، صدر حديث ١١.

٦. نفس المصدر ٩١/٢، ح ١٢.

٧. المصدر: «العباس بن عامر عن العرزمي» بدل «العباس بن عامر العرزي».

٨. نفس المصدر ٩٢/٢، ح ١٧.

٩. ليس في الأصل.

١٠. نفس المصدر والموضع، ح ١٨.

فصارت عليهم وبالأ. وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة.
أبو عليّ الأشعري، عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى^(١)، عن محمد بن سنان، عن
العلاء بن فضيل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.
فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد. كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان.
﴿أَنَّ ذَلِكَ﴾: إشارة إلى الصبر، أو إلى كلّ ما أمر به.

﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٢): من معزومات الأمور. من عزم الأمر: قطعت قطع إيجاب.
مصدر أطلق للمفعول. أو من عازمات الأمور. من عزم الأمر: جدّ. مصدر أطلق
للفاعل. ومنه الحديث^(٣): إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه.
وفي جوامع الجامع^(٤): وفيه دلالة^(٥) على أن هذه الطاعات كانت مأموراً بها في
سائر الأمم.

وفي مجمع البيان^(٦): «إن ذلك من عزم الأمور» أي من العقد الصحيح على فعل
الحسن، بدلاً من القبيح. والعزم الإرادة المتقدمة^(٧) للفعل بأكثر من وقت. وهو العقد
على الأمر لتوطين النفس على فعله. والتلون في الرأي يناقض العزم.
وقيل^(٨): معناه: أن ذلك من الأمور التي يجب الثبات والدوام عليها.
وقيل^(٩): العزم: القوة، والحزم: الحذر. ومنه المثل: لا خير في عزم بغير حزم.
وقيل^(١٠): الحزم: التأهب للأمر. والعزم: النفاذ فيه ومنه. قيل في المثل: رق بحزم.
فإذا استوضحت، فاعزم.

﴿وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تمله عنهم. ولا تولهم صفحة وجهك؛ كما يفعله
المتكبر. من الصعر: وهو الصّيد؛ داء يعتري البعير فيلوي عنقه. وفي مجمع البيان^(١١):
ولا تعرض عنّ يكلمك استخفافاً به. وهذا المعنى قول ابن عباس وأبي عبد الله عليه السلام.

١. نفس المصدر ٨٧/٢ ح ٢.

٢. تفسير الصافي ١٤٥/٤ - ١٤٦.

٣. جوامع الجامع ٣٦٣.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: دليل.

٥. مجمع البيان ٣١٩/٤.

٦. كذا في المصدر وم. وفي سائر النسخ: المقدمة.

٧-١٠. نفس المصدر والموضع.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): أي ولا تذلل للناس طمعاً في ما عندهم .

وقرأ نافع وحزمة والكسائي: «ولا تصاعر»^(٢).

وقرئ: «ولا تصعر». والكَلَّ واحد، مثل: علاه وأعلاه وعلاه^(٣).

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾: مصدر وقع موقع الحال، أي تمرح مرحاً، أو لأجل

المرح. وهو البطر.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): أي فرحاً. وفي رواية أبي الجارود [عن أبي

جعفر عليه السلام] ^(٥) يقول: بالعظمة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٦): علّة للنهي.

قيل^(٧): وتأخير الفخور، وهو مقابل للمصغر خدّه. والمختال، للماشي مرحاً

ليوافق رؤوس الآي.

وفي الكافي^(٨): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم،

عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله أوصى رجلاً من بني تميم، فقال له: إياك

وإسبال الإزار والقميص. فإن ذلك من المخيلة. والله لا يحب المخيلة.

وفي ثواب الأعمال^(٩)، بإسناده إلى ابن فضال، عن حمّاد بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مشى على الأرض اختيلاً، لعنته [الأرض]^(١٠) ومن تحتها ومن

فوقها.

أبي عليه السلام^(١١) [قال]: ^(١٢) حدثني سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، رفعه

١. تفسير القمي ١٦٥/٢.

٢. أنوار التنزيل ٢٢٩/٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. من المصدر وفيه: في قوله: ولا تمش في الأرض مرحاً، أي بالعظمة.

٦. أنوار التنزيل ٢٢٩/٢.

٧. الكافي ٤٥٦/٦، ح ٥.

٨. ثواب الأعمال ٣٢٤، ح ١.

٩. من المصدر.

١٠. نفس المصدر والموضع، ح ٢.

١١. من المصدر.

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: ويل لمن يختال في الأرض، يعارض جبار السموات والأرض.

وفي أمالي الصدوق عليه السلام^(١) وفي مناهي النبي ﷺ: ونهى أن يختال الرجل في مشيه^(٢). وقال: من لبس ثوباً واختال فيه، خسف الله به من شفير جهنم وكان قرين قارون، لأنه أول من اختال، فخسف الله به وبداره الأرض. ومن اختال، فقد نازع الله في جبروته.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣)، مثله سواء.

وفي أصول الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال: حدثنا أبو عمرو الزبير، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً. يقول فيه عليه السلام بعد أن قال: إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرق فيها: فرض على الرجلين أن لا يمشي بهما إلى شيء من معاصي الله. وفرض عليهما المشي إلى ما يرضي الله ﷻ فقال: «ولا تمش في الأرض مرحاً. إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا».

﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسّط بين الدبيب والإسراع.

وقرئ بقطع الهمزة. من أقصد الرامي: إذا سدّد سهمه نحو الرمية^(٥).

وفي كتاب الخصال^(٦): عن أبي عبد الله عليه السلام^(٧) قال: سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن.

﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾: واستر بعض صوتك، أي انقص منه واقصر.

﴿إِنَّ أَكْثَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٨): أي أقيح الأصوات لصوت الحمير. أوله

زفير، وآخره شهيق.

١. أمالي الصدوق ٣٤٨/ح ١.

٢. المصدر: مشيته.

٣. من لا يحضره الفقيه ٧/٤، باب مناهي النبي.

٤. الكافي ٣٣/٢ و٣٦، ضمن حديث ١.

٥. أنوار التنزيل ٢٢٩/٢.

٦. الخصال ٩/ح ٣٠.

٧. المصدر: أبي الحسن عليه السلام.

يقال: وجه منكر، أي قبيح. والحمار مثل في الذم، سيما نهاقه ولذلك يُكنَّى عنه بطويل الأذنين. وقد يقال: إذا قُطعت أذناه، طال صوته. وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته. ثم إخراج مخرج الاستعارة، مبالغة شديدة.

وتوحيد الصوت، لأن المراد تفضيل الجنس في التكثير دون الأحاد. أو لأنه في الأصل مصدر.

في أصول الكافي^(١): أحمد بن محمد الكوفي، عن علي بن الحسن، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم، عن أبي بكر الحضرمي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصُوتِ الْحَمِيرِ». قال: العطسة القبيحة.

وفي مجمع البيان^(٢): ورؤي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هي العطسة المرتفعة القبيحة، والرجل يرفع صوته بالحديث رفعا قبيحا، إلا إن يكون داعيا أو يقرأ القرآن. ورؤي عن زيد بن علي^(٣) أنه قال: أراد صوت الحمير من الناس، وهم الجهال. شبههم بالحمير؛ كما شبههم بالأنعام في قوله^(٤): «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ».

﴿لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾: بأن جعل أسبابا محصلة لمنافعكم، ومكنكم من الانتفاع.

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾: من الشمس والقمر والنجوم.

﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: من الحيوان والنبات وغير ذلك. مما تنتفعون به وتتصرفون فيه، بحسب ما تريدون.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٥)، بإسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام حديث طويل. وفيه أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: قل ما أول نعمة أبلاك^(٦) الله ﷻ وأنعم عليك بها؟

٢. مجمع البيان ٣٢٠/٤.

٤. الأعراف ١٧٩.

٦. المصدر: بلاك.

١. الكافي ٦٥٦/٢، ح ٢١.

٣. نفس المصدر ٣١٩-٣٢٠.

٥. أمالي الطوسي ١٠٦/٢، ح ٤٤.

قال: أن خلقتني.

إلى أن قال: فما التاسعة؟

قال: أن سخر لي سماء وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه.

قال: صدقت.

وفي أصول الكافي^(١)، بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: كفى لأولي الأبواب بخلق الربّ المسخر وملك الربّ القاهر - إلى قوله -: وما أنطق به ألسن العباد وما أرسل به الرسل وما أنزل على العباد، دليلاً على الربّ.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: أي وسّع وأتمّ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة.

وقرئ: «أصبغ» بالإبدال. وهو جارٍ في كلّ سين اجتمع مع الغين والخاء والقاف؛ كسلخ وصقر^(٢).

وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: «نعمه» بالجمع والإضافة^(٣).

قيل^(٤): فالظاهرة، ما لا يمكنكم جحده من خلقكم وإحيائكم وأقداركم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم. والباطنة، ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها. وقيل^(٥): الباطنة، مصالح الدين والدنيا ممّا يعلمه الله وخفي^(٦) عن العباد علمه.

وقيل^(٧): الظاهرة [تخفيف الشرائع. والباطنة، الشفاعة.

وقيل^(٨): الظاهرة^(٩) نعم الدنيا. والباطنة، نعم الآخرة.

وقيل^(١٠): الظاهرة، نعم الجوارح. والباطنة، نعم القلب.

١. الكافي ٨٢/١، ح ٦، وأوله في ص ٨١. ٢. أنوار التنزيل ٢٣٠/٢.

٣. نفس المصدر والموضع. وجاء في أنوار التنزيل، في متن الآية «نعمة» وهي مفردة موصوفة. ولذلك قال: وقرأ... «نعمه» بالجمع. وأما في تفسير الصافي ٤/ فقد ذكر في الآية «نعمته» مفردة مضافة.

٤. مجمع البيان ٣٢٠/٤. ٥. نفس المصدر والموضع.

٦. المصدر: غاب. ٧. نفس المصدر والموضع.

٩. ليس في الأصل. ١٠. نفس المصدر والموضع.

وقيل^(١): الظاهرة، ظهور الإسلام والنصر على الأعداء. والباطنة، الإمداد بالملائكة.

وقيل^(٢): الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء. والباطنة، المعرفة.

وقيل^(٣): الظاهرة، القرآن. والباطنة، تأويله ومعانيه.

وفي مجمع البيان^(٤): وقال الباقر عليه السلام: النعمة الظاهرة، النبي صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة الله ﷻ وتوحيده. وأما النعمة الباطنة، ولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا.

ولا تنافي بين هذه الأقوال، لأن كلهما نعم الله. ويجوز حمل الآية على الجميع.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٥)، بإسناده إلى حماد بن أبي زياد الأزدي^(٦) قال: سألت سيدي موسى بن جعفر عليه السلام عن قول الله ﷻ: «وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً».

فقال عليه السلام: النعمة الظاهرة الإمام الظاهر. والباطنة، الإمام الغائب.

[وفي كتاب المناقب^(٧)، لابن شهر آشوب: محمد بن مسلم، عن الكاظم عليه السلام: الظاهرة، الإمام الظاهر. والباطنة، الإمام الغائب]^(٨).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): حدّثني أبي، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن شريك، عن جابر قال: قرأ رجل عند أبي جعفر عليه السلام: «وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً».

قال: أما النعمة الظاهرة، فالنبي صلى الله عليه وآله^(١٠) وما جاء به من معرفة الله ﷻ وتوحيده. وأما النعمة الباطنة، فولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا فاعتقد - والله - قوم هذه النعمة الظاهرة

٥. كمال الدين وتمام النعمة ٣٦٨، صدر حديث ٦.

١- ٤. نفس المصدر والموضع.

٦. المصدر: أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي. ٧. مناقب آل أبي طالب ١٨٠/٤.

٨. ليس في ن. ٩. تفسير القمي ١٦٥/٢-١٦٦.

١٠. المصدر: فهو النبي.

والباطنة. واعتقدها قوم ظاهرة. ولم يعتقدوها باطنة. فأنزل الله ^(١): «يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم». ففرح رسول الله ﷺ عند نزولها أنه لم يقبل الله تبارك وتعالى إيمانهم إلا بعقد ^(٢) ولايتنا ومحبتنا.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٣): علي بن أبي إبراهيم عليه السلام، عنه، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن يحيى بن آدم، عن شريك، عن جابر قال: قرأ رجل عند أبي جعفر عليه السلام: «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة».

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه قراءة العامة. وأما نحن فنقرأ: وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة. فأما النعمة الظاهرة، فهو النبي عليه السلام وما جاء به من معرفة الله وتوحيده. وأما النعمة الباطنة، فموالاتنا أهل البيت وعقد مودتنا.

وفي مجمع البيان ^(٤): «وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة» وفي رواية الضحاک، عن ابن عباس قال: سألت النبي عليه السلام. فقال: يا ابن عباس، أما ما ظهر، فالإسلام وما سوى الله من خلقك وما أفاض ^(٥) عليك من الرزق. وأما ما بطن، فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به. يا ابن عباس، إن الله تعالى يقول: ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له: صلاة ^(٦) المؤمنين عليه بعد انقطاع عمله؛ وجعلت له ثلث ماله يُكفَّر ^(٧) به عن ^(٨) خطاياهم؛ والثالثة ^(٩) سترت مساوئ عمله ولم أفصح به شيء منه. ولو أبديتها عليه، لنبذه أهله فمن سواهم.

وفي أمالي شيخ الطائفة قدس سره ^(١٠) بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: حدّثني عبد الله

١. المائدة ٤١.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: بقدر.

٣. تأويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٢٨، ح ١.

٤. مجمع البيان ٣٢٠/٤.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أفضل.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: لم يكن لصلاة.

٧. المصدر: اكفر.

٨. المصدر: اكفر.

٩. المصدر: الثالث.

١٠. أمالي الطوسي ١٠٥/٢-١٠٦.

بن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري [وكان بدرياً أحدياً شجرياً وممن لحق من أصحاب رسول الله ﷺ في مودة أمير المؤمنين علياً] ^(١) قالوا: أتينا ^(٢) رسول الله ﷺ في مسجده في رهط من أصحابه، فيهم أبو بكر وأبو عبيدة وعمر وعثمان وعبد الرحمن ورجلان من قراء الصحابة - إلى قوله - حاكياً عن رسول الله ﷺ: وقد أوحى إليّ ربّي جلّ وتعالى أن أذكركم بالنعمة وأنذركم بما اقتصّ عليكم من كتابه. وتلا «وأسبغ عليكم نعمه». الآية.

ثم قال لهم: قولوا الآن قولكم، ما أول نعمة رغبكم الله فيها وبلاكم بها؟ فخاض القوم جميعاً. فذكروا نعم ^(٣) الله التي أنعم عليهم وأحسن إليهم بها من المعاش والرياش والذرية والأزواج إلى سائر ما بلاهم الله ﷻ من أنعمه الظاهرة. فلما أمسك القوم أقبل رسول الله ﷺ على عليّ علياً فقال: يا أبا الحسن، قل. فقد قال أصحابك.

فقال: فكيف لي بالقول؟ فذاك أبي وأمي. وإنما هذان الله بك.

قال: ومع ذلك فهات. قل ما أول نعمة أبلاك ^(٤) الله ﷻ وأنعم عليك بها؟

قال: أن خلقني جلّ ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً.

قال: صدقت. فما الثانية؟

قال: أن أحسن بي ^(٥) إذ خلقني، فجعلني حيّاً لا مواتاً ^(٦).

قال: صدقت. فما الثالثة؟

قال: أن أنشأني - فله الحمد - في أحسن صورة وأعدل تركيب.

قال: صدقت. فما الرابعة؟

١. من المصدر.

٢. المصدر: بينما.

٣. المصدر: نعمة. ن: أنعم.

٤. المصدر: بلاك.

٥. المصدر: «أحبّني» بدل «أحسن بي».

٦. المصدر: لا ميتاً.

قال: أن جعلني متفكراً^(١) داعياً لا يلهمه ساهياً^(٢).

قال: صدقت. فما الخامسة؟

قال: أن جعل لي شواعر أدرك^(٣) ما ابتغيت لها. فجعل لي سراجاً منيراً.

قال: صدقت. فما السادسة؟

قال: أن هداني [الله لدينه]^(٤) ولم يضلني عن سبيله.

قال: صدقت. فما السابعة؟

قال: أن جعل لي مردأً في حياة لا انقطاع لها.

قال: صدقت. فما الثامنة؟

قال: أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً.

قال: صدقت. فما التاسعة؟

قال: أن سخر لي سماء وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه.

قال: صدقت. فما العاشرة؟

قال: أن جعلنا سبحانه ذكراناً [قواماً على حلائلنا]^(٥) لا اناثاً.

قال: صدقت. فما بعدها؟

قال: كثرت نعم الله، يا نبي الله، فطابت [وتلا:]^(٦) «وإن تعدوا نعمة الله لا

تحصوها»^(٧).

فتبسم رسول الله ﷺ. وقال: ليهنك الحكمة، ليهنك العلم، يا أبا الحسن. فأنت وارث علمي واليمين لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي. من أحبك لدينك وأخذ

١. ن: متذكراً.

٢. المصدر: «راغباً لأبلهة ساهياً» بدل «داعياً يلهمه ساهياً».

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «سراً عن إدراك» بدل «شواعر أدرك».

٤. ليس في المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٦. إبراهيم/٣٤، النحل/١٨.

٧. من المصدر.

بسبيلك، فهو مَن هُدي إلى صراط مستقيم. ومن رغب عن هواك وأبغضك [وتخلَّك] ^(١) لقي الله يوم القيامة لآخلاف له. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾: في توحيده وصفاته.

﴿يَغْيِرُ عِلْمَ﴾: مستفاد من دليل.

﴿وَلَا هُدًى﴾: راجع إلى الرسول ﷺ.

﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ^(٢): أنزله الله بل بالتقليد؛ كما قال:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾: وهو منع صريح

من التقليد في الأصول.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾: يحتمل أن يكون الضمير لهم ولآبائهم.

﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ ^(٣): إلى ما يؤول إليه من التقليد، أو الإشراك. وجواب «لو»

محذوف؛ مثل: «لاتبعوه». والاستفهام للإنكار والتعجب.

﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: بأن فوّض أمره إليه، وأقبل بشرائره عليه. من

أسلمت المتاع إلى الزبون.

ويؤيده القراءة بالتشديد. وحيث عُدِّي باللام، فلتضمّن معنى الإخلاص ^(٤).

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: في عمله.

﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾: تعلّق بأوثق ما يتعلّق به. وهو تمثيل للمتوكّل

المشتغل بالطاعة، بمن أراد أن يترقّى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الجبل المتدلّي

منه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في

قوله ﷻ: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. وإذا قيل

لهم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ». فهو النضر بن الحارث. قال له رسول الله ﷺ: اتَّبِعْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ.

قال: بل أَتَّبِعُ^(١) ما وجدت عليه آبائي.

وقوله ﷺ: «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى» قال: بالولاية.

في شرح الآيات الباهرة^(٢): قال محمد بن العباس ﷺ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَصِينِ بْنِ الْمُخَارِقِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ آبَائِهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» قال: مَوَدَّتْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ﷺ.

وقال أيضاً^(٣): حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ حَصِينِ بْنِ مُخَارِقٍ، عَنْ هَارُونَ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ قال: «العروة الوثقى» المودة لآل محمد ﷺ.

﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٤): إِذَا الْكُلُّ صَاحِرٍ إِلَيْهِ.

﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ﴾: فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقرئ: «فَلَا يَحْزُنُكَ» مِنْ أَحْزَنَ^(٥).

﴿إِنَّا مَرْجُمُهُمْ﴾: فِي الدَّارَيْنِ.

﴿فَنَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾: بِالْإِهْلَاكِ وَالتَّعْذِيبِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٦): فَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا فَضْلاً عَمَّا فِي الظَّاهِرِ.

﴿نُمتَّعُهُمْ قَلِيلاً﴾: أَي نَعْطُهُمْ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا مَا يَتَمَتَّعُونَ مَدَّةً قَلِيلَةً. أَوْ نَمَتَّعُهُمْ تَمَتُّعاً

قَلِيلاً. فَإِنَّ مَا يَزُولُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا يَدُومُ قَلِيلٌ.

١. هكذا في المصدرون وم. وفي سائر النسخ: نتبع.

٢. تأويل الآيات الباهرة، ص ٤٢٩، ح ١. ٣. نفس المصدر والموضع.

٤. أنوار التنزيل ٢٣٠/٢.

﴿ثُمَّ نَضَرُهمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾^(١١): يثقل عليهم [ثقل]^(١٢) الأجرام الغلاظ.
 ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾: لوضوح الدليل المانع من إسناد الخلق إلى غيره بحيث اضطروا إذعانه.
 ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: على هدايته لنا وتوفيقه إيانا لمعرفة.
 وقيل^(١٣): معناه: اشكر الله على دين يقرّ لك خصمك بصحّته لوضوح دلالة.
 وقيل^(١٤): «قل الحمد لله» على إلزامهم، والجائهم إلى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٥): ما عليهم من الحجّة. أو أنّ ذلك يلزمهم.
 وفي كتاب التوحيد^(١٦): [أبي] قال: ^(١٧) حدّثنا سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم و محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ويعقوب بن يزيد، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة [عن زرارة]^(١٨)، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل، يقول في آخره: وقال^(١٩) رسول الله ﷺ: كلّ مولود يولد على الفطرة؛ يعني: على المعرفة بأنّ الله ﷻ خالقه. فذلك قوله ﷻ: «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله».
 ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا يستحقّ العبادة فيها غيره.
 ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾: عن حمد الحامدين.

﴿الْحَمِيدُ﴾^(٢٠): المستحقّ للحمد، وإن لم يُحمد.
 ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾: ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً. وتوحيد الشجرة، لأنّ المراد تفصيل الآحاد.
 ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾: البحر المحيط بسعته ممدوداً بسبعة أبحر يمدّه. من مدّ الدواء وأمدّها.

٢. مجمع البيان ٣٢١/٤.

١. من ن.

٤. التوحيد/ ٣٣١-٣٣١، ذيل حديث ٩.

٣. أنوار التنزيل ٢٣٠/٢ - ٢٣١.

٦. من المصدر.

٥. من المصدر.

٧. المصدر: وقال: قال.

ورفعه للعطف على محلّ «أَنْ» ومعموليهما. و«يمدّه» حال، أو على الابتداء على أنّه مستأنف. أو الواو للحال^(١).

ونصبه البصريّان بالعطف على اسم «أَنْ» أو إضمار فعل يفسّره «يمدّه»^(٢).
وقرئ: «يمدّه وتمدّه» بالياء والتاء^(٣).

وفي مجمع البيان^(٤): وقرأ جعفر بن محمد عليه السلام: والبحر مداده.

﴿ مَا نَفَعَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾: يكتبها بتلك الأقلام، بذلك المداد.

وإثنا جمع القلّة، للإشعار بأنّ ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير.

وفي مجمع البيان^(٥): والأولى أن تكون الكلمات^(٦) عبارة عن معلوماته ومقدوراته. لأنّها إذا كانت لا تتناهى، فلكذلك الكلمات التي تقع عبارة عنها لا تتناهى.

وفي كتاب الاحتجاج^(٧) للطبرسي عليه السلام: أنّ يحيى بن أكرم سأل مولانا أبا الحسن العسكري عليه السلام عن مسائل منها تأويل هذه الآية. فقال: ما هذه السبعة أبحر، وما الكلمات لا تنفذ؟

فقال له الإمام عليه السلام: أمّا الأبحر، فهي عين الكبريت وعين اليمن وعين البرهوت وعين الطبرية وجمّة ماسيدان وجمّة إفريقية وعين بلعوران. ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى.

وفي كتاب التوحيد^(٨)، بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الأمر تفسير الأمور سنة [سنة]^(٩) يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا وكذا وفي أمر الناس بكذا

١- ٣. أنوار التنزيل ٢/٢٣١.

٤. مجمع البيان ٤/٣٢١.

٥. نفس المصدر ٤/٣٢٢.

٦. لم نثر عليه في الاحتجاج. وفيه أجوبة الإمام الجواد عليه السلام على مسائل يحيى بن أكرم (٢٤٩ - ٢٤٠/٢).

٧. ونقل في تفسير نور الثقلين ٤/٢١٦، ح ٩٢ عنه. وفيه: سأل يحيى بن أكرم أبا الحسن العالم عليه السلام.

٨. لم نثر عليه في كتاب التوحيد ولم يُقلّ عنه في أحد من التفاسير الأخرى. ولكن يوجد في الكافي

٤٨/١، ضمن حديث ٣. ونقله عنه في تفسير نور الثقلين ٤/٢١٥، ح ٩٠.

٩. من المصدر.

وكذا. وإنه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كل يوم علم الله ﷻ الخاص والمكنون العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك الليلة من الأمر. ثم قرأ: «ولو أن ما في الأرض» الآية، والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن الروح.

فقال: «الروح من أمر ربّي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً»^(٢).

قالوا: نحن خاصّة؟

قال: بل الناس عامّة.

قالوا: فكيف يجتمع هذان، يا محمّد؟ تزعم أنك لم تؤت من العلم إلا قليلاً؟ وقد أوتيت القرآن وأوتيت التوراة. وقد قرأت^(٣): «ومن يؤت الحكمة» وهي التوراة «فقد أوتي خيراً كثيراً».

فأنزل الله تبارك وتعالى: «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله». يقول: علم الله أكثر من ذلك. وما أوتيتم كثير فيكم، قليل عند الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يغلبه شيء.

﴿حَكِيمٌ﴾^(٤): يفعل من ذلك ما يليق بحكمته.

﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ إِلَّا كَفْئِيسَ وَاحِدَةٍ﴾: كخلقها وبعثها في قدرته. فإنه لا يسئ عليه ابتداء جميع الخلق ولا إعادتهم بعد إفنائهم. لأنه يكفي لوجود الكل تعلّق إرادته وكذا إفنائهم وإعادته.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام: بلغنا، والله أعلم، أنهم قالوا: يا محمّد ﷺ خُلقنا أطواراً، نطفاً، ثم علَقاً، ثم أنشأنا خلقاً

١. إشارة إلى الآية ٨٥ من سورة الإسراء.

٢. نفس المصدر ١٦٧/٢.

٣. تفسير القمي ١٦٦/٢.

٤. البقرة ٢٦٩/.

آخركما تزعم، وتزعم أنا تُبعث في ساعة واحدة. فقال الله: «ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إنما يقول له كن فيكون».

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يسمع ما يقوله القائلون في ذلك.

﴿بَصِيرٌ﴾^(١): بما يضمرونه. فيكون وعيداً لهم.

وقيل^(١): سميع، يسمع كل مسموع. بصير، يبصر كل مبصر. لا يشغله إدراك بعضها عن بعض. فكذلك الخلق. فيكون تعليلاً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): ما ينقص من الليل يدخل في النهار. وما ينقص من النهار يدخل في الليل.

وقيل^(٣): معناه: أن كل واحد منهما يتعقب الآخر.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾: من النيرين.

﴿يَجْرِي﴾: في فلكه.

﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى منتهى معين: الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهر.

وقيل^(٤): إلى يوم القيامة. والفرق بينه وبين قوله «لأجل مسمى» أن الأجل ههنا

منتهى الجري، وثُمَّ^(٥) غرضه حقيقة أو مجازاً. وكلا المعنيين حاصل في الغايات.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٦): عالم بكنهه.

﴿ذَلِكَ﴾: إشارة إلى ما ذكر من سعة العلم، وشمول القدرة، وعجائب الصنع

واختصاصه بها.

﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾: بسبب أنه الثابت في ذاته، الواجب من جميع جهاته. أو

الثابت الألوهية.

٢. تفسير القمي ١٦٧/٢.

٤. أنوار التنزيل ٢٣١/٣.

١. أنوار التنزيل ٢٣١/٢.

٣. مجمع البيان ٣٢٢/٤.

٥. ثُمَّ: هناك.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ : المعدوم في حد ذاته ، لا يوجد ولا يتصرف إلا بجعله . أو الباطل الإلهية .

وقرأ البصريان والكوفيتون غير أبي بكر ، بالياء ^(١) .

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ : المرتفع على كل شيء .

﴿الْكَبِيرُ﴾ ^(٢) : المسط علىه .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ : بإحسانه في تهينة أسبابه . وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال نعمته وشمول أنعامه . والباء للصلة ، أو الحال .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣) قال : السفن تجري بقدرة الله .

وقرئ : «الفلك» بالثقل . و«بنعمات الله» بسكون العين . وقد جَوَزَ في مثله الكسر والفتح والسكون ^(٤) .

﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ : دلالة .

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ : على المشاق . فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والأنفس .

﴿شُكُورٍ﴾ ^(٥) : يعرف النعم ويتعرف مانحها . أو للمؤمنين . فإن الإيمان - لما ورد في الحديث - نصفان : نصف صبر ، ونصف شكر ^(٦) .

﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ : علاهم وغطاهم .

﴿مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ : كما يظل من جبل ، أو سحاب . أو غيرهما .

وقرئ «كالظلال» جمع ظلة ؛ كقلة وقلال ^(٧) .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٨) في قوله ﷻ : [أَنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

٢ . تفسير القمي ١٦٦/٢ - ١٦٧ .

١ . أنوار التنزيل ١٣١/٢ .

٣ . أنوار التنزيل ٢٣١/٢ - ٢٣٢ .

٤ . نفس المصدر ٢٣٢/٢ ، من دون لفظ «لما ورد في الحديث» .

٥ . نفس المصدر ١٦٧/٢ .

٥ . نفس المصدر والموضع .

شكور» قال: هو الذي يصبر على الفقر والفاقة ويشكر الله ﷻ^(١) على جميع أحواله.

﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: لزوال ما ينافي الفطرة من الهوى والتقليد، بما دعاهم من الخوف والشدائد.

﴿فَلَمَّا نَجَّيَهُم إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾: مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد، أو متوسط^(٢) في الكفر، لانزجاره بعض الانزجار.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدار. فإنه نقض للعهد الفطري، أو لما كان في البحر. والختر: أشد الغدر.

﴿كَفُورٍ﴾^(٣): للنعم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾: لا يقضي عنه. وقرئ: «لا يجزي» من أجزأ إذا أغنى^(٤). والراجع إلى الموصوف محذوف؛ أي لا يجزي فيه^(٥).

﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾: عطف على «والد». أو مبتدأ خبره

﴿هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾: وتغيير النظم، للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي، وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة.

﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: بالثواب والعقاب.

﴿حَقٌّ﴾: لا يمكن خلفه.

﴿فَلَا تُغْنِيكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَقْرَنُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٦): الشيطان. بأن يرجيكم

التوبة والمغفرة، فيجرنكم على المعاصي.

وفي مجمع البيان^(٧): وفي الشواذ قراءة سماك بن حرب. «الغُرور» بضم الغين.

١. ليس في أ.

٢. هكذا في م. وفي سائر النسخ: متوسطه.

٣. من المصدر.

٤. أنوار التنزيل ٢/٢٣٢.

٥. مجمع البيان ٤/٣٢٤.

وعلى هذا يكون المعنى: لا يغرّنكم غرور الدنيا بخدعها الباطلة. أو غرور النفس بشهواتها الموققة.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١)، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه قال السائل: فأَيُّ الناس أثبت رأياً؟

قال: من لم يغرّه الناس من نفسه، ولم تغرّه الدنيا بتشويقها^(٢).

وفي مجمع البيان^(٣): وفي الحديث: الكَيْسُ^(٤)، من حاسب^(٥) نفسه وعمل لما^(٦) بعد الموت. والفاجر، من اتّبع نفسه هواها وتمنّى على الله.

وفي إرشاد المفيد^(٧) من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لرجل سمعه يذمّ الدنيا من غير معرفة بما يجب أن يقول في معناها: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، مسجّد أنبياء الله، ومهبط وحيه، ومصلّى ملائكته ومتجر أوليائه. اكتسبوا فيها الرحمة. وريحوا فيها الجنّة. فمن ذالّمها وقد أذنت ببينها ونادت بفراقها، ونعت نفسها. فشوّقت بسرورها إلى السرور، و[حذّرت]^(٨) ببلائها إلى البلاء تخويفاً وتحذيراً وترغيباً وترهيباً. فيا أيّها الذامّ للدنيا والمعتل^(٩) بتغريها، متى غرّتك؟ ألبصارع آبائك في البلاء، أم بمصارع^(١٠) أمهاتك تحت الثرى؟ كم علّلت بكفّيك ومَرَضت ببيديك، تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء وتلتمس لهم الدواء؟ لم تنفعهم بطلبك ولم تشفعهم بشفاعتك. قد مثلت لك الدنيا بهم مصرعك ومضجعك، حيث لا ينفعك بكاؤك ولا يغني عنك أحباؤك.

وفي أصول الكافي^(١١)، بإسناده إلى محمّد بن مسلم بن شهاب قال: سألت عليّ بن

١. من لا يحضره الفقيه ٢٧٤/٤، ضمن حديث ٨٢٩.

٢. المصدر: بتشويقها.

٣. مجمع البيان ٣٢٤/٤.

٤. أو: «الكيس». والانتان صحيحتان.

٥. المصدر: دان.

٦. المصدر: لها.

٧. الإرشاد ١٥٧.

٨. من المصدر.

٩. المصدر: المعتز.

١٠. المصدر: بمضاجع.

١١. الكافي ١٣٠/٢ - ١٣١، ح ١١.

الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل عند الله ﷻ؟

فقال: ما من عمل بعد معرفة الله ﷻ ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا. وإن لذلك لشعباً كثيرة، وللمعاصي شعباً. فأول ما عصى الله به الكبر. وهي معصية إبليس حين «أبى واستكبر وكان من الكافرين»^(١). [والحرص]^(٢) وهي معصية آدم وحواء، حين قال الله ﷻ لهما^(٣): «كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين». فأخذا مالا حاجة بهما إليه، فدخل على ذريتهما إلى يوم القيامة. وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم مالا حاجة به إليه. ثم الحسد وهي معصية ابن آدم، حين حسد أخاه فقتله. فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة. فصرن سبع خصال. فاجتمعت^(٤) كلهن في حب الدنيا. فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: «حب الدنيا رأس كل خطيئة». والدنيا دنياء ان: دنيا بلاغ ودنيا ملعونة.

وبإسناده إلى طلحة بن زيد^(٥)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مثل الدنيا كمثل ماء البحر، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً [حتى يقتله]^(٦).

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: علم وقت قيامها.

قيل^(٧): روي أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله ﷺ فقال: متى قيام الساعة؟ وأني قد ألقيت حباتي في الأرض، فمتى السماء تمطر؟ وحمل امرأتي ذكراً أم أنثى؟ وما أعمل غداً؟ وأين أموت؟ فنزلت.

﴿وَيُنَزَّلُ الْغَيْثُ﴾: في وقته المقدر له، والمحل المعين في علمه.

وقرأ نافع وابن عامر وعاصم، بالتشديد^(٨).

-
١. البقرة / ٣٤.
 ٢. ليس في المصدر.
 ٣. البقرة / ٣٥.
 ٤. م والمصدر: فاجتمعن.
 ٥. نفس المصدر ١٣٧٢، ح ٢٤.
 ٦. من المصدر.
 ٧. أنوار التنزيل ٢٣٢/٢.
 ٨. نفس المصدر والموضع.

وفي كتاب الخصال^(١)، فيما علّم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمائة باب: وبنا ينزل الغيث.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٢)، بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود، عن الرضا عليه السلام حديث طويل. وفيه: وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمة.

وبإسناده إلى سليمان بن مهران الأعمش^(٣)، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال: بنا ينزل الله^(٤) الغيث وينشر^(٥) الرحمة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾: أذكر أم أنثى، أتم أم ناقص، إلى غير ذلك.

وفي نهج البلاغة^(٦)، خطبة يؤمى بها إلى وصف الأتراك: كأتى أراهم قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة. يلبسون السرق^(٧) والديباج، يعتقبون الخيل العتاف. ويكون هناك استحرار قتل، حتى يمشي المجروح على المقتول. ويكون المفلت أقل من المأسور.

فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت، يا أمير المؤمنين، علم الغيب.

فضحك عليه السلام وقال للرجل - وكان كلبياً -: يا أبا كلب، ليس هو بعلم غيب. وإنما هو تعلم [من ذي علم. وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ»^(٨) علم الساعة]. الآية، فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد. ومن يكون للنار^(٩) حطباً، أو في الجنان للنبين مرافقاً. فهذا علم الغيب لا يعلمه أحد إلا الله. وما سوى ذلك فعلم علمه الله

١. الخصال ٦٢٧، ح ١٠.

٢. كمال الدين وتمام النعمة ٢٠٢، ضمن حديث ٦.

٣. نفس المصدر ٢٠٧، ضمن حديث ٢٢.

٤. ليس في المصدر.

٥. المصدر: تُنَشَّر.

٦. نهج البلاغة ١٨٦، ضمن خطبة ١٢٨.

٧. هكذا في المصدر وم. وفي سائر النسخ: استبرق.

٨. ليس في أ.

٩. المصدر: في النار.

نَبِيِّهِ ﷺ. فَعَلَّمْنِيهِ. وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعْيَهُ صَدْرِي وَتَضَظُّمَ عَلَيْهِ جَوَانِحِي^(١).

﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾: من خير أو شر. وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه.

﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾: كما لا تدرى في أي وقت تموت.

فقيل^(٢): إن ملك الموت مرَّ على سليمان فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه.

فقال الرجل: من هذا؟

فقال: ملك الموت.

فقال: كأنه يريدني، فمَرَّ الريح أن تحملني وتلقيني بالهند. ففعل^(٣).

فقال الملك: كان دوام نظري إليه تعجباً منه، إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك.

وقرئ: «بأية أرض». وشبهه سيبويه تأنيثها بتأنيث «كل» في «كلتهن»^(٤).

وفي بصائر الدرجات^(٥): محمد بن عبد الحميد وأبو طالب، جميعاً، عن حنان بن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله علماً عاماً وعلماً خاصاً. فأما الخاص، فالذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وأما علمه العام، فالذي اطلعت عليه الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون. وقد وقع^(٦) ذلك كله الينا.

ثم قال: أما تقرأ: «وعنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً وماتدرى نفس بأي أرض تموت»؟

﴿أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾: يعلم الأشياء كلها.

﴿خَبِيرٌ﴾^(٧): يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: جوارحي .
٢. انوار التنزيل ٢/٢٣٢، وفيه: «روي» بدل «فقيل» .
٣. هكذا في المصدر وفي النسخ: فأمر وفعل .
٤. نفس المصدر ٢/٢٣٢-٢٣٣ .
٥. بصائر الدرجات ١٠٩/١، ح ١ .
٦. المصدر: رفع .

وفي كتاب الخصال^(١): عن أبي أسامة، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال [إلي أبي]: «ألا أخبرك^(٢) بخمسة لم يُطلع الله عليها أحداً من خلقه. قال: قلت: بلى.

قال: «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قوله: «إن الله عنده علم الساعة» إلى قوله: «إن الله عليم خبير» قال الصادق عليه السلام: هذه الخمسة أشياء لم يُطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل. وهي من صفات الله تعالى.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٤): وقال عليه السلام في قوله تعالى: «وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت» فقال: من قدم إلى قدم.

وفي أمالي الصدوق عليه السلام^(٥): بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام إنه لما أراد المسير إلى النهروان أتاه منجم فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار.

فقال^(٦): له أمير المؤمنين عليه السلام: ولم ذاك؟

قال: أنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذى وضّر شديد. وإن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت، وظهرت وأصبت كلما طلبت.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: [تدري ما في بطن هذه الدابة، أذكر أم أنثى؟

قال: إن حسبت علمت.

١. الخصال ٢٩٠/ ح ٤٩.

٢. هكذا في المصدر وفي النسخ: أخبركم.

٣. تفسير القمي ١٦٧/٢.

٤. من لا يحضره الفقيه ٨٤/١، ح ٣٨٣.

٥. أمالي الصدوق ٣٣٨-٣٣٩، ح ١٦، وله تحفة... وفيه... عبد الله بن عوف الأحمر قال: لما أراد

أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان... ٧. ليس في أ.

قال له أمير المؤمنين (عليه السلام): ^(١) «من صدّقك على هذا القول كَذَبَ بالقرآن». «إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأيّ أرض تموت إن الله عليم خبير». ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يدّعي ما ادّعت. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان ^(٢): جاء في الحديث: «إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنّ إلا الله. وقرأ هذه الآية.

وقد روي عن أئمة الهدى (عليهم السلام) ^(٣): أن هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى.

وفي الكافي ^(٤): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحجاج، عن ابن بكير، عن أبي منهال، عن الحارث بن المغيرة قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله (صلى الله عليه وآله) ملكاً فأخذ من التربة التي يُدفن فيها فمائها في النطفة. فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يُدفن فيها.

وفي أصول الكافي ^(٥): عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن عبد الحميد، عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا (عليه السلام): «إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد عرف قاتله، والليلة التي يُقتل فيها، والموضع الذي يُقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار: صوائح تتبعها نوائح. وقول أم كلثوم: لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس. فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح. وقد عرف (عليه السلام) أن ابن ملجم لعنة الله عليه قاتله بالسيف. كان هذا ممّا لم يجز ^(٦) تعرضه.

فقال: ذلك كان. ولكنّه خيّر في تلك الليلة لتمضي مقادير الله (صلى الله عليه وآله).

١. ليس في أ.

٢. مجمع البيان ٤/٣٢٤.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. الكافي ٢٠٣/٣، ج ٢.

٥. نفس المصدر ٢٥٩/١، ج ٤.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: لا يحسن.

وفي كتاب مقتل الحسين عليه السلام ^(١) لأبي مخنف: إن الحسين عليه السلام لما نزل كربلاء وأخبر اسمها بكى بكاء شديداً. وقال: أَرْضِ كَرْبَ وَبَلَاءٍ. فَعَفُوا وَلَا تَبْرَحُوا، وَحَطُّوا وَلَا تَرْحَلُوا، فَهَاهُنَا وَاللَّهِ، مُحَطٌّ رِحَالُنَا. وَهَاهُنَا وَاللَّهِ، سَفْكُ دِمَائِنَا. وَهَاهُنَا وَاللَّهِ، تُسْبَى حَرِيمُنَا. وَهَاهُنَا وَاللَّهِ، مُحَلَّلُ قُبُورِنَا. وَهَاهُنَا وَاللَّهِ، مُحْشَرْنَا وَمُنْتَشَرْنَا. وَبِهَذَا وَعَدَنِي جَدِّي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَلَا خِلَافَ لَوَعْدِهِ.

١. لم نعثر على عين النص في مقتل أبي مخنف المطبوع. ويوجد فيه ٧٥/ وفي مقاتل أخرى كمقتل المكرم ٢٢٩/، مع زيادة في منقول هنا.

سورة السجدة

سورة السجدة

مَكِّيَّة.

وفي مجمع البيان^(١): ما خلا ثلاث آيات منها. فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بِالْمَدِينَةِ: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» إِلَى تَمَامِ الْآيَاتِ. وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً. وَقِيلَ^(٢): تِسْعٌ وَعَشْرُونَ آيَةً^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في كتاب ثواب الأعمال^(٤)، بإسناده إلى الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَنْ قَرَأَ سُورَةَ السَّجْدَةِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ^(٥)، أَعْطَاهُ اللَّهُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَلَمْ يَحَاسِبْهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ. وَكَانَ مِنْ رَفَقَاءِ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام. وَبِإِسْنَادِهِ، عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام^(٦) قَالَ: مَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى صِفَتِهَا، فَلْيَقْرَأِ الْوَاقِعَةَ. وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى صِفَةِ النَّارِ، فَلْيَقْرَأِ سُجْدَةً^(٧). وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٨): أَبِي بَنْ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ قَرَأَ الْمِ تَنْزِيلًا وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَى لَيْلَةَ الْقَدْرِ.

١. مجمع البيان ٣٢٤/٤.

٢. أنوار التنزيل ٢٣٣/٢.

٣. ليس في أ.

٤. ثواب الأعمال ١٣٧، ح ١.

٥. ليس في المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ٢.

٧. هكذا في المصدر م ون. وفي سائر النسخ: سورة لقمان.

٨. مجمع البيان ٣٢٤/٤ - ٣٢٥.

وروى ليث بن أبي الزيد^(١)، عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك.

وفي كتاب الخصال^(٢)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن العزائم أربع: اقرأ باسم ربك الذي خلق؛ والنجم؛ وتنزيل السجدة؛ وحم السجدة.

﴿أَلَمْ﴾ ٥: إن جعل اسماً للسورة، أو القرآن، فمبتدأ خبره

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: على أن التنزيل بمعنى: المنزل. وإن جعل تعديد الحروف، كان تنزيل خبر محذوف. أو مبتدأ، خبره
﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: فيكون.

﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٦: حالاً من الضمير في «فيه». لأن المصدر لا يعمل فيها بعد الخبر. ويجوز أن يكون خبراً ثانياً، و«لا ريب فيه» حال من الكتاب، أو اعتراض. والضمير في «فيه» لمضمون الجملة. ويؤيده قوله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾: فإنه إنكار، لكونه من رب العالمين. وقوله:
﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾: فإنه تقرير له.

ونظم الكلام على هذه، أنه أشار أولاً إلى إعجازه. ثم رتب عليه أن تنزيله من رب العالمين. وقرّر ذلك بنفي الريب عنه. ثم أضرب عن ذلك إلى ما يقولون فيه على خلاف ذلك إنكاراً له وتعجباً منه. فإن «أم» منقطعة. ثم أضرب عنه إلى إثبات أنه الحق المنزل من الله، وبين المقصود من تنزيله، فقال:

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾: إذ كانوا أهل الفترة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٧: بإنذارك إياهم.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾:

مر بيانه.

١. نفس المصدر والموضع: وفيه وفي ن: ليث بن أبي الزبير.

٢. الخصال ٢٥٢/ح ١٢٤.

﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾: ما لكم إذا جاوزتم رضا الله، أحد ينصركم ويشفع لكم. أو ما لكم سواء ولي ولا شفيع، بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على أن الشفيع متجاوز به للناصر. فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر.

﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾^(١): بمواعظ الله.

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾: يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية؛ كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض.

﴿ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ﴾: قيل^(١): ثم يصعد إليه ويثبت في علمه موجود.

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾^(٢): في برهة من الزمان متطاولة؛ يعني بذلك: استطالة ما بين التدبير والوقوع.

وقيل^(٣): يدبر الأمر بإظهاره في اللوح. فينزل الملك بذلك. ثم يعرج إليه في زمان هو كألف سنة.

وقيل^(٣): يقضي^(٤) قضاء ألف سنة. فينزل به الملك. ثم يعرج بعد الألف لألف^(٥) آخر.

وقيل^(٦): يدبر الأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلى الأرض [بالوحي]^(٧) ثم لا يعرج إليه خالصاً كما يرتضيه، إلا في مدة متطاولة، لقلّة المخلصين والأعمال الخالص^(٨).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه»

١. أنوار التنزيل ٢/٢٣٣.

٢. نفس المصدر ٢/٢٣٣-٢٣٤.

٣. نفس المصدر ٢/٢٣٤.

٤. المصدر: يقض.

٥. المصدر: الألف.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. من المصدر.

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: المخلصة.

٩. تفسير القمي ٢/١٦٨.

يعني الأمور التي يدبرها والأمر والنهي الذي أمر به وأعمال العباد كل هذا يظهره يوم القيامة. فيكون مقدار ذلك اليوم ألف سنة من سني الدنيا.

وفي مجمع البيان^(١): معناه: أنه ينزل الملك بالتدبير أو الوحي، ويصعد إلى السماء فيقطع في يوم واحد من أيام الدنيا مسافة ألف سنة مما تعدّونه أنتم. لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام.

فهذه سنة احتمالات لا ينافي قوله^(٢): «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» خمسة منها؛ لأن المراد منه يوم القيامة. والمراد في الاحتمالات غيره.

وأما الاحتمال الخامس، وهو ما ذكره علي بن إبراهيم فينافيه. وقد قيل في التوجيه بينهما^(٣): إنه جعل سبحانه ذلك اليوم على الكافر مقدار خمسين ألف سنة. فإن المقامات في يوم القيامة مختلفة.

وفي أمالي شيخ الطائفة^(٤) بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في كلام طويل: فإن للقيامة خمسين موقفاً. كل^(٥) موقف مثل ألف سنة مما تعدّون. ثم تلا هذه الآية: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: فيدبر أمرها على وفق الحكمة^(٦).

﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره.

﴿الرَّحِيمُ﴾^(٧): على العباد في تدبيره.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾: خلقه موفراً عليه ما يستعدّه ويليق به على وفق

الحكمة والمصلحة.

و«خلق» بدل من «كل» بدل الاشتمال.

١. مجمع البيان ٣٢٦/٤.

٢. المعارج ٤/٤.

٣. نفس المصدر والموضع، ببعض الاختلاف. ٤. أمالي الطوسي ٣٤/١، ح ٧.

٥. المصدر: لكل. ٦. ن: على وفق الحكمة والمصلحة.

وقيل ^(١): «علم كيف يخلقه من قوله عليه الصلاة والسلام: «قيمة المرء ما يحسنه» أي يحسن معرفته. و«خلقه» مفعول ثان.

وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف. «فالشيء» على الأول مخصوص بمنفصل، وعلى الثاني بمتصل ^(٢).

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ^(٣): في تفسير علي بن إبراهيم ^(٤) قال: هو آدم. وفي عيون الأخبار ^(٥)، في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي، يقول فيه المأمون بعد كلام طويل: يا عمران هذا سليمان المروزي متكلم خراسان.

قال عمران: يا أمير المؤمنين، إنه يزعم أنه واحد خراسان في النظر، وينكر البداء. قال: فلم لا تناظر ^(٦).

قال عمران: ذلك إليك ^(٧).

فدخل الرضا عليه السلام فقال: في أي شيء أنتم؟ ^(٨)

قال عمران: يا ابن رسول الله، هذا سليمان المروزي.

فقال له سليمان: أترضى بأبي الحسن ويقول فيه؟

فقال عمران: قد رضيت بقول أبي الحسن في البداء، على أن يأتيني فيه بحجة أحتج بها على نظرائي من أهل النظر.

فقال المأمون: يا أبا الحسن، ما تقول فيما تشاجرا فيه؟

قال: وما أنكرت من البداء، يا سليمان؟ والله تعالى يقول ^(٩): «أَو لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئاً؟» ويقول تعالى ^(١٠): «وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ»

١ و ٢. أنوار التنزيل ٢/ ٢٣٤. ٣. تفسير القمي ١٦٨/٢.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٨٠/١ - ١٨١، ح ١. ٥. المصدر: لاتناظروه.

٦. المصدر: «إليه». وفيه: وفي بعض النسخ «إليك».

٧. المصدر: كتم. ٨. مريم ٦٧.

٩. الروم ٢٧.

ويقول ^(١): «بديع السموات والأرض» ويقول ﷺ ^(٢): «يزيد في الخلق ما يشاء». ويقول ^(٣): «وبدا خلق الإنسان من طين». ويقول ﷺ ^(٤): «وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم». ويقول ﷺ ^(٥): «ما يعمر من معمر وما يُنقص من عمره إلا في كتاب». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾: ذرّيته سُميت به لأنها تنسل منه؛ أي تنفصل.

﴿مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مِهِينٍ﴾ ^(٨): ممتهن.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾: قوّمه بتصوير أعضائه على ما ينبغي.

﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾: إضافه إلى نفسه تشريفاً وإشعاراً بأنه خلق عجيب، وأن له شأناً له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية. ولأجله قيل: من عرف نفسه فقد عرف ربه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): «ثم جعل نسله» أي ولده من سلالة. وهو الصفوة ^(٧) من الطعام والشراب، «من ماء مهين». قال: «النطفة [المني]» ^(٨). «ثم سَوَّاهُ» أي استحاله من نطفة إلى علقة ومن علقة إلى مضغة حتّى نفخ فيه الروح.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾: خصوصاً لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا.

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ^(٩): شكراً قليلاً.

﴿وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾: أي صرنا تراباً مخلوطاً بتراب الأرض لا نتميز منه. أو غبنا فيه.

وقرئ: «ضَلَلْنَا» بالكسر. من ضَلَّ يضل ^(١٠).

وفي جوامع الجامع ^(١١): روي عن علي عليه السلام وابن عباس: «ضَلَلْنَا» بالصاد وكسر

١. البقرة/١١٧.

٢. فاطر/١.

٣. السجدة/٧.

٤. التوبة/١٠٦.

٥. فاطر/١١.

٦. تفسير القمي ١٦٨/٢.

٧. المصدر: الصنو.

٨. من المصدر.

٩. أنوار التنزيل ٢٣٤/٢.

١٠. جوامع الجامع ٣٦٥.

اللام. من صل اللحم، وأصل اللحم: إذا أنتن.

وقرأ ابن عامر: «إذا» على الخبر والعامل فيه ما دل عليه^(١).

﴿إِنَّا لَنَبِيُّ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: وهو نبعث أو يُجدد خلقنا.

وقرأ نافع والكسائي ويعقوب: «أنا» على الخبر. والقائل أبي بن خلف. وإسناده إلى

جميعهم لرضاهم به^(٢).

﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، أو بتلقي ملك الموت وما بعده.

﴿كَافِرُونَ﴾^(٣): جاحدون.

﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ﴾: يستوفي نفوسكم لا يترك منها شيئاً. أو لا يبقى منكم أحد.

و«التفعل» و«الاستفعال» يلتقيان كثيراً؛ كتقصيته واستقصيته واستعجلته.

﴿مَلَكِ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾: بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٤): للحساب والجزاء.

وفي كتاب التوحيد^(٥): عن عليٍّ عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام، وقد سأله رجل

عما اشتبه عليه من الآيات: فأما «بل هم بلقاء ربهم كافرون» يعني: البعث. فسمّاه

الله تَتَوَفَّى لِقَاءَ. وأما قوله «قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم» وقوله^(٦): «الله يتوفى

الأنفس حين موتها» وقوله^(٧): «توفته رسلنا وهم لا يفرطون» وقوله^(٨): «الذين تتوفاهم

الملائكة ظالمي أنفسهم» وقوله^(٩): «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام

عليكم» فإن الله تبارك وتعالى يدبر الأمور كيف يشاء، ويوكل من خلقه من يشاء. وأما

ملك الموت، فإن الله يوكله بخاصة من يشاء من خلقه، ويوكل رسله من يشاء من^(١٠)

٣. التوحيد/٢٦٧-٢٦٨-٢٦٩. ح. ٥.

٥. الأنعام/٦١.

٧. النحل/٣٢.

١ و٢. أنوار التنزيل ٢/٢٣٤.

٤. الزمر/٤٢.

٦. النحل/٢٨.

٨. المصدر: «الملائكة» بدل «يشاء من».

خاصّته بمن يشاء من خلقه^(١) يدبّر الأمور كيف يشاء. وليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ الناس، لأنّ فيهم^(٢) القويّ والضعيف. ولأنّ منه ما يطاق حمله ومنه ما لا يطاق حمله، إلّا أن يسهّل الله له حمله وأعانه عليه من خاصّة أوليائه. وإنّما تكفيك أن تعلم أنّ الله هو المحيي المميت، وأنّه يتوفّى الأنفس على يدي من يشاء من خلقه من ملائكة وغيرهم.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(٣): وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله ﷻ: «الله يتوفّى الأنفس حين موتها» وعن قول الله ﷻ: «قل يتوفّاكم ملك الموت الذي وكلّ بكم» وعن قول الله ﷻ: «الذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين» والذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم^(٤) وعن قول الله ﷻ: «توفّته رسلنا» وعن قوله ﷻ: «ولو ترى إذ يتوفّى الذين كفروا الملائكة» وقد يموت في الدنيا في الساعة الواحدة في جميع الآفاق ما لا يحصيه إلّا الله ﷻ. فكيف هذا؟

فقال: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس، يبعثهم في حوائجه فتتوفّاهم الملائكة، ويتوفّاهم ملك الموت من الملائكة، مع ما يقبض هو، ويتوفّاهم الله تعالى من ملك الموت.

وفي الكافي^(٥): أبو عليّ الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن عليّ بن عقبة، عن أسباط بن سالم مولى أبان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟

١. هنا زيادة في المصدر. وهي: والملائكة الذين سمّاهم الله عزّ ذكره وكلّهم بخاصّة من يشاء من خلقه. إنّه

تبارك وتعالى». ٢. المصدر: منهم.

٣. من لا يحضره الفقيه ٨٢/١، ح ٣٧١. ٤. الزمر/٤٢.

٥. النحل/٣٢. ٦. نفس السورة/٢٨.

٧. الأنعام/٦١. ٨. الأنفال/٥٠.

٩. الكافي ٢٥٥/٣، ح ٢١.

قال: لا، إنما هي صكاك تنزل من السماء: اقبض نفس فلان بن فلان بن فلان.
علي بن إبراهيم، عن أبيه^(١)، عن عمرو بن عثمان، عن المفصل بن صالح، عن زيد
الشحام قال: سُئِلَ أبو عبد الله عليه السلام عن ملك الموت، يقال: الأرض بين يديه كالقصة
يعدّ يده منها حيث يشاء.

فقال: نعم.

محمد، عن أحمد بن محمد^(٢)، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن علوان، عن
عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن لحظة ملك الموت.
قال: أما رأيت الناس يكونون جلوساً فتعثر بهم السكينة^(٣) فما يتكلم أحد منهم؟
فتلك لحظة [ملك الموت]^(٤) حيث يلحظهم.

عده من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(٥)، عن بعض أصحابه، عن محمد بن سكين
قال: سُئِلَ أبو عبد الله عليه السلام عن الرجل يقول: استأثر الله بفلان.
فقال: ذا مكروه.

فقال: فلان وجود بنفسه؟

فقال: لا بأس. أما تراه يفتح فاه عند موته مرتين أو ثلاثاً؟ فذلك حين وجود بها
لما يرى من ثواب الله تعالى وقد كان بها ضنياً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): حَدَّثَنِي أَبِي، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن
أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَمَّا أُسْرِي بِي إِلَى السَّمَاءِ رَأَيْتُ مَلَكاً مِنْ
الْمَلَائِكَةِ بِيَدِهِ لَوْحٌ مِنْ نُورٍ لَا يَلْتَفِتُ يَمِيناً وَلَا شِمَالاً مُقْبِلاً عَلَيْهِ كَهَيْئَةِ الْحَزِينِ. [فقلت:
من هذا يا جبرئيل؟

٢. نفس المصدر ٢٥٩/٣، ح ٣١.

٤. من المصدر.

٦. تفسير القمي ١٦٨/٢.

١. نفس المصدر ٢٥٦/٣، ح ٢٤.

٣. ن والمصدر: السكنة.

٥. نفس المصدر ٢٦٠/٣، ح ٣٥.

فقال: هذا ملك الموت. مشغول في قبض الأرواح^(١).

فقلت: ادنني منه، يا جبرائيل، لأكلمه.

فأدنانني منه. فقلت له: يا ملك الموت، أكل من مات أو هو ميت فيما بعد أنت

تقبض روحه؟

قال: نعم.

قلت: وتحضرهم بنفسك؟

قال: نعم، ما الدنيا كلها عندي فيما سخرها الله ﷻ لي ومكنني منها إلا كالذرهم في

كف الرجل يقلبه كيف شاء. وما من دار في الدنيا، إلا وأدخلها كل يوم خمس مرّات.

وأقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم: لا تبكوا عليه، فإن لي إليكم عودة وعودة حتى

لا يبقى منكم أحد.

فقال رسول الله ﷺ: كفى بالموت طامة، يا جبرائيل.

فقال جبرائيل: ما بعد الموت أطم وأعظم من الموت.

وفي نهج البلاغة^(٢): هل تحسّ به إذا دخل منزلاً؟ أم هل تراه إذا توفّي أحداً؟ بل

كيف يتوفّي الجنين في بطن أمّه؟ أيلج عليه من بعض جوارحها؟ أم الروح أجابته بإذن

ربّها؟ أم هو ساكن معه في أحشائها؟ كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق

مثله؟!

وفي مجمع البيان^(٣): وروى عكرمة عن ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: الأمراض

والأوجاع كلّها بريد الموت^(٤) ورسّل الموت^(٥). فإذا حان^(٦) الأجل أتى ملك الموت

بنفسه وقال: يا أيّها العبد، كم خبر بعد خبر، وكم رسول بعد رسول؟^(٧) أنا الخبر الذي

١. من المصدر.

٢. نهج البلاغة/٤٢، خطبة ١١٢.

٤. المصدر: للموت.

٣. مجمع البيان/٣٢٩/٤.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: جاء.

٥. المصدر: للموت.

٧. هنا زيادة في المصدر. وهي: وكم بريد بعد بريد؟

ليس بعدي خبر. وأنا الرسول أجب ربك طائعاً أو مكرهاً.

فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه، قال: على من تصرخون؟ وعلى من تبكون؟ فوالله ما ظلمت له أجلاً ولا أكلت له رزقاً. بل دعاه ربّه. فليكن الباكي على نفسه. وإن لي فيكم عودات وعودات حتّى لا أبقي منكم أحداً.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١): وقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ آية المؤمن إذا حضره الموت أن يبيض وجهه أشدّ من بياض لونه، ويرشح جبينه، ويسيل من عينيه كهيئة الدموع، ذلك آية خروج روحه. وإنّ الكافر تخرج روحه سلاً من شدقه كزبد البعير كما تخرج نفس الحمار.

وسئل رسول الله ﷺ: كيف يتوفّى ملك الموت المؤمن؟

فقال: إنّ ملك الموت ليقف من المؤمن عند موته موقف العبد الذليل من المولى. فيقوم هو وأصحابه لا يدنو منه حتّى يبدأ بالتسليم ويبشّره بالجنة. وقال أمير المؤمنين عليه السلام^(٢): إنّ المؤمن إذا حضره الموت وثقه ملك الموت. فلو لا ذلك لم يستقرّ.

وفي عوالي اللثالي^(٣): وفي الحديث أنّ إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت.

فقال: أتستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم. أعرض عني.

فأعرض عنه [ثمّ التفت إليه]^(٤). فإذا هو شابّ حسن الصورة، حسن الثياب، حسن السمائل، طيّب الرائحة.

فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق المؤمن إلّا حسن صورتك لكان حسبه.

٢. نفس المصدر والموضع، ح ٣٦٨.

٤. عوالي اللثالي ٢٧٤/١، ح ١٠٠.

١. من لا يحضره الفقيه ٨١/١، ح ٣٦٦.

٣. نفس المصدر والموضع، ح ٣٦٩.

٥. من ن.

ثم قال له : هل تستطيع أن تربني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر؟^(١)
فقال : بلى . [ثم]^(٢) قال : أعرض عني .

فأعرض عنه . ثم التفت إليه فإذا هو رجل أسود ، قائم الشعر ، متن الرائحة ، أسود الثياب ، يخرج من فيه ومن مناخره النيران^(٣) والدخان . فغشي على إبراهيم ، ثم أفاق . وقد عاد ملك الموت إلى حالته الأولى .

فقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق الفاجر إلا صورتك هذه لكفته .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ : من الحياء والخزي .

﴿ وَبَيْنَا ﴾ : قائلين : ربنا .

﴿ أَبْصَرْنَا ﴾ : ما وعدتنا .

﴿ وَسَمِعْنَا ﴾ : منك تصديق رسلك .

﴿ فَأَرْجِعْنَا ﴾ : إلى الدنيا .

﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾^(٤) : إذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا .

وجواب «لو» محذوف . تقديره : لرأيت أمراً فظيعاً . ويجوز أن تكون للتمني والمضي فيها وفي «إذ» . لأن الثابت في علم الله بمنزلة الواقع . ولا يُقدَّرُ لِـ «تري» مفعولاً . لأن المعنى : لو تكون منك رؤية في هذا الوقت . أو يُقدَّرُ ما دل عليه صلة «إذ» . والخطاب لرسول الله ﷺ أو لكل أحد .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾ : ما هُدي به إلى الإيمان والعمل الصالح بالتوفيق

له .

﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ : ثبت قضائي وسبق وعيدي ، وهو .

﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾^(٥) : لعلمي بأنهم ينسون لقاء يومهم

هذا ، ويرتكبون ما يوجب لهم هذا .

١ . هنا زيادة في المصدر والنسخ إلان . وهي : قال لاتيظق .

٣ . المصدر : النار .

٢ . من ن .

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ : فإنه من الوسائط والأسباب المقتضية له .

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ : تركناكم من الرحمة . أو في العذاب ترك المنسي .

وفي استنافه وبناء الفعل على «إِنَّ» واسمها ، تشديد في الانتقام منهم .

﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥) : كرّر الأمر للتأكيد ولما نيّط به من

التصريح بمفعوله وتعليقه بأفعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي ؛ كما علّله بتركهم تدبّر أمر العاقبة والتفكّر فيها دلالة على أن كلّاً منهما يقتضي ذلك .

﴿أَنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا﴾ : وعظّوا بها .

﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ : خوفاً من عذاب الله .

﴿وَسَبَّحُوا﴾ : نزهوه عما لا يليق به ؛ كالعجز عن البعث .

﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ : حامدين له شكراً ، على ما وفقهم للإسلام وآتاهم الهدى .

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٦) : عن الإيمان والطاعة ؛ كما يفعل من يصير مستكبراً .

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ : ترتفع وتتحنّى .

﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ : الفرش ومواضع النوم .

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ : داعين إياه .

﴿خَوْفًا﴾ : من سخطه .

﴿وَطَمَعًا﴾ : في رحمته .

وفي كتاب علل الشرائع^(١) ، بإسناده إلى أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

«تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» لعلك ترى أن القوم لم يكونوا ينامون .

قال : قلت : الله ورسوله وابن رسوله أعلم .

قال : فقال : لا بدّ لهذا البدن أن تريجه حتّى يخرج [نفسه . فإذا خرج]^(٢) النفس

استراح البدن ورجع الروح فيه قوة على العمل. فإنما ذكرهم «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» أنزلت في أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه من شيعةنا. ينامون في أول الليل، فإذا ذهب ثلثا الليل أو ما شاء الله فزعوا إلى ربهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده، فذكرهم الله في كتابه. فأخبرك الله بما أعطاهم أنه ^(١) أسكنهم في جواره، وأدخلهم جنته، وآمن ^(٢) خوفهم ^(٣)، وأذهب رعبهم.

قال: قلت: جعلت فداك، إن أنا قمت في آخر الليل أي شيء أقول إذا قمت؟

قال: قل: «الحمد لله رب العالمين وإله المرسلين. والحمد لله الذي يحيي الموتى ويبعث من في القبور». فإنك إذا قلتها، ذهب عنك رجز الشيطان ووسواسه، إن شاء الله.

وفي أصول الكافي ^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ألا أخبرك بالإسلام أصله وفرعه وذروة سنامه؟

قلت: بلى جعلت فداك.

قال: أمّا أصله، فالصلاة. وفرعه، الزكاة. وذروة سنامه، الجهاد.

ثم قال: إن شئت أخبرتك بأبواب الخير.

قلت: نعم، جعلت فداك.

قال: الصوم جنة [من النار] ^(٥). والصدقة تذهب بالخطيئة. وقيام الرجل في جوف

الليل يذكر الله. ثم قرأ: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع».

علي بن إبراهيم، عن أبيه ^(٦)، عن ابن محبوب، عن جميل، عن هارون بن خارجة،

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «فأخبرك بما أعطاهم الله» بدل «فأخبرك الله بما أعطاهم أنه».

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: آمنهم. ٣. ن وم: خوفه.

٤. الكافي ٢٣/٢، ح ١٥. ٥. من المصدر.

٦. نفس المصدر ٨٤/٢، ح ٥.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : العبادَة ثلاثة : قوم عبدوا الله ﷻ خوفاً فتلك [عبادة] ^(١) العبيد ؛ وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب ، فتلك [عبادة] ^(٢) الأجراء ؛ وقوم عبدوا الله ﷻ حباً له ، فتلك عبادة الأحرار . وهي أفضل العبادة .

وفي كتاب الخصال ^(٣) : عن يونس بن ظبيان قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : إن الناس يعبدون الله على ثلاثة أوجه : فطبقة يعبدونه رغبة في ثوابه ، فتلك عبادة الحرصاء وهو الطمع ؛ وآخرون يعبدونه فرقاً [من النار] ^(٤) فتلك عبادة العبيد وهي الرهبة ؛ ولكني أعبده حباً له ، فتلك عبادة الكرام وهو الأمن . والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .

وفي مجمع البيان ^(٥) : روى الواحدي بالإسناد عن معاذ بن جبل قال : بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، وقد أصابنا الحرّ ، ففترّق القوم . فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مِنّي ، فدنوت منه .

فقلت : يا رسول الله ، أنبئني بعمل يدخلني الجنّة ويباعدني من النار . قال : لقد سألت عن عظيم - وإنه ليسير على من يسره ^(٦) الله عليه - : تعبد ^(٧) الله ولا تشرك به شيئاً ؛ وتقيم الصلاة المكتوبة ؛ وتؤدّي الزكاة المفروضة ؛ وتصوم شهر رمضان .

قال : وإن شئت أنبأتك عن أبواب ^(٨) الخير .

قال : قلت : أجل ، يا رسول الله .

١ . من المصدر وم . ٢ . من المصدر وم .

٣ . الخصال ١٨٨/ ، صدر حديث ٢٥٩ . ٤ . من المصدر .

٥ . مجمع البيان ٣٣١/٤ .

٦ . هكذا في ن . وفي سائر النسخ : «يسره» وفي المصدر : يسيره .

٧ . هكذا في المصدر وم . وفي سائر النسخ : تعبدوا .

٨ . المصدر والأصل : بابواب .

قال: الصوم جنة [من النار]^(١) والصدقة تكفر الخطيئة. وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله.

ثم قرأ هذه الآية: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع».

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمه الله^(٢) بإسناده قال: قال الصادق عليه السلام في قوله: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع» قال: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة.

وفي كتاب المناقب^(٣)، لابن شهر آشوب كلام طويل في تزويج فاطمة عليها السلام من علي عليه السلام وفيه: وباتت عندها أسماء بنت عميس أسبوعاً، بوصية خديجة إليها. فدعاهما النبي ﷺ في دنياها وآخرتها، ثم أتاهما في صبيحتهما^(٤). وقال: السلام عليكم، أدخل رحمكم الله؟

ففتحت له أسماء الباب. وكانا نائمين تحت كساء.

فقال: عليّ حالكما. فأدخل رجله بين أرجلهما. فأخبر الله عن أورادهما «تتجافى جنوبهم عن المضاجع» الآية، فسأل عليّاً: كيف وجدت أهلك؟

قال: نعم العون عليّ طاعة الله.

وسأل فاطمة، فقالت: خير بعل.

فقال: اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهما أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك.

ثم أمر بخروج أسماء وقال: جزاك الله خيراً.

ثم خلا بها بإشارة الرسول ﷺ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٥) في وجوه الخير.

٢. أمالي الطوسي ٣٠٠/١، ح ٢٢.

١. ليس في المصدر.

٣. مناقب آل أبي طالب ٣٥٥/٣-٣٥٦.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «أتاهما في صبيحتها».

وفي محاسن البرقي^(١): عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون، عن علي بن عبد العزيز قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ألا أخبرك بأصل الإسلام وفرعه وذروته وسنامه؟^(٢)

قال: قلت: بلى جعلت فداك.

قال: أصله، الصلاة. وفرعه، الزكاة. وذروته وسنامه^(٣)، الجهاد في سبيل الله. ألا أخبرك بأبواب الخير؟

[قلت: نعم جعلت فداك.

قال^(٤): الصوم جنة [من النار]^(٥) والصدقة تحط الخطيئة. وقيام الرجل في جوف الليل يناجي ربه. ثم قرأ: «تجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون».

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمَ﴾: لا ملك ولا نبي مرسل.

﴿مِنْ قُرْآنٍ آتَيْنِ﴾: مما تقر به عيونهم.

وقرأ حمزة ويعقوب: «أخفى» على أنه مضارع أخفيت^(٦).

وقرئ: «نخفي» و«أخفي». والفاعل في الكل هو الله تعالى^(٧). و«العلم» بمعنى

المعرفة. و«ما» موصولة، أو استفهامية، معلق عنها الفعل.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٨): أي جوزوا جزاء، أو أخفى للجزاء. فإن إخفاءه لعلو

شأنه.

وقيل^(٩): هذا القوم أخفوا أعمالهم، فأخفى الله ثوابهم.

١. المحاسن ٢٨٩/ ح ٣٤٣.

٢ و ٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «ذروة سنامه» بدل «ذروته وسنامه».

٤. من المصدر.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. أنوار التنزيل ٢٣٦/٢.

٧. أ: لقاءهم.

٨. نفس المصدر، والموضع.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وقوله ﷺ^(٢): «ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا» في الدنيا ولم نعمل به. «فارجعنا» إلى الدنيا «نعمل صالحاً إنا موقنون»^(٣) ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها.

قال: ولو شئنا أن نجعلهم كلهم معصومين لقد رنا. وقوله ﷺ^(٤): «فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم» أي تركناكم. وقوله ﷺ «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون». فإنه حدّثني أبي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من عمل حسن يعملهُ العبد إلا وله ثواب في القرآن إلا صلاة الليل. فإن الله ﷻ لم يبيّن ثوابها لعظم خطرها^(٥) عنده. فقال جلّ ذكره: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون» إلى قوله «يعملون».

ثم قال: إن الله ﷻ كرامة في عباده المؤمنين في كلّ يوم جمعة. فإذا كان يوم الجمعة بعث الله إلى المؤمن ملكاً معه حلّتان فينتهي إلى باب الجنة.

فيقول: استأذنوا لي على فلان.

فيقال له: هذا رسول ربك على الباب.

فيقول لأزواجه: أي شيء ترين عليّ أحسن؟

فيقلن: يا سيّدنا والذي أباحك الجنة ما رأينا عليك أحسن من هذا. قد بعث إليك ربك.

فيتزّر بواحدة [ويتعطف بالأخرى]. فلا يمرّ بشيء إلا أضاء له حتّى ينتهي إلى الموعد. فإذا اجتمعوا تجلّى لهم الربّ تبارك وتعالى^(٦). فإذا نظروا إليه - أي إلى رحمته - خرّوا سجّداً.

٢. السجدة ١٢/.

١. تفسير القمي ١٦٨/٢ - ١٧٠.

٤. السجدة ١٤/.

٣. ليس في المصدر.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «المعظم خطره» بدل «لعظم خطرها».

٦. ليس في أ.

فيقول: عبادي، ارفعوا رؤوسكم. ليس هذا يوم سجود ولا عبادة. قد رفعت عنكم المونة.

فيقولون: يا ربّ، وأي شيء أفضل ممّا أعطيتنا^(١) الجنة؟^(٢)

فيقول: لكم مثل ما في أيديكم سبعين ضعفاً.

فيرجع^(٣) المؤمن في كلّ جمعة بسبعين^(٤) ضعفاً مثل ما في يده. وهو قوله^(٥):

«ولدينا مزيد». وهو يوم الجمعة. إنّها ليلة غزاء، ويوم أزهر. فأكثرُوا فيها من التسبيح والتهلّيل والتكبير والثناء على الله ﷻ والصلاة على رسول الله ﷺ.

قال: فيمرّ المؤمن. فلا يمرّ بشيء إلّا أضاء له حتّى ينتهي إلى أزواجه.

فيقلن: والذي أباحنا^(٦) الجنّة، يا سيّدنا، ما رأيناك أحسن منك الساعة!

فيقول: إنّني قد نظرت إلى نور ربّي.

ثمّ قال: إنّ أزواجه لا يغرن ولا يحضن ولا يصلفن.

قلت: جعلت فداك، إنّني أردت أن أسألك عن شيء أستحي منه.

قال: سل.

قلت: جعلت فداك، هل في الجنة غناء؟^(٧)

قال: إنّ في الجنة شجراً يأمر الله رياحها، فتهبّ. فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم

يسمع الخلائق مثلها حسناً.

ثمّ قال: هذا عوض لمن ترك السماع للغناء في الدنيا مخافة الله.

قال: قلت: جعلت فداك، زدني.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أعطينا.

٢. تفسير نور الثقلين ٢٢٦٤، ح ٢٧، نقلاً عن المصدر: أعطيتنا الجنة.

٣. المصدر: فيرى.

٤. المصدر: سبعين.

٥. ن: أباحك.

٦. ق/ ٣٥.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «ثمّ قلت: أفي الجنة غناء» بدل «قال: سل». قلت: جعلت فداك هل في الجنة غناء؟.

فقال: إن الله خلق جنة بيده. ولم ترها عين. ولم يطلع عليها مخلوق. يفتحها الرب كل صباح. ويقول: ازدادي ريحاً، وازدادي طيباً. وهو قول الله: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون».

وفي مجمع البيان^(١): وروي في الشواذ، عن النبي ﷺ: قرأت أعين.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن إلا صلاة الليل. فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها. قال: «فلا تعلم نفس» الآية. وفي جوامع الجامع^(٢): وفي الحديث: يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر^(٣)، ما أطلعكم عليه أقرؤوا إن شئتم «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم» الآية.

وفي محاسن البرقي^(٤): عنه، عن أبيه، عن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن النعمان، عن الحارث بن محمد الأحول، عن حماد بن عيسى، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالا: قال رسول الله ﷺ علي: [يا علي] إنه لما أسري بي رأيت في الجنة نهراً أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد استقامة من السهم. فيه أباريق عدد النجوم. على شاطئيه قباب^(٥) الياقوت الأحمر والدرّ الأبيض. فضرب جبرائيل بجناحيه إلى جناحه^(٦) فإذا هو مسكة زفرة.

ثم قال: والذي نفس محمد بيده، إن في الجنة لشجراً^(٧) يتصفق بالتسبيح بصوت لم

٢. نفس المصدر ٣٣١/٤.

١. مجمع البيان ٣٣٠/٤.

٣. جوامع الجامع ٣٦٦.

٤. ثلثة: اسم فعل بمعنى: دَعَّ. ويكون ما بعدها منصوباً. ومصدر، ويكون ما بعدها مجروراً. أو بمعنى: كيف. ويكون ما بعدها مرفوعاً. (المعجم الوسيط).

٥. المحاسن ١٨٠/ ١٨١، ح ١٧٢. وفيه: عنه، عن أبيه، والحسن بن علي بن فضال، جميعاً، عن علي بن

النعمان. ٦. من المصدر.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: شياطبه قبات.

٩. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أشجاراً.

٨. من المصدر.

يسمع الأولون والآخرون [بمثله]^(١). يثمر ثمرأ كالرمان. يلقي ثمره إلى الرجل، فيشقها عن سبعين حلة. والمؤمنون على كراسي وهم الغر المحجلون. أنت إمامهم يوم القيامة. على الرجل منهم نعلان شراكهما من نور يضيء أمامه^(٢) حيث شاء^(٣) من الجنة. فبيناهم كذلك إذ أشرقت^(٤) عليه امرأة من فوقه، تقول: سبحان الله، يا عبدالله، أما لنا منك دولة؟

فيقول: من أنت؟

فتقول: أنا من اللواتي قال الله: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون».

ثم قال: والذي نفس محمد بيده، إنه ليجيئه كل يوم سبعون ألف ملك يسمونه باسمه واسم أبيه.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): روى الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه، عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، عن محمد بن الحسن الصفار، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن الحسن بن علي بن النعمان، عن الحارث بن محمد الأحول، عن أبي عبدالله، عن أبي جعفر عليه السلام بأدنى تغيير.

ثم قال: وذلك ما ذكره الطوسي عليه السلام في أماليه، بإسناده عن جابر بن عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي، ألا أبشرك؟ ألا أمنحك؟ قال: بلى، يا رسول الله.

قال: خلقت أنا وأنت من طينة واحدة. ففضلت منها فضلة. فخلق الله منها شيعتنا.

١. من المصدر.

٢. المصدر: إمامهم.

٣. المصدر: شأؤوا.

٤. هكذا في س وم وأ. وفي سائر النسخ والمصدر: أشرفت.

٥. تأويل الآيات الباهرة، وفيه: «تأويله مارواه» بدل «روى». ج ١، ص ٤٤٠.

فإذا كان يوم القيامة يدعى الناس بأسمائهم إلا شيعتك. فإنهم يدعون بأبائهم لطيب مولدهم^(١).

وفي أصول الكافي^(٢): عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبدالله بن ميمون القداح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾: خارجاً عن الإيمان.

﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٣): في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على

المعنى.

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي عليه السلام، عن الحسن بن علي عليه السلام حديث طويل وفيه يقول عليه السلام: وأما أنت يا وليد بن عقبة، فوالله، ما ألومك أن تبغض علياً، وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة، وقتل أباك صبراً [بيده]^(٥) يوم بدر. أم كيف تسبه فقد سمّاه الله مؤمناً في عشر آيات من القرآن وسمّاك فاسقاً؟ وهو قول الله عز وجل: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون».

وفي أصول الكافي^(٦): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبدالرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل يقول فيه عليه السلام: ونزل بالمدينة^(٧): «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم». فبرأه الله ما كان مقيماً على

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ولادتهم. ٢. الكافي ٢/٢٠١، صدر حديث ٦.

٣. الاحتجاج ٤١٢/١. ٤. من المصدر.

٥. الكافي ٣٢/٢، ضمن حديث ١. وأوله في، ص ٢٨.

٦. النور ٤/٥٠.

الفرية أن يسمّى بالإيمان. قال الله ﷻ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون». وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷻ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون» قال: فذلك أن علي بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط تشاجرا. فقال الفاسق الوليد بن عقبة: أنا والله، أبسط^(٢) منك لساناً وأحد منك سناناً وأمثل منك حشواً^(٣) في الكتبية.

فقال علي عليه السلام: اسكت، فإنما أنت فاسق.

فأنزل الله: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستون. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون» فهو علي بن أبي طالب عليه السلام. ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾: الحقيقي. والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة.

وقيل^(٤): «المأوى» جنّة من الجنان^(٥).

﴿نُزُلًا﴾: سبق في آل عمران.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦): بسبب أعمالهم، أو على أعمالهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾: مكان جنّة المأوى للمؤمنين.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾: عبارة عن خلودهم فيها.

﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾^(٧): إهانة وزيادة لغيظهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا إبراهيم بن عبد الله، عن الحجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس عليه السلام قال: إن الوليد بن عقبة بن أبي معيط قال لعلي: أنا أقسط منك لساناً وأحد منك سناناً وأملأ منك حشواً في الكتبية.

١. تفسير القمي ١٧٠/٢.

٢. م: أنشط.

٣. المصدر: جشواً.

٤. أنوار التنزيل ٢٣٦/٢.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الجنات.

٦. تأويل الآيات الباهرة، ص ٤٤٢، ح ١.

فقال له عليّ عليه السلام: أسكت يا فاسق.

فأنزل الله جلّ اسمه: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون» إلى قوله «تكذبون».

وقال أيضاً: حدّثنا عليّ بن عبد الله بن أسد، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن عمرو بن حمّاد، عن أبيه عن فضيل، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس (١) في قوله ﷻ «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون» قال: نزلت في رجلين: أحدهما من أصحاب رسول الله ﷺ وهو المؤمن، والآخر فاسق.

فقال الفاسق للمؤمن: أنا والله أحد منك سناناً وأقسط (٢) منك لساناً وأملئ منك حشواً في الكتبية.

فقال المؤمن للفاسق: اسكت يا فاسق.

فأنزل الله ﷻ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون». ثم بيّن حال المؤمن فقال: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون». وبيّن حال الفاسق فقال: «أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون».

وذكر أبو مخنف ﷺ (٣) أنّه جرى عند معاوية بين الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما وبين الفاسق الوليد بن عقبة كلام. فقال له الحسن عليه السلام: لا ألومك إن تسبّ عليّاً وقد جلدك في الخمر ثمانين سوطاً وقتل أباك صبراً مع رسول الله ﷺ في يوم بدر، وقد سمّاه الله ﷻ في غير آية مؤمناً وسمّاك فاسقاً.

﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾: من عذاب الدنيا.

قيل (٤): إنّهُ المصائب والمحن في الأنفس والأموال.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أنشط.

٤. مجمع البيان ٣٣٢/٤.

١. من المصدر.

٣. نفس المصدر والموضع.

وقيل ^(١): هو القتل يوم بدر بالسيف.

وقيل ^(٢): يريد به ما محتوا به من السنة سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب.

وقيل: هو الحدود.

﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾: من بقي منهم.

﴿يَرْجِعُونَ﴾ ^(٣): يتوبون عن الكفر.

وقيل ^(٤): ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٥): في قوله ﷻ «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَاهِمُ النَّارِ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا» إلى قوله: «بِهِ تَكْذِبُونَ» ^(٦) قال: إِنَّ جَهَنَّمَ إِذَا دَخَلُوهَا هُوَ فِيهَا مَسِيرَةٌ سَبْعِينَ عَامًا. فَإِذَا بَلَغُوا أَسْفَلَ زَفَرَتْ بِهِمْ جَهَنَّمَ. فَإِذَا بَلَغُوا أَعْلَاهَا قَمَعُوا بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ، فَهَذِهِ حَالُهُمْ.

وَأَمَّا قوله ﷻ: «وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ» الآية، قال ^(٧): العذاب الأدنى عذاب الرجعة بالسيف. ومعنى قوله: «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» يعني فأنهم يرجعون في الرجعة حتى يُعَذَّبُوا.

وفي مجمع البيان ^(٨): وَأَمَّا الْعَذَابُ الْأَدْنَى، ففي الدنيا. واختلف فيه - إلى قوله - وقيل: هو عذاب القبر، عن مجاهد.

وروي أيضاً ^(٩) عن أبي عبدالله عليه السلام والأكثر في الرواية عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام: أَنَّ «الْعَذَابَ الْأَدْنَى» الدَّابَّةُ وَالِدَجَّالُ.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. أنوار التنزيل ٢/٢٣٦.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. تفسير القمي ٢/١٧٠.

٥. من المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. مجمع البيان ٤/٣٣٢.

٨. نفس المصدر والموضع.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حَاتِمٍ، عَنْ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَالِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَجَلَانَ، عَنْ مَفْضَلِ بْنِ عَمْرِو قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ».

قال: الْأَدْنَى، غَلَاءُ السَّعْرِ. وَالْأَكْبَرُ، الْمَهْدِيُّ بِالسَّيْفِ.

وقال أيضاً^(٢): حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ^(٣)، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ يُونُسَ عَنْ مَفْضَلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «الْعَذَابُ الْأَدْنَى» دَابَّةُ الْأَرْضِ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا.

و«ثم» لاستبعاد الإعراض عنها مع فرط وضوحها وإرشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكير بها عقلاً.

﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُتَقِمُونَ﴾^(٤): فكيف بمن كان أظلم من كل ظالم؟!

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: كما آتيناك.

﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك.

﴿مِنْ لِقَائِهِ﴾: من لقائك الكتاب، لقوله^(٥): «وَأَنْتَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ». فَإِنَّا آتَيْنَاكَ مِنَ الْكِتَابِ مِثْلَ مَا آتَيْنَاهُ مِنْهُ. فَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَدْعٍ مِمَّا لَمْ يَكُنْ قَطُّ حَتَّى تَرْتَابَ فِيهِ. أَوْ مِنْ لِقَاءِ مُوسَى الْكِتَابِ. أَوْ مِنْ لِقَائِكَ مُوسَى فِي الْآخِرَةِ. أَوْ مِنْ لِقَائِكَ الْأَذَى: كما لقي موسى الْأَذَى. أَوْ مِنْ لِقَائِكَ مُوسَى لَيْلَةَ اسْرِي بِكَ إِلَى السَّمَاءِ.

وفي جوامع الجامع^(٦): فَقَدْ رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي مُوسَى عليه السلام رَجُلًا أَدَمَ طَوَالاً جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ^(٧).

١. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٤٤. ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. م والمصدر: الحسين بن أحمد. ٤. النمل ٦٧.

٥. جوامع الجامع ٣٦٧.

٦. شَنْوَةُ: موضع باليمن تُنسب إليها قبائل من الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُمْ: أَزْدُ شَنْوَةَ. (هامش تفسير نور الثقلين

﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ : أي المنزل على موسى .

﴿هَذِي لِيَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٣١) ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ : الناس إلى ما فيه من

الحكم والأحكام .

﴿بِأَمْرِنَا﴾ : إيتاهم به أو بتوفيقنا له .

﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ : [وقرأ حمزة والكسائي ورويس : لما صبروا^(١)]^(٢) أي لصبرهم على

الطاعة ، أو عن الدنيا .

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٣٢) : لا معانهم فيها النظر .

وفي أصول الكافي^(٣) : علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، وعلي بن محمد القاساني ، جميعاً عن القاسم بن محمد الأصبهاني ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا حفص ، إن من صبر ، صبر قليلاً . وإن من جزع ، جزع قليلاً .

ثم قال : عليك بالصبر في جميع أمورك . فإن الله ﷻ بعث محمداً ﷺ فأمره بالصبر والرفق - إلى قوله - : فصبر [رسول الله ﷺ]^(٤) حتى نالوه بالعظائم . [ورموه بها]^(٥)

فضاق صدره . فأنزل الله ﷻ^(٦) : «ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين» . ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك . فأنزل الله ﷻ^(٧) : «قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكذبونك»^(٨) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا» . فالزم^(٩) النبي ﷺ نفسه الصبر . فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه .

فقال : قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي . فأنزل

١ . أنوار التنزيل ٢٣٦/٢ .

٢ . ليس في م .

٣ . الكافي ٨٨/٢ ، ح ٣ .

٤ . من المصدر .

٥ . من المصدر .

٦ . الحجر ٩٧-٩٨ .

٧ . الأنعام ٣٣-٣٤ .

٨ . من المصدر .

٩ . هكذا في المصدر وم . وفي سائر النسخ : فأنزل .

الله ﷻ^(١): «ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون». فصر النبي ﷺ في جميع أحواله. ثم بُسِّر في عترته بالأنمة ووصفوا بالصبر. فقال جل ثناؤه: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون». [فعند ذلك قال ﷺ: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة]^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣)، وقوله: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» قال: كان في علم الله أنهم يصبرون على ما يصيبهم، فجعلهم أئمة.

حدثنا حميد بن زياد^(٤) قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، [عن آبائه]^(٥) قال: الانمة في كتاب الله إمامان؛ إمام عدل؛ وإمام جور؛ قال الله تعالى: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا» لأبامر الناس. يقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب المناقب^(٦)، لابن شهر آشوب: أن النبي ﷺ دعا لعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام فقال: اللهم اجمع شملهما، وألف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طيبة طاهرة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٧) قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا علي بن [عبدالله بن أسد عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن علي بن هلال الأحمسي، عن الحسن بن وهب العباسي، عن]^(٨) جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: نزلت هذه الآية

٢. ليس في ن.

١. ق ٣٨/ - ٣٩.

٤. نفس المصدر ١٧٠/٢ - ١٧١.

٣. تفسير القمي ١٧٠/٢.

٦. مناقب آل أبي طالب ٣٥٦٣.

٥. ليس في المصدر.

٨. ليس في ن.

٧. تاول الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٤٤.

في ولد فاطمة عليها السلام خاصة: «وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» أي لما صبروا على البلاء في الدنيا وعلم الله منهم الصبر، جعلهم أئمة يهدون بأمره عباده إلى طاعته المؤدية إلى جنته، فعليهم من ربهم صلواته وأكمل تحيته.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يقضي فيميز الحق من الباطل بتميز المحق من المبطل.

﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(١٥): من أمر الدين.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾: الواو، للعطف على منوي من جنس المعطوف. والفاعل منوي، دل عليه.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾: أي كثرة من أهلكناهم من القرون الماضية. أو ضمير «الله» بدليل القراءة بالتون^(١٦).

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾: يعني أهل مكة، يمرّون في متاجرتهم على ديارهم. وقرئ: يمشون، بالتشديد^(١٧).

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾^(١٨): سماع تدبّر واتعاظ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: التي جرز نباتها، أي قطع وأزيل. لا

التي لا تنبت لقوله:

﴿فَتَخْرِجُهُ بِرِزْقِ﴾: وقيل^(١٩): اسم موضع باليمن.

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ﴾: من الزرع.

﴿أَنْعَامُهُمْ﴾: كالتبن والورق.

﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾: كالحب والثمر.

﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾^(٢٠): فيستدلّون به على كمال قدرته وفضله.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾: النصر. أو الفصل بالحكومة من قوله^(٢١): «رَبَّنَا افْتَحْ

بيننا».

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨): في الوعد به.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٣٩): قيل (١): هو يوم

القيامة. فإنه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم.

وقيل (٢): يوم بدر. أو يوم فتح مكة. والمراد «بالذين كفروا» المقتولون منهم فيه.

فإنهم لا ينفعهم إيمانهم حال القتل ولا يمهلون. وانطباقه جواباً عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم. فإنهم لما أرادوا به الاستعجال تكذيباً واستهزاء، أجيئوا بما يمنع الاستعجال.

وفي شرح الآيات الباهرة (٣): قال محمد بن يعقوب عليه السلام: حدثنا الحسين بن عامر،

عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان، عن ابن دراج قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في قول الله تعالى: «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ

وَهُمْ لَا يَنْظَرُونَ» قال: يوم الفتح، يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام لا ينفع أحداً تقرب

بالإيمان مالم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً. فذلك الذي ينفعه إيمانه ويعظم

عند الله قدره وشأنه وتزخرف له يوم القيامة جنانه وتحجب عنه نيرانه. وهذا أجر

الموالين لأمير المؤمنين ولذريته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين.

﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾: ولا تبال بتكذيبهم.

وقيل (٤): هو منسوخ بآية السيف.

﴿وَانْتَظِرْ﴾: النصرة عليهم.

﴿إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ (٤٠): الغلبة عليك.

وقرئ بالفتح. على معنى أنهم أحقأ بأن ينتظر هلاكهم، أو أن الملائكة ينتظرونه (٥).

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٦): وقال علي بن إبراهيم في قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا

نسوق الماء إلى الأرض الجرز» قال: الأرض الخراب. وهو مثل ضربه الله تعالى في

الرجعة والقائم ﷺ . فلما أخبرهم رسول الله ﷺ بنخبر الرجعة قالوا: «متى هذا الفتح إن كنتم صادقين»؟ وهذه معطوفة على قوله: «ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر» فقالوا: «متى هذا الفتح إن كنتم صادقين». فقال الله ﷻ: «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم» يا محمد «وانتظر أنهم منتظرون».

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب

مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب، كان يوم القيامة في جوار محمد ﷺ وأزواجه.

ثم قال: سورة الأحزاب فيها فضائح الرجال والنساء من قريش وغيرهم. يا ابن سنان، إن سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب. وكانت أطول من سورة البقرة، ولكن نقصوها وحرفوها.

وفي مجمع البيان^(٢): أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال: ومن قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما ملكت يمينه، أعطي الأمان من عذاب القبر.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾: ناداه بالنبى وأمره بالتقوى، تعظيماً له وتفخيماً لشأن التقوى.

والمراد به، الأمر بالثبات عليه. ليكون مانعاً عما نهى عنه بقوله:

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾: أي فيما يعود بوهن في الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾: بالمصالح والمفاسد.

﴿حَكِيماً﴾^(٣): لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ

٢. مجمع البيان ٣٣٤/٤.

١. ثواب الأعمال ١٣٧/١، ح ١.

٣. تفسير القمي ١٧١/٢.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً» وهذا هو الذي قال الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَيَّاكَ أَعْنِي وَاسْمَعِي يَا جَارَةَ. فالمخاطبة للنبي ﷺ والمعنى للناس.

وفي مجمع البيان^(١): نزلت في أبي سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبي الأعور السلمي. قدموا المدينة، ونزلوا على عبدالله بن أبي بعد غزوة أحد بأمان من رسول الله ﷺ ليكلموه. فقام معهم عبدالله بن أبي وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق. فدخلوا على رسول الله ﷺ. فقالوا: يا محمد، ارفض ذكر آل هتنا اللآت والعزى ومناة، وقل: إِنَّ لَهَا شَفَاعَةً لِمَنْ عِبَدَهَا، وتدعك وريك. فشق ذلك على رسول الله ﷺ.

فقال عمر بن الخطاب: ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم. فقال: إِنِّي أُعْطِيتُهُمُ الْأَمَانَ. وأمر ﷺ فأخرجوا من المدينة. ونزلت الآية «ولا تطع الكافرين» من أهل مكة: أبياسفيان وأبا الأعور وعكرمة «والمنافقين» ابن أبي وابن سعد^(٢) وطعمة.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: كالنهي عن طاعتهم. ﴿أَنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣): فموجع إليك ما تصلحه وتغني عن الاستماع إلى الكفرة. وقرأ أبو عمرو بالياء. على أَنَّ الواو ضمير «الكفرة والمنافقين» أي إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَكَائِدِهِمْ، فيدفعها عنك^(٤).

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: وكل أمرك إلى تدبيره. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٥): موكولاً إليه الأمور كلها. ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾: أي ما جمع قلبين في جوف. لأن القلب معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الإنساني أولاً، ومنبع القوى بأسرها. وذلك يمنع التعدد.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ابن سعيد.

١. مجمع البيان ٣٣٥/٤.

٣. أنوار التنزيل ٢٣٨/٢.

وفي مصباح الشريعة^(١): قال الصادق عليه السلام - في كلام طويل -: فمن كان قلبه^(٢) متعلقاً في صلاته بشيء دون الله، فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. قال الله تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه».

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام^(٣) بإسناده إلى صالح بن ميثم التمار عليه السلام قال: وجدت في كتاب ميثم عليه السلام يقول: تمسينا ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال لنا: إنَّ عبداً لن يقصّر في حبنا لخير جعله الله في قلبه، ولن يحبنا من يحب مبغضينا. إنَّ ذلك لا يجتمع في قلب واحد «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» يحب بهذا قوماً، ويحب بالآخر عدوهم. والذي يحبنا، فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لا غش فيه. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان. إنَّ الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه، فيحب هذا ويبغض هذا. فأما محبنا، فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدرفه. فمن أراد أن يعلم حبنا، فليمتحن قلبه. فإن شارك^(٥) في حبنا حب عدونا؛ فليس منا ولسنا منه. والله عدوهم وجبرائيل وميكائيل، والله عدو للكافرين.

وفي مجمع البيان^(٦): قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما جعل الله لرجل من قلبين» يحب لهذا قوماً ويحب لهذا أعداءهم. وفيه: وقوله^(٧): «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» نزل في أبي معمر [جميل بن معمر بن]^(٨) حبيب الفهري. وكان ليبياً حافظاً لما يسمع. وكان يقول: إنَّ في جوفي لقلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد.

٢. المصدر: ضنه.

٤. تفسير القمي ١٧١/٢ - ١٧٢.

٦. مجمع البيان ٣٣٦/٤.

٨. من المصدر.

١. شرح فارسي لمصباح الشريعة ٩٢.

٣. أمالي الطوسي ١٤٧/١ - ١٤٨، ح ٥٦.

٥. المصدر: شاركه.

٧. نفس المصدر ٣٣٥/٤.

وكانت قريش تسميه: ذا القلبين. فلَمَّا كان يوم بدر وهُزِمَ المشركون وفيهم أبو معمر، تلقاه أبو سفيان بن حرب وهو أخذ بيديه إحدى نعليه والأخرى في رجله.

فقال له: يا أبا معمر، ما حال الناس؟

قال: انهزموا.

قال: فما بالك إحدى نعليك في يدك وأخرى في رجلك؟

فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أَنهما في رجلي.

فعرفوا يومئذ، أَنه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده.

في شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ حَمِيدِ بْنِ الرَّبِيعِ^(٢)، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَمَّدِيِّ، عَنْ كَثِيرِ بْنِ عِيَّاشٍ^(٣)، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ سَلَامٌ: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» قَالَ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: لَيْسَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ مِمَّنْ امْتَحَنَ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ إِلَّا وَهُوَ يَجْدُدُ^(٤) مُودَّتَنَا عَلَى قَلْبِهِ، فَهُوَ يُوَدِّنَا. وَمَا مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ مِمَّنْ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَّا وَهُوَ يَجْدُدُ^(٥) بَغْضَنَا عَلَى قَلْبِهِ، فَهُوَ يَبْغِضُنَا. فَأَصْبَحْنَا نَفْرَحُ بِحَبِّ الْمَحَبِّ وَنَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَنَبْغِضُ الْمُبْغِضَ. وَأَصْبَحَ مَحَبَّنَا يَنْتَظِرُ رَحْمَةَ اللَّهِ سَلَامٌ فَكَأَنَّ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ قَدْ فَتَحَتْ لَهُ. وَأَصْبَحَ مَبْغِضُنَا عَلَى شَفَا جُرْفٍ مِنَ النَّارِ، فَكَأَنَّ ذَلِكَ الشَّفَا قَدْ أَنْهَارَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. فَهَنِيئًا لِأَهْلِ الرَّحْمَةِ رَحْمَتُهُمْ، وَتَعْسًا لِأَهْلِ النَّارِ مَثْوَاهُمْ. إِنَّ اللَّهَ سَلَامٌ يَقُولُ^(٦): «فَلْبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ».

وَأَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ يَقْصُرُ فِي حَبْنَا لَخِيرِ جَعَلَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ. إِذْ لَا يَسْتَوِي^(٧) مِنْ يَحْبِنَا وَيَبْغِضُنَا، وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ رَجُلٍ أَبَدًا. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي

١. تأويل الآيات الباهرة، ٤٤٥/٢.

٢. المصدر: محمد بن الحسين بن جميل بن الربيع.

٣. المصدر: كثير بن عباس. انظر تنقيح المقال ٣٦٠/٢، رقم ٩٨٣٨.

٤ و ٥. المصدر: يجده.

٦. النحل ٢٩/.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: لا يسي.

جوفه، يحب بهذا ويبغض بهذا. أما محبنا، فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالتآثر لا كدرفه فيه، ومبغضنا على تلك المنزلة. نحن النجباء، وافراطنا افراط الأنبياء، وأنا وصي الأنبياء^(١). والفئة الباغية من حزب الشيطان، والشيطان منهم. فمن أراد أن يعلم حبنا، فليمتحن قلبه. فإن شارك في حبنا عدونا، فليس منا ولسنا منه. والله عدوه وجبرائيل وميكائيل، والله عدو للكافرين.

وقال علي عليه السلام: [لا يجتمع]^(٢) حبنا وحب عدونا في جوف إنسان، إن الله تعالى يقول: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه».

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾: وما جمع الزوجية والأمومة في امرأة، ولا الدعوة والبنوة في رجل.

والمعنى: كما لم يجعل الله قلبين في جوفه لأدائه إلى تناقض - وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل القوي وغير أصل - لم يجعل الزوجة والدعي اللذين لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما ولادة.

وقرأ أبو عمرو: «واللآي» بالياء [وحده]^(٣) على أن أصله «اللآء»^(٤) لهزمة، فخففت. وعن الحجازيين، مثله. وعنهما وعن يعقوب، بالهمزة وحده. وأصل «تظاهرون» تنظّهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء^(٥).

وقرأ ابن عامر: «تظاهرون» بالإدغام. وحمزة والكسائي، بالحذف. وعاصم «تظاهرون» من ظاهر^(٦).

وقرئ: «تظّهرون» من ظهر، بمعنى: ظاهر؛ كعقد بمعنى: عاقد. و«تظّهرون» من الظهور^(٧).

ومعنى الظهار، أن يقول للزوجة: أنت علي كظهر أمي. مأخوذة من «الظهر» باعتبار اللفظ؛ كالتلبية من «لبيك».

١. المصدر وم وس وأ: الأوصياء.
٢. ٣ و ٢. من المصدر.
٣. ٧ - ٥. أنوار التنزيل ٢٣٨/٢.
٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: اللآي.

وتعديته «بمن» لتضمنه معنى التجنب. لأنه كان طلاقاً في الجاهلية، وهو في الإسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة؛ كما عُدِّي «ألى» بها. وهو بمعنى: الحلف.

وذكر الظهر، للكناية عن البطن الذي هو عموده، فإن ذكره يقارب ذكر الفرج. أو التغليب في التحريم، فإنهم يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء. والأدعياء: جمع دعوى، على الشذوذ. وكأنه شُبِّهَ بفعل؛ بمعنى: فاعل. فجمع جمعه.

﴿ذَلِكُمْ﴾: إشارة إلى كل ما ذكر. أو إلى الأخير.

﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾: لا حقيقة له في الأعيان؛ كقول الهادي.

﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾: ما له حقيقة عينية مطابقة له.

﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾: سبيل الحق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وقال علي بن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: «وما جعل ادعياءكم ابناءكم» قال: فإنه حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبب [نزول]^(٢) ذلك، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما تزوج بخديجة بنت خويلد، خرج إلى سوق عكاظ في تجارة لها، ورأى زيدا يباع، ورأه غلاماً كيساً حصيماً، فاشتراه.

فلما نبئ رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام، فأسلم. وكان يدعى زيد مولى محمد صلى الله عليه وآله.

فلما بلغ حارثة بن شراحيل^(٣) الكلبي خبر ولده زيد، قدم مكة. وكان رجلاً جليلاً. فأتى أبا طالب فقال: يا أبا طالب، إن ابني وقع عليه السبي، وبلغني أنه صار إلى ابن أخيك. فسله، إما أن يبيعه، وإما أن يفاده، وإما أن يعتقه.

فكلم أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال رسول الله ﷺ: هو حرّ، فليذهب حيث^(١) شاء.

فقام حارثة، فأخذ بيد زيد. فقال له: يا بُنَيَّ، الحق بشرفك وحسبك.

فقال زيد: لست أفارق رسول الله [إبداً].

فقال له أبوه: فتدع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش!

فقال زيد: لست أفارق رسول الله ﷺ [٢] ما دمت حيّاً.

فغضب أبوه، فقال: يا معشر قريش، اشهدوا أنّي قد برئت منه وليس هو ابني.

فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا أنّ زيداً ابني، أرثه ويرثني. فكان زيد يدعى ابن

محمّد، وكان رسول الله ﷺ يحبه، وسماه: زيد الحبّ.

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، زوّجه زينب بنت جحش وأبطأ عنه يوماً،

فأتى رسول الله ﷺ منزله يسأل عنه فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبها

بفهر. [فدفع رسول الله ﷺ الباب^(٣)] ونظر إليها. وكانت جميلة حسنة.

فقال: سبحان الله خالق النور، وتبارك الله أحسن الخالقين. ثمّ رجع رسول الله إلى

منزله. ووقعت زينب في قلبه موقعاً عجباً.

وجاء زيد إلى منزله، فأخبرته زينب بما قال رسول الله ﷺ.

فقال لها زيد: هل لك أن أطلقك حتّى يتزوّجك رسول الله ﷺ؟ فلعلك قد وقعت

في قلبه.

فقالت: أخشى أن تطلقني، ولا يتزوّجني رسول الله ﷺ.

فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أخبرتني زينب

بكذا وكذا. فهل لك أن اطلقها حتّى تتزوّجها؟

فقال رسول الله ﷺ: لا، اذهب فاتّق الله وأمسك عليك زوجك. ثمّ حكى الله ﷻ

فقال: «امسك عليك زوجك واتّق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس

والله أحق أن تخشاه، فلمّا قضى زيد منها وطراً زوجناكها» إلى قوله تعالى: «وكان أمر الله مفعولاً» فزوجه الله ﷻ من فوق عرشه.

فقال المنافقون: يُحرّم علينا نساء أبنائنا ويتزوج امرأة ابنه زيد. فأنزل الله ﷻ في هذا «وما جعل ادعاءكم أبناءكم» إلى قوله تعالى: «يهدى السبيل».

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾: انسبهم إليهم. وهو أفراد للمقصود من أقواله الحقّة.

﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: تعليل له. والضمير لمصدر «ادعو».

و«أقسط» أفعل تفضيل، قصد به الزيادة مطلقاً. من القسط، بمعنى: العدل. ومعناه: البالغ^(١) في الصدق.

وفي عيون الأخبار^(٢)، في باب ذكر ما كتب به الرضا عليه السلام محمد بن سنان في جواب مسأله في العلل: وعلة تحليل مال الولد لوالده بغير إذنه وليس ذلك للولد، لأن الولد موهوب^(٣) للوالد في قول الله تعالى^(٤): «يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور». مع أنّه المأمور^(٥) بمؤنته صغيراً أو كبيراً. والمنسوب إليه والمدعو له، لقوله ﷻ: «ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله». وقول النبي ﷺ: أنت ومالك لأبيك. وليس الوالدة كذلك، لا تأخذ من ماله إلا بإذنه أو بإذن الأب. لأن الأب مأخوذ بنفقة الولد ولا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾: فتنسبهم إليهم.

﴿فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾: وأولياؤكم فيه. فقولوا: هذا أخي ومولاي، بهذا التأويل.

وقيل^(٦): بني أعمامكم. وقيل: معناه: معتقوكم ومحرّروكم. إذا اعتقتموهم من رق، فلكم ولاؤهم.

١. هكذا في أ. وفي سائر النسخ: البالغ.
٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٩٦٢/٢، ح ١.
٣. المصدر: مولود.
٤. الشورى ٤٩/
٥. المصدر: المأخوذ.
٦. نفس المصدر والموضع.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ : ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين من قبل النهي ، أو بعده على النسيان ، أو سبق اللسان .

﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ : ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم . أو ولكن ما تعمدت فيه الجناح .

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ : لما سلف من قولكم .

﴿رَحِيمًا﴾ ٥ : بكم .

وفي الآية دلالة على أنه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب . وقد وردت السنة بتغليظ الأمر فيه .

وفي مجمع البيان ^(١) : قال ﷺ : من انتسب إلى أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله .

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ : في الأمور كلها ، فإنه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم ونجاحهم ، بخلاف النفس . فلذلك أطلق . فيجب أن يكون أحب إليهم من أنفسهم ، وأمره أنفذ فيهم من أمرها ، وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها .

﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ : منزلات منزلتهم في التحريم واستحقاق التعظيم . وفيما عدا ذلك فكالأجنبيات .

﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ : وذوو القربات .

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ : في التوارث .

﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ : في اللوح . أو فيما أنزل ، وهو هذه الآية أو آية الموارث . أو فيما فرض الله .

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ : بيان لأولي الأرحام . أو صلة لأولي ، أي أولو

الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين، والمهاجرين بحق الهجرة^(١).

وهو نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاتة في الدين، وبالمؤاخاة.

وفي مجمع البيان^(٢): قال الكلبي: أخى رسول الله ﷺ بين الناس. فكان يؤاخي بين الرجلين. فإذا مات أحدهما، ورثه الثاني دون أهله. فمكنوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة، وورث الأدنى فالأدنى من القرابات.

وقال قتادة: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، وكان لا يرث الأعراب المسلم من المهاجرين^(٣) شيئاً، فنزلت هذه الآية فصار الموارث بالقرابات.

وفي كتاب الخصال^(٤): عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل، يذكر فيه الكبائر، يقول فيه عليه السلام: وأما عقوق الوالدين فقد أنزل الله في كتابه «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم» فعقوا رسول الله في ذريته، وعقوا أمهم خديجة في ذريتها.

وفي مجمع البيان^(٥): وروي أن النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج، قال قوم: نستأذن آبائنا وأمهاتنا. فنزلت هذه الآية.

وروي عن أبي وابن مسعود وابن عباس أنهم كانوا يقرؤون: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم هو أب لهم». وكذلك هو في مصحف أبي. وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام.

٢. مجمع البيان ٣٣٨/٤.

١. ليس في الأصل ون.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: المسلمين. ٤. الخصال ٣٦٤/، ضمن حديث ٥٦.

٥. مجمع البيان ٣٣٨/٤.

وفي كتاب سعد السعود^(١) لابن طائوس رحمه الله: روي عنه صلوات الله عليه: أنا وعليّ أبوا هذه الأمة.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٢): وقوله عليه السلام: «النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمهاتهم» قال: فنزلت «وهو أب لهم».

ومعنى «أزواجه أمهاتهم»: [أنها بمنزلتهم في الحرمة والتعظيم]^(٣) فجعل الله عليه السلام المؤمنين أولاد رسول الله عليه السلام وجعل رسول الله عليه السلام أباهم لمن لم يقدر أن يصون نفسه ولم يكن له مال وليس له على نفسه ولاية. فجعل الله تبارك وتعالى لنبيه الولاية على المؤمنين من أنفسهم.

وقول رسول الله عليه السلام بغدير خم: أيها الناس، ألسن أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى.

ثم أوجب لأُمير المؤمنين عليه السلام ما أوجبه لنفسه عليهم من الولاية، فقال: ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه.

فلما جعل الله عليه السلام النبيّ أباً للمؤمنين، ألزمه مؤنتهم وتربية أيتامهم. فعند ذلك صعد رسول الله عليه السلام المنبر فقال: من ترك مالا، فلورثته. ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فعليّ والي. فألزم الله عليه السلام نبيه للمؤمنين ما يلزم^(٤) الوالد. وألزم المؤمنين من الطاعة له ما يلزم الولد للوالد.

فكذلك ألزم أمير المؤمنين صلوات الله عليه ما ألزم رسول الله عليه السلام من بعد ذلك، وبعده الأنمة صلوات الله عليهم واحداً واحداً.

والدليل على أن رسول الله عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام هما والدان^(٥) قوله^(٦): «واعبدوا

١. سعد السعود ٢٧٥. ٢. تفسير القمي ١٧٥/٢-١٧٦.

٣. يوجد في الأصل فقط. وليس في سائر النسخ والمصدر.

٤. المصدر: يلزمه. ٥. ن والمصدر: والدان.

٦. النساء ٣٦.

الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً». فالوالدان رسول الله ﷺ وأmir المؤمنين عليهما السلام.

وقال الصادق عليه السلام: فكان إسلام عامة اليهود لهذا السبب لأنهم آمنوا على أنفسهم وعيالاتهم.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١)، بإسناده إلى سعد بن عبد الله القمي، عن الحجة القائم عليه السلام حديث طويل. وفيه: فأخبرني يا ابن مولاي، عن معني الطلاق الذي فوض رسول الله ﷺ حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام.

قال: إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي ﷺ فخصهن بشرف الأمهات. فقال رسول الله ﷺ: يا أبا الحسن، إن هذا الشرف باقٍ لهنّ مادمن الله على الطاعة. فأيتهنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك، فأطلق لها في الأزواج وأسقطها [من تشرف الأمهات و]^(٢) من شرف أمومة المؤمنين.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣)، بإسناده إلى علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه قال: سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت له: لِمَ كُنِيَ النبي ﷺ بأبي القاسم؟ فقال: لأنّه كان له ابن يقال له: قاسم، فكُنِيَ به.

قال: فقلت: يا ابن رسول الله، فهل تراني أهلاً للزيادة؟

فقال: نعم، أما علمت أنّ رسول الله ﷺ قال: أنا وعليّ أبوا هذه الأمة؟ قلت: بلى^(٤).

قال: أما علمت أنّ عليّاً عليه السلام قاسم الجنة والنار؟ قلت: بلى.

١. كمال الدين وتمام النعمة / ٤٥٩، في حديث طويل. ح ٢١.

٢. ليس في المصدر. ٣. علل الشرائع / ١٢٧، ح ٢.

٤. هنا في المصدر زيادة، وهي: قال: أما علمت أنّ رسول الله ﷺ أب لجميع أمته وعليّ عليه السلام فيهم بمنزلته؟ فقلت: بلى.

قال: فقيل له: أبو القاسم، لأنه أبو قسيم الجنة والنار.

فقلت: ما معنى ذلك؟

فقال: إن شفقة النبي ﷺ على أمته كشفقة^(١) الآباء على الأولاد. وأفضل أمته علي عليه السلام وشفقته^(٢) عليهم كشفقته ﷺ لأنه وصيه وخليفته والإمام بعده. فلذلك قال: أنا وعلي أبو هذه الأمة. وصعد النبي ﷺ المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً، فعلي والي. ومن ترك مالا، فلورثته. فصار بذلك أولى من آبائهم وأمهاتهم، وصار^(٣) أولى لهم منهم بأنفسهم. وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام بعده، جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله ﷺ.

وبإسناده إلى عبد الرحمن بن القصير^(٤)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فيمن نزلت [هذه الآية]؟^(٥)

قال: نزلت في الإمرة. إن هذه الآية جرت في الحسين بن علي عليه السلام وفي ولد الحسين من بعده. فنحن أولى بالأمر وبرسول الله ﷺ من المؤمنين والمهاجرين.

قلت: لولد جعفر فيها نصيب؟

فقال: لا.

قال: فعددت عليه بطون بني عبد المطلب، كل ذلك يقول: لا. ونسيت ولد الحسن.

فدخلت عليه بعد ذلك [فقلت: هل لولد الحسن عليه السلام فيها نصيب؟

قال: لا، يا عبد الرحمن^(٦)، ما لمحمد في فيها نصيب غيرنا.

١. المصدر: شفقة. ٢. المصدر: ومن بعده شفقة علي عليه السلام.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: صاروا.

٤. نفس المصدر ٢٠٦-٢٠٧، ح ٤. وفيه: وبإسناده إلى عبد الرحيم القصير.

٥. ليس في المصدر. ٦. المصدر: يا أبا عبد الرحمن.

وفي أصول الكافي^(١): محمد بن يحيى^(٢) عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن ابن مسكان، عن عبدالرحيم بن روح القصير^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وازواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فيمن نزلت؟ قال: نزلت في الامرة. إن هذه الآية جرت في ولد الحسين من بعده. فنحن أولى بالأمر وبرسول الله ﷺ من المؤمنين والمهاجرين والأنصار.

قلت: فولد^(٤) جعفر لهم فيها نصيب؟

فقال: لا.

[قلت: فولد العباس لهم فيها نصيب؟

فقال: لا]^(٥).

فعددت عليه بطون بني عبدالمطلب، كل ذلك يقول: لا. قال: ونسيت ولد الحسن عليه السلام، فدخلت بعد ذلك عليه فقلت له: هل لولد الحسن فيها نصيب؟ فقال: لا والله، يا عبدالرحيم، ما لمحمد في فيها نصيب غيرنا.

علي بن إبراهيم^(٦)، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن سليم بن قيس. ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة. وعلي بن محمد، عن أحمد بن هلال، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن ابن أبي عيَّاش، عن سليم بن قيس قال: سمعت عبدالله بن جعفر الطيار يقول: كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فجرئ بني وبين معاوية كلام. فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أخي علي بن أبي طالب أولى

١. الكافي ٢٨٨/١، ح ٢.

٢. ليس في م.

٣. ن: عبدالرحمن بن روح القصير.

٤. المصدر: فولد.

٥. ليس في م.

٦. نفس المصدر ٥٢٩/١، ح ٤.

بالمؤمنين من أنفسهم. فإذا استشهد علي^(١) فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فإذا استشهد علي^(٢) فابنه علي بن الحسين عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين، ثم تكلمة اثني عشر إماماً؛ تسعة من ولد الحسين.

قال عبدالله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين وعبدالله بن عباس وعمر بن أم سلمة وأسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية.

قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد ذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى^(٣)، عن يونس بن عبد الرحمن قال: حدثنا حماد، عن عبد الأعلى قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول العامة: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من مات وليس له إمام مات ميتة جاهليّة. قال: الحقّ والله.

قلت: فإن إماماً هلك ورجل بخراسان لا يعلم من وصيّيه، لم يسعه ذلك؟ قال: لا يسعه. إن الإمام إذا هلك، وقعت حجة وصيّيه علي من هو معه في البلد، وحقّ النفر علي من ليس بحضرته إذا بلغهم. إن الله تعالى يقول^(٤): «فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون».

قلت: فنفر قوم فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم؟ قال: إن الله تعالى يقول^(٥): «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله».

قلت: فبلغ البلد بعضهم، فوجدك مغلقاً عليك بابك ومرخى عليك سترك

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: عليه السلام. ٢. نفس المصدر ١/٣٧٨-٣٧٩، صدر حديث ٢.

٤. النساء/١٠٠.

٣. التوبة/١٢٣.

لاتدعوهم إلى نفسك ولا يكون من يدلهم عليك، فيما يعرفون ذلك ؟

قال : بكتاب الله المنزل .

قلت : فيقول الله جلّ وعزّ كيف ؟

قال : أراك قد تكلمت في هذا قبل اليوم ؟

قلت : أجل ؛ قال : فذكر ما أنزل الله في عليّ عليه السلام وما قال له رسول الله ﷺ في حسن وحسين عليهما السلام وما خصّ الله به علياً عليه السلام وما قال فيه رسول الله ﷺ من وصيته إليه، ونصبه إياه، وما يصيبهم، وإقرار الحسن والحسين بذلك، ووصيته إلى الحسن و [تسليم] ^(١) الحسين له . يقول الله : «النبّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .
 عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي ^(٢) . وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن القاسم بن محمد الاصبهاني، عن سليمان بن داود المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام : أن النبي ﷺ قال : أنا أولى بكلّ مؤمن من نفسه، وعليّ أولى به من بعدي . فقيل له : ما معنى ذلك ؟ فقال : قول النبي ﷺ : من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالا فلورثته . فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس على عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة . والنبيّ وأمير المؤمنين ومن بعدهما سلام الله عليهم ألزمهم هذا . فمن هناك صاروا أولى لهم من أنفسهم . وما كان سبب إسلام عمّة اليهود إلّا من بعد هذا القول من رسول الله ﷺ وأنهم آمنوا على أنفسهم و عيالاتهم .

وفي روضة الكافي ^(٣) : بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل . وفي آخره يقول عليه السلام : كان عليّ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولى الناس بالناس، حتّى قالها ثلاثاً .

٢ . نفس المصدر ٤٠٦/١ ، ح ٦ .

١ . من المصدر .

٣ . نفس المصدر ٨٠/٨ ، ذيل حديث ٣٦ ، أيضاً في ص ٣٣٣ ، ذيل حديث ٥٢٠ ببعض الاختلاف .

وفي نهج البلاغة^(١): قال عليه السلام: فوالله، إني لأولى الناس بالناس.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي عليه السلام: عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب حديث طويل. وفيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم. من كنت أولى به من نفسه، فأنت [يا أخي]^(٣) أولى به من نفسه. وعلي بين يديه عليه السلام في البيت.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام حدثنا الحسين [بن محمد]^(٥) بن عامر، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن أبي نصر^(٦)، عن حماد بن عثمان، عن عبدالرحيم بن روح القصير، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال عن قول الله ﷻ: «وآولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين».

قال: نزلت في ولد الحسين عليه السلام.

قال: قلت: جعلت فداك، أنزلت في الفرائض؟

قال: لا.

قلت: ففي الموارث؟

قال: لا؛ نزلت في الامرة.

وقال أيضاً^(٧): حدثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن محمد بن عبدالرحمن بن الفضل، عن جعفر بن الحسين الكوفي، عن أبيه، عن محمد بن زيد مولى أبي جعفر عليه السلام قال: سألت مولاي، فقلت: قوله ﷻ: «وآولو الارحام بعضهم أولى ببعض [في كتاب الله]»^(٨)

١. نهج البلاغة/ ١٧٥، ذيل خطبة ١١٨.

٢. الاحتجاج/ ٢٨٥، احتجاج الحسن بن علي عليه السلام على معاوية في الامامة، عنه في تفسير نور الثقلين

٣. ٢٤١/٤، ح ٢٦. ليس في المصدر.

٤. تأويل الآيات الباهرة، ٤٤٧/١. ليس في المصدر.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أحمد بن أبي بصير.

٧. نفس المصدر والموضع. ٨. ليس في المصدر.

قال: هو عليّ عليه السلام. معناه: أنه رحم النبي ﷺ فيكون أولى به من المؤمنين والمهاجرين.

وقال أيضاً^(١): حدّثنا علي بن عبد الله بن أسد^(٢)، عن إبراهيم بن محمّد، عن محمّد بن علي المقرئ^(٣)، بإسناده يرفعه إلى زيد بن علي عليه السلام في قول الله ﷻ «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين».

قال: رحم رسول الله ﷺ أولى بالإمارة والملك والإيمان.

﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾: استثناء من أعمّ ما يقدر الأولوية فيه من النفع. والمراد بفعل المعروف التوصية، أو منقطع به.

﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(٤): كان ما ذكر في الآيتين ثابتاً في اللوح، أو القرآن.

وقيل^(٥): في التوراة.

وفي الكافي^(٥): محمّد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن الجهم، عن حنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء للموالي؟

فقال: ليس لهم من الميراث إلا ما قال الله ﷻ: «أَلَا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا». محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد^(٦)، عن ابن أبي الحمراء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أي شيء للموالي من الميراث؟

فقال: ليس لهم شيء إلا التبراء، يعني: التراب.

والمراد منهم: الأولياء بحسب الإيمان.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾: مقدّر «بأذكر».

و«ميثاقهم»: عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين القيم.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. المصدر: علي بن عبد الله بن راشد.

٣. المصدر ون: المقرئ.

٤. أنوار التنزيل ٢/٣٣٩.

٥. الكافي ١٣٥/٧، ح ٣.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ٤.

وفي روضة الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت شريعة نوح عليه السلام^(٢) أن يُعبد الله بالتوحيد والإخلاص. وخلع الأنداد. وهي الفطرة التي فطر الناس عليها. وأخذ الله ميثاقه على نوح وعلى النبيين صلى الله عليهم أجمعين أن يعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيئاً. وأمر بالصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام. ولم يفوض عليه أحكام حدود ولا فرائض^(٣) موارث، فهذه شريعة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: خصّهم بالذكر، لأنهم مشاهير أرباب الشرائع وقدم نبيّنا، تعظيماً له.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قال: هذه «الواو» زيادة في قوله: «ومنك» إنما هو «منك ومن نوح» فأخذ الله ﷻ الميثاق لنفسه على الأنبياء، ثم أخذ لنبيه على الأنبياء^(٥) والأئمة صلوات الله عليهم ثم أخذ الأنبياء على رسوله ﷺ.

﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾^(٦): عظيم الشأن، أو مؤكّداً باليمين. والتكرير لبيان هذا الوصف.

﴿لَيَسْأَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾: أي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الأنبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم. أو تصديقهم إياهم تبيكناً لهم. أو المصدقين لهم عن تصديقهم، فإن مصدق الصادق صادق. أو المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم.

﴿وَأَعَدُّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾^(٧): عطف على «أخذنا» من جهة أن بعثة الرسل

١. الكافي ٢٨٢/٨ - ٢٨٣، صدر حديث ٤٢٤.

٢. الأصل: شريعته ﷺ.

٣. المصدر: لافرض.

٤. تفسير القمي ١٧٦/٢.

٥. من المصدر.

وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين. أو على مادّل عليه «ليسأل» كأنه قال: فأثاب المؤمنين وأعدّ للكافرين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾: يعني: الأحزاب. وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير. وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾: ريح الصبا.

﴿وَجُودُوا لَمْ تَرَوْهَا﴾: الملائكة. روي^(١): أَنَّهُ ﷺ لَمَّا سَمِعَ [بِإِقْبَالِهِمْ]^(٢) ضَرْبَ الْخَنْدَقِ عَلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَمَضَى عَلَى الْفَرِيقَيْنِ قَرِيبَ [مِنْ]^(٣) شَهْرٍ لِحَرْبِ بَيْنِهِمْ إِلَّا التَّرَامِي بِالْثَّبَلِ وَالْحَجَارَةِ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحاً^(٤) بَارِدَةً فِي لَيْلَةٍ شَاتِيَةٍ فَأَحْصَرَتْهُمْ^(٥) وَسَفَّتِ التَّرَابَ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَطْفَأَتْ نِيرَانَهُمْ وَقَلَعَتْ خِيَامَهُمْ وَمَا جَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ وَكَبُرَتْ الْمَلَائِكَةُ فِي جَوَانِبِ الْعَسْكَرِ. فَقَالَ طَلْحَةُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْأَسَدِيُّ: أَمَّا مُحَمَّدٌ فَقَدْ بَدَأَ كَمْ بِالسَّحَرِ، فَالْجَاءَ النِّجَاءَ. فَانْهَزَمُوا مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: من حفر الخندق.

وقرأ البصريّان بالياء، أي بما يعمل المشركون من التحزّب والمحاربة^(٦).

﴿بَصِيرًا﴾^(٧): رانياً.

﴿إِذْ جَاءَكُمْ﴾: بدل من «إِذْ جَاءَتْكُمْ».

﴿مِنْ فَوْقِكُمْ﴾: من أعلى الوادي، من قبل المشرق بنو غطفان.

﴿وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ﴾: من أسفل الوادي، من قبل المغرب قريش.

﴿وَإِذْ رَاغَبَتِ الْأَبْصَارُ﴾: مالت عن مستوئ نظرها، حيرة وشخوصاً.

﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾: رعباً. فَإِنَّ الرُّثَّةَ تَسْتَفِخُ مِنْ شِدَّةِ التَّرَوُّعِ، فَتَرْتَفِعُ

٢. من المصدر.

١. أنوار التنزيل ٢٤٠/٢.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: صبا.

٣. من المصدر.

٦. أنوار التنزيل ٢٤٠/٢.

٥. أحصره: أبْرَدَه.

بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، وهي: منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب.
وفي مجمع البيان^(١): وقال أبو سعيد الخدري: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله، هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر؟
فقال: قولوا: اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا.

قال: فقلناها، فضرب وجوه أعداء الله بالريح فهزموا.
﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾^(٢): الأنواع من الظن المخلصون أنه يُنصر محمد، وظن المنافقون أنه يستأصل، وظن بعضهم النصر وبعضهم البؤس.

وفي كتاب الاحتجاج^(٣) للطبرسي^(٤): روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن أبائه، عن الحسين بن علي^(٥) قال: إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأmir المؤمنين^(٦): فإن هذا هود قد انتصر الله له من أعدائه بالريح، فهل قيل لمحمد^(٧) شيئاً من هذا؟

قال له علي^(٨): [لقد كان كذلك، ومحمد^(٩)] أعطى ما هو أفضل من هذا. إن الله عز ذكره قد انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق، إذ أرسل عليهم ريحاً تذرو الحصى وجنوداً لم يروها. فزاد الله تبارك وتعالى محمداً^(١٠) [على هود]^(١١) بشمانية آلاف ملك، وفصله على هود بأن ريح عاد [ريح]^(١٢) [سخط ومحمد^(١٣) ريح]^(١٤) رحمة. قال الله تبارك وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها».

وفي كتاب التوحيد^(١٥)، حديث طويل عن علي^(١٦) يقول فيه، وقد سأله رجل عما اشبه عليه من الآيات: وأما قوله^(١٧): «أنّي ظننت أني ملاق حساييه» وقوله^(١٨): «يومئذ

٢. الاحتجاج ٣١٦/١-٣١٧.

١. مجمع البيان ٣٤٠/٤.

٤. ليس في المصدر.

٣. من المصدر.

٧. التوحيد ٢٦٧/ح ٥.

٥ و٦. من المصدر.

٩. النور ٢٥.

٨. الحاقّة ٢٠.

يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» وقوله للمنافقين: «وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» فَإِنَّ قَوْلَهُ: «أَنْتَ ظَنَنْتَ أَنْتَ مَلَأَقَ حَسَابِيهِ» يقول: إني أيقنت^(١) أَنْتَ أُبْعَثَ فَأُحَاسِبُ. وقوله للمنافقين: «وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» فهذا الظَّنُّ ظَنُّ شَكٍّ، وليس الظَّنُّ^(٢) ظَنُّ يَقِينٍ. والظَّنُّ [ظَنَانٌ]:^(٣) ظَنُّ شَكٍّ، وظَنُّ يَقِينٍ. فما كان من أمر مَعَادٍ مِنَ الظَّنِّ، فهو ظَنُّ يَقِينٍ. وما كان من أمر الدنيا، فهو ظَنُّ شَكٍّ. فافهم ما فَسَّرْتُ لَكَ.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): قوله ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» الآية، فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ الْأَحْزَابِ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قال: وذلك أَنَّ قُرَيْشًا تَجَمَّعَتْ^(٥) فِي سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَسَارُوا فِي الْعَرَبِ، وَجَلَبُوا وَاسْتَفَزَّوْهُمْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَافُوا فِي عَشْرَةِ آلَافٍ، وَمَعَهُمْ كَنَانَةٌ وَسَلِيمٌ وَفَزَارَةٌ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَجْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَهُمْ بَطْنٌ مِنَ الْيَهُودِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ رَئِيسُهُمْ حَيٌّ بْنُ أَخْطَبٍ، وَهُمْ يَهُودٌ مِنْ بَنِي هَارُونَ عَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا أَجْلَاهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، صَارُوا إِلَى خَيْبَرَ.

وَخَرَجَ حَيٌّ بْنُ أَخْطَبٍ وَهُمْ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكَمُ وَوَتَرْنَا، وَأَجْلَانَا مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ دِيَارِنَا وَأَمْوَالِنَا، وَأَجْلَى بَنِي عَمْنَانَ بَنِي قَيْنِقَاعٍ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ واجتمعوا لحلفاءكم وغيرهم حتَّى نسير^(٦) إِلَيْهِمْ، فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ مِنْ قَوْمِي بِثَرْبِ سَبْعِمِائَةِ مَقَاتِلٍ وَهُمْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَهْدٌ وَمِيثَاقٌ، وَأَنَا أَحْمِلُهُمْ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَيَكُونُونَ مَعَنَا عَلَيْهِمْ، فَتَأْتُونَهُ أَنْتُمْ مِنْ فَوْقٍ وَهُمْ مِنْ أَسْفَلٍ.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ظننت. ٢. ليس في المصدر.
٣. من المصدر. ٤. تفسير القمي ١٧٦٢-١٨٨.
٥. س، ون: أجمعت. م: إجمعت. ٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: سيرا.

وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين، وهو الموضع الذي يُسمَّى: بئر بني المطَّلَب^(١). فلم يزل يسير معهم حيَّ بن أخطب في قبائل العرب، حتَّى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة. والأقرع بن حابس في قومه، والعباس بن مرداس في بني سليم. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستشار أصحابه وكانوا سبعمئة رجل.

فقال سلمان ﷺ: يا رسول الله، إنَّ القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة.

قال: فما نصنع؟

قال: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلِّ وجه. فإنَّا كنَّا - معاشر العجم - في بلاد فارس إذا ذهمنادهم من عدوِّنا، نحفر الخنادق فتكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: أشار [سلمان] ^(٢) بصواب.

فأمر رسول الله ﷺ بحفره من ناحية أحد إلى راتج ^(٣). وجعل على كلِّ عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه. فأمر، فحملت المساحي والمعاول. وبدأ رسول الله ﷺ وأخذ معولاً، فحفر في موضع المهاجرين بنفسه وأمير المؤمنين صلوات الله عليه ينقل التراب من الحفرة حتَّى عرق رسول الله ﷺ وعلي، وقال: لا عيش إلَّا عيش الآخرة. اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين.

فلَمَّا نظر الناس إلى رسول الله ﷺ يحفر، اجتهدوا في الحفر ونقلوا التراب. فلَمَّا كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله ﷺ في مسجد الفتح. فبينما المهاجرون والأنصار يحفرون، إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه. فبعثوا جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ إلى رسول الله ﷺ يعلمه بذلك.

قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله ﷺ مستلق على قفاه ورداؤه تحت

٢. من المصدر.

١. المصدر: بئر لمطَّلَب.

٣. المصدر: راتج (راتج ظ).

رأسه، وقد شدَّ على بطنه حجراً. فقلت: يا رسول الله، إنَّه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه.

فقام مسرعاً حتَّى جاءه، ثمَّ دعا بماء في إناء فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه، ثمَّ شرب ومجَّ في ذلك الماء، ثمَّ صبَّه على ذلك الحجر، ثمَّ أخذ معولاً فضرب ضربة فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثمَّ ضرب أخرى^(١) فبرقت برقة نظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثمَّ ضرب ضربة أخرى [فبرقت برقة أخرى]^(٢) فنظرنا فيها إلى قصور اليمن.

فقال رسول الله ﷺ: أمَّا إنَّه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرق. ثمَّ انهال علينا الجبل كما ينهال علينا الرمل.

فقال جابر: فعلمت أنَّ رسول الله ﷺ مقو، أي جائع. لما رأيت على بطنه الحجر. فقلت: يا رسول الله، هل لك في الغذاء؟

قال: ما عندك، يا جابر؟

فقلت: عناق وصاع من شعير.

فقال: تقدِّم وأصلح ما عندك.

قال جابر: فجئت إلى أهلي فأمرتها، فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها. وأمرتها أن تحبز وتطبخ وتشوي. فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله قد فرغنا فاحضر مع من أحببت.

فقام ﷺ إلى شفير الخندق، ثمَّ قال: يا معاشر المهاجرين والأنصار، أجيئوا جابراً. قال جابر: فكان في الخندق سبعمائة رجل فخرجوا كلَّهم، ثمَّ لم يمرَّ بأحد من المهاجرين والأنصار إلَّا قال: أجيئوا جابراً.

قال جابر: فتقدَّمت وقلت لأهلي: قد والله أتاك معمَّد رسول الله بما لا قبل لك به.

١. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: ضربة.

٢. ليس في الاصل.

فقلت: أعلمته أنت بما عندنا؟

قال: نعم.

قلت: فهو أعلم بما أتى.

قال جابر: فدخل رسول الله ﷺ فنظر في القدر ثم قال: اغرفي وأبقي. ثم نظر في التَّنُورَ ثم قال: أخرجي وأبقي. ثم دعا بصحفة^(١) فشرذ فيها وغرف.

فقال: يا جابر، أدخل عليّ عشرة عشرة^(٢). فأدخلت عشرة، فأكلوا حتّى نهلوا وما يرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم.

ثم قال: يا جابر، عليّ بالذراع. فأتيته بالذراع فأكلوا وخرجوا^(٣).

ثم قال: أدخل عليّ عشرة. فأدخلتهم^(٤) فأكلوا حتّى نهلوا وما يرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم.

ثم قال: يا جابر، عليّ بالذراع. فأتيته بالذراع^(٥) فأكلوا وخرجوا.

ثم قال: أدخل عليّ عشرة. فأدخلتهم فأكلوا حتّى نهلوا، وما يرى في القصعة إلّا آثار أصابعهم.

ثم قال: يا جابر، عليّ بالذراع. فأتيته بالذراع^(٦) [٧].

فقلت: يا رسول الله، كم للشاة من ذراع؟

قال: ذراعان.

فقلت: والذي بعثك بالحق نبياً، لقد أتيتك بثلاثة.

فقال: أما لو سكّ يا جابر، لأكل الناس كلّهم من الذراع.

١. المصدر: بصحفة.

٢. ليس في المصدر.

٣. المصدر: «فأكلوه» بدل «فأكلوا وخرجوا».

٤. المصدر: فدخلوا.

٥. ليس في ن.

٦. «فأتيته بالذراع» ليس في المصدر.

٧. ليس في المصدر.

قال جابر: فأقبلت أدخل^(١) عشرة عشرة فيأكلون^(٢)، حتى أكلوا كلهم. وبقي والله، لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياماً.

قال: وحفر رسول الله ﷺ الخندق، وجعل له ثمانية أبواب، وجعل على كل باب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة يحفظونه. وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال فنزلوا الرُّغابة. ففرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام. وأقبلت قريش ومعهم حي بن أخطب.

فلما نزلوا العقيق، جاء حي بن أخطب إلى بني قريظة في جوف الليل. وكانوا في حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله ﷺ. فدق باب الحصن، فسمع كعب بن أسد قرع الباب. فقال لأهله: هذا أخوك قد شأم قومه، وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا، ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمد، وقد وفي لنا محمد وأحسن جوارنا. فنزل إليه من غرفته فقال له: من أنت؟

قال: حي بن أخطب، قد جئتكم بعز الدهر.

فقال كعب: بل جئتني بذل الدهر.

فقال: يا كعب، هذه قريش في قاداتها وساداتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم من كنانة، وهذه فزارة مع قاداتها وساداتها قد نزلت الرُّغابة، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان، ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً. فافتح^(٣) الباب وانقض العهد الذي بينك وبين محمد.

قال كعب: لست بفاتح الباب، أرجع من حيث جئت.

فقال حي: ما يمنعك من فتح الباب إلا جشيشتك^(٤) التي في التَّنُور تخاف أن

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «فأدخلت» بدل «فأقبلت أدخل».

٢. المصدر: فدخلوا فيأكلون. ٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فانفتح.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «جشيشتك». والجشيشة: طعام يُصنع من الجشيش وهو البر يُطخن غليظاً.

أشاركك فيها، فافتح فإنك آمن من ذلك.

فقال له كعب: لعنك الله، لقد دخلت علي من باب دقيق. ثم قال: افتحوا له الباب، ففتحو^(١) له.

فقال: ويلك، يا كعب، انقض العهد الذي بينك وبين محمد ولا ترد رأيي. فإن محمدًا لا يغلت من هذه الجموع^(٢) أبدًا. فإن فاتك هذا الوقت، لا تدرك مثله أبدًا. قال: واجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود، مثل: غزال بن شمول، وياسر بن قيس، ورفاعة بن زيد، والزبير بن ياطا.

فقال لهم كعب: ماترون؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا، وأنت صاحب عهدنا. فإن نقضت، نقضنا. وإن أقمت، أقمنا معك. وإن خرجت، خرجنا معك.

فقال الزبير بن ياطا، وكان شيخاً كبيراً مجرباً وقد ذهب بصره: قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا، بأنه يبعث نبياً في آخر الزمان يكون مخرجه بمكة ومهاجرته إلى المدينة في هذه البحيرة^(٣)، يركب الحمار العربي ويلبس الشملة ويجتزي بالكسريات والتميرات، وهو الضحوك القتال، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه لا يبالى من لاقاه، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر. فإن كان هذا هو، فلا يهولته هؤلاء وجمعهم ولو ناوأته هذه الجبال الرواسي لغلبيها.

فقال حي: ليس هذا ذاك، ذاك النبي من بني إسرائيل وهذا من العرب من ولد إسماعيل. ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً، لأن الله قد فضّلهم على الناس جميعاً وجعل لهم النبوة والملك. وقد عهد إلينا موسى، أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار. وليس مع محمد ﷺ [آية، وإنما جمعهم جمعاً وسحروهم ويريد أن يغلبهم بذلك. فلم يزل يقلّبهم عن رأيهم حتى أجابوه.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ففتح. ٢. المصدر: هذا الجمع.

٣. المصدر: «بالمدينة إلى هذه البحيرة» بدل «إلى المدينة في هذه البحيرة».

فقال لهم: اخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد ﷺ [فأخرجوه، فأخذه حي بن أخطب فمزقه وقال: قد وقع الأمر فتجهزوا وتهاثروا للقتال. وبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فغمه غمّاً شديداً وفعزع أصحابه. فقال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ وأسيدين حصين، وكانا من الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس، فقال لهما: اثتيا بني قريظة، فانظرا^(١) ما صنعوا. فإن كانوا نقضوا العهد، فلا تعلموا أحداً إذا رجعتما إليّ وقولا: عضل والقارة^(٢). فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حصين إلى باب الحصن. فأشرف عليهما كعب من الحصن، فشم سعداً وشم رسول الله ﷺ. فقال له سعد: إنّما أنت ثعلب في جحر. لتولين قريش وليحاصرّك رسول الله ﷺ ثم لينزلّك على الصغر والقماء^(٣) وليضربنّ عنقك. ثم رجعا إلى رسول الله ﷺ فقالا له: عضل والقارة^(٤). [فقال رسول الله ﷺ: لعناء نحن أمرناهم بذلك. وذلك أنّه كان على عهد رسول الله ﷺ عيون لقريش يتجسّسون أخباره^(٥).

١. المصدر: فانظروا.

٢. في هامش نور الثقلين ٢٤٨/٤، ح ٣٨: عضل والقارة: قبيلتان من كنانة. غدروا به أصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، حيث طلبت من رسول الله ﷺ نفراً من المسلمين ليعلموهم، فقالوا: يا رسول الله إنّ فينا إسلاماً فابعت معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين. فبعث رسول الله ﷺ عشرة من أصحابه فيهم خبيب بن عديّ؛ ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار. فخرجوا حتّى إذا كانوا على الرجيع - وهو ماء - غدروا بهم وقتلوا منهم ستة أو ثمانية وأسروا خبيب، إلى آخر ما ذكره المؤرخون.

٣. القماء: الذلّ والصغار. ٤. أي غدروا كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع.

٥. المصدر: «خبره». وفي هامش نور الثقلين ٢٤٨/٤، ح ٣٨: قوله «لعناء» قال المجلسي ﷺ أي لعن العضل والقارة. والمراد كلّ من غدر. ثم قال ﷺ على سبيل التورية: «نحن أمرناهم بذلك» أي نحن أمرنا بني قريظة أن يظهروا الغدر للمصلحة. وهم موافقون لنا في الباطن. وإنّما قال ذلك لأنّ لا يكون هنالك عين من عيون قريش فيعلموا بالغدر فيصير سبباً لجرأتهم.

وكانت^(١) عضل والقارة قبيلتان من العرب، دخلا في الإسلام ثم غدرا. فكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل، فيقال: عضل والقارة.

ورجع حي بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش، فأخبرهم بنقض بني قريظة العهد^(٢) بينهم وبين رسول الله ﷺ ففرحت قريش بذلك.

فلما كان في جوف الليل، جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام. فقال: يا رسول الله، قد آمنت بالله وصدقتك وكنمت إيماني عن الكفرة. فإن أمرتني أن أتيك بنفسي وأنصرك بنفسي، فعلت. وإن أمرت أن أخذل بين اليهود وبين قريش، فعلت حتى لا يخرجوا من حصنهم.

فقال رسول الله ﷺ: اخذل بين اليهود وبين قريش، فإنه أوقع عندي.

قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أريد؟

قال: قل ما بدالك.

فجاء إلى أبي سفيان، فقال له: تعرف^(٣) مودتي لكم ونصحي ومحبتي أن ينصركم الله على عدوكم. وقد بلغني أن محمداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يرد عليهم جناههم^(٤) الذي قطعه^(٥) بني النضير^(٦) وقينقاع. فلا أرى أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا به^(٧) إلى مكة، فتأمنوا مكرهم وغدرهم.

فقال له أبو سفيان: وفقك الله وأحسن جزاك، مثلك من أهدئ النصائح. ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نعيم ولا أحد من اليهود.

١. ليس في ١.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «عهد بني قريظة» بدل «بني قريظة العهد».

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أتعرف. ٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: خيامهم.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: قطعهم. ٦. المصدر: لبني النضير.

٧. المصدر: بهم.

ثم جاء من فوره ذلك إلى بني قريظة، فقال: يا كعب، تعلم مودتي لكم. وقد بلغني أن أباسفيان قال: نخرج بهؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمد ﷺ فان ظفروا، كان الذكر لنا دونهم. وإن كانت علينا، كانوا هؤلاء مقادير الحرب. فما أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكريكم حتى تأخذوا منهم عشرة من أشرفهم يكونون في حصنكم. إنهم إن لم يظفروا بمحمد ﷺ لم يرجعوا^(١) حتى يردوا عليكم [عهدكم و]^(٢) عقدكم بين محمد ﷺ وبينكم. لأنه إن ولت قريش ولم يظفروا بمحمد، غزاكم محمد ﷺ فيقتلكم.

فقالوا: أحسنت وأبلغت في النصيحة. لا نخرج من حصننا، حتى نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا.

وأقبلت قريش. فلما نظروا إلى الخندق، قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك.

ف قيل لهم: هذا من تدبير الفارسي الذي معه. فوافى عمرو بن عبدود وهبيرة بن وهب وضاربين الخطاب إلى الخندق، وكان رسول الله ﷺ قد صف أصحابه بين يديه، فصاحوا بخيلهم حتى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله ﷺ. فصار أصحاب رسول الله ﷺ خلف رسول الله ﷺ، وقدموا رسول الله ﷺ بين أيديهم.

وقال رجل من المهاجرين، وهو فلان، لرجل بجنبه إخوانه: أما ترى هذا الشيطان عمرواً، لا والله ما يفلت من يديه أحد، فهلّموا ندفع إليه محمدأ ليقنته ونلحق نحن بقومنا. فأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ في ذلك الوقت «قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً أشحّة عليكم» إلى قوله^(٣): [أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم]^(٤) وكان ذلك على الله يسيراً. وركز عمرو بن عبدود رمحه في الأرض، وأقبل يحول حوله ويرتجز ويقول:

١. المصدر: لم يبرحوا.

٢. من المصدر.

٣. الأحزاب ١٨/.

٤. ليس في المصدر.

ولقد بحثت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز
إنسي كذلك لم أزل متسرّعا نحو الهزاهز
إنّ الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز
فقال رسول الله ﷺ: من لهذا الكلب؟ فلم يجبه أحد. فوثب^(١) إليه أمير المؤمنين عليه السلام
فقال: أنا له، يا رسول الله.
فقال: يا عليّ، هذا عمرو بن عبدود فارس ليليل^(٢).
قال: أنا عليّ بن أبي طالب.
فقال له رسول الله: ادن منّي. فدنا منه، فعمّمه بيده، ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال
له: اذهب وقاتل بهذا. وقال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن
شماله ومن فوقه ومن تحته.
فمرّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه يهرول في مشيه وهو يقول:
لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة والصدق منجي كلّ فائز
إنسي لأرجو أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى صيتها بعد الهزاهز
فقال: له عمرو: من انت؟
قال: أنا عليّ بن أبي طالب، ابن عمّ رسول الله ﷺ وختنه.
فقال: والله، إنّ أباك كان لي صديقاً قديماً^(٣)، وإنّي أكره أن أقتلك. ما آمن ابن عمّك
حين بعثك إلى أن اختطفك برمحي هذا، فأتركت شائلاً بين السماء والأرض لا حي
ولا ميت.

١. المصدر: فقام.

٢. ليليل: واو قريب من بدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ سوى ن: «ونديما» وهو ليس في ن.

فقال له أمير المؤمنين صلوات الله عليه: قد علم ابن عمي أنك إن قتلتني دخلت الجنة، وأنت في النار. وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة.

فقال عمرو: كلتا هما لك يا علي، تلك إذا قسمة ضيزى.

فقال علي عليه السلام: دع هذا، يا عمرو، إني سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول: لا يعرضن علي أحد في الحرب ثلاث خصال، إلا أجبته إلى واحدة منها. وأنا أعرض عليك ثلاث خصال، فأجبنني إلى واحدة.

قال: هات، يا علي.

قال: أحدها، تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

قال: نح عني هذه، فاسأل الثانية.

فقال: أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله ﷺ: فإن يك صادقاً، فأنتم أعلى به عينا. وإن يك كاذباً، كفتكم ذؤبان العرب أمره.

قال: إذا لا تتحدّث نساء قریش بذلك، ولا تنشد الشعراء في أشعارها، إني جيت^(١) ورجعت على عقبي من الحرب وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فالثالثة، أن تنزل إلي^(٢). فإنك فارس^(٣)، وأنا راجل حتّى أنا بذلك.

فوثب عن فرسه وعرقبه، وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها. ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالسيف على رأسه، فاتّقه أمير المؤمنين عليه السلام بالدرة فقطعها وثبت السيف على رأسه.

فقال له علي صلوات الله عليه: يا عمرو، أما كفّاك أني بارزتك، وأنت فارس العرب، حتّى استعنت عليّ بظهير. فالتفت عمرو إلى خلفه. فضربه أمير المؤمنين صلوات الله عليه مسرعاً على ساقيه فقطعهما جميعاً، وارتفعت بينهما عجاجة.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: جئت.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: إلي قتالي.

٣. المصدر: راكب.

فقال المنافقون: قُتِلَ عليّ بن أبي طالب.

ثم انكشفت العجاجة ونظروا، فإذا أمير المؤمنين صلوات الله عليه على صدره قد أخذ بليحيته يريد أن يذبحه، فذبحه. ثم أخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله ﷺ والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو. وسيفه يقطر منه الدم. وهو يقول والرأس بيده:

أنا [عليّ و]^(١) ابن عبدالمطلب الموت خير للفتى من الهرب
فقال رسول الله ﷺ: يا عليّ، ماكرته؟

قال: نعم، يا رسول الله، الحرب خديعة.

وبعث رسول الله ﷺ الزبير إلى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته. وأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب. فلمّا برز إليه [ضرار]^(٢) انتزع له عمر سهماً. فقال له ضرار: ويلك، يا ابن صهاك، أترميني في المباراة؟^(٣) والله لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلا قتلته. فانهزم عند ذلك^(٤) عمر. ومزّ نحوه ضرار وضربه ضرار على رأسه بالقناة ثم قال: احفظها، يا عمر، فإنّي آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه. فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي، فولّاه.

فبقي رسول الله ﷺ يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً.

فقال أبو سفيان لحبيّ بن أخطب: ويلك يا يهودي، أين قومك؟

فصار حبيّ بن أخطب إليهم، فقال: ويلكم اخرجوا، فقد نابذكم^(٥) محمّد الحرب،

فلا أنتم مع محمّد ﷺ ولا أنتم مع قريش.

فقال كعب: لسنا خارجين حتّى تعطينا قريش عشرة من أشرفهم رهنًا يكونون في

حصننا. إنهم إن يظفر محمّد ﷺ لم يرجعوا^(٦) حتّى يردّ محمّد علينا عهدنا [وعدتنا]^(٧) فإنّا لا نأمن أن تفرّ^(٨) قريش ونبقى نحن في عقر دارنا ويغزوننا محمّد ﷺ

٣. مبارزة.

١ و٢. من المصدر.

٥. المصدر: نابذتم.

٤. المصدر: «عنه» بدل «عندلك».

٧. من المصدر.

٦. المصدر: لم يبرحوا.

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أن تمرّ.

فيقتل رجالنا ويسبي نساءنا وذرائنا. وإن لم نخرج لعلّه يردّ علينا عهدنا.

فقال له حيّ بن أخطب: تطمع في غير مطعم قد نابذت العرب محمداً الحرب، فلا أنتم مع محمد ﷺ ولا أنتم مع قريش.

فقال كعب: هذا من شأملك، إنما أنت طائر تطير مع قريش غداً وتتركنا في عقر دارنا ويغزونا محمد ﷺ.

فقال له: لك عهد الله عليّ وعهد موسى، إنه إن لم تظفر قريش بمحمد أني أرجع معك إلى حصنك يصيبني ما يصيبك.

فقال كعب: هو الذي قد قلته لك، إن أعطتنا قريش رهناً يكونون عندنا وإلا لم نخرج.

فرجع حيّ بن أخطب إلى قريش، فأخبرهم. فلما قال: يسألون الرهن، قال أبو سفيان: هذا والله، أول الغدر. قد صدق نعيم بن مسعود. لا حاجة لنا في إخوان القردة والخنازير.

فلما طال على أصحاب رسول الله ﷺ الأمر واشتدّ عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلم المنافقون بما حكى الله ﷻ عنهم ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا نافع إلا القليل، وقد كان رسول الله ﷺ أخبر أصحابه، أن العرب تتحزّب عليّ ويجيئوننا^(١) من فوق وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وأنه يصيبهم جهد شديد ولكن تكون العاقبة لي عليهم، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون: «ما وعدنا الله ورسوله ألا غروراً».

وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة، فقالوا: يا رسول الله، تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا، فإنها في أطراف المدينة وهي عورة ونخاف اليهود أن يغيروا علينا؟

وقال قوم: هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب. فإن الذي كان يعدنا محمد ﷺ كان باطلاً كله.

١. المصدر: «أن العرب متحزّب ويجيئون» بدل «أن العرب تتحزّب عليّ ويجيئوننا».

[وكان رسول الله ﷺ] ^(١) أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل . وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه على العسكر كله بالليل يحرسهم ، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم . وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يجوز الخندق ويصير قرب قريش حيث يراهم . فلا يزال الليل كله قائماً وحده يصلي ، فإذا أصبح رجع إلى مركزه . ومسجد أمير المؤمنين صلوات الله عليه هناك معروف ، يأتيه من يعرفه فيصلّي فيه ، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشاب ^(٢) .

فلما رأى رسول الله ﷺ من أصحابه الجزع لطول الحصار ، صعد إلى مسجد الفتح - وهو الجبل الذي عليه مسجد الفتح اليوم - فدعا الله ﷻ وناجاه فيما وعده . وكان ممّا دعاه أن قال : يا صريخ المكروبين ، يا مجيب دعوة ^(٣) المضطّرين ، ويا كاشف الكرب العظيم ، أنت مولاي وولّي ووليّ آبائي الأولين ، اكشف عنا غمّنا وهمّنا وكربنا ، واكشف عنا [شرّ] ^(٤) هؤلاء القوم بقوّتك وحولك وقدرتك .

فنزل عليه جبرائيل عليه السلام فقال : يا محمّد ، إنّ الله ﷻ قد سمع مقالتك ، وأجاب دعوتك ، وأمر الدبور - وهي الريح - مع الملائكة أن تهزم قريشاً والأحزاب . وبعث الله ﷻ على قريش الدبور ، فانهزموا وقلعت أخبيتهم . ونزل جبرائيل ، فأخبره بذلك .

فنادى رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان عليه السلام وكان قريباً منه ، فلم يجبه ^(٥) ثم ناداه ثانياً ، فلم يجبه ^(٦) . ثم ناداه الثالثة ، فقال : لبيك ، يا رسول الله . فقال : أدعوك ، فلا تجيبني .

قال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، من الخوف والبرد والجوع .

١ . من المصدر . ٢ . المصدر : نشابة .

٣ . ليس في المصدر . ٤ . من ن والمصدر .

٥ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : فلم يجبه . ٦ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : فلم يجبه .

فقال: ادخل في القوم انتني^(١) بأخبارهم، ولا تحدثن حدثاً حتى ترجع إليّ. فإن الله قد أخبرني أنه قد أرسل الرياح على قريش وهزمهم.

قال حذيفة: فمضيت وأنا أنتفض من البرد، فوالله ما كان إلا بقدر ما جرت الخندق حتى كأني في حمام. فقصدت خباء عظيمًا فإذا نار تخبو وتوقد، وإذا خيمة فيها أبوسفيان قد دلا خصيته على النار، وهو ينتفض من شدة البرد، ويقول:

يا معشر قريش، إن كنّا نقاتل أهل السماء بزعم محمد [ﷺ] فلا طاقة لنا بأهل السماء، وإن كنّا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم. ثم قال: لينظر كل رجل منكم إلى جليسه، لا يكون لمحمد عين فيما بيننا.

قال حذيفة: فبادرت أنا فقلت للذي عن يميني: من أنت؟

فقال: أنا عمرو بن العاص.

ثم قلت للذي عن يساري: من أنت؟

فقال: أنا معاوية.

وإنما بادرت إلى ذلك لئلا يسألني أحد: من أنت؟ ثم ركب أبوسفيان راحلته وهي معقولة. ولولا أن رسول الله ﷺ قال: لا تحدث حدثاً حتى ترجع إليّ، لقدرت أن أقتله.

ثم قال أبوسفيان لخالد بن الوليد: يا أبا سليمان، لا بدّ من أن أقيم أنا وأنت على ضعفاء الناس. ثم قال: ارتحلوا إنا مرتحلون. ففرّوا منهزمين.

فلما أصبح رسول الله ﷺ قال لأصحابه: لا تبرحوا. فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة وبقي رسول الله ﷺ في نفر يسير.

وكان ابن عرفة^(٢) الكنانيّ رمى سعد بن معاذ ﷺ بسهم في الخندق فقطع أكحله، فنزفه الدم. فقبض سعد على أكحله بيده، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فلا أحد أحب إليّ من محاربتهم من قوم حاربوا^(٣) الله ورسوله.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: آتنا. ٢. المصدر: ابن فرقد.

٣. المصدر: حادوا.

وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله ﷺ وبين قريش فاجعلها لي شهادة ولا تمنني حتى تقر عيني من بني قريظة. فأمسك الدم، وتورمت يده.

وضرب له رسول الله ﷺ في المسجد خيمة، وكان يتعاهده بنفسه. فأنزل الله ﷻ: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها، وكان الله بما تعملون بصيراً. إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم» يعني: بني قريظة حين غدروا وخافوهم أصحاب رسول الله ﷺ «وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر» إلى قوله: «ان يريدون إلا فراراً» وهم الذين قالوا لرسول الله: تأذن لنا نرجع إلى منازلنا، فإنها في أطراف المدينة ونخاف اليهود عليها. فأنزل الله ﷻ فيهم: «أن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً» إلى قوله تعالى: «وكان ذلك على الله يسيراً» ونزلت هذه الآية في الثاني لما قال لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً ﷺ إلى قريش ونلحق نحن بقومنا.

﴿هَٰذَا لِكِ ابْتِلَٰئِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: اختبروا. فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل.

﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (١١) من شدة الفزع.

وقرئ: «زلزالاً» بالفتح (١).

وفي كتاب الاحتجاج (٢) للطبرسي رحمه الله: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: أما إنه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً والباطل ظاهراً مشهوراً. وذلك إذا كان أولى الناس به أعداهم له، واقترب الوعد الحق، وعظم الإلحاد، وظهر الفساد «هناك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً» ونحلهم الأخيار أسماء الأشرار. فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه. ثم يفتح (٣) الله الفرج لأوليائه، ويظهر صاحب الأمر على أعدائه.

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد.

﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: من ظفر وإعلاء الدين.

﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٧): وعداً باطلاً.

وقيل (١): قاله محتب بن قشير. قال: يعدنا محمد فتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً، ما هذا إلا وعد غرور (٢).

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾: يعني: أوس بن قيطي وأتباعه.

وقيل (٣): عبدالله بن أبي وأصحابه.

وقيل (٤): هم بنو سالم من المنافقين.

﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾: أهل المدينة.

ذكر السيد المرتضى قدس الله روحه (٥): أن من أسماء المدينة يثرب وطيبة وطابة والدار والسكينة وجائزة والمحورة والمحبوبة والمحبة والعذراء والمرحومة والقاصمة وتبدد، فذلك ثلاثة عشر اسماً.

وقيل (٦): هو اسم أرض وقعت المدينة في ناحية منها.

﴿لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾: لا موضع قيام لكم هاهنا.

وقرأ حفص بالضم، على أنه مكان. أو مصدر، من أقام (٧).

﴿فَارْجِعُوا﴾: إلى منازلكم هاربين.

وقيل (٨): المعنى: لا مقام لكم على دين محمد، فارجعوا إلى الشرك وأسلموه لتسلموا. أو لا مقام لكم بيثرب، فارجعوا كفاراً ليمكنكم المقام بها.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ النَّبِيَّ﴾: للرجوع.

١. أنوار التنزيل ٢/٢٤٠-٢٤١.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «غروراً» بدل «وعد غرور».

٣. مجمع البيان ٤/٣٤٧. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر ٤/٣٤٦. ٦-٨. أنوار التنزيل ٢/٢٤١.

﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾: غير حصينة. وأصلها الخلل. ويجوز أن يكون تخفيف العورة، من عورت الدار: إذا اختلّت. وقد قرئت بها^(١).

﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾: بل هي حصينة.

﴿ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾^(٢): أي ما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال.

وفي مجمع البيان^(٣): «يقولون أن بيوتنا عورة وما هي بعورة» بل هي ربيعة السمك حصينة. عن الصادق عليه السلام.

وفي تفسير العياشي^(٤): عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله^(٥): «رضوا بأن يكونوا مع الخوالف».

قال: مع النساء. إنهم قالوا: «إن بيوتنا عورة» وكانت بيوتهم في أطراف البيوت حيث ينفرد الناس، فأكذبهم. قال: «وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً» وهي ربيعة السمك حصينة.

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ ﴾: دُخِلَتْ المدينة، أو بيوتهم.

﴿ مِنْ أَقْطَارِهَا ﴾: من جوانبها. وحذف الفاعل، إيماء بأن دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه.

﴿ ثُمَّ سُنِّلُوا الْفِتْنَةَ ﴾: الردة ومقاتلة المسلمين.

﴿ لَا تَنْوَاهَا ﴾: لأعطوها.

وقرأ الحجازيان، بالقصر، بمعنى: جاؤوها وفعلوها^(٦).

﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا ﴾: بالفتنة، أي بإعطائها.

﴿ إِلَّا يَسِيرًا ﴾^(٧) ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلَوْنَ الْإَدْبَارَ ﴾: قيل^(٨): يعني

١. تفسير العياشي ٣٧/٢. ٢. مجمع البيان ٣٤٧/٤.

٣. تفسير العياشي ١٠٣/٢، ح ٩٧. ٤. التوبة ٨٧.

٥. أنوار التنزيل ٢٤١/٢. وفيه: بمعنى لجئوها وفعلوها.

٦. نفس المصدر والموضع.

بني حارثة، عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشلوا، ثم تابوا أن لا يعودوا المثل.
﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (٧): عن الوفاء به، مجازي عليه.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾: فإنه لا بد لكل شخص من
حتف أنف أو قتل في وقت معين، سبق القضاء وجري عليه القلم.

﴿وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٦): أي وإن نفعكم الفرار مثلاً فمُتَّعْتُم بالتأخير، لم يكن
ذلك التمتع إلا تمتعاً أو زماناً قليلاً.

﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾: أي يصيكم
بسوء إن أراد بكم رحمة. فاختصر الكلام كما في قوله:

متقلداً سيفاً ورمحاً^(١)

أو حمل الثاني على الأول، لما في العصمة من معنى: المنع.

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا﴾: ينفعهم.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ (١٧): يدفع الضر عنهم.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾: المثبطين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون.

﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾: من ساكني المدينة.

﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: قربوا أنفسكم إلينا.

﴿وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨): إلا إتياناً، أو زماناً، أو بأساً قليلاً. فإنهم يعتذرون

ويثبٹون ما أمكن لهم. أو يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون إلا قليلاً، كقوله: «ما
قاتلوا إلا قليلاً».

وقيل^(٢): إنه من تنمة كلامهم. ومعناه: لا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب

ولا يقاومونهم إلا قليلاً.

وفي نهج البلاغة^(٣): من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً: ثم ذكرت ما كان من أمري

وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينما كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله، أمن بذل له نصرته فاستنقذه^(١) واستكفه^(٢)، أم من استنصره فتراخى عنه وبث المنون^(٣) إليه حتى أتى قدرة عليه؟ كلا والله «قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً».

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾: بخلاء بالمعاونة، أو النفقة في سبيل الله، أو الظفر والغنيمة. جمع صحيح.

ونصبها على الحال من فاعل «يأتون» أو «المعوقين» أو على الذم.
﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾: في أحداقهم
﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ﴾: كنظر المغشى عليه، أو كدوران عينيه، أو مشبهين به، أو مشبهة بعينه.

﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾: من معالجة سكرات الموت، خوفاً ولو اذأ بك.
﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾: وحيزت الغنائم.
﴿سَلَفَوْكُمْ﴾: ضربوكم.
﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾: ذرية. يطلبون الغنيمة.
والسلق: البسط بقهر، باليد أو باللسان.
﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾: نُصب على الحال، أو الذم. ويؤيده قراءة الرفع. وليس بتكرير، لأن كلاً منهما مقيد من وجه^(٤).

﴿أَوَّلِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾: إخلاصاً.
﴿فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: فأظهر بطلانها، إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل. أو أبطل تصنعهم ونفاقهم.
﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾: الإحباط.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: واستكفه.

١. المصدر: فاستنقذه.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: المؤمنون. ٤. أنوار التنزيل ٢/٢٤٢.

﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(١) : هَيْئًا. لتعلق الإرادة به، وعدم ما يمنعه عنه.

﴿يَحْشِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ : أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا، وقد انهزموا ففروا إلى داخل المدينة.

﴿وَأَنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ : كَرَّةٌ ثانية.

﴿يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْنَ فِي الْأَغْرَابِ﴾ : لهم. أو خارجون^(٢) إلى البدو وحاصلون بين الأعراب.

﴿يَسْأَلُونَ﴾ : كل قادم من جانب المدينة.

﴿عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ : عما جرى عليكم.

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ : هذه الكَرَّةُ، ولم يرجعوا إلى المدينة، وكان قتال.

﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٣) : رياء وخوفاً عن التعبير.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ : خصلة حسنة، من حقها أن يؤتسى بها، كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد. أو هو في نفسه قدوة يحسنه التأسي به؛ كقولك في البيضة عشرون مثلاً حديداً، أي هو في نفسها هذا القدر من الحديد.

وقرأ عاصم بضم الهمزة. وهو لغة فيه^(٤).

﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ : [ثواب الله، أو لقاءه ونعيم الآخرة، أو أيام الله واليوم الآخر]^(٥) خصوصاً.

وقيل^(٦) : هو كقولك : أرجو زيداً وفضله. فإن يوم الآخر فيها.

و«الرجاء» يحتمل الأمل والخوف.

و«لمن كان» صلة «الحسنة» أو صفة لها. وقيل : بدل من «لكم» والأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه.

١. في أنوار التنزيل ٢٤٢/٢ وتفسير الصافي ١٧٠/٤ : «تَمَنَّوْا أَنَّهُمْ خَارِجُونَ» بدل «لهم أو خارجون» .

٢. من ن .

٣. أنوار التنزيل ٢٤٢/٢ .

٤. نفس المصدر والموضع .

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه: ولأن الصبر على ولاية الأمر مفروض لقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: «فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل» وإيجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

وفيه^(٢) أيضاً: عن أمير المؤمنين عليه السلام كلام طويل. وفيه: وأما قولكم «انني جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت عندكم أحكم الناس» فهذا رسول الله ﷺ قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة، وكان أحكم الناس. وقد قال الله: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» فتأسيّت برسول الله ﷺ.

وفي مجمع البيان^(٣): قال ثعلبة بن حاطب، وكان رجلاً من الأنصار، للنبي ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً.

فقال: يا ثعلبة، قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه، في رسول الله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده، لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضّة لسارت.

وفي أصول الكافي^(٤): أحمد بن مهران رفعه. وأحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار الشيباني [قال: حدّثني القاسم بن محمد الرازي]^(٥) قال: حدّثني علي بن محمد الهرمزي^(٦)، عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قال: لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين عليه السلام سرّاً وعفا على موضع قبرها. ثم قام فحوّل وجهه نحو قبر رسول الله ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائنة في الثرى يبقعتك والمختار لها سرعة اللحاق بك. قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وعفا عند سيدة نساء العالمين تجلّدي، إلّا أنّ لي في التأسي بسنتك في فرقتك موضع تعزّز. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

١. الاحتجاج ٣٧١/١.
٢. نفس المصدر ٢٧٨/١.
٣. مجمع البيان ٥٣/٣.
٤. الكافي ٤٥٨/١-٤٥٩، صدر حديث ٣.
٥. من المصدر.
٦. المصدر: الهرمزي.

وفي الكافي^(١): محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نام رسول الله ﷺ عن الصبح، والله سبحانه أنامه، حتى طلعت^(٢) الشمس عليه، وكان ذلك رحمة من ربك للناس. ألا ترى لو أن رجلاً نام حتى تطلع الشمس لغيره الناس، وقالوا: ألا تتورع لصلاتك؟ فصارت أسوة وسنة^(٣). فإن قال رجل لرجل: نمت عن الصلاة. قال: قد نام رسول الله ﷺ. فصارت أسوة ورحمة رحم الله سبحانه بها هذه الأمة.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(٤)، [عن علي بن النعمان]^(٥) عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: صلى رسول الله ﷺ ثم سلم في ركعتين [فسأله من خلفه: يا رسول الله، أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذلك؟

قالوا: إنما صليت ركعتين]^(٦).

فقال: أكذاك يا ذا اليمين؟ وكان يدعى ذا الشمالين. فقال: نعم.

فبنى على صلاته، فأتى الصلاة أربعاً.

وقال: إن الله هو أنساه^(٧) رحمة للأمة. ألا ترى لو أن رجلاً صنع هذا الغيّر، وقيل: ما تقبل صلاتك؟ فمن دخل عليه النوم ذاك قال: قد سن رسول الله ﷺ وصارت أسوة. وسجد سجدين مكان الكلام.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٨)، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ كان إذا صلى العشاء الآخرة، أمر بوضوئه وسواكه

١. نفس المصدر ٢٩٤/٣، ح ٩. ٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تطلع.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أسوة حسنة. ٤. نفس المصدر ٣٥٧/٣، ح ٦.

٥ و ٦. من المصدر. ٧. المصدر: هو الذي أنساه.

٨. نفس المصدر ٤٤٥/٣، صدر حديث ١٣.

يوضع عند رأسه مخمراً^(١). فيرقد ما شاء الله، ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلي أربع ركعات ثم يرقد. حتى إذا كان في وجه الصبح قام فأوتر ثم صلى الركعتين ثم قال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾^(٢) وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة. فإنَّ المؤتسي بالرسول من كان كذلك.

وفي كتاب الخصال^(٣): عن عبيد بن عمير الليثي^(٤)، عن أبي ذر^(٥) قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد، إلى أن قال ﷺ: عليك بتلاوة كتاب الله وذكر الله كثيراً، فإنه ذكر لك في السماء ونور [لك]^(٦) في الأرض.

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: بقوله^(٧): «ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم» الآية.

وقوله ﷺ: إنهم سائرون إليكم بعد تسع أو عشر^(٨).
﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾: وظهر صدق خبر الله ورسوله. أو صدقا في النصره والثواب؛ كما صدقا في البلاء. وإظهار الاسم للتعظيم.

﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾: فيه. ضمير «لما رأوا» أو الخطب، أو البلاء.

﴿إِلَّا إِيْمَانًا﴾: بالله ومواعيده.

﴿وَتَسْلِيمًا﴾^(٩): لأوامره ومقاديره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): ثم وصف الله ﷻ المؤمنين، [أي]^(٩) المصدقين بما أخبرهم رسول الله ﷺ ما يصيبهم في الخندق من الجهد. فقال جل ذكره: «ولمَّا رأى

-
١. خمر الشيء: ستره.
 ٢. الخصال / ٥٢٣ و ٥٢٥-٥٢٦، ضمن حديث ١٣.
 ٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: عتبة بن عمير الليثي. انظر تنقيح المقال ٢/ ٢٣٧، رقم ٧٦٣٠.
 ٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أبي ذروة.
 ٥. من المصدر.
 ٦. البقرة / ٢١٤.
 ٧. أنوار التنزيل ٢/ ٢٤٢.
 ٨. تفسير القمي ١٨٨/٢.
 ٩. ليس في المصدر.

المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله [وصدق الله ورسوله]^(١) وما زادهم إلا إيماناً [وتسليماً]^(٢) يعني: ذلك البلاء والجهد^(٣) والخوف.

وفي الكافي^(٤): حميد، عن^(٥) ابن سماعة، عن عبدالله بن جبلة، عن [عبدالله بن]^(٦) محمد بن مسعود الطائي، عن عتبة^(٧) بن مصعب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من استقبل جنازة أو رآها فقال: «الله اكبر، هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، اللهم زدنا إيماناً وتسليماً، الحمد لله الذي تعزز^(٨) بالقدرة وقهر العباد بالموت» لم يبق في السماء ملك إلا بكى رحمة لصوته.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾: من الثبات مع الرسول ﷺ والمقاتلة لأعداء الدين. من صدقتي: إذا قال لك الصدق. فإن المعاهد إذا وفى بعهد، فقد صدق.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾: نذره. بأن قاتل حتى استشهد؛ كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر.

و«النحب»: النذر. استعير للموت، لأنه لازم في رقبة كل حيوان.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾: الشهادة.

﴿وَمَا يَدُلُّوهُ﴾: بعهد ولا غيره.

﴿يَتَبَدَّلُ﴾^(٩): شيئاً من التبديل.

وفي روضة الكافي^(٩): عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن سليمان،

١ و ٢. ليس في المصدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «بذلك الجهد» بدل «ذلك البلاء والجهد».

٤. الكافي ١٦٧/٣، ح ٣. ٥. ليس في ن.

٦. من الأصل.

٧. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: عتبة. انظر تنقيح المقال ٣٥٣/٢، رقم ٩٢٠٥.

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تعزّزنا.

٩. نفس المصدر ٣٤٤/٨، ٣٥، ضمن حديث ٦ وأوله في ص ٣٣.

عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لأبي بصير: يا أبا محمد، لقد ذكركم الله في كتابه. فقال: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً». إنكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وإنكم لم تبدلوا بنا غيرنا. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد ^(١)، جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، من أحبّك ثمّ مات، فقد قضى نحبه. ومن أحبّك ولم يمّت، فهو ينتظر. وما طلعت شمس ولا غربت إلّا طلعت عليه لرزق وإيمان. وفي نسخة: نور.

وفي كتاب الخصال ^(٢): عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: لقد كنت عاهدت الله تعالى ورسوله أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر وابن عمّي عبدة على أمر وفينا به الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله. فتقدّمني أصحابي وتخلّفت بعدهم ^(٣)، لما أراد الله تعالى أنزل الله فينا «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً». [حمزة وجعفر وعبدة. وأنا والله المنتظر، يا أخا اليهود، وما بدلت تبديلاً] ^(٤).

عن الأعمش ^(٥)، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: هذه شرائع الدين، إلى أن قال عليه السلام: والولاية للمؤمنين الذين لم يغيروا ولم يبدلوا بعد نبيهم واجبة: مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذرّ الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمّار بن ياسر، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان ^(٦)، (وأبي الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبي

١. نفس المصدر ٣٠٦٨، ح ٤٧٥.

٢. الخصال ٣٧٧، ضمن حديث ٥٨ وأوله في ص ٣٦٤.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: بمهدهم. ٤. ليس في ن.

٥. نفس المصدر ٦٠٧-٦٠٨، ضمن حديث ٩. وأوله في ص ٦٠٣.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: حذيفة بن الصامت.

أَيُّوبُ الْأَنْصَارِيِّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّامِتِ^(١) وَعِبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَخَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، وَمَنْ نَحْنُ نَحْوَهُمْ وَفَعَلَ مِثْلَ فَعَلِهِمْ. وَالْوَلَايَةُ لِأَتْبَاعِهِمْ وَالْمُقْتَدِينَ^(٢) بِهِمْ وَبِهِدَاهُمْ وَاجِبَةٌ.

وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ^(٣)، فِي بَابِ مَا كَتَبَهُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمَأْمُونِ مِنْ مُحَضِّزِ الْإِسْلَامِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ: وَالْوَلَايَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالَّذِينَ مَضَوْا عَلَى مَنَاجِئِهِمْ وَلَمْ يَغْيُرُوا وَلَمْ يَبْدُلُوا؛ مِثْلُ: سَلَمَانَ الْفَارَسِيِّ، وَأَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ. وَذَكَرَ نَحْوَ مَا نَقَلْنَا عَنْ الْخِصَالِ بِتَغْيِيرِ يَسِيرٍ.

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ^(٤): وَرَوَى [الْحَاكِمُ]^(٥) أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِيُّ [بِالْإِسْنَادِ]^(٦) عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ «رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» وَأَنَا وَاللَّهُ الْمُنْتَظَرُ، وَمَا بَدَّلَتْ تَبْدِيلًا.

وَفِي كِتَابِ سَعْدِ السَّعُودِ^(٧)، لِابْنِ طَاوُسٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَصَّلَ فِيمَا نَذَرَهُ مِنْ مَجْلَدٍ قَالَبَ الثَّمَنِ عَتِيقَ، عَلَيْهِ مَكْتُوبٌ: الْأَوَّلُ مِنْ تَفْسِيرِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ رَوَايَةُ أَبِي الْجَارُودِ عَنْهُ^(٨).

وَقَالَ بَعْدَ هَذَا^(٩): فَصَّلَ فِيمَا نَذَرَهُ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ تَفْسِيرِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَجْهَةٍ ثَانِيَةٍ مِنْ ثَانِيِ سَطْرِ بَلْفُظِهِ^(١٠): وَأَمَّا قَوْلُهُ^(١١): «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ». يَقُولُ: كُونُوا مَعَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى]: «مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى

١. من المصدر.

٢. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: المتقدمين.

٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٢٦/٢، ح ١. ٤. مجمع البيان ٣٥٠/٤.

٥ و ٦. من المصدر. ٧. سعد السعود ١٢١/١.

٨. المصدر: «من الوجهة الأولى من القائمة الثامنة بلفظ ما نذكره منه» بدل «رواية أبي الجارود عنه».

٩. نفس المصدر ١٢٢/١. ١٠. ليس في المصدر.

١١. التوبة ١١٩/١. ١٢. من المصدر.

نحبه»^(١) وهو حمزة بن عبدالمطلب «ومنهم من ينتظر» هو علي بن أبي طالب. يقول الله: «وما بدلوا تبديلاً». وقال الله تعالى: «اتقوا الله وكونوا مع الصادقين». وهم هاهنا آل محمد.

وفي إرشاد المفيد^(٢)، في مقتل الحسين عليه السلام: إن الحسين عليه السلام مشى إلى مسلم بن عوسجة لما صُرع فإذا هو به رمق، فقال: رحمك الله يا مسلم «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

وفي مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف^(٣): إن الحسين عليه السلام لما أخبر بقتل رسوله عبدالله بن يقطر، تغرغرت عينه بالدموع وفاضت على خديه ثم قال: «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

وفي كتاب المناقب^(٤)، لابن شهر آشوب: إن أصحاب الحسين عليه السلام بكربلاء كانوا^(٥) كل من أراد الخروج ودع الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله. فيجيبه: وعليك السلام ونحن خلفك، ويقرأ: «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر».

وفي أصول الكافي^(٦): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن نصير بن أبي الحكم الخثعمي^(٧)، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: المؤمن مؤمنان: فمؤمن صدق بعهد الله جل وعزّ ووفى بشرطه، وذلك قوله ﷺ: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» فذلك الذي لا تصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة، وذلك ممن يشفع ولا يشفع له.

١. هنا في المصدر زيادة ولاداعي بها. لأنه مأتي بعد. وهي: ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً.

٢. إرشاد المفيد / ٢٣٧.

٣. كذا عنه في تفسير نور الثقلين ٢٥٩/٤ - ٢٦٠، ح ٥٦. ولم نثر عليه هكذا في المقتل. لكن الموجود فيه في ص ٧١-٧٢ هو أن الحسين عليه السلام تغرغرت عيناه وقال ذلك عند ما بلغه مقتل قيس بن مسهر الصيداوي.

٤. مناقب آل أبي طالب ١٠٠/٤. ٥. ليس في المصدر. وفيه: «وكان» بدلاً منه.

٦. الكافي ٢٤٨/٢، ح ١. ٧. المصدر: نصير أبي الحكم الخثعمي.

[ومؤمن كخامة الزرع تعوج أحياناً وتقوم أحياناً، فذلك ممّن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة، وذلك ممّن يشفع له ولا يشفع.

عدة^(١) من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(٢)، عن محمد بن عبدالله، عن خالد القمي^(٣)، عن خضر بن عمرو، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: المؤمن مؤمنان. مؤمن وفى لله جلّ وعزّ بشروطه التي اشترطها^(٤) عليه، فذلك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وذلك ممّن يشفع ولا يشفع له، وذلك ممّن لاتصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة.

ومؤمن زلّت به قدم، فذلك كخامة الزرع كيف ما كفاته^(٥) الريح انكفاً^(٦)، وذلك ممن تصيبه أهوال الدنيا وأهوال الآخرة^(٧)، ويشفع له، وهو على خير.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٨): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن محمد بن زكريّا، عن أحمد بن محمد بن يزيد، عن سهل بن عامر البجلي، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي إسحاق، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام^(٩)، عن محمد بن الحنفية عليه السلام، قال عليّ صلوات الله عليه: كنت عاهدت الله ﷻ ورسول الله ﷺ أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر و[بن] عمّي عبيدة بن الحارث على أمر وفيّنا به الله ولرسوله، فتقدّمني أصحابي وخلفت بعدهم لما أراد ﷻ أنزل الله سبحانه فينا «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه» حمزة وجعفر وعبيدة «ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً». [فأنا المنتظر وما بدلت تبديلاً]^(١٠).

وقال أيضاً^(١١): حدّثنا عليّ بن عبدالله بن أسد^(١٢)، عن إبراهيم بن محمد الثقفى، عن

١. ليس في أ.

٢. نفس المصدر والموضع، ح ٢.

٣. المصدر: خالد العمي.

٤. المصدر: شرطها.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: كنفه.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يكفا.

٨. تأويل الآيات الباهرة، ٤٤٩/٢.

٧. ليس في المصدر.

٩. من المصدر.

٩. المصدر: عن أبي عبدالله عليه السلام.

١٠. من المصدر.

١١. نفس المصدر والموضع.

١٢. المصدر: راشد.

يحيى بن صالح، عن مالك بن خالد الأسدي، عن الحسن بن إبراهيم، عن جدّه عبد الله بن الحسن، عن آبائه عليهم السلام قال: «عاهدوا الله» عليّ بن أبي طالب وحمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن أبي طالب أن لا يفرّوا في زحف أبداً فتمّوا كلّهم، فأنزل الله تعالى فينا «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه» حمزة استشهد يوم أحد، وجعفر استشهد يوم مؤتة «ومنهم من ينتظر» يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام «وما بدّلوا تبديلاً» يعني الذي عاهدوا عليه.

﴿لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾: تعليل للمنطوق والمعرّض به. فكان المنافقين قُصدوا بالتبديل عاقبة السوء؛ كما قُصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى. والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم، والمراد به التوفيق للتوبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (١١) ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: يعني: الأحزاب.

﴿بَغِظْتُمْ﴾: متغيظين.

﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾: غير ظافرين. وهما حالان، بتداخل أو تعاقب.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾: بالريح والملائكة.

﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً﴾: على إحداث ما يريد.

﴿عَزِيزاً﴾ (١٢) : غالباً على كلّ شيء.

وفي مجمع البيان^(١): «وكفى الله المؤمنين القتال» قيل: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام وقتله عمرو بن عبدود، وكان ذلك سبب هزيمة القوم، عن عبدالله بن مسعود، وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام.

﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾: ظاهروا الأحزاب.

﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: يعني: قريظة.

﴿ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾: من حصونهم. جمع صيصية. وهي ما يتحصن به. ولذلك يقال لقرن الثور^(١) والطبي وشوكة الديك.

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾: الخوف.

وقرئ بالضم^(٢).

﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾^(٣): وقرئ بضم السين^(٤).

﴿ وَأَوْثَرْتُمْ أَرْضَهُمْ ﴾: مزارعهم.

﴿ وَدَيَّارَهُمْ ﴾: حصونهم.

﴿ وَأَمْوَالَهُمْ ﴾: نقودهم وأثاثهم.

روي: أنه ﷺ جعل عقارهم للمهاجرين، فتكلم فيه الأنصار.

فقال: إنكم في منازلكم.

وقال عمر: أما تخمس كما خمست يوم بدر؟

فقال: لا، إنما جعلت هذه لي طعمة^(٥).

﴿ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا ﴾: كفارس والروم.

وقيل^(٥): خيبر. وقيل: كل أرض تفتح إلى يوم القيامة.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾^(٦): فيقدر على ذلك.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): ونزل في بني قريظة «وانزل»^(٧) الذين ظاهروهم من

أهل الكتاب من صياصيههم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً.

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على شيء قديراً.

فلما دخل رسول الله ﷺ المدينة واللواء معقوداً، أراد أن يغتسل من الغبار. فناداه

١. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: البقور. ٢-٥. أنوار التنزيل ٢/٢٤٣.

٦. تفسير القمي ١٨٩/٢-١٩٢.

٧. المصدر: وأنزل الله.

جبرائيل عليه السلام : عذيرك^(١) من محارب الله . والله ما وضعت الملائكة لامتها ، فكيف تضع لامتك ؟ إن الله يحبك يأمرك أن لا تصلّي العصر ، إلّا ببني قريظة . فإني متقدّمك ومزّلزل بهم حصنهم . إنّنا كنّا في آثار القوم نزجرهم زجرأ ، حتّى بلغوا حمراء الاسد .

فخرج رسول الله ﷺ فاستقبله حارثة بن النعمان .

فقال له : ما الخبر ، يا حارثة ؟

فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هذا دحية الكلبيّ ينادي في الناس : ألا لا يصلّيّن العصر أحد إلّا في بني قريظة .

فقال ﷺ : ذاك جبرائيل عليه السلام ادعوا عليّ . فجاء أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال : ناد في الناس : لا يصلّيّن أحد العصر إلّا ببني قريظة^(٢) .

فجاء أمير المؤمنين صلوات الله عليه فنادى فيهم ، فخرج الناس فبادروا إلى بني قريظة . وخرج رسول الله وأmir المؤمنين صلوات الله عليهما بين يديه مع الراية العظمى .

وكان حيّ بن أخطب لما انهزمت قريش ، جاء فدخل حصن بني قريظة . فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وأحاط بحصنهم . فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله ﷺ . فأقبل رسول الله ﷺ على حمار ، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لاتدن من الحصن .

فقال رسول الله ﷺ : يا علي ، لعلهم شتموني . إنهم لو رأوني ، لأذلّهم الله . ثمّ دنى رسول الله ﷺ من حصنهم^(٣) .

فقال : يا إخوة القردة والخنازير وعبداء الطاغوت ، أتشتمونني ؟ إنّنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم .

١ . عذيرك من فلان ؛ أي هات من يعذرْك فيه . فعيل ؛ بمعنى : فاعل .

٢ . ن والمصدر : إلّا في بني قريظة .

٣ . ليس في أ .

فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن فقال: والله يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً. فاستحى رسول الله ﷺ حتى سقط الرداء من ظهره حياء مما قاله. وكان حول الحصن نخل كثير، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده فتباعد عنه وتفرق في المفازة. وأنزل رسول الله ﷺ العسكر حول حصنهم، فحاصروهم ثلاثة أيام فلم يطلع أحد منهم رأسه. فلما كان بعد ثلاثة أيام، نزل إليه غزال بن شمول. فقال: يا محمد، تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير؛ احقن دماءنا ونخلي لك البلاد وما فيها ولا نكتملك شيئاً.

فقال: لا، أو تنزلون على حكمي.

فرجع، وبقوا أياماً، فشكى^(١) النساء والصبيان إليهم وجزعوا جزعاً شديداً. فلما اشتد عليهم الحصار، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر [رسول الله ﷺ]^(٢) بالرجال فكتفوا، وكانوا سبعمائة، وأمر بالنساء فعزلن.

وقامت^(٣) الأوس إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، حلفاؤنا وموالينا من دون الناس، نصرونا على الخزرج في المواطن كلها، وقد وهبت لعبد الله بن أبي سبعمائة ذراع^(٤) وثلاثمائة حاسر في صبيحة^(٥) واحدة، ولسنا نحن بأقل من عبد الله بن أبي.

فلما أكثروا على رسول الله ﷺ قال لهم: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل^(٦) منكم؟

فقالوا: بلى، فمن هو؟

قال: سعد بن معاذ.

قالوا: قد رضينا بحكمه.

١. المصدر: فبكت. ٢. ليس في المصدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «فعلوا وأقامت» بدل «فعلزلن وقامت».

٤. كذا في النسخ والمصدر. وفي نور الثقلين ٤/٢٦٢، ح ٦٢: «دراع». والأظهر: دارع.

٥. المصدر: صيغة. ٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: رجال.

فأتوا به في محفة. واجتمعت الأوس حوله يقولون: يا أبا عمرو، اتق الله وأحسن في حلفائك ومواليك. فقد نصرونا ببغاث والحدائق والمواطن كلها.

فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا يأخذه في الله لومة لائم.

فقال الأوس: واقوماه، ذهبت - والله - بنو قريظة [آخر الدهور]^(١).

وبكت النساء والصبيان إلى سعد. فلما سكتوا، قال لهم سعد: يا معشر اليهود، أَرْضَيْتُمْ. بحكمي فيكم؟

قالوا: بلى قد رضينا بحكمك، وقد رجونا الله^(٢) نصفك ومعروفك وحسن نظرك. فعاد عليهم القول.

فقالوا: بلى يا أبا عمرو.

فالتفت إلى رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال: ما ترى، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال: احكم فيهم، ياسعد، فقد رضيت بحكمك فيهم.

فقال: حكمت، يا رسول الله، أن تُقْتَلَ رجالهم وتسبى نساؤهم وذرايهم وتُقسَم غنائمهم وأموالهم بين المهاجرين والأنصار.

فقام رسول الله ﷺ فقال: قد حكمت بحكم الله ﷻ من فوق سبع أرقعة.

ثم انفجر جرح^(٣) سعد بن معاذ، فما زال ينزفه الدم حتى قضى. وساقوا الأسارى إلى المدينة. فأمر رسول الله بأخود فحُفِرَت بالبقيع. فلما أمسى أمر بإخراج رجل فكان يضرب عنقه.

فقال حي بن أخطب لكعب بن أسيد: ما ترى يصنع محمد بهم؟

فقال له: ما يسوءك. أما ترى الداعي لا يقلع والذي يذهب لا يرجع. فعليكم بالصبر والثبات على دينكم.

فأخرج كعب بن أسيد مجموعة يديه إلى عنقه، وكان جميلاً وسيماً. فلما نظر إليه

٢. ليس في المصدر.

١. ليس في المصدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «فوق سبعة أرقعة ثم خرج» بدل «فوق سبع أرقعة ثم انفجر جرح».

رسول الله ﷺ قال له : يا كعب ، أما نفعلك وصية ابن الحوَّاس^(١) الحبر الزكي الذي قدم عليكم من الشام فقال : تركت الخمر والخمير وجئت إلى البؤس والتمور ، لنبي يبعث ، مخرجه بمكة ومهاجرته في هذه البحيرة ، يجتزئ بالكسيرات والتميرات ، ويركب الحمار العربي ، في عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عاتقه لا يبالي من لاقى منكم ، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر ؟

فقال : قد كان ذلك ، يا محمد ، ولو لا أن اليهود يعيرونني أنني جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك ، ولكنني على دين اليهود عليه أحيى وعليه أموت .
فقال رسول الله : قدّموه ، فاضربوا عنقه . فضرِب .

ثم قدّم حي بن أخطب . فقال له رسول الله ﷺ : يا فاسق ، كيف رأيت صنع الله بك ؟
والله يا محمد ، ما ألوم نفسي في عداواتك . ولقد قلقت كل مقلقل ، وجهدت كل الجهد قال : ولكن من يخذل الله يخذل . ثم قال حين قدّم للقتل :

لعمري مالم ابن اخطب نفسه ولكنه من يخذل الله يخذل

فقدّم وضرب عنقه . فقتلهم رسول الله ﷺ في البردين ؛ بالغداة والعشي في ثلاثة أيام . وكان يقول : اسقوهم العذب وأطعموهم الطيب وأحسنوا إلى أسراهم^(٢) . حتى قتلهم كلهم . فأنزل الله ﷻ على رسوله فيهم « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيصهم » أي من حصونهم « وقذف في قلوبهم الرعب » إلى قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء قديراً » .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ : السعة والتنعم فيها .

﴿ وَزِيَّتَهَا ﴾ : وزخارفها .

﴿ فَتَعَالَيْنِ أُمِيتَعَنَّ ﴾ : وأعطين المتعة .

﴿ وَأَسْرَحْنَ سَرَاحاً جَمِيعاً ﴾ (٣) : طلاقاً من غير ضرار وبدعة .

١. ن : ابن الخوَّاص وفي تفسير الصافي ١٨٤/٤ : ابن الحوَّاس .

٢. هكذا في المصدر . وفي النسخ : « وأحسنوا أسراهم » بدل « وأحسنوا إلى أسراهم » .

وقرئ: «أَمْتَعَكُنَّ» و«أَسْرَحَكُنَّ» بالرفع على الاستئناف^(١).

﴿وَأَنْ كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْضَ فَإِنَّ إِلَهَكُمْ لَكُنَّ أَعْدَاءٌ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أُولَئِكَ يَرْجُوْنَ الْعَذَابَ عَظِيمًا﴾ (٣٣) وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وأما قوله ﷺ: «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا» إلى قوله: «اجراً عظيماً». فإنه كان سبب نزولها، أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة خيبر وأصاب كنز آل أبي الحقيق، قلن أزواجه: أعطنا ما أصبت.

فقال لهن رسول الله ﷺ: قسمته بين المسلمين على ما أمر الله ﷻ. فغضب من ذلك، وقلن: لعلك ترى أنك إن طلقنا أن لانجد الأكفاء من قومنا يتزوجنا؟

فأنف الله ﷻ لرسوله، فأمره الله أن يعتزلهن. فاعتزلهن رسول الله ﷺ في مشربة أم إبراهيم تسعة وعشرين يوماً، حتى حضن وطهرن. ثم أنزل الله ﷻ هذه الآية، وهي آية التخيير، فقال: «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا» إلى قوله: «اجراً عظيماً».

فقامت أم سلمة، وهي أول من قامت فقالت: قد اخترت الله ورسوله. فقمن كلهن، فعانقنه وقلن مثل ذلك. فأنزل الله ﷻ «ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء». قال الصادق عليه السلام: من آوى، فقد نكح. ومن أرجى، فقد طلق. قوله ﷻ: «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنكم وأسرحنكم سراحاً جميلاً وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً». وقد أخرج عنها في التأليف.

وفي الكافي^(٣): حميد، عن^(٤) ابن سماعة، عن^(٥) ابن رباط، عن عيص بن القاسم،

٢. تفسير القمي ١٩٢/٢.

٤. ليس في م.

١. أنوار التنزيل ٢٤٤/٢.

٣. الكافي ١٣٧/٦، ح ٣.

٥. من المصدر.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن رجل خيّر امرأته فاختارت نفسها، بانت؟ قال: لا، إنّما هذا شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وآله خاصة، وأمر بذلك ففعل. ولو اخترن أنفسهن، لطلّقن. وهو قول الله تعالى: «قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرّحنّ سراحاً جميلاً».

حميد [بن زياد]^(١) عن ابن سماعة^(٢) عن محمد بن زياد وابن رباط، عن أبي أيوب الخزاز، [عن محمد بن مسلم]^(٣) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني سمعت أباك يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خيّر نساءه، فاخترن الله ورسوله فلم يمسكنّ على طلاق، ولو اخترن أنفسهن لبنّ.

فقال: إنّ هذا حديث يرويه أبي عن عائشة، وما للناس والخيار، إنّما هذا شيء خصّ الله به رسوله صلى الله عليه وآله.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن اسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني قال: ذكر أبو عبد الله عليه السلام أنّ زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: لا تعدل وأنت رسول الله؟ وقالت حفصة: إنّ طلقنا وجدنا أكفاءنا من قومنا. فاحتبس الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عشرين يوماً.

قال: فأنف الله لرسوله، فأنزل «يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها» إلى قوله: «أجرأ عظيماً».

قال: فاخترن الله ورسوله ولو اخترن أنفسهن لبنّ، وإن اخترن الله ورسوله فليس بشيء.

حميد [بن زياد]^(٤) عن ابن سماعة^(٥)، عن جعفر بن سماعة، عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ زينب بنت جحش قالت: أيرى رسول الله صلى الله عليه وآله إن خلّى

٢. نفس المصدر ١٣٦/٨ - ١٣٧، ح ٢.

١. من المصدر.

٤. من المصدر.

٣. نفس المصدر ١٣٨/٦، ح ٢.

٥. نفس المصدر ١٣٨/٦ - ١٣٩، ح ٤. و«عن ابن سماعة» ليس في م.

سبيلنا أن لا نجد زوجاً غيره؟ وقد كان اعتزل نساءه تسعاً وعشرين ليلة. فلمّا قالت زينب الذي قالت، بعث الله ﷺ جبرائيل إلى محمّد ﷺ فقال: «قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن». الآيتين كلتيهما.

فقلن: بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة.

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(١)، عن ابن أبي نصر، عن حمّاد بن عثمان، عن عبدالأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام أن بعض نساء النبي ﷺ قالت: أيرى محمّد أنّه لو طلقنا أن لا نجد الأكفاء من قومنا؟

قال: فغضب الله ﷻ له من فوق سبع سماواته. فأمره، فخيرهن حتّى انتهى إلى زينب بنت جحش. فقامت وقبلته، وقالت: أختار الله ورسوله.

حميد، عن الحسن بن سماعة^(٢)، عن وهيب بن حفص، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ زينب بنت جحش قالت لرسول الله ﷺ: لا تعدل وأنت نبي؟ فقال: تربت يداك^(٣) إذا لم أعدل، فمن يعدل؟

قالت: دعوت الله يا رسول الله، ليقطع يداي؟

فقال: لا، ولكن لتتربان.

فقالت: إنّك إن طلقنا وجدنا في قومنا أكفاءنا.

فاحتبس الوحي عن رسول الله ﷺ تسعاً وعشرين ليلة.

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: فأنف الله لرسوله ﷺ فأنزل الله ﷻ «يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا» الآيتين، فاخترن الله ورسوله ولم يكن شيئاً. ولو اخترن أنفسهن، لبنن.

وعنه، عن عبد الله بن جبلة، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، مثله.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد^(٤)، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة

٢. نفس المصدر ١٣٩/٦، ح ٥.

٤. نفس المصدر ١٣٧/٦-١٣٨، ح ١.

١. نفس المصدر ١٣٨/٦، ح ٣.

٣. تربت يداك؛ أي لأصبحت خيراً.

قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله ﷻ أنف لرسوله ﷺ من مقالة قالتها بعض نسائه، فأنزل الله آية التخيير، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه تسعاً وعشرين ليلة في مشربة أم إبراهيم، ثم دعاهن فخيرهن فاخترنه فلم يك شيئاً، ولو اخترن أنفسهن كانت واحدة بائنة.

قال: وسألته عن مقالة المرأة ماهي؟

قال: فقال: إنها قالت: يرى محمد ﷺ أنه لو طلقنا أن لاتأتينا الأكفاء من قومنا يتزوّجوننا؟

وفي مجمع البيان^(١): وروى الواحدي بالإسناد، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالساً مع حفصة، فتشاجرا بينهما.

فقال لها: هل لك أن أجعل بيني وبينك رجلاً؟

قالت: نعم.

فأرسل إلى عمر. فلما أن دخل عليهما قال لها: تكلمي.

قالت: يا رسول الله، تكلم ولا تقل إلّا حقاً.

فرفع عمر يده فوجأ وجهها، [ثم رفع يده فوجأ وجهها]^(٢).

فقال له النبي ﷺ: كف.

فقال عمر: يا عدوة الله، النبي لا يقول إلّا حقاً. والذي بعثه بالحق لولا مجلسه، ما

رفعت يدي حتى تموتى.

فقام النبي ﷺ فصعد إلى غرفة، فمكث فيها شهراً لا يقرب شيئاً من نسائه يتغذى

ويتعشى فيها. فأنزل الله ﷻ هذه الآيات.

واختلف العلماء في حكم التخيير على أقوال:

أحدها: أن الرجل إذا خير امرأته فاختارت زوجها، فلا شيء. وإن اختارت نفسها،

تقع تطليقة واحدة. وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه.

وثانيها: أنه إذا اختارت نفسها، تقع ثلاث تطليقات. وإن اختارت زوجها، تقع واحدة. وهو قول زيد بن ثابت، وإليه ذهب مالك.

وثالثها: أنه إذا نوى الطلاق، كان طلاقاً وألاً فلا. وهو مذهب الشافعي.

ورابعها: أنه لا يقع بالتخيير طلاق، وإنما كان ذلك للنبي ﷺ خاصة. ولو اخترن أنفسهن لما خيَرهن، لبن منه. وأما غيره، فلا يجوز له ذلك. وهو المروي عن أنمتنا^(١). وفي الكافي^(٢): عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن^(٣) أبي نجران، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً. ثم قال^(٤): وعنه، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير وغيره في تسمية نساء النبي ﷺ ونسبهن وصفتهن: عائشة، وحفصة، وأم حبيب بنت أبي سفيان بن حرب، وزينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وميمونة بنت الحرث، وصفية بنت حي بن أخطب، وأم سلمة بنت أبي أمية، وجويرية بنت الحرث.

وكانت عائشة من تيم، وحفصة من عدي، وأم سلمة من بني مخزوم، وسودة من بني أسد [بن عبد العزى، وزينب بنت جحش من بني أسد]^(٥) وعدادها من بني أمية، وأم حبيب بنت أبي سفيان من بني أمية، وميمونة بنت الحرث من بني هلال، وصفية بنت حي بن أخطب من بني إسرائيل.

ومات ﷺ عن تسع [نساء]^(٦) وكان له سواهن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وخديجة بنت خويلد أم ولده، وزينب [بنت]^(٧) أبي الجون التي خُدعت، والكندية. وفي كتاب الخصال^(٨): عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: تزوج

١. نفس المصدر ٣٥٤/٤.

٢. الكافي ٣٨٩/٥، ح ٤.

٣. من والمصدر.

٤. نفس المصدر ٣٩٠/٥، ح ٥.

٥-٧. من المصدر.

٨. الخصال ٤١٩/٤، ح ١٣.

رسول الله ﷺ بخمس عشرة امرأة، ودخل ثلاث عشرة منهن، وقُبِضَ عن تسع.
فأما اللتان لم يدخل بهما تعمرة والشبنا^(١).

وأما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن، فأولهن خديجة بنت خويلد. ثم سودة^(٢) بنت زمعة. ثم أم سلمة، واسمها هند بنت أبي أمية. ثم أم عبدالله عائشة بنت أبي بكر. ثم حفصة بنت عمر. ثم زينب بنت خزيمة بن الحارث أم المساكين. ثم زينب بنت جحش. ثم أم حبيبة^(٣) رملة بنت أبي سفيان. ثم ميمونة بنت الحارث. ثم زينب بنت عميس. ثم جويرية بنت الحارث. ثم صفية بنت حيي بن أخطب.

والتي وهبت نفسها للنبي، خولة^(٤) بنت حكيم السلمي.

وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه؛ مارية القبطية^(٥)، وريحانة الخندفية^(٦).

والسبع اللاتي قُبِضَ عنهن: عائشة، وحفصة، وأم سلمة وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية^(٧) [بنت حيي بن أخطب] وجويرية [بنت الحارث]^(٨) وسودة [بنت زمعة]^(٩) وأفضلهن خديجة بنت خويلد، ثم أم سلمة، ثم ميمونة^(١٠).

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾: قيل^(١١): بكبيرة.

﴿مَيْيَنَةٍ﴾: ظاهر قبورها.

﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضعفي عذاب غيرهن؛ أي مثليه. لأن الذنب منهن أقبح. فإن زيادة قبحه، تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه. ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد. وعوتب الأنبياء بما لا يعاتب به غيرهم.

١. المصدر: «فعمرة والسنا»، وفي ن: «فعمرة والشبنا» بدل «تعمرة والشبنا».

٢. المصدر: سورة.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أم حبيب.

٤. ليس في المصدر.

٥. الأصل، س وأ: خويلة.

٦. المصدر: الخندفية.

٧-٩. من المصدر. وفيه «سورة» بدل «سودة».

١٠. المصدر: «ثم أم سلمة بنت الحارث» بدل «ثم أم سلمة، ثم ميمونة».

١١. أنوار التنزيل ٢/٢٤٤.

وقرأ البصريّون: «يضعف» [على بناء المفعول]^(١). وابن كثير وابن عامر «نضعف» بالتون، وبناء الفاعل، ونصب العذاب^(٢).

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): حدّثنا محمّد بن أحمد قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله بن غالب عن عبدالرحمن بن أبي نجران، عن حمّاد، عن حريز قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين». العذاب ضعفين.

قال: «الفاحشة» الخروج بالسيف.

وفي رواية أبي الجارود^(٤)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أجرها مرّتين والعذاب ضعفين. كلّ هذا في الآخرة، حيث يكون الأجر يكون العذاب.

وفي مجمع البيان^(٥): وروى محمّد بن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبدالحميد، عن عليّ بن عبدالله بن الحسين^(٦)، عن أبيه عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّه قال له رجل: إنكم أهل بيت مغفور لكم.

قال: فغضب وقال: نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في أزواج النبيّ ﷺ من أن نكون كما تقول. إنّنا نرى لمحسنتنا ضعفين من الأجر ولمسيئتنا ضعفين من العذاب. ثم قرأ الآيتين.

وفي بصائر الدرجات^(٧): أحمد بن محمّد والحسين بن عليّ بن النعمان، [عن أبيه عليّ بن النعمان]^(٨) عن محمّد بن سنان، يرفعه، قال: إن عائشة قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل حتّى أبعثه إليه. قال: فأتيت به، فمثل بين يديها.

١. من المصدر.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. مجمع البيان ٣٥٤/٤.

٤. تفسير القمي ١٩٣/٢.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: عبدالله بن الحسن.

٦. من ن والمصدر.

٧. بصائر الدرجات ٢٦٣-٢٦٤، ح ٤.

فرفعت إليه رأسها فقالت له: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟
فقال لها: كثيراً ما أتمنى على ربِّي، أنه وأصحابه في وسطي فضربه ضربة بالسيف
فصبغ السيف الدم.

قالت: فأنت له. اذهب بكتابي هذا، فادفعه إليه ظاعناً رأيته أو مقيماً. أما إنك إن
رأيته رأيتُه^(١) راكباً على بغلة رسول الله ﷺ متنكباً قوسه، معلقاً كنانته بقربوس
سرجه، وأصحابه خلفه كأنهم طير صوافٍ [فتعطيه كتابي هذا. و]^(٢) إن عرض عليك
طعامه وشرابه، فلا تناولن منه شيئاً فإن فيه السحر.

قال: فاستقبله^(٣) راكباً [كما قالت]^(٤) فناولته^(٥) الكتاب، ففضّ خاتمه ثم قرأه.

فقال: تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك؟
فقال: هذا، والله، ما لا يكون.

قال: فسار خلفه فأحرق^(٦) به أصحابه.

ثم قال له: أسألك.

قال: نعم.

قال: وتجيبي؟

قال: نعم.

قال: نشدتك [الله]^(٧) هل قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة^(٨) لهذا الرجل،

فأتيتي^(٩) بك. فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت: كثيراً ما أتمنى على
ربِّي أنه وأصحابه في وسطي وأتني ضربه ضربة صبغ السيف الدم؟

١. ليس في المصدر.

٢. من المصدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فاستقبله.

٤. ليس في المصدر.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فناوله.

٦. الأصل: فأصده.

٧. من المصدر.

٨. المصدر: شديد عداوته.

٩. المصدر: فأتوها.

قال : اللهم نعم .

قال : فنشدتك الله ، أقلت لك : اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً ، أما إنك إن رأيته رأيته ^(١) راكباً على ^(٢) بغلة رسول الله متنكباً قوسه معلقاً كنانته بقربوس سرجه ، أصحابه خلفه كأنهم طير صواف ، فتعطيه كتابي هذا ؟
قال : اللهم نعم .

قال : فنشدتك الله ، هل قالت لك : إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولن منه شيئاً ، فإن فيه السحر ؟
قال : اللهم نعم .

قال : فتبلغ ^(٣) عني ؟

قال : اللهم نعم . فإني قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إلي منك ، وأنا الساعة ما في الأرض خلق أحب إلي منك فمرني ^(٤) بما شئت .

قال : ارجع إليها بكتابي ^(٥) هذا ، وقل لها : ما أطعت الله ولا رسوله حيث أمرك الله بلزوم بيتك ، فخرجت ترددين في العساكر . وقل لهم : ما أنصفتم الله ولا رسوله حيث خلقتم حلالتكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله ﷺ .

قال : فجاء بكتابه فطرحه إليها وأبلغها مقالته ، ثم رجع إليه فأصيب بصفين .

فقال : ما نبعث إليه بأحد إلا أفسده ^(٦) علينا .

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٧) : قال محمد بن العباس عليه السلام : حدثنا الحسين بن أحمد ، عن ^(٨) محمد بن عيسى ، عن يونس بن كرام ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لي : أتدري ما الفاحشه المبينة ؟

١ و ٢ . أي فبلغ أنت .

١ و ٢ . ليس في المصدر .

٥ . المصدر : كتابي .

٤ . المصدر : فمرني .

٧ . تأويل الآيات الباهرة ، ص ٤٥٣ ، ح ٢ .

٦ . الأصل : فسده .

٨ . المصدر : ابن .

قلت: لا.

قال: قتال أمير المؤمنين عليه السلام؛ يعني: أهل الجمل.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠): لا يمنعه في التضعيف كونهن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكيف وهو سببه.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مِنْكُمْ﴾: ومن يدم على الطاعة.

﴿وَرَسُولِهِ﴾: ولعل ذكر الله للتعظيم، أو لقوله:

﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا تُوْتَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مرة على الطاعة، ومرة على طلبهن رضا

النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة.

وقرأ حمزة والكسائي: «ويعمل» بالياء أيضاً حملاً على لفظ «من» و«يؤتها» على أن

فيه ضمير اسم الله ^(١).

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣١): في الجنة، زيادة على أجرها.

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾: أصل «أحد» وحد؛ بمعنى: الواحد. ثم

وضع في النفي العام، مستوياً فيه المذكر والمؤنث، والواحد والكثير.

والمعنى: لستنَّ كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل.

﴿إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾: مخالفة حكم الله ورضا رسوله.

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾: فلا تُجِبْنَ بقولكن خاضعاً لينا؛ مثل: قول المريبات

والمومسات.

﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾: فجور.

وقرئ بالجزم، عطفاً على محل فعل النهي. على أنه نهى مريض القلب عن الطمع

عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول ^(٢).

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (٣٢): حسناً، بعيداً عن الريبة.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾: من قر، وقاراً. أو قرّ، يقرّ، قراراً. حُذفت الأولى من رأيي «اقرن» ونُقلت كسرتها إلى القاف، فاستغني به عن همزة الوصل. ويؤيده قراءة عاصم ونافع بالفتح. من قررت، أقرّ وهو لغة فيه. ويحتمل أن يكون من قار، يقار: إذا اجتمع^(١).

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾: ولا تتبخترن في مشيتكن.

﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾: تبرّجاً مثل تبرّج النساء في أيام الجاهلية القديمة.

وقيل^(٢): هي ما بين آدم ونوح عليه السلام.

وقيل^(٣): الزمان الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام. كانت المرأة تلبس درعاً من اللؤلؤ وتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال. والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد عليه السلام.

وقيل^(٤): الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق فيه^(٥). ويعضده قوله ﷺ لأبي الدرداء: إن فيك جاهلية.

قال: جاهلية كفر أو إسلام؟

قال: بل جاهلية كفر.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٦)، بإسناده إلى عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: إن يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام عاش بعد موسى ثلاثين سنة. وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحقّ منك بالأمر. فقاتلها فقتل مقاتليها، وأسرها فأحسن أسرها^(٧). وإن ابنة أبي بكر ستخرج عليّ في كذا وكذا ألفاً من أمّتي، فيقاتلها فيقتل مقاتليها^(٨) ويأسرها

٥. المصدر: في الاسلام.

١- ٤. نفس المصدر ٢/٢٤٥.

٦. كمال الدين وتمام النعمة ٢٧/.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «مقاتلها وأحسن أسرها» بدل «مقاتليها وأسرها فأحسن سرها».

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مقاتلها.

فيحسن أسرها. وفيها أنزل الله تعالى: «وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» يعني: صفراء بنت شعيب.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حدثنا حميد بن زياد، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن يحيى، عن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام في هذه الآية «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى».

قال: أي ستكون جاهلية أخرى. وفي عيون الأخبار^(٢)، عن الرضا عليه السلام حديث طويل. وفيه: أن النبي صلى الله عليه وآله قال بعد أن ذكر ليلة أسري به إلى السماء: ورأيت امرأة معلقة برجلها في تنور من نار إلى قوله عليه السلام: وأما المعلقة برجلها، فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها.

وفي كتاب الخصال^(٣): عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في وصية^(٤) له: يا علي، ليس على النساء جمعة، إلى أن قال: ولا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه. فإن خرجت بغير إذنه، لعنها الله وجبرائيل وميكائيل.

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه.

وفي كتاب علل الشرائع^(٥): أبي عبد الله عليه السلام قال: حدثني سعد بن عبد الله، عن محمد بن اسماعيل، عن عيسى بن محمد، [عن محمد]^(٦) بن أبي عمير، عن حماد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: المرأة عليها أذان وإقامة؟

١. تفسير القمي ١٩٣/٢.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٠٢/١١، ضمن حديث ٢٤.

٣. الخصال ٥١١/، ضمن حديث ٢.

٤. هكذا في م. وفي سائر النسخ والمصدر: وصية.

٥. علل الشرائع ٣٥٥/، صدر حديث ١.

٦. من المصدر.

فقال: إن كانت تسمع أذان القبيلة، فليس عليها شيء، وإلا فليس عليها^(١) أكثر من الشهادتين. لأن الله تبارك وتعالى قال للرجال: «أقيموا الصلاة» وقال للنساء: «وأقمي الصلاة» وأتين الزكاة واطعن الله ورسوله» والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: الذنب المدنس لغرضكم. وهو تعليل لأمرهن ونهيهن على الاستئناف، ولذلك عم الحكم.

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: نُصِبَ عَلَى النَّدَاءِ، أَوِ الْمَدْحِ.

﴿وَيُطَهِّرْكُمْ﴾: مِنَ الْمَعَاصِي.

﴿تَطْهِيراً﴾^(٢): وَاسْتِعَارَةَ «الرَّجْسِ» لِلْمَعْصِيَةِ، وَالتَّرْشِيحَ «بِالتَّطْهِيرِ» لِلتَّنْفِيرِ عَنْهَا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

قال: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم. وذلك في بيت أم سلمة زوجة النبي ﷺ. فدعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين، ثم ألبسهم كساء له خبيرياً ودخل معهم فيه، ثم قال: اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي الَّذِينَ وَعَدْتَنِي فِيهِمْ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ اذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً^(٤).

فقالت أم سلمة: وأنا معهم، يا رسول الله؟

فقال: أبشري يا أم سلمة، فإنك إلى خير.

وفي عيون الأخبار^(٥)، في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون، في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل. وفيه: قال المأمون: مَنْ الْعَتْرَةُ الطَّاهِرَةُ؟

فقال الرضا عليه السلام: الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

١. من المصدر. ٢. تفسير القمي ١٩٣/٢.

٣. هنا زيادة في المصدر. وهي: «نزلت هذه الآية». ولاداعي لوجودها.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٩٩/١.

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». وهم الذين قال رسول الله ﷺ: «إني مخلف فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي. ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفون فيهما. أيها الناس، لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم».

وفيه ^(١)، في هذا الباب يقول الرضا عليه السلام في الحديث المذكور والآية الثانية في الاصطفاء: قوله ﷺ: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». وهذا الفضل الذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال ^(٢). لأنه لا فضل بعد طهارة تنتظر، فهذه الثانية.

وفيه ^(٣)، في باب السبب الذي من أجله قبل الرضا عليه السلام ولاية العهد من المأمون ووجدت في بعض الكتب نسخة كتاب الحباء والشرط من الرضا عليه السلام إلى العمال في شأن الفضل بن سهل وأخيه ولم أرو ذلك عن أحد: أما بعد فالحمد لله المبدئ البديع ^(٤)، إلى أن قال عليه السلام: الحمد لله الذي أورث أهل بيته موارث النبوة، واستودعهم العلم والحكمة، وجعلهم معدن الإمامة والخلافة، وأوجب ولايتهم وشرف منزلتهم، فأمر رسوله بمسألة أئمة مودّتهم، إذ يقول ^(٥): «قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى» وما وصفهم به من إذهابه الرجس عنهم وتطهيره إياهم في قوله: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

وفيه ^(٦)، في الزيارة الجامعة لجميع الأئمة المنتقلين عن الهادي عليه السلام: «صمكم الله من الزلل، وآمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً».

١. نفس المصدر ٢٣١/١.

٣. نفس المصدر ١٥٤/٢-١٥٥.

٤. المصدر: «فالحمد لله البديع الرفيع» بدل «فالحمد لله المبدئ البديع».

٥. الشورى ٢٠/٢.

٦. نفس المصدر ٢٧٤/٢.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: عن الجواد عليه السلام.

وفي كتاب الخصال^(١)، في احتجاج علي عليه السلام على أبي بكر قال: فأشككك بالله، ألي وأهلي وولدي آية التطهير من الرجس^(٢) أم لك ولأهل بيتك؟
[قال: بل لك ولأهل بيتك]^(٣).

قال: فأشككك بالله، أنا صاحب دعوة رسول الله وأهلي وولدي يوم الكساء: اللهم هؤلاء أهلي، إليك لا إلى النار! أم أنت؟
قال: بل أنت وأهل بيتك^(٤).

وفيه^(٥) أيضاً في احتجاجه عليه السلام على الناس يوم الشورى، قال: أنشدكم الله^(٦)، هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». فأخذ رسول الله ﷺ كساء خبيراً فضمّني فيه وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام. ثم قال: «رب هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» غيري؟^(٧)

قالوا: اللهم لا.

وفيه^(٨) أيضاً في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها، قال عليه السلام: وأما السبعون، فإن رسول الله ﷺ نام ونومني وزوجتي فاطمة وابني الحسن والحسين وألقى علينا عباءة^(٩) قطوانية، فأنزل الله تعالى فينا «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

فقال جبرائيل عليه السلام: أنا منكم، يا محمد. فكان سادسنا جبرائيل عليه السلام.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١٠)، بإسنادة إلى سليم بن قيس الهلالي، عن

-
١. الخصال / ٥٥٠.
 ٢. هنا في النسخ زيادة، وهي: وطهركم تطهيراً.
 ٣. من المصدر.
 ٤. المصدر: أهلك وولدك.
 ٥. نفس المصدر / ٥٦١.
 ٦. المصدر: نشدكم بالله.
 ٧. ليس في المصدر.
 ٨. نفس المصدر / ٥٨٠.
 ٩. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: عباء.
 ١٠. كمال الدين وتمام النعمة / ٢٧٨، ضمن حديث ٢٥. وأوله في ص ٢٧٤.

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في أثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: أيها الناس، أتعلمون أن الله ﷻ أنزل في كتابه «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». فجمعتني وفاطمة وابنتي حسناً وحسيناً وألقى علينا كساء وقال: «اللهم ان هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يؤلمني ما يؤلمهم ويجرحني ما يجرحهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: «أنت [أو إنك]»^(١) على خير، إنما أنزلت في وفي أخي [علي]»^(٢) وفي ابنتي^(٣) وفي ابني [الحسن والحسين]»^(٤) وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصة ليس معنا فيها أحد» غيرنا؟

فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك، فسألنا رسول الله ﷺ فحدثنا كما حدثتنا أم سلمة رضي الله عنها.

وفي كتاب علل الشرائع^(٥)، بإسناده إلى ابن أبي عمير، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما منع أبوبكر فاطمة عليها السلام فدكاً وأخرج وكيلها، جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد، وأبوبكر جالس وحوله المهاجرون والأنصار. فقال: يا أبابكر، لم منعت فاطمة ما جعله رسول الله ﷺ لها، ووكيلها فيه منذ سنين - إلى قوله - فقال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر: يا أبابكر، تقرأ القرآن؟^(٦) قال: بلى.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». أفينا أو في غيرنا نزلت؟ قال: فيكم.

قال: فأخبرني، لو أن شاهدين من المسلمين شهدا على فاطمة عليها السلام بفاحشة، ما

١. ليس في المصدر. وفيه أيضاً بين المعقوفتين.

٢. من المصدر.

٣. «وفي ابنتي» ليس في المصدر.

٤. علل الشرائع/ ١٩٠ - ١٩١، ضمن حديث ١. ٥. المصدر: «تقر بالقرآن» بدل «تقرأ القرآن».

كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدّ، كما أقيم على نساء المسلمين.

قال: كنت إذأ عند الله من الكافرين.

قال: ولم؟

قال: لأنك كنت تردّ شهادة الله وتقبل شهادة غيره، لأنّ الله ﷻ قد شهد لها بالطّهارة.

فإذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره، كنت عند الله من الكافرين.

قال: فبكى الناس وتفرّقوا ودمدموا. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده إلى عبد الرحمن بن كثير^(١) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما عني الله ﷻ

بقوله: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»؟

قال: نزلت هذه الآية في النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين

وفاطمة عليهم السلام. فلما قبض الله ﷻ نبيه ﷺ كان أمير المؤمنين، ثم الحسن، ثم

الحسين عليهم السلام. ثم وقع تأويل هذه الآية «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب

الله»^(٢) وكان علي بن الحسين عليه السلام إماماً^(٣) ثم جرت في الأئمة [من ولده

الأوصياء عليهم السلام]^(٤) فطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله ﷻ.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٥): حدّثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد

رضي الله عنهما قالوا: حدّثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن محمد بن الحسين بن

أبي الخطاب قال: حدّثنا النضر بن شعيب، عن عبد الغفار الجازي^(٦)، عن

أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

ويطهركم تطهيراً».

٢. الأنفال/ ٧٥.

١. نفس المصدر/ ٢٠٥، ح ٢.

٤. من المصدر ون.

٣. من المصدر.

٥. معاني الأخبار ١٣٨٧ ح ١. وفيه حدّثنا أبي ومحمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عليه السلام ...

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الخازن. انظر تنقيح المقال ١٥٨/٢، رقم ٦٦٦٥.

قال: «الرجس» هو الشك.

وفي أصول الكافي^(١): عِدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن المفضل بن صالح، عن محمد بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﷺ: «إِنَّمَا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» يعني: الأئمة عليهم السلام ولايتهم. من دخل فيها، دخل في بيت النبي ﷺ.

علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى^(٢)، عن يونس وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد. وأبي سعيد، عن محمد بن عيسى، [عن يونس]^(٣) عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر حديثاً طويلاً. يقول فيه عليه السلام حاكياً عن رسول الله ﷺ وقال عليه السلام: «أوصيكم بكتاب الله وأهل بيته، فَإِنِّي سألت الله ﷻ أَنْ لا يفرقَ بينهما حتَّى يوردهما عليّ الحوض، فأعطاني ذلك.

وقال: لا تعلموهم، فَإِنَّهم أعلم منكم. وقال: إِنَّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة.

فلو سكت رسول الله ﷺ ولم يبين^(٤) من أهل بيته، لادّعاها آل فلان وآل فلان. ولكن الله ﷻ أنزله في كتابه لنبيه ﷺ «إِنَّمَا يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». وكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فأدخلهم رسول الله ﷺ تحت الكساء في بيت أم سلمة، ثم قال: اللهم إِنْ لكل نبي أهلاً ونقلاً، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي.

فقال أم سلمة: ألسنت من أهلك؟

فقال: إِنَّك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي.

وفي آخر الحديث وقال: «الرجس» هو الشك. والله لانشك في ربنا ابداً.

٢. نفس المصدر ٢٨٦/١-٢٨٨، مقاطع من حديث ١.

١. الكافي ٤٢٣/١ ذيل حديث ٥٤.

٤. المصدر فلم يبين.

٣. من ن والمصدر.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(١)، عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى بن عمران الحلبي، (عن أيوب بن الحر وعمران بن علي الحلبي)^(٢) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام مثل ذلك.

علي بن إبراهيم، عن حماد بن ربيع^(٣)، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّنا لا نوصف، وكيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس، وهو الشك. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عيسى^(٥). وحماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا بويع لأبي بكر^(٦) واستقام له الأمر على جميع المهاجرين والأنصار، بعث إلى فدك من أخرج^(٧) وكيل فاطمة عليها السلام، إلى أن قال عليه السلام: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا بكر، قرأ كتاب الله؟ قال: نعم.

فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: «إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». فيمن نزلت، أفينا أم في غيرنا؟ قال: بل فيكم.

قال: فلو أنّ شاهدين شهدا على فاطمة بفاحشة، ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدّ كما أقيم على سائر المسلمين.

قال: كنت إذّا عند الله من الكافرين.

قال: ولمّ؟

قال: لأنك رددت شهادة الله لها بالطهارة وقبلت شهادة الناس عليها؛ كما رددت

١. نفس المصدر ٢٨٨/١، ذيل حديث ١. ٢. من المصدر.

٣. نفس المصدر ١٨٢/٢، ضمن حديث ١٦. ٤. تفسير القمي ١٥٥/٢ - ١٥٧.

٥. المصدر: عثمان بن عيسى. ٦. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: أبوبكر.

٧. المصدر: «فأخرج» بدل «من أخرج».

حكم الله وحكم رسوله أن جعل [رسول الله ﷺ] ^(١) لها فداً وقَبَضَتْهُ في حياته ثم قبلت شهادة أعرابي بائل على عقبيه عليها، وأخذت منها فداً وزعمت أنه فيء للمسلمين ^(٢). وقد قال رسول الله ﷺ: البيّنة على من ادّعى واليمين على من ادّعى عليه.

قال: فدمدم الناس وبكى بعضهم، فقالوا: صدق والله عليّ. ورجع عليّ إلى منزله. والحديث بتمامه مذكور في الروم عند قوله تعالى: «وَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ».

وبإسناده إلى حذيفة بن اليمان ^(٣)، عن النبي ﷺ وذكر حديثاً طويلاً. وفيه يقول ﷺ: ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً. وذلك قوله: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

وفي الكافي ^(٤): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: ثم ذكر من أذن له في الدعاء إليه بعده وبعد رسوله في كتابه فقال ^(٥): «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون». ثم أخبر عن هذه الأمة، وممن هي، وأنها من ذرية إبراهيم، ومن ذرية إسماعيل، من سكان الحرم، ممن لم يعبدوا غير الله قط، الذين وجبت لهم الدعوة دعوة إبراهيم وإسماعيل من أهل المسجد، الذين أخبر عنهم في كتابه أنه أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وفي كتاب الاحتجاج ^(٦) للطبرسي عليه السلام، عن عليّ بن الحسين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه لبعض الشاميّين: فهل تجد لنا في سورة الأحزاب حقاً خاصّة دون المسلمين؟

فقال: لا.

٢. المصدر: فيء المسلمين.

١. من المصدر.

٤. الكافي ١٣/٥ - ١٤، ضمن حديث ١.

٣. نفس المصدر ٣٤٧/٢.

٦. الاحتجاج ٣٤/٢.

٥. آل عمران ١٠٤/١.

قال عليّ [بن الحسين] عليه السلام^(١): «أما قرأت هذه الآية: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

وفي أمالي الصدوق عليه السلام^(٢) بإسناده إلى أبي بصير قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: من آل محمد؟ قال: ذريته.

قلت: من أهل بيته؟

قال: الأئمة الأوصياء.

[فقلت: من عترته] ^(٣).

قال: أصحاب العباء.

فقلت: من أمته؟

فقال: المؤمنون الذين صدّقوا بما جاء به من عند الله ﷻ، المتمسكون بالثقلين، الذين أمروا بالتمسك بهما؛ كتاب الله وعترته أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وهما الخلفيتان على الأمة بعد رسول الله ﷺ.

وفي مجمع البيان ^(٤): وقال أبو سعيد الخدريّ وأنس بن مالك ووائل بن الأسقع ^(٥) وعائشة وأم سلمة: إن الآية مختصة برسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

وذكر أبو حمزة الثماليّ في تفسيره: حدّثني شهر ^(٦) بن حوشب، عن أم سلمة قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى النبي ﷺ تحمل حريرة ^(٧) لها. فقال: ادعي زوجك وابنيك.

١. من المصدر. ٢. أمالي الصدوق / ٢٠٠، ح ١٠.

٣. ليس في س. ٤. مجمع البيان ٣٥٧-٣٥٦/٤.

٥. ن: «وائل بن الأسقع». أ: «وائل بن الأسقع». المصدر: «وائل بن الأسقع». والصواب: «وائل بن الأسقع». انظر الأعلام للزركلي ١٠٧/٨.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «شهب». انظر الأعلام للزركلي ١٧٨/٣.

٧. المصدر: خزيمة.

فجاءت بهم، فطعموا. ثم ألقى عليهم كساء له خيرياً وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فقلت: يا رسول الله، وأنا معهم؟

قال ﷺ: أنت إلى خير.

وروى الثعلبي في تفسيره^(١) أيضاً بالإسناد، عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان في بيتها، فأتته فاطمة ببرمة^(٢) فيها حريرة^(٣). فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، فذكرت الحديث نحو ذلك.

ثم قالت: فأنزل الله تعالى «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ» الآية.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى^(٤) بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم، يا رسول الله؟

قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير.

وبإسناده، قال مجمع^(٥): دخلت مع أمي على عائشة. فسألتها أمي: أرايت

خروجك يوم الجمل؟

قالت: إنه كان قدراً من الله.

فسألتها عن علي.

فقالت: تسأليني عن أحب الناس كان إلى رسول الله ﷺ وزوج أحب الناس كانت

إلى رسول الله ﷺ. لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً قد جمع رسول الله ﷺ

بنوب عليهم، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي^(٦) فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

١. نفس المصدر ٣٥٧/٤.

٢. البرمة: القدر من الحجر.

٣. المصدر: خزيمة.

٤. المصدر: فألوى يده.

٥. المصدر: حامتي.

٦. نفس المصدر والموضع.

٧. المصدر: حامتي.

قلت: يا رسول الله، أنا من أهلك؟

قال: تنحّي، فإنّك إلى خير.

وبإسناده، عن أبي سعيد الخدري^(١)، عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة.

وأخبرنا السيّد أبو الحمد^(٢) قال: حدّثنا الحاكم [أبو القاسم الحسكاني] قال: حدّثنا^(٣) عن أبي بكر السبيعي قال: حدّثنا أبو عروة الحرّاني قال: حدّثني ابن مصعب قال: حدّثنا^(٤) [عبد الرحيم بن واقد، عن أيوب بن سيّار، عن محمّد بن المنكدر، عن جابر قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وليس في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين وعليّ] إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت.

فقال النبي ﷺ: اللهم هؤلاء أهلي.

وحدّثنا السيّد أبو الحمد^(٥) قال: حدّثنا الحاكم أبو القاسم بإسناده، عن زاذان، عن الحسن بن عليّ قال: لما نزلت آية التطهير، جمعنا رسول الله ﷺ وإيّاها في كساء لأمّ سلمة خبيريّ، ثمّ قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي.

وفي تفسير العياشي^(٦): عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن. إنّ الآية ينزل أولها في شيء، وأوسطها في شيء آخر، وآخرها في شيء.

ثمّ قال: إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً من ميلاد الجاهليّة.

وفي بصائر الدرجات^(٧): محمّد بن خالد الطيالسيّ، عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «الرجس» هو الشكّ. ولا نشكّ في ديننا أبداً.

١ و ٢. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: حدّثونا.

٤. ليس في أ.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. تفسير العياشي ١/١٧، ح ١.

٧. بصائر الدرجات ٢٢٦، صدر حديث ١٣.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَشَّارٍ الْهَاشِمِيِّ، عَنْ قَيْسِ^(٢) بْنِ الْأَعْشَى، عَنْ هَاشِمِ بْنِ الْبَرِيدِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَأَتَتْ بِحَرِيرَةٍ، فَدَعَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام وَفَاطِمَةَ وَالحسن والحسين فَأَكَلُوا مِنْهَا. ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِمْ كَسَاءٌ خَبِيرًا. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا».

فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟
قَالَ: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ^(٣).

وقال أيضاً^(٤): حَدَّثَنَا عَبْدِ الْعَزِيزُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَّا، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِمَارَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَام إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى - فَضَّلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا». فَقَدْ طَهَّرَنَا اللَّهُ مِنَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، فَنَحْنُ عَلَى مِنْهَاجِ الْحَقِّ.

وقال^(٥) أيضاً حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: خُطِبَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَام النَّاسَ حِينَ قُتِلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: فَخُبُضْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ الْأَوَّلُونَ بَعْلَمَ وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخَرُونَ، مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ سُودَاءَ^(٦) وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا سَبْعُمِائَةِ دِرْهَمٍ فَضَلْتُ مِنْ عَطَائِهِ أَرَادَ أَنْ يَبْتَاعَ بِهَا خَادِمًا لِأَهْلِهِ.

١. تاويل الآيات الباهرة، ٤٥٢/٢.

٢. أ: قسم (قسي ر. خ. ل. ن. قيس. م. قيسر. المصدر: قنبر. ويمكن أن يكون «قتيبة». انظر تنقيح المقال

٣٧/٣، رقم ٩٦٣٧، قتيبة الأعشى المؤدب. ٣. المصدر: إنك على خير.

٤. نفس المصدر وفي النسخ: عميرة. ٥. نفس المصدر والموضع.

٦. المصدر: صفراء.

ثم قال: يا أيُّها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ، وأنا ابن البشير النذير الداعي^(١) إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذي كان ينزل فيه جبرائيل ويصعد، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وقال^(٢) أيضاً: حدّثنا مظفر بن يونس بن مبارك، عن عبد الأعلى بن حماد، عن محمد بن إبراهيم^(٣)، عن عبد الجبار بن العباس، عن عمّار الدهنيّ، عن عمرة بنت أفعى، عن أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي، وفي البيت سبعة: جبرائيل، وميكائيل، ورسول الله ﷺ، وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين صلوات الله عليهم. وكنت على الباب، فقلت: يا رسول الله، ألسنت من أهل البيت؟ قال: إنك من أزواج النبي. وما قال: إنك من أهل البيت.

قال البيضاوي^(٤): وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعليّ وابنيهما، لما روي أنّه ﷺ خرج ذات غدوة، وعليه مرط مُرَحَّل^(٥) من شعر أسود، فجلس فأثت فاطمة فأدخلها فيه، ثمّ جاء عليّ فأدخله فيه، ثمّ جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه، ثمّ قال: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت» والاحتجاج بذلك على عصمتهم. وكون إجماعهم حجّة ضعيف، لأنّ التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها. والحديث يقتضي أنّهم أهل البيت لأنّه ليس غيرهم.

أقول: قد تواتر من طريق الخاصّة والعامة تخصيص أهل البيت بهم كما علمت، وليس الاحتجاج بالإجماع بل بالحديث المتواتر ومناسبتة لما قبل الآية وما بعدها يكفها عموم ظاهره، والتخصيص للتشريف. ونحن نقرّر استدلال الشيعة على وجه قرّروه حتّى يظهر اندفاع ما ذكره عن استدلالهم.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: داع.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: مخول بن إبراهيم.

٤. أنوار التنزيل ٢/٢٤٥.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مرّجل. رَحَل الثوب: وشاء بصور الرحال. فهو مُرَحَّل.

قالوا: «إنما» لفظة محققة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت. فإن قول القائل: إنما لك [عندي درهم، وإنما في الدار زيد. يقتضي أنه ليس له عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد. فإذا تقرر هذا، فلا تخلو الإرادة في الآية^(١) أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي معها التطهير وإذهاب الرجس. فلا يجوز الوجه الأول، لأن الله قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق، ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح في الإرادة المجردة. فثبت الوجه الثاني، وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية عن جميع القبائح. وقد علمنا أن ما عدا من ذكرنا من أهل البيت غير مقطوع على عصمته، فثبت أن الآية مختصة لهم بطلان تعلفها بغيرهم.

ومتى قيل: إن صدر الآية وما بعدها في الأزواج.

فالقول فيه: إن هذا لا ينكر من عرف عادة الفصحاء في كلامهم، فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه. والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم.

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾: قيل^(٢): معناه: وأشكرن الله جلّ وعلا إذ صيركن في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة.

وقيل^(٣): احفظن ذلك وليكن منكن على بال أبداً، لتعملن بموجبه. وهذا حثّ لهنّ على حفظ القرآن والأخبار ومذاكرتهنّ بها.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾^(٤): يعلم ويدبر ما يصلح في الدين، ولذلك خيركن ووعظكن. أو يعلم من يصلح لنبوته، ومن يصلح أن يكون أهل بيته.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾: الداخلين في السلم، المتقادين لحكم الله في القول والعمل.

﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾: المداومين على الطاعة.
 ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: والمصدقين والمصدقات، بما يجب أن يصدق به.
 ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾: في القول والعمل.
 ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾: على الطاعة وعن المعاصي.
 ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾: المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم.
 ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾: بما وجب في مالهم.
 ﴿وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾: الصوم المفروض.
 ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾: عن الحرام.
 ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ لَهْمُ مَغْفِرَةٍ﴾: لما اقترفوا من الصغائر، لأنهم مكفرات.
 ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٥): على طاعتهم. والآية وعد لهم ولأمثالهم على الطاعة والتدرع بهذه الخصال.

قال البيضاوي^(١): روي أن أزواج النبي ﷺ قلن: يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به، فنزلت.

وقيل^(٢): لما نزل فيهن ما نزل الله، قال نساء المسلمين: فما نزل فينا شيء، فنزلت. وعطف الأناث على الذكور، لاختلاف الجنسين وهو ضروري. وعطف الزوجين على الزوجين، لتغاير الوصفين فليس بضروري. ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات، وفائدته الدلالة على أن إعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): ثم عطف على نساء النبي ﷺ فقال: «واذكرون مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة أن الله كان لطيفاً خبيراً». ثم عطف على آل محمد صلوات الله عليهم فقال جل ذكره: «إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات» إلى قوله: «واجراً عظيماً».

وفي مجمع البيان^(١): قال مقاتل بن حيان: لَمَّا رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء رسول الله ﷺ فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟
 قلن: لا.

فأتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار.

فقال: وممّ ذلك؟

قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكّر الرجال. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال البلخي^(٢): فسر رسول الله ﷺ المسلم والمؤمن بقوله: المسلم، من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمؤمن، من أمن جاره بوائقه. وما آمن بي من بات شبعاناً وجاره طاراً.

وفي أصول الكافي^(٣): علي، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الإيمان يشارك الإسلام، ولا يشاركه الإسلام. إن الإيمان ما وقر في القلوب، والإسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقق الدماء. والإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان.

عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد^(٤)، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيهما أفضل الإيمان أو الإسلام؟ فبان من قبلنا يقولون: أن الإسلام أفضل من الإيمان.

فقال: الإيمان أرفع من الإسلام.

قلت: فأوجدني ذلك.

قال: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام متعمداً؟

قلت: يُضرب ضرباً شديداً.

١. مجمع البيان ٣٥٧/٤ - ٣٥٨.

٢. نفس المصدر ٣٥٨/٤.

٣. الكافي ٢٦٧٢، ح ٣.

٤. نفس المصدر ٢٦٧٢، ح ٤.

قال: أصبت. قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة متعمداً؟

قلت: يُقْتَل.

قال: أصبت. ألا ترى أنَّ الكعبة أفضل من المسجد، وأنَّ الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة. وكذلك الإيمان يشرك الإسلام، والإسلام لا يشرك الإيمان.

علي بن إبراهيم، عن العباس بن معروف^(١)، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حماد بن عثمان، عن عبد الرحمن^(٢) القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين^(٣) إلى أبي جعفر عليه السلام^(٤) أسأله عن الإيمان ما هو؟

فكتب إلي مع عبد الملك بن أعين: سألت رحمك الله عن الإيمان. والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان. والإيمان بعضه من بعض. وهو دار، وكذلك الإسلام دار والكفر دار. فقد يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً حتَّى يكون مسلماً. فالإسلام قبل الإيمان. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(٥)، عن محمد بن خالد البرقي والحسين بن سعيد جميعاً، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن محمد بن مروان عن سعد بن طريف، عن أبي جعفر عليه السلام^(٦) قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ عشر آيات في ليلة، لم يُكْتَب من الغافلين. ومن قرأ خمسين آية، كُتِب من الذاكرين. ومن قرأ مائة آية، كُتِب [من] القانتين. ومن قرأ مائتي آية، كُتِب من الخاشعين. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٧)، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد بن معاوية

١. نفس المصدر ٢٧/٢، صدر حديث ١.
٢. ن. والمصدر: عبد الرحيم.
٣. أ: عبدالله بن أعين.
٤. المصدر: أبي عبدالله عليه السلام.
٥. نفس المصدر ٦١٢/٢، صدر حديث ٥.
٦. نفس المصدر ٥٠٠/٢، ح ٢.

العجلي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إِنَّ الصَّوَاعِقَ لَا تَصِيبُ ذَاكِرًا.

قال: قلت: وما الذاكر؟

قال: من قرأ مائة آية^(١).

وفي مجمع البيان^(٢): وروى أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وتوضأ وصلى، كُتِبَا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام^(٣) أَنَّهُ قَالَ: من بات على تسبيح فاطمة، كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ﴾: ما صح له.

﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾: أي قضى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وذكر الله لتعظيم أمره، والإشعار بأنه قضاء الله. لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبدالمطلب، خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبدالله^(٤).

وقيل^(٥): في أم كلثوم بنت عقبة، وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله فزوجها من زيد.

﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾: أن يختاروا من أمرهم شيئاً، بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله ورسوله.

و«الخيرة» ما يُتَخَيَّرُ. وجمع الضمير الأول «لمؤمن» و«مؤمنة» من حيث أنهما في سياق النفي. وجمع الثاني، للتعظيم.

وقرأ الكوفيون وهشام: «يكون» بالياء^(٦).

وفي أصول الكافي^(٧): أبو محمد القاسم بن العلاء رفعه، عن عبدالعزيز بن مسلم

١. ليس في أ.

٤ و ٥. أنوار التنزيل ٢٤٦/٢.

٦. أنوار التنزيل ٢٤٦/٢. وفيه ضبط «يكون» في الآية بالتاء.

٧. الكافي ١٩٨/١-٢٠١، ضمن حديث ١.

قال: كنّا مع الرضا عليه السلام بمرور؛ فاجتمعنا في الجامع [يوم الجمعة]^(١) في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها. فدخلت على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه.

فتبسّم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز، جهل القوم وخُدعوا من أديانهم^(٢). إنّ الله ﷻ لم يقبض نبيّه ﷺ حتّى أكمل له الدين، إلى قوله عليه السلام: ولقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة «و زين لهم الشيطان أعمالهم فصّدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين»^(٣). رغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله^(٤) إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم^(٥) «وبك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة [من أمرهم]^(٦) سبحانه الله وتعالى عما يشركون». وقال ﷻ: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم».

وفي كتاب التوحيد^(٧)، بإسناده إلى الأصمغين بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل: إن كنت لا تطيع خالقك، فلا تأكل رزقه. وإن كنت واليت عدوّه، فاخرج من ملكه. وإن كنت غير قانع بقضائه^(٨) وقدره، فاطلب ربّاً سواه.

وبإسناده إلى الحسين بن خالد^(٩)، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ: من لم يرض بقضائي ولم يؤمن بقدري، فليتمسّ إلهاً غيري.

وقال رسول الله ﷺ: في كلّ قضاء الله ﷻ خيرة^(١٠) للمؤمن.

وبإسناده إلى سليمان بن خالد^(١١)، عن أبي عبد الله الصادق، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام

١. من المصدر.

٢. المصدر: آرائهم.

٣. العنكبوت ٣٨/.

٤. المصدر: اختيار رسول الله وأهل بيته.

٥. القصص ٦٤/.

٦. ليس في المصدر.

٧. التوحيد ٣٧٢/، ح ١٣.

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: برضاء.

٩. نفس المصدر ٣٧١/، ح ١١.

١٠. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: خير.

١١. نفس المصدر ٤٠١/، ح ٥. وفي ن: وبإسناده إلى سعد بن خالد.

قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم حتى بدت نواجذه. ثم قال: ألا تسألوني ممّا ضحكت؟

قالوا: بلى، يا رسول الله.

قال: عجبت للمرأة المسلم، أنّه ليس من قضاء يقضيه الله إلا كان خيراً له في عاقبة أمره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم» وذلك أنّ رسول الله ﷺ خطب على زيد بن حارثة زينب بنت جحش الأسديّة، من بني أسد بن خزيمه، وهي بنت عمّة النبي ﷺ.

فقال: يا رسول الله، حتى أوامر نفسي فأنظر.

فأنزل الله ﷻ: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة» الآية.

فقال: يا رسول الله، أمري بيدك.

فزوجها إياه. فمكثت عند زيد ماشاء الله، ثمّ أتتهما تشاجرا في شيء إلى رسول الله ﷺ فنظر إليها النبي فأعجبته.

فقال زيد: يا رسول الله، تأذن لي في طلاقها؟ فإنّ فيها كبراً وأناها تؤذيني بلسانها.

فقال رسول الله ﷺ: اتق الله وأمسك عليك زوجك وأحسن إليها.

ثمّ إنّ زيدا طلقها عدتها، فأنزل الله ﷻ نكاحها على رسول الله ﷺ فقال: «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها»^(٢).

وروي^(٣) فيه أيضاً غير هذا، وقد نقلناه عند قوله تعالى: «وما جعل أدياءكم أبناءكم» في أوّل هذه السورة.

١. تفسير القمي ١٩٤/٢.

٢. يوجد في هامش نسخة م: ولا منافاة بينهما لاحتمال رؤية النبي ﷺ زينب مرتين؛ مرة في بيتها ومرة

٣. نفس المصدر ١٩٤/٢.

عند التشاجر.

وفيه أيضاً^(١) حديث طويل، عن النبي ﷺ يقول فيه وقد ذكر ما رأى ليلة أسري به: دخلت الجنة فإذا على حافتيها بيوتي وبيوت أزواجي، وإذا ترابها كالمسك، وإذا جارية تنغمس في أنهار الجنة.

فقلت: لمن أنت، يا جارية؟

فقلت: لزيد بن حارثة.

فبشرته بها حين أصبحت.

﴿وَمَنْ يَقْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ﴿٥﴾: بين الانحراف عن الصواب.

﴿وَأَذِ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ﴾: بتوفيقه للإسلام.

﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾: بما وفّقك الله فيه، وهو زيد بن حارثة.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾: زينب.

وذلك أنه ﷺ كان شديد الحب لزيد، وكان إذا أبطأ عليه [زيد]^(٣) أتى منزله يسأله^(٤). فأبطأ عليه يوماً، فأتى رسول الله ﷺ منزله، فإذا زينب جالسة في وسط حجرتها تسحق طيباً [بفهر لها].

قال^(٥) فدفع رسول الله ﷺ الباب. فلما نظر إليها، قال: سبحان الله خالق النور، تبارك الله أحسن الخالقين. ورجع، فجاء زيد، فأخبرته زينب بما كان.

فقال لها: لعلك وقعت في قلب رسول الله، فهل لك أن أطلّك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ؟

فقلت: أخشى أن تطلّقني ولا يتزوجني.

فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ، بتمام القصة، فنزلت الآية^(٦).

فقال له: أمسك عليك زوجك.

١. نفس المصدر ١٠/٢ - ١١.

٢. المصدر: أن رسول الله ﷺ.

٤. فيسأل عنه.

٣. من المصدر.

٦. مجمع البيان ٣٥٩/٤، نقلاً عن القمي.

٥. من المصدر.

﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾: في أمرها، فلا تطلقها.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾: قيل^(١): وهو نكاحها إن طلقها.

﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾: تعييرهم إياك به.

﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾: إن كان فيه ما يُخشى. والواو للحال.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾: حاجة. بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة، وطلقها

وانقضت عدتها

﴿وَزَوَّجْنَا كَهَا﴾: وقيل^(٢): قضاء الوطر، كناية عن الطلاق؛ مثل: لاحتاجة لي فيك.

وقرئ: «زَوَّجْتُهَا». والمعنى أنه أمر بتزويجها منه. أو جعلها زوجته بلا واسطة

عقد^(٣).

﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾: علة

للتزويج.

﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: أمره الذي يريده.

﴿مَفْعُولًا﴾^(٤): مكوناً لامحالة.

وفي عيون الأخبار^(٥)، في باب مجلس الرضا عليه السلام عند المأمون مع أصحاب الممل

والمقالات، وما أجاب به علي بن الجهم في عصمة الأنبياء عليهم السلام حديث طويل. وفيه

يقول عليه السلام: وأما محمد ﷺ وقول الله ﷻ: «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى

الناس والله أحق أن تخشاه» فإن الله تعالى عزف نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا

وأسماء أزواجه في الآخرة، وأنهن أمهات المؤمنين. وإحداهن سُمِّيَ له زينب بنت

جحش، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة. فأخفى ﷺ اسمها في نفسه ولم يبهده، لكي

لا يقول أحد من المنافقين: إنه قال في امرأة في بيت رجل: إنها إحدى أزواجه من

أمهات المؤمنين. وخشي قول المنافقين. فقال الله ﷻ: «وتخشى الناس والله أحق أن

تخشاه» يعني: في نفسك. فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ مَا تَوَلَّى تَزْوِيجَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا تَزْوِيجَ حَوَاءٍ مِنْ آدَمَ، وَزَيْنَبٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ ﷻ: «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا» وَفَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ ﷺ.

قال: فبكى علي بن محمد بن جهم، وقال: يا ابن رسول الله، أنا تائب إلى الله تعالى من أن أنطق في أنبياء الله ﷺ بعد يومي هذا إلا بما ذكرته.

وفيه ^(١)، في باب ذكر مجلس الرضا ﷺ عند المأمون في عصمة الأنبياء ﷺ حديث طويل. وفيه يقول المأمون للرضا ﷺ: فأخبرني عن قول الله ﷻ: «وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ ^(٢) زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ».

قال الرضا ﷺ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَصَدَ دَارَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ شَرَاهِيلِ الْكَلْبِيِّ فِي أَمْرٍ أَرَادَهُ. فَرَأَى امْرَأَتَهُ تَغْسِلُ، فَقَالَ لَهَا: سَبِّحَانَ الَّذِي خَلَقَكَ. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ قَوْلٍ مِنْ زَعَمَ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ. فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: «أَفَأَصْفَاكُمْ رَبِّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا رَأَاهَا تَغْتَسِلُ: سَبِّحَانَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا التَّطَهِيرِ وَالِاغْتِسَالِ.

فلما عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء الرسول ﷺ وقوله لها: سَبِّحَانَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ. فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، وظنَّ ^(٤) أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِمَا أَعْجَبَهُ مِنْ حَسَنَةِهَا. فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي فِي خَلْقِهَا سُوءٌ، وَإِنِّي أُرِيدُ طَلَاقَهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ [وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ]» ^(٥).

١. نفس المصدر ٢٠٣/١-٢٠٤، في حديث طويل.

٢. ليس في المصدر. ٣. الإسراء ٤٠/.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فظنَّ له.

٥. ليس في المصدر. ولكن أشار في الهامش إلى أَنَّهُ فِي نَسْخَةٍ بَدَلٍ: وَتُخْفِي نَفْسَكَ.

وقد كان الله ﷻ عرفه عدد أزواجه، وأن تلك المرأة منهم. فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد، وخشي الناس أن يقولوا: إن محمداً يقول لمولاه: إن امرأتك ستكون لي زوجة فيعيونه [بذلك]. فأنزل الله تعالى «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه» يعني: بالإسلام «وأنعمت عليه» يعني: بالعق «امسك عليك زوجك»^(١) وأتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه».

ثم أن زيد بن حارثة طلقها واعتدت منه، فزوجها الله تعالى من نبيه ﷺ وأنزل بذلك قرآناً فقال ﷻ: «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً».

ثم علم ﷻ أن المنافقين سيعيونه بتزويجها، فأنزل [الله تعالى]^(٢) «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له».

فقال المأمون: لقد شفيت صدري، يا ابن رسول الله، وأوضح لي ما كان ملتبساً^(٣) عليّ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي رحمه الله، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام مجيباً لبعض الزنادقة - وقد قال: ثم خاطبه في أضعاف ما أنشئ عليه في الكتاب، من الإزراء وانخفاض^(٥) محلّه^(٦) وغير ذلك من تهجينه وتأنيبه ما لم يخاطب به أحداً من الأنبياء، مثل^(٧): قوله: «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» والذي بدا في الكتاب من الإزراء على النبي ﷺ من فرية^(٨) الملحدين. وهنا كلام طويل يطلب عند قوله تعالى^(٩): «الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا».

١. ليس في أ. ٢. من المصدر.

٣. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: ملتبساً.

٤. الاحتجاج ٣٦٦/١ و٣٦٧ و٣٨٣. ٥. المصدر: انقاص.

٦. م: وانخفاض محمله. ٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: من.

٨. المصدر: فرقة. ٩. فصلت ٤٠.

وفي مجمع البيان^(١): «وتخفي في نفسك ما الله مبديه».

قيل: إن الذي أخفاه^(٢) في نفسه هو أن الله سبحانه أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها.

فلما جاء زيد وقال له: أريد أن أطلق زينب. قال له: «أمسك عليك زوجك».

فقال سبحانه: لم قلت: أمسك عليك زوجك؟ وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك. وروي ذلك عن علي بن الحسين عليه السلام.

وروي ثابت^(٣)، عن أنس بن مالك قال: لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: اذهب فاذكرها علي.

قال زيد: [فانطلقت، فقلت: يا زينب، أبشري، قد أرسلني رسول الله ﷺ بذكرك ونزل القرآن.

وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن، لقوله: «زوّجناكها».

وفي رواية أخرى^(٤)، قال زيد: [٥] فانطلقت، فإذا هي تخمر عجينها. فلما رأيته عظمت في نفسي حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ﷺ ذكرها. فوليتها ظهري وقلت: يا زينب، أبشري، إن رسول الله ﷺ يخطبك.

ففرحت بذلك وقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي. فقامت إلى مسجدها ونزل «زوّجناكها». فتزوّجها رسول الله ﷺ ودخل بها.

وفي جوامع الجامع^(٦): وقرأ^(٧) أهل البيت عليه السلام: «زوّجتها».

قال الصادق عليه السلام: ما قرأتها على أبي إلا كذلك - إلى أن قال -: وما قرأها^(٨) علي عليه السلام على النبي ﷺ إلا كذلك.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أخفى.

٤. نفس المصدر والموضع.

٦. جوامع الجامع/ ٣٧٣.

٨. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: قرأ.

١. مجمع البيان ٣٦٠/٤.

٣. نفس المصدر ٣٦١/٤.

٥. ليس في ن.

٧. المصدر: قراءة.

وروي ^(١): أَنَّ زَيْنَبَ كَانَتْ تَقُولُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي لَأَدُلُّ عَلَيْكَ بِثَلَاثٍ مَا مِنْ نَسَائِكَ امْرَأَةً تَدُلُّ بَهَنَ: جَدِّي وَجَدَّكَ وَاحِدٌ، وَزَوْجُنِكَ اللَّهُ، وَالسَّفِيرُ جِبْرَائِيلُ ﷺ.

وفي أصول الكافي ^(٢): وَتَزَوَّجَ خَدِيجَةَ وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، فَوُلِدَ لَهُ مِنْهَا قَبْلَ مَبْعَثِهِ ﷺ الْقَاسِمُ، وَرَقِيَّةٌ، وَزَيْنَبُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ. وَوُلِدَ لَهُ بَعْدَ الْمَبْعَثِ: الطَّيِّبُ، وَالطَّاهِرُ، وَفَاطِمَةُ ﷺ.

﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ﴾: قَسَمَ لَهُ وَقَدَّرَ. مِنْ قَوْلِهِمْ: فَرَضَ لَهُ فِي الدِّيَوَانِ. وَمِنْهُ فَرُوضُ الْعَسْكَرِ لِأَرْزَاقِهِمْ.

﴿ سُنَّةَ اللَّهِ ﴾: سَنَّ ذَلِكَ سَنَةً.

﴿ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾: مِنَ الْأَنْبِيَاءِ. وَهُوَ نَفْيُ الْحَرَجِ عَنْهُمْ فِيمَا أَبَاحَ لَهُمْ.

﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ ^(٣): قَضَاءُ مَقْضِيًّا، وَحُكْمًا مَبْتُوتًا.

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾: صِفَةُ «الَّذِينَ خَلَوْا». أَوْ مَدْحُ لَهُمْ مَنْصُوبٌ، أَوْ

مَرْفُوعٌ.

وَقَرَأَ: رِسَالَةَ اللَّهِ ^(٤).

﴿ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾: إِلَّا مِنْهُ.

﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ^(٥): كَافِيًّا لِلْمَخَافِ، أَوْ مُحَاسِبًا. فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَخْشَى إِلَّا مِنْهُ.

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾: عَلَى الْحَقِيقَةِ. فَيُثَبِّتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مَا بَيْنَ الْوَالِدِ

وَالْوَلَدِ مِنْ حَرَمَةِ الْمَصَاهِرَةِ وَغَيْرِهَا. وَلَا يَنْتَقِضُ عُمُومُهُ بِكَوْنِهِ أَبًا لِلطَّاهِرِ ^(٦) وَالطَّيِّبِ

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الكافي ٤٣٩/١، ضمن باب مولد النبي ﷺ ووفاته. وفيه، بعد هذا الكلام: وروي أيضاً، أنه لم يولد بعد المبعث إلا فاطمة ﷺ وأن الطَّيِّبَ والطَّاهِرَ ولدت قبل مبعثه.

٣. أنوار التنزيل ٢٤٧/٢.

٤. هكذا في م ون. وفي سائر النسخ: «للمطهر» وهكذا في مجمع البيان ٣٦١/٤.

والقاسم وإبراهيم^(١). لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال، ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم. والمراد «من رجالكم» الذين لم يلدهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): «متصلاً بآخر ما نقلناه عنه، أعني: قوله: «زَوْجُنَاكُهَا». وفي قوله ﷺ: «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم» فإن هذه الآية نزلت في شأن زيد بن حارثة، قالت قریش: يعبرنا محمد يدعي بعضنا بعضاً، وقد ادعى هو زيداً.

﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾: وكلّ رسول أبو أمته لا مطلقاً، بل من حيث أنّه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم، وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة.

وقرئ: «رسول الله» بالرفع، على أنّه خبر مبتدأ محذوف. «ولكنّ» بالتشديد، على حذف الخبر، أي ولكن رسول الله أب من غير وراثة، إذ لم يعيش له ولد ذكر^(٣).

﴿وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾: وآخرهم الذي ختمهم، أو ختموا به. على قراءة عاصم بالفتح. ولو كان له ابن بالغ، لاق بمنصبه أن يكون نبياً؛ كما قال عليه الصلاة والسلام في إبراهيم حين توفّي: لو عاش لكان نبياً^(٤).

ولا يُقدَح فيه نزول عيسى بعده، لأنّه إذا نزل كان على دينه مع أنّ المراد أنّه آخر من نبي.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾^(٥): فيعلم من يليق بأن يختتم به النبوة، وكيف ينبغي شأنه.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٥): وقال الصادق عليه السلام: لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال النبي ﷺ: حزننا عليك، يا إبراهيم، وإنّا لصابرون، يحزن القلب وتدمع العين ولا نقول ما يسخط الرب.

١. يوجد في هامش نسخة م: وكان إبراهيم من مارية القبطية عما يأتي عند تفسير: وكان عند الله عظيماً.

(جعفر). ٢. تفسير القمي ١٩٤/٢.

٣. أنوار التنزيل ٢٤٧/٢. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. من لا يحضره الفقيه ١١٣/١، ح ٥٢٦.

وفي مجمع البيان^(١): وقد صحَّ أنه قال للحسن: إن ابني هذا سيّد.
وقال أيضاً^(٢) للحسن وللحسين عليهما السلام: ابناي هذان إمامان، قاما أو قعدا، وقال عليه السلام:
أن كل بني بنت يُنسبون إلى أبيهم، إلا أولاد فاطمة فإنّي أنا أبوهم.
وفي تهذيب الأحكام^(٣): محمّد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن
زياد، عن عليّ بن حسان، عن بعض أصحابنا قال: تقدّم أبو الحسن الأول عليه السلام إلى قبر
النبي صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا أبة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.
محمّد بن أحمد بن داود، عن محمّد بن الحسن الكوفي^(٤) قال: حدّثني محمّد بن
عليّ بن معمر قال: حدّثنا محمّد بن مسعدة قال: حدّثني عبد الرحمن بن أبي نجران،
عن عليّ بن أبي شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا الحسين عليه السلام قاعد في حجر رسول
الله صلى الله عليه وآله ذات يوم، إذ رفع رأسه فقال: يا أبة.
قال: لبيك، يا بُنَيَّ.

قال: ما لمن أذاك بعد وفاتك زائراً لا يريد إلا زيارتك؟
فقال: يا بُنَيَّ، من أتاني بعد وفاتي زائراً لا يريد إلا زيارتي، فله الجنّة. والحديث
طويل أخذت منه موضع الحاجة.
وفي كتاب المناقب^(٥)، لابن شهر آشوب، عن أنس في حديث طويل: سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا خاتم الأنبياء وأنت يا عليّ، خاتم الأولياء.

١. مجمع البيان ٣٦١/٤. ويوجد في هامش نسخة م:

سمعت [مين زين] المحدثين والمجتهدين مولانا محمّد باقر المجلسي رحمته الله أن قول الشاعر:

بنونا بنو أبائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأبعد

ليس من كلام العرب الفصح.

أقول: وبعد التسليم يستثنى منه أولاد فاطمة عليها السلام بحديث أبيهم عليهم السلام. (جعفر)

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. تهذيب الأحكام ٦/٦-٧، ح ١٠، بتغيير في بعض اللفظ.

٤. نفس المصدر ٢١/٦، ح ٤٨.

٥. مناقب آل أبي طالب ٢٦١/٣.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام^(١): ختم محمد ألف نبي، وأني ختمت ألف وصي. وأني كُلفت ما لم يُكلفوا.

وفي روضة الكافي^(٢)، بإسناده إلى علي بن عيسى رفعه قال: إن موسى ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: [يا موسى]^(٣) لا تطول^(٤) في الدنيا أملك، إلى قوله في وصيته له بالنبي صلى الله عليه وآله: يا موسى، إنه أمني. وهو عبد صدق. يُبارك له فيما وضع يده عليه، ويبارك عليه كذلك. كان في علمي، وكذلك خلقته. به أفتح الساعة، وبأتمته أختم مفاتيح الدنيا.

وفي عوالي اللثالي^(٥): وقال عليه السلام^(٦): أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً.

وفي مجمع البيان^(٧): وصح الحديث، عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخل فيها^(٨) فنظر إليها قال: ما أحسنها! إلا موضع هذه اللبنة.

قال عليه السلام: فأنا موضع اللبنة خُتِمَ بي الأنبياء. أوردته البخاري ومسلم في صحيحيهما. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾^(٩): يغلب الأوقات، ويعم أنواع ما هو أهله التقديس والتحميد والتهليل.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(١٠): أول النهار وآخره خصوصاً. وتخصيصهما بالذكر، للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين؛ كأفراد التسبيح من جملة الأذكار، لأنه العمدة فيها.

وقيل^(١١): الفعلان موجّهان إليهما.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. الكافي ٤٢/٨-٤٣، ضمن حديث ٨.

٣. من المصدر.

٤. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر. لا يطول.

٥. مجمع البيان ٣٦٢/٤.

٦. عوالي اللثالي ١٢٢/٤، ح ٢٠٢.

٧. هكذا في المصدر وم. وفي سائر النسخ: دخلها.

٨. أنوار التنزيل ٢٤٧/٢.

وقيل ^(١): المراد «بالتسبيح» الصلاة.

وفي أصول الكافي ^(٢): عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه، إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه. فرض الله تعالى الفرائض، فمن أدامهن فهو حدهن. وشهر رمضان، فمن صامه فهو حده. والحج فمن حج فهو حده. إلا الذكر فإن الله تعالى لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه. ثم تلا: «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً» فقال: لم يجعل الله له حداً ينتهي إليه.

قال: وكان [أبي] ^(٣) عليه السلام كثير الذكر. لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله، وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله. ولقد كان يحدث القوم ما يشغله ذلك عن ذكر الله. وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله. وكان يجمعنا فيأمرنا ^(٤) بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منّا، ومن كان لا يقرأ منّا أمره بالذكر. والبيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله تعالى فيه، تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء، كما يضيء الكوكب ^(٥) الذي لأهل الأرض. والبيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن ولا يُذكر الله فيه، تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٦) ألا أخبركم بخير أعمالكم، أرفعها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكم، وخير لكم من الدينار والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم يقتلوكم؟

فقالوا: بلى.

قال: ذكر الله تعالى كثيراً.

١. نفس المصدر والموضع. ٢. الكافي ٤٩٨/٢-٤٩٩، ح ١.

٣. من المصدر: وفي وأوسون: أبي عبد الله.

٤. هكذا في المصدر. وفي ن: «ويأمرنا». وفي سائر النسخ: فيه يأمرنا.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الكواكب. ٦. نفس المصدر والموضع.

ثم قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: من خير أهل المسجد؟
فقال: أكثرهم لله ذكراً.

وقال رسول الله ﷺ: من أعطي لساناً ذاكراً، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة.
وقال في قوله تعالى^(١): «ولا تمنن تستكثر».
قال: لا تستكثر ما عملت من خير الله.

حميد بن زياد، عن ابن سماعة^(٢)، عن وهيب بن^(٣) حفص، عن أبي بصير، عن
أبي عبد الله عليه السلام قال: شيعتنا، الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً.

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد^(٤)، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن
محمد جميعاً، عن الحسن بن علي الوشاء، عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام
قال: قال رسول الله ﷺ: من أكثر ذكر الله ﷻ أحبه الله. ومن ذكر الله^(٥) كثيراً، كتبت له
براءتان؛ براءة من النار وبراءة من النفاق.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(٦)، عن علي بن الحكم، عن سيف
بن عميرة، عن بكر بن أبي بكر، عن زرارة بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تسبيح
فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله ﷻ: «اذكروا الله ذكراً كثيراً».

عنه^(٧)، عن علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي أسامة زيد الشحام
ومنصور بن حازم وسعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام [مثله].

الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن داود الحمّار، عن
أبي عبد الله عليه السلام^(٨) قال: من أكثر ذكر الله ﷻ أظله الله في جنته.

١. المذكر ٦.
٢. نفس المصدر ٤٩٩/٢، ح ٢.
٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: وهب. انظر تنقيح المقال ٢٨١/٣، رقم ١٢٦٩٨.
٤. نفس المصدر ٤٩٩/٢-٥٠٠، ح ٣.
٥. من المصدر.
٦. جميع النسخ سوى الأصل: أبي بكر.
٧. نفس المصدر والموضع.
٨. من المصدر.

عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد^(١)، عن إسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن سليمان بن عمرو، عن أبي المغيرة الخصاص رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ذكر الله ﷻ في السر، فقد ذكر الله كثيراً. إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية ولا يذكرونه في السر، فقال الله ﷻ: «يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً».

وفي قرب الإسناد^(٣) للحميري، بإسناده إلى عبد الله بن بكير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام [عن قول الله تبارك وتعالى]^(٤) اذكروا الله ذكراً كثيراً قال: قلت: ما أدنى الذكر؟

فقال: التسبيح في دبر كل صلاة [ثلاثاً و]^(٥) ثلاثين مرة.

وفي مجمع البيان^(٦): اختلف في معنى الذكر الكثير. قيل: هو أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر على كل حال. فقد ورد عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قالوا: من قالها ثلاثين مرة، فقد ذكر الله ذكراً كثيراً.

وروى الواحدي^(٨)، بإسناده، عن الضحاک بن مزاحم، عن ابن عباس قال: جاء جبرائيل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عدد ما علم، وزنة [ما علم]^(٩) وملء ما علم. فإنه من قالها كتب الله له بها ست خصال: كتب من الذاكرين الله كثيراً، وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكُنْ له غرساً في الجنة، وتحاتت^(١٠) عنه الخطايا كما

١. نفس المصدر ٥٠١/٢، ح ٢.

٣. قرب الإسناد ٧٩.

٥. المصدر: أوفى (أدنى خ. ل.).

٧. مجمع البيان ٣٦٢/٤. والقول الأول نقل فيه عن مقاتل.

٨. نفس المصدر والموضع.

١٠. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تحاطت. وحَتَّى الورق عن الشجر: سقط: وتحاتت عنه الخطايا:

تَحَاتَّ^(١) ورق الشجرة اليابسة، وينظر [الله] إليه^(٢)، ومن نظر [الله] إليه^(٣) لم يعذِّبه.

وفي تهذيب الأحكام^(٤): الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن ابن بكير^(٥) قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله ﷻ: «اذكروا الله ذكراً كثيراً» ماذا الذكر الكثير؟ قال: أن يُسَّحَّ في دبر المكتوبة ثلاثين مرة.

وفي كتاب الخصال^(٦): عن زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما ابتلي المؤمن بشيء أشدَّ عليه من ثلاث خصال يحرمها. قيل: وما هي؟^(٧)

قال: المواساة في ذات يده بالله، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً. أما إنِّي لا أقول لكم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. ولكن ذكر الله عندما أحلَّ له، وذكر الله عندما حرَّم عليه.

عن عبد الله بن أبي يعفور^(٨) قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ثلاث لا يطيقهنَّ الناس؛ الصَّحْصَحُ عن الناس، ومواساة الأخ أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٩): أحمد بن هوزة الباهلي، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عن عبد الله بن حماد، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: تسبيح فاطمة عليها السلام من ذكر الله الكثير، الذي قال الله ﷻ: «اذكروا الله ذكراً كثيراً». وقال أيضاً^(١٠): حدَّثنا الحسين بن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تحاط. ٢. من المصدر.

٣. من المصدر. ٤. تهذيب الأحكام ١٠٧/٢، ح ٤٠٥.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «أبي بكير» وهي خطأ. انظر تنقيح المقال، ج ٣، فصل الكنى، ص ٤٢.

٦. الخصال ١٢٨/، ح ١٣٠. ٧. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: هن.

٨. نفس المصدر ١٣٣/، ح ١٤٢.

٩. تأويل الآيات الباهرة، ٤٥٤/١، وفيه: قال أيضاً [أي محمد بن العباس] حدَّثنا...

١٠. نفس المصدر والموضع.

إسماعيل بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قوله ﷺ: «واذكروا الله ذكراً كثيراً» ما حذّه؟

قال: إن رسول الله ﷺ علم فاطمة رضي الله عنها أن تكبر أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتسبح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وتحمد^(١) ثلاثاً وثلاثين تحميدة. فإذا فعلت ذلك بالليل مرة وبالنهار مرة، فقد ذكرت الله كثيراً.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾: بالرحمة.

﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾: بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم.

والمراد بالصلاة المشترك، هو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم، مستعار من الصلو.

وقيل^(٢): الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتمة على الانعطاف الصوري، الذي هو الركوع والسجود. واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم. سيما وهو سبب للرحمة، من حيث أنهم مجابو الدعوة.

﴿يُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الجهل والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة.

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(٣): حيث اعتنى بصلاح أمرهم وإنافه قدرهم. واستعمل في ذلك ملائكته المقربين.

وفي أصول الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن يعقوب بن عبد الله، عن إسحاق بن فروخ مولى آل طلحة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا إسحاق بن فروخ، من صلى على محمد وآل محمد عشرأ صلى عليه وملائكته إمائة مرة. ومن يصلي على محمد وآل محمد مائة مرة صلى الله عليه وملائكته^(٥) ألفاً. أما

تسمع قوله ﷺ: «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً».

وفي مجمع البيان^(١): في مسند السيد أبي طالب الهروي مرفوعاً إلى أبي أيوب، عن النبي ﷺ: قال صلت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين، وذلك أنه لم يصل فيها أحد غيري وغيره.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾: من إضافة المصدر إلى المفعول، أي يحيون.

﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾: يوم لقائه عند الموت والخروج عن القبر. أو دخول الجنة.

﴿سَلَامٌ﴾: إخبار بالسّلامة عن كلّ مكروه وآفة.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾^(٢): هي الجنة. ولعلّ اختلاف النظم، لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهمّ.

وفي كتاب التوحيد^(٣)، حديث طويل عن عليّ عليه السلام يقول فيه - وقد سأله رجل عمّا اشتبه عليه من الآيات -: واللقاء، هو البعث. فافهم جميع ما في كتاب الله من لقائه، فإنّه يعني بذلك: البعث. وكذلك قوله: «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ» يعني: أنّه لا يزول الإيمان عن قلوبهم يوم يبعثون.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً﴾: على من بعثت إليهم، بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم. وهو حال مقدّره.

﴿وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾^(٤) ﴿وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ﴾: بالإقرار^(٥) به، وبتوحيده، وما يجب الإيمان به من صفاته.

﴿بِإِذْنِهِ﴾: بتيسيره. وأطلق له، من حيث أنّه من أسبابه. وقيد به الدعوة، إذاناً بأنّه أمر صعب لا يتأتّى إلّا بمعونته من جناب قدسه.

١. لم نثر عليه في مجمع البيان، ٦٥/٣. ولكن في تفسير نور الثقلين ٢٨٧/٤ - ٢٨٨، ح ١٥٩ و ٣٠٢/٤، ح

٢٢٣، عنه. ٢. التوحيد ٢٦٧/٥، ح ٥.

٣. من وأ: إقراراً. م، ن: إلى الإقرار.

﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾^(١٦): يستضاء به عن ظلمات الجهالة، ويُقتبس من نوره أنوار البصائر.

وفي كتاب علل الشرائع^(١) بإسناده إلى الحسن بن عبدالله، عن آبائه، عن جده الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم فيما سأله فقال: لأي شيء سُميت محمداً وأحمد وأبالقاسم وبشيراً ونذيراً وداعياً؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله أما الداعي، فإنني أدعو الناس إلى دين ربي صلى الله عليه وآله. وأما النذير، فإنني أُنذر بالنار من عصائي. وأما البشير، فإنني أبشّر بالجنة من أطاعني. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وقال علي بن إبراهيم عليه السلام في قوله صلى الله عليه وآله: «أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً» إلى قوله تعالى: «ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً». فإنها نزلت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين. فهذا دليل على خلاف التأليف.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾^(١٧): على سائر الأمم، أو على أجر أعمالهم. ولعله معطوف على محذوف، مثل: فراقب أحوال أمتك.

﴿وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾: تهيج له على ما هو عليه من مخالفتهم. ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾: إيذاءهم إياك، ولا تحتفل به. أو إيذاءك إياهم بمجازاة أو مؤاخذه على كفرهم ولذلك قيل^(٣): إنه منسوخ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾: فإنه يكفيكم^(٤).

﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾^(٥): موكلأ إليه الأمر في الأحوال كلها.

٢. تفسير القمي ١٩٤/٢-١٩٥.

٤. ن: يكفيك.

١. علل الشرائع ١٢٧، ذيل حديث ١.

٣. أنوار التنزيل ٢٤٨/٢.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ ﴾:

تجامعوهن.

﴿ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ ﴾: أيام يترنصن فيها بأنفسهن.

﴿ تَعْتَدُونَهَا ﴾: تستوفون عددها. [من عددت الدراهم] ^(١) [فاعتدّها كقوله: كلته،

فاكتاله. أو تعدّونها. والإسناد إلى الرجال للدلالة] ^(٢) على أنّ العدة حتّى الأزواج، كما

أشعر به «فما لكم».

وعن ابن كثير ^(٣) «تعتدونها» مخفّفاً. على إبدال الدالين بالتاء، أو على أنّه من

الاعتداء، بمعنى: تعتدون فيها. وهو يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة،

وتخصيص المؤمنات. والحكم عامّ، للتنبيه على أنّ من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا

مؤمنة وأن يتخيّر النطفة.

﴿ فَمَتَّوهُنَّ ﴾: إن لم يكن مفروضاً لها. فإنّ الواجب للمفروض لها نصفه دون

المتعة.

﴿ وَسَرَّحُوهُنَّ ﴾: قيل ^(٤): أخرجوهنّ من منازلكم، إذ ليس لكم عليهنّ عدة.

﴿ سَرَّاحاً جَمِيلاً ﴾ ^(٥): من غير ضرار ولا منع حقّ.

وقيل ^(٥): أي طلقوهنّ طلاقاً للسّنة من غير ظلم عليهنّ.

وقيل ^(٦): «السراح الجميل» هو دفع النفقة ^(٧). بحسب الميسرة والعسرة.

وفي من لا يحضره الفقيه ^(٨): وروى عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام

في قول الله تعالى «فَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا

فَمَتَّوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَّاحاً جَمِيلاً».

قال: متّعوهن، أي أجملوهنّ بما قدرتم عليه من معروف. فإنّهنّ يرجعن بكآبة

١. ليس في م وس وأ.

٢. ليس في أ.

٣ و٤. أنوار التنزيل ٢/٢٤٨.

٥ و٦. مجمع البيان ٤/٣٦٤.

٧. المصدر: «رفع المتعة» بدل «دفع النفقة».

٨. من لا يحضره الفقيه ٣/٣٢٧، ح ١٥٨٠.

ووحشة وهم عظيم وشماتة من أعدائهن. فإن الله كريم يستحي ويحب أهل الحياء. إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم.

وفي الكافي^(١): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سأله أبي - وأنا حاضر - عن رجل تزوج امرأة فأدخلت عليه فلم يمسه ولم يصل إليها حتى طلقها، هل عليها عدة منه؟ فقال: إنما العدة من الماء.

قيل له: فإن كان واقعها في الفرج ولم ينزل؟ فقال: إذا أدخله، وجب الغسل والمهر والعدة.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٢)، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الرجل يطلق المرأة وقد مس [كل شيء]^(٣) منها إلا أنه لم يجامعها، ألها عدة؟

فقال: ابتلي أبو جعفر عليه السلام بذلك. فقال له أبوه علي بن الحسين عليه السلام: إذا أغلق [باباً]^(٤) وأرخى ستراً، وجب المهر والعدة.

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار^(٥)، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن الرجل يتزوج المرأة فيدخل بها ويغلق باباً ويرخي ستراً عليها ويزعم أنه لم يمسه وتصدقه هي بذلك، عليها عدة؟ قال: لا.

قلت: فإنه شيء دون شيء.

قال: إن أخرج الماء اعتدت، يعني: إذا كانا مأمونين صدقاً.

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(٦)، [عن ابن محبوب]^(٧) عن ابن رثاب، عن

٢. نفس المصدر ١٠٩/٦-١١٠، ح ٧. وله ذيل.

٥. نفس المصدر ١١٠/٦، ح ٩.

٧. ليس في المصدر.

١. الكافي ١٠٩/٦، ح ٦.

٣ و ٤. من المصدر.

٦. نفس المصدر والموضع، ح ٨.

أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الرجل يتزوج المرأة فيرخي عليها وعليه الستر ويغلق الباب ثم يطلقها، فتسأل المرأة: هل أذاك؟ فتقول: ما أتااني. ويسأل هو: هل أتيتها؟ فيقول: لم أتها.

فقال: لا يصدّقان. وذلك أنّها تريد أن تدفع العدة عن نفسها، ويريد هو أن يدفع المهر [عن نفسه] ^(١) يعني: إذا كانا متهمين.

عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد ^(٢) وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير ^(٣)، عن عبدالكريم، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن الرجل إذا طلق امرأته ولم يدخل بها.

قال: فقد بانت ^(٤) منه. وتزوّج إن شاءت من ساعتها.

علي بن إبراهيم، عن أبيه ^(٥)، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها، فليس عليها عدة تزوّج من ساعتها إن شاءت، وتبينها تطليقة واحدة. وإن كان فرض لها مهرأ، فلها نصف ما فرض.

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار ^(٦)، وأبو العباس محمد بن جعفر الرزّاز، عن أيوب بن نوح، وحميد بن زياد، عن ابن سماعة جميعاً، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها، فقد بانت منه وتزوّج إن شاءت من ساعتها. وإن كان فرض لها مهرأ، فلها نصف المهر. وإن لم يكن فرض لها، فليمتّعها.

علي، عن أبيه ^(٧)، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبدالله عليه السلام في

١. من المصدر.

٢. نفس المصدر ٨٣/٨، ح ١.

٣. المصدر: ابن أبي نصر.

٤. المصدر: فقال: قد بانت.

٥. نفس المصدر ٨٣/٨-٨٤، ح ٣.

٦. نفس المصدر ١٠٦/٦، ح ١.

٧. نفس المصدر والموضع، صدر حديث ٣.

رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها.

قال: عليه نصف المهر إن كان فرض شيئاً. وإن لم يكن فرض لها، فليمتعها على نحو ما يمتع مثلها من النساء.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد^(١)، عن علي بن الحكم، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها. قال: عليه نصف المهر إن كان فرض لها شيئاً. وإن لم يكن فرض لها شيئاً، فليمتعها على نحو ما يمتع به مثلها من النساء.

وفي مجمع البيان^(٢): «فمتعوهن» قال ابن عباس: هذا إذا لم يكن سمى لها مهراً^(٣). فإذا فرض لها صداقاً، فلها نصفه ولا تستحق المتعة. وهو المروي عن أئمتنا عليه السلام.

والآية محمولة عندنا على التي لم يُسم لها مهر، فتجب لها المتعة.

عن حبيب بن ثابت^(٤) قال: كنت قاعداً عند علي بن الحسين عليه السلام. فجاء رجل فقال: إنني قلت: يوم أتزوج فلانة، فهي طالق.

قال: اذهب فترزوجها. فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق. وقرأ هذه الآية.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن. لأن المهر

أجر على البضع. والإيتاء قد يكون بالأداء، وقد يكون بالالتزام.

وقيل^(٥): تقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه، بل لإيثار الأفضل له، كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله:

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾: فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى

عليها.

وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله:

٢. مجمع البيان ٣٦٤/٤.

١. نفس المصدر ١٠٨/٦، ح ١١.

٤. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: صداقاً.

٥. أنوار التنزيل ٢٤٩/٢.

﴿وَيَنَاتِ عِمَّكَ وَيَنَاتِ عَمَاتِكَ وَيَنَاتِ خَالِكَ وَيَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾: قيل^(١): يحتمل تقييد الحلّ بذلك في حقّه خاصّة. ويعضده قول أمّ هاني بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني. ثم أنزل الله هذه الآية، فلم أحلّ له. لأنّي لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء.

وفي مجمع البيان^(٢): وهذا إنمّا كان قبل تحليل غير المهاجرات، ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل.

﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾: نُصِبَ بفعل فسره ما قبله، أو عطف على ما سبق.

ولا يدفعه التقييد «بأنّ» التي للاستقبال. فإنّ المعنى بالإحلال: الإعلام بالحلّ، أي أعلمناك حلّ امرأة تهب لك نفسها ولا تطلب إن اتفق، ولذلك نكّرها.

واختلف في اتفاق ذلك والقاتل به، ذكر أربعاً: ميمونة بنت الحرث، وزينب بنت خزيمة الأنصاريّة، وأمّ شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم.

وقال ابن عباس^(٣) في أحد قوليّه: إنّه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له. وقرئ: «أن» بالفتح، أي لأن وهبت. (أو مدّة أن وهبت)^(٤) كقولك: اجلس مادام زيد جالساً^(٥).

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾: شرط للشرط الأوّل في استيجاب الحلّ. فإنّ هبتها نفسها منه، لا توجب له إلّا بإرادته نكاحها. فإنّها جارية مجرى القبول.

والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ «النبي» مكرراً، ثم الرجوع إليه في قوله: ﴿خَالِصَةً لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: إيذان بأنّه ممّا خُصّ به لشرف نبوّته، وتقرير^(٦) لاستحقاقه الكرامة لأجله.

٢. مجمع البيان ٣٦٤/٤.

٤. من المصدر.

٦. جميع النسخ سوى الأصل: تحقيق.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. أنوار التنزيل ٢٤٩/٢.

و«الاستنكاح»: طلب النكاح والرغبة فيه.

و«خالصة» مصدر مؤكّد، أي خلص إحلالها. أو إحلال ما أحللتناك على القيود المذكورة خلوصاً لك. أو حال من الضمير في «وهبت». أو صفة لمصدر محذوف، أي هبة خالصة.

وفي الكافي^(١): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: «يا أيّها النبيّ إنّنا أحللتنا لك أزواجك» قلت: كم أحلّ له من النساء؟ قال: ما شاء من شيء.

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(٢)، عن ابن نجران، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «يا أيّها النبيّ إنّنا أحللتنا لك أزواجك» قلت^(٣): كم أحلّ له من النساء؟ قال: ما شاء من شيء.

عليّ بن إبراهيم، عن أبيه^(٤)، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت قوله: «لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج».

فقال: لرسول الله أن ينكح ما شاء من بنات عمّه وبنات عمّاته وبنات خاله وبنات خالاته وأزواجه اللّاتي هاجرن معه. أحلّ له أن ينكح من عرض المؤمنين بغير مهر، وهي الهبة، ولا تحلّ [الهبة]^(٥) إلّا لرسول الله ﷺ. فأما لغير رسول الله ﷺ فلا يصلح نكاح إلّا بمهر. وذلك معنى قوله تعالى: «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ».

١. الكافي ٣٨٧/٥، صدر حديث ١.

٢. نفس المصدر ٣٨٩/٥، صدر حديث ٢.

٣. ليس في المصدر.

٤. نفس المصدر ٣٨٨/٥، ضمن حديث ١.

٥. من المصدر.

عَدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(١)، عن ابن أبي نجران، عن عبد الكريم بن عمرو^(٢)، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «يا أيها النبي إنا احللنا لك أزواجك» كم أحل من النساء؟ قال: ما شاء من شيء.

قلت [قوله ﷺ]^(٣): «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي». فقال: لا تحل الهبة إلا لرسول الله ﷺ وأما لغير رسول الله ﷺ فلا يصلح نكاح إلا بمهر.

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار^(٤)، عن صفوان ومحمد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان ومحمد بن سنان جميعاً، عن ابن مسكان، عن الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة تهب نفسها للرجل، ينكحها بغير مهر؟ فقال: إنما كان هذا للنبي ﷺ. فأما لغيره، فلا يصلح هذا حتى يعوضها شيئاً يُقدَّم إليها قبل أن يدخل بها، قل أو كثر ولو ثوب أو درهم. وقال: يجزئ الدرهم.

عَدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(٥)، عن أحمد بن أبي نصر، عن داود بن سرحان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله ﷻ: «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي». وقال: لا تحل الهبة إلا لرسول الله ﷺ وأما غيره، فلا يصلح نكاح إلا بمهر.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد^(٦)، عن محمد بن اسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تحل الهبة إلا

١. نفس المصدر ٣٨٩/٥، صدر حديث ٤. وقد ذكرت قطعة منه.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: عبد الكريم بن عمر. انظر تنقيح المقال ١٦٠/٢، رقم ٦٦٨٥.

٣. من المصدر. ٤. نفس المصدر ٣٨٤/٥، ح ١.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٢. ٦. نفس المصدر والموضع، ح ٣.

لرسول الله ﷺ. وأما غيره، فلا يصلح نكاح إلا بمهر.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(١)، عن بعض أصحابه، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام في امرأة وهبت نفسها للرجل أو وهبها له وليها.

فقال له: إنما كان ذلك لرسول الله ﷺ وليس لغيره، إلا أن يعوضها شيئاً، قل أو أكثر. عده من أصحابنا، عن أحمد بن [محمد^(٢)]، عن [أبي القاسم الكوفي]، عن عبدالله بن المغيرة، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام في امرأة وهبت نفسها لرجل من المسلمين. قال: إن عوضها، كان ذلك مستقيماً.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٣)، عن ابن محبوب، عن ابن رثاب، عن محمد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فدخلت عليه، وهو في منزل حفصة، والمرأة متلبسة متمشطة. فدخلت على رسول الله ﷺ.

فقالت: يا رسول الله، إن المرأة لا تخطب الزوج. وأنا امرأة أيم لا زوج لي منذ دهر ولا ولد. فهل لك من حاجة؟ فإن تك، فقد وهبت نفسي لك إن قبلتني. فقال لها رسول الله ﷺ خيراً ودعا لها.

ثم قال: يا أخت الأنصار، جزاكم الله عن رسول الله خيراً. فقد نصرني رجالكم ورغب في نساؤكم.

فقالت لها حفصة: ما أقل حياءك وأجراك وأنهمك للرجال!

فقال رسول الله ﷺ: كفي عنها، يا حفصة، فإنها خير منك، رغبت في رسول الله فلمتها^(٤) وعبتها.

ثم قال للمرأة: انصرفي، رحمك الله، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك في وتعرضك لمحبتتي وسروري، وسيأتيك أمري إن شاء الله. فأنزل الله ﷻ «وامرأة مؤمنة

١. نفس المصدر ٣٨٤/٥-٣٨٥، ح ٤.

٢. نفس المصدر ٣٨٥/٥، ح ٥.

٣. من المصدر.

٤. نفس المصدر ٥٦٨/٥، ح ٥٣.

٥. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: فلمستها.

إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين».

قال: فأحلَّ الله ﷺ هبة المرأة نفسها لرسول الله، ولا يحلُّ ذلك لغيره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي ﷺ^(٢) فإنه كان سبب نزولها: أنَّ امرأة من الأنصار أتت رسول الله ﷺ وقد تهيأت وتزينت.

فقالت: يا رسول الله، هل لك فيَّ حاجة؟ فقد وهبت نفسي لك.

فقالت لها عائشة: قبحك الله، ما أنهلك للرجال!

فقال لها رسول الله ﷺ: مه، يا عائشة، فإنها رغبت في رسول الله إذ زهدت في.

ثم قال: رحمك الله ورحمكم، يا معاشر الأنصار، ينصرنى^(٣) رجالكم وترغب^(٤)

في نساؤكم. ارجعي، رحمك الله، فإني أنتظر أمر الله ﷻ فأنزل الله ﷻ «وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين». فلا تحلَّ الهبة إلا لرسول الله ﷺ.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: تزوج

رسول الله ﷺ بخمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة منهن، وقُبض عن تسع.

فأما اللتان لم يدخل بهما، فعمرة والشبابة^(٦).

وأما الثلاث عشرة اللاتي دخل بهن، فأولهن خديجة - إلى قوله -: والتي وهبت

نفسها للنبي خولة بنت حكيم السلمية.

وفي مجمع البيان^(٧): وقيل: إنها لما وهبت نفسها للنبي ﷺ قالت عائشة: ما بال

النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر، فنزلت الآية.

فقالت عائشة: ما أرى الله تعالى إلا يسارع في هواك.

١. تفسير القمي ١٩٥/٢.

٢. ليس في أ.

٣. المصدر: نصري.

٤. المصدر: رغبت.

٥. الخصال ١٤٩/١، ضمن حديث ١٣.

٦. المصدر: السني.

٧. مجمع البيان ٣٦٥/٤.

فقال رسول الله ﷺ: وَأَنْتَ إِنْ أَطَعْتَ اللَّهَ، سَارَعَ فِي هَوَاكَ.

واختلف في أنه هل كانت عند النبي امرأة وهبت نفسها له أم لا؟ ف قيل: إنه لم تكن^(١). وقيل: بل كانت - إلى قوله -: وقيل: هي امرأة من بني أسد، يقال لها: أم شريك بنت جابر. عن علي بن الحسين عليه السلام^(٢).

وفي كتاب الخصال^(٣): في الحديث المتقدم عن الصادق: وكان له سريتان يقسم لهما مع أزواجه؛ مارية القبطية وريحانة الخندقية^(٤).

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾: من المهر، والحصر بعدد محصور. ووضعناه من قبل تخفيفاً.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾: وما فرضنا عليهم في ملك اليمين، أن لا يقع عنهم الملك إلا بوجوه معلومة من الشراء والهبة والأسر^(٥) والسبي. وإنما خصصناك على علم منا بالمصلحة فيه من غير محاباة ولا جزاء. والجملة اعترض بين قوله:

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ومتعلقه، وهو «خالصة». للدلالة على أن الفرق بينه وبين المؤمنين في نحو ذلك، لا بمجرد قصد التوسع عليه؛ بل لمعانٍ تقتضي التوسيع عليهم والتضييق عليه تارة والعكس أخرى.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾: لما يعسر التحرز عنه.

﴿رَحِيمًا﴾^(٦): بالتوسعة في مظان الحرج.

﴿تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ﴾: قيل^(٧): تؤخرها وترك مضاجعتها.

﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾: وتضم إليك وتضاجعها.

وقيل^(٨): تعزل من تشاء بغير طلاق، وترد إليك من تشاء منهم بعد اعتزالك^(٨) إياها بلا تجديد عقد.

١. المصدر: لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له. ٢. نفس المصدر ٣٦٤/٤.
٣. الخصال ١٤٩/، ضمن حديث ١٣. ٤. المصدر: الخندقية.
٥. جميع النسخ سوى الاصل: الارث. ٦. أنوار التنزيل ٢٤٩/٢.
٧. مجمع البيان ٣٦٧/٤. ٨. المصدر: عزلك.

وقيل ^(١): «ترك من تشاء منهم من نساء أمتك، وتنكح من تشاء منهم».

وقيل ^(٢): «تقبل من تشاء من المؤمنات [اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤوبها إليك، وتترك من تشاء فلا تقبلها».

وقيل ^(٣): «تطلق من تشاء، وتمسك من تشاء» ^(٤).

وفي الكافي ^(٥): «علي بن إبراهيم، عن أبيه ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: رأيت قوله: «ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء».

قال: من أوى فقد نكح. ومن أرجى، فلم ينكح. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة».

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٦): «ثم أنزل الله ﷻ هذه الآية، وهي آية التخيير، فقال ^(٧): «يا أيها النبي قل لأزواجك» إلى قوله: «أجرأ عظيماً» فقامت أم سلمة وهي أول من قامت فقالت: قد اخترت الله ورسوله. فقمّن كلهنّ، فعانقنه وقلن مثل ذلك. فأنزل الله ﷻ ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء».

فقال الصادق عليه السلام: «من أوى، فقد نكح. ومن أرجى فقد طلق. وقوله ﷻ: «ترجي من تشاء منهم» [وتؤوي إليك من تشاء] ^(٨) مع هذه الآية قوله ﷻ: «يا أيها النبي قل لأزواجك» إلى قوله: «أجرأ عظيماً» وقد أخرت عنها في التاليف، وقد كتبنا ذلك فيما تقدّم.

وفي مجمع البيان ^(٩): «ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء».

١. نفس المصدر والموضع.

٢. مجمع البيان ٣٦٧/٤.

٣. نفس المصدر والموضع وأنوار التنزيل ٢٤٩/٢.

٤. ليس في س وا.

٥. الكافي ٣٨٨/٥، ضمن حديث ١. وأوله في، ص ٣٨٧.

٦. تفسير القمي ١٩٢/٢.

٧. الأحزاب ٢٨.

٨. من المصدر.

٩. مجمع البيان ٣٦٧/٤.

قال أبو جعفر وأبو عبدالله عليهما السلام: من أرجى لم ينكح. ومن آوى فقد نكح.

وقرأ حمزة والكسائي وحفص: «يرجي» بالياء. والمعنى واحد^(١).

﴿وَمِنْ ابْتِغَيْتَ﴾: طلبت.

﴿مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾: طَلَقْتَ بالرجعة.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾: في شيء من ذلك.

﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ تُقَرَّرَ بَعْثُهُنَّ وَلَا يُخْرَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلَّهُنَّ﴾: ذلك التفويض

إلى مشيئتك، أقرب إلى قرّة عيونهنّ وقلة حزنهنّ ورضاهنّ جميعاً. لأنّه حكم «كلهنّ» فيه سواء. ثم إن سويت بينهما، وجدن ذلك تفضلاً منك. وإن رجحت بعضهنّ، علمن أنه بحكم الله فتطمئن نفوسهنّ.

وقرئ^(٢): «تقرّر» بضمّ التاء. «وأعينهنّ» بالنصب. وتقرّر على البناء للمفعول.

و«كلهنّ» تأكيد نون «يرضين».

وقرئ بالنصب تأكيداً لهنّ^(٣).

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾: فاجتهدوا في إحسانه.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾: بذات الصدور.

﴿حَلِيماً﴾ ٥٠: لا يعاجل بالعقوبة. فهو حقيق بأن يتقنى.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ﴾: بالياء. لأنّ تأنيث الجمع غير حقيقي.

وقرأ البصريان بالتاء^(٤).

﴿مِنْ بَعْدُ﴾: قيل^(٥): من بعد التسع. وهو في حقّه، كالأربع في حقنا.

وقيل^(٦): من بعد اليوم، حتّى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح أخرى.

١. أنوار التنزيل ٢٥٠/٢.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. نفس المصدر والموضع.

﴿وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾: فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى. و«من» مزيدة لتأكيد الاستغراق.

﴿وَلَوْ أَغْنَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾: حسن الأزواج المستبدلة.

وهو حال من فاعل «تبدل» دون مفعوله، وهو «من أزواج» لتوغلّه في التنكير. وتقديره: مفروضاً إعجابك بهنّ.

واختلف في أنّ الآية محكمة أو منسوخة بقوله: «ترجي من تشاء منهنّ وتزوي إليك من تشاء» على المعنى الأخير. فإنه وإن تقدّمها قراءة، فهو مسبوق بها نزولاً.

وقيل ^(١): المعنى: لا يحلّ النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي نصّ على إحلالهنّ لك، ولا أن تبدل بهنّ أزواجاً من أجناس أخرى.

وقيل ^(٢): معناه: لا تحلّ لك اليهوديات ولا النصرانيات ولا أن تبدل بهنّ، أي ولا أن تبدل الكنانيات بالمسلمات، لأنه لا ينبغي أن يكنّ أمّهات المؤمنين.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾: استثناء من «النساء»، لأنه يتناول الأزواج والإماء.

وقيل ^(٣): منقطع.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً﴾ ^(٤): فتحفظوا أمركم، ولا تتخطوا ما أحلّ لكم.

وفي الكافي ^(٥): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام ^(٥) في قول الله ﷻ: «لا يحلّ لك النساء من بعد».

فقال: إنّما عني به: لا يحلّ لك النساء التي حرّم الله عليك في هذه الآية ^(٦) «حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعمّاتكم وخالاتكم» إلى آخرها، ولو كان الأمر كما يقولون، كان قد أحلّ لكم ما لم يحلّ له. لأنّ أحدكم يستبدل كلّما أراد. ولكن ليس

١. نفس المصدر والموضع.

٢. مجمع البيان ٣٦٧/٤.

٣. أنوار التنزيل ٢٥٠/٢.

٤. الكافي ٣٨٩/٥، ذيل حديث ٤.

٥. المصدر: قلت: أرايت.

٦. النساء ٢٢.

الأمر كما تقولون. إن الله ﷻ أحلّ لنبيه ﷺ أن ينكح من النساء ما أراد^(١) إلا ما حرّم عليه في هذه الآية التي في النساء.

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد^(٢)، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك». .

فقال: أراكم وانتم تزعمون أنّه يحلّ لكم ما لم يحلّ لرسول الله ﷺ. [وقد أحلّ الله تعالى لرسول الله ﷺ]^(٣) أن يتزوّد من النساء ما شاء. إنّما قال: لا يحلّ لك النساء من بعد الذي حرّم عليك قوله: «حرّم عليكم أمهاتكم وبناتكم» إلى آخر الآية.

أحمد بن محمد العاصمي، عن علي بن الحسن بن فضال^(٤)، عن علي بن أسباط، عن عمه يعقوب بن سالم عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: أرايت قول الله ﷻ: «لا يحلّ لك النساء من بعد».

قال: إنّما لم يحلّ له النساء التي حرّم عليه في هذه الآية «حرّم عليكم أمهاتكم وبناتكم» في هذه الآية كلّها ولو كان الأمر كما تقولون^(٥)، لكان قد أحلّ لكم ما لم يحلّ له هو. لأنّ أحدكم يستبدل كلّما أراد. ولكن ليس الأمر كما تقولون^(٦) أحاديث آل محمّد خلاف أحاديث الناس. إنّ الله ﷻ أحلّ لنبيه ﷺ أن ينكح من النساء ما أراد، إلا ما حرّم الله عليه في سورة النساء في هذه الآية.

وفي مجمع البيان^(٧): «ولو أعجبك حسنهنّ» يعني: إن أعجبك حسن ما حرّم عليك من جملةهنّ ولم يحلّلن لك. وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «ما أراد من النساء» بدل «أن ينكح من النساء ما أراد».

٢. نفس المصدر ٣٨٨/٥، ح ٢.

٤. نفس المصدر ٣٩١/٥، ح ٨.

٦. المصدر: يقولون.

٧. مجمع البيان ٣٦٧/٤.

٣. ليس في س وأ.

٥. المصدر: يقولون.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾: إِلَّا وقت أن يؤذن لكم. أو إِلَّا مأذوناً لكم.

﴿ إِلَى طَعَامٍ ﴾: في أصول الكافي^(١): محمد بن الحسن وعلي بن محمد، [عن سهل]^(٢) عن محمد بن سليمان، عن هارون بن الجهم، عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لما احتضر الحسن بن علي عليه السلام قال للحسين عليه السلام: يا أخي، إنِّي أوصيك بوصية فاحفظها: فإذا أنا مت فهينني، ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة عليها السلام ثم ردني فادفني في البقيع. واعلم أنه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وعداوتها لنا أهل البيت.

فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره وانطلق^(٣) به إلى مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلي فيه على الجنائز، فصلّى على الحسن عليه السلام. فلما أن صلى عليه، حُمِل فأدخل المسجد. فلما أوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بلغ عائشة الخبر، وقيل لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي عليه السلام ليدفنوه^(٤) مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

فخرجت مبادرة على بغل بسرج، فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفت وقالت: نحوا ابنكم عن بيتي، فإنه لا يدفن فيه شيء ولا يهتك على رسول الله صلى الله عليه وآله حجاب.

فقال لها الحسين بن علي عليه السلام: قديماً هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله، وأدخلت بيته من لا يحب رسول الله صلى الله عليه وآله قربه. وإن الله سائلك عن ذلك، يا عائشة. إن أخي أمرني أن أقرّبه من أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ليحدث به عهداً. واعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله صلى الله عليه وآله ستره. لأن الله تبارك وتعالى يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» وقد

١. الكافي ٣٠٢/١-٣٠٣، ح ٣. وله ذيل.

٢. من المصدر.

٤. المصدر: ليدفن.

٣. المصدر: فانطلقوا.

أدخلت أنت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير إذنه . وقد قال الله ﷻ : «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» ولعمري لقد ضربت أنت لأبيك وفاروقه عند اذن رسول الله ﷺ المعاول .

وقال الله ﷻ :^(١) «إن الذين يغصون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى» ولعمري لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله ﷺ بقربهما منه الأذى ، وما رعيًا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله ﷺ ، إن الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياء . والله ، يا عائشة ، لو كان هذا الذي كرهته من دفن الحسن عند أبيه صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله ، لعلمت إنه سيّد فن وإن رغم معطسك . والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(٢) .

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمه الله^(٣) بإسناده إلى ابن عباس قال : دخل الحسين بن علي رضي الله عنهما علي أخيه الحسن بن علي رضي الله عنهما في مرضه الذي توفّي .

فقال : كيف تجددك ، يا أخي ؟

قال : أجدني في أوّل يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا - إلى قوله : وأن تدفني مع [جدي]^(٤) رسول الله ﷺ . فأني أحقّ به ببيته ممّن أدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده . قال الله فيما أنزل على نبيّه ﷺ في كتابه : «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم» فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته . ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده . فإن أنت غلبك الأمر^(٥) ، فأنشذك بالقرابة التي قرّب الله ﷻ منك والرحم الماسّة من رسول الله ﷺ أن لا تهريق^(٦) في محجمة من دم حتّى نلقى^(٧) رسول الله ﷺ

١. الحجرات ٢/ .

٢. نفس السورة ٣/ .

٣. أمالي الطوسي ١٦٠/١ - ١٦١ .

٤. من المصدر .

٥. المصدر : «فإن ابت عليك الأمر» بدل «فإن أنت غلبك الأمر» .

٦. هكذا في المصدر . وفي النسخ : تهدموا . ٧. هكذا في ن . وفي سائر النسخ والمصدر : تلقى .

فنتخصم^(١) إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده. ثم قبض ﷺ. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، بإسناده إلى عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله ﷺ قال: كان جبرائيل عليه السلام إذا أتى النبي ﷺ قعد بين يديه قعدة العبد. وكان لا يدخل حتى يستأذنه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وأما قوله ﷺ: «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم (إلى طعام غير ناظرين إناه)»^(٤) فإنه لما تزوج رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش، وكان يحبها، فأولم ودعا أصحابه. [فكان أصحابه] إذا أكلوا يحبون أن يتحدثوا عند رسول الله ﷺ وكان يحب أن يخلو مع زينب. فأنزل الله ﷻ «يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم» وذلك أنهم كانوا يدخلون بلا إذن. [فقال ﷺ]: «إلا أن يؤذن لكم» إلى قوله تعالى: «من وراء حجاب»^(٥).

﴿غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنْهَاء﴾: غير منتظرين وقته، أو إدراكه. حال من فاعل «لا تدخلوا» أو المجرور في «لكم».

وقرئ بالجر، صفة «لطعام» فيكون جارياً على غير من هو له بلا إبراز الضمير، وهو غير جائز عند البصريين. وقد أمال حمزة والكسائي «إنه» لأنه مصدر أنى الطعام: إذا أدرك^(٦).

﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا﴾: تفرقوا ولا تمكثوا.

والآية خطاب لقوم يتحنون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين

١. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: فتتخصم.

٢. علل الشرائع / ٧، ح ٢.

٣. تفسير القمي ١٩٥/٢.

٤. من المصدر.

٥. من المصدر.

٦. ليس في المصدر. ولكن في تفسير نور الثقلين ٢٩٧/٤، ح ٢٠١.

٧. أنوار التنزيل ٢٥٠/٢.

لإدراكه مخصوصة بهم وبأمثالهم. وألا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته بالإذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام.

﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: بعضهم بعضاً. عطف على «ناظرين». أو مقدّر بفعل، أي ولا تدخلوا، أو لا تمكثوا مستأنسين.

﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾: اللبث.

﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾: لتضييق المنزل عليه وعلى أهله، واشغاله^(١) فيما لا يعنيه.

﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾: من إخراجكم، لقوله:

﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾: يعني: إخراجكم حقاً. فينبغي أن لا يترك حياء كما

لم يتركه الله ترك الحيي فأمركم بالخروج.

وقرئ: «لاستحي» بحذف الياء الأولى، والقاء حركتها على الحاء^(٢).

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً﴾: شيئاً يُنْتَفَع به.

﴿فَسَأَلُوهُنَّ﴾: المتاع.

﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: ستر.

﴿ذَلِكُمْ أَظْهَرَ قُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبُهُنَّ﴾: من خواطر الشيطان.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾: ما صح لكم.

﴿أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: ﷺ تفعلوا ما يكرهه.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾: من بعد وفاته، أو فراقه.

﴿إِنْ ذَلِكُمْ﴾: يعني: إيذاؤه ونكاح نسائه.

﴿كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾^(٣): ذنباً عظيماً. وفيه تعظيم من الله لرسوله ﷺ وإيجاب

لحرمة حيّاً وميتاً. ولذلك بالغ في الوعيد عليه.

وفي جوامع الجامع^(٣): وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند النبي ﷺ

وعنده ميمونة. فأقبل ابن أم مكتوم، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب.

فقال: احتجبا.

فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمى لا يبصرنا؟

فقال: أفعميا وان^(١) أنتما، ألستما تبصرانه؟

وروي^(٢) أن بعضهم قال: أنهى أن نكلّم بنات عمّا إلّا من وراء حجاب؟ لئن مات محمّد لأتزوّجن عائشة. وعن مقاتل: هو طلحة بن عبيدالله. فنزلت «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» إلى آخرها.

وفي مجمع البيان^(٣): ونزلت آية الحجاب لمّا بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، وأولم عليها.

[قال أنس: أولم عليها]^(٤) بتمر وسويق، وذبح شاة، وبعثت إليه أمّي أم سليم بحيس في تور^(٥) من حجارة. فأمرني رسول الله ﷺ أن أدعو الصحابة إلى الطعام، فدعوتهم. فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون. قلت: يا نبيّ الله، قد دعوت حتّى ما [أجد]^(٦) أحداً أدعوه^(٧).

فقال: ارفعوا طعامكم.

فرفعوا طعامهم^(٨)، وخرج القوم. وبقي ثلاثة نفر يتحدّثون في البيت، فأطالوا المكث. فقام رسول الله ﷺ وقمت معه لكي يخرجوا. فمشى حتّى بلغ حجرة عائشة، ثمّ ظلّ أنّهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم، فنزلت الآية.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أفعميتاوان.

٢. نفس المصدر ٣٧٦. ٣. مجمع البيان ٣٦٦/٤.

٤. ليس في الأصل.

٥. الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن ويدلكّ دلكاً شديداً حتّى يمتزج، ثمّ يندّر نواه. التور: إناء صغير.

٦. من المصدر.

٧. ما وسون: أجد دعوة بدل أجد أحداً أدعوه.

٨. من المصدر.

ونزل^(١) قوله: «ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» إلى آخر الآية، في رجل من الصحابة قال: لئن قبض رسول الله لأنكحن عائشة بنت أبي بكر. عن ابن عباس. قال مقاتل: هو طلحة بن عبيدالله.

وقيل: إن رجلين قالوا: أينكح محمد نساءنا ولا ننكح^(٢) نساءه؟ والله لئن مات لنكحنا^(٣) نساءه. وكان أحدهما يريد عائشة، والآخر يريد أم سلمة، عن أبي حمزة الثمالي.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): «وأما قوله ﷺ: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً أن ذلكم كان عند الله عظيماً» فإنه كان سبب نزولها، أنه لما أنزل الله «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم»^(٥) وحرّم الله نساء النبي على المسلمين، غضب طلحة فقال: يحرم محمد علينا نساءه ويتزوج هو نساءنا! لئن أمات الله ﷺ ومحمد ﷺ لنركضن بين خلاخيل نساءه كما ركض بين خلاخيل نساءنا^(٦). فأنزل الله ﷺ «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً أن ذلكم كان عند الله عظيماً».

وفي أصول الكافي^(٧): الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان رفعه إليهم في قول الله ﷺ: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» في علي والأئمة «كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا»^(٨).

وفي الكافي^(٩): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن

١. نفس المصدر والموضع.

٢. هكذا في المصدرون. وفي الأصل: «ينكح». وفي م، س وأ: «نكح».

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: انكحنا. ٤. تفسير القمي ١٩٥/٢.

٥. الأحزاب ٦٧.

٦. المصدر: «لنفعلن كذا وكذا» بدل «لنركضن بين خلاخيل نساءه كما ركض بين خلاخيل نساءنا».

٧. الكافي ٤١/١، ح ٩. ٨. الأحزاب ٦٩.

٩. ج ٤٢٠/٥، ح ١.

العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أحدهما عليه السلام أنه قال: لو لم يُحَرِّم على الناس أزواج النبي عليه السلام لقول الله تعالى: «وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا [أزواجه من بعده أبداً] حُرِّمَ^(١) على الحسن والحسين عليه السلام لقول الله تعالى^(٢): «ولا تنكحوا»^(٣) ما نكح آباءكم من النساء». ولا يصلح للرجل ان ينكح امرأة جدّه.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٤)، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة قال: حَدَّثَنِي سَعْدُ بْنُ أَبِي عُرْوَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، يُقَالُ لَهَا: سَنَاءٌ^(٥). وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمَانِهَا، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ قَالَتَا لَتَغْلِبُنَا هَذِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِجَمَالِهَا، فَقَالَتَا لَهَا لَا يَرَى مِنْكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حِرْصاً فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَنَاوَلَهَا بِيَدِهِ فَقَالَتْ أَعُوذُ بِاللَّهِ. فَانْقَبَضَتْ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْهَا فَطَلَقَهَا وَأَلْحَقَهَا بِأَهْلِهَا. وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم امْرَأَةً مِنْ كِنْدَةَ بِنْتِ الْجَوْنِ فَلَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ مَارِيَةِ الْقَبْطِيَّةِ قَالَتْ لَوْ كَانَ نَبِيًّا مَامَاتِ ابْنَةُ. فَأَلْحَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِأَهْلِهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا.

فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَوَلِيَ النَّاسَ أَبُو بَكْرٍ، أَتَتْهُ الْعَامِرِيَّةُ وَالْكَنْدِيَّةُ وَقَدْ خُطِبَتَا. فَاجْتَمَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ فَقَالَا لَهَا: اخْتَارَا إِنْ شِئْتُمَا الْحِجَابَ، وَإِنْ شِئْتُمَا الْبَاهَ.

فَاخْتَارَتَا الْبَاهَ. فَتَزَوَّجَتَا، فَجُذِمَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ^(٦) وَجُزِيَ الْآخَرُ.

قال عمر بن أذينة: فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ زُرَّارَةَ وَالْفَضِيلَ، فَرَوِيَا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: مَا نَهَى اللَّهُ تعالى مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدْ عَصِيَ فِيهِ، حَتَّى لَقَدْ نَكَحُوا أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ بَعْدِهِ. وَذَكَرَ هَاتَيْنِ الْعَامِرِيَّةَ وَالْكَنْدِيَّةَ.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: لو سألتهم عن رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها،

١. المصدر: حرمن.

٢. النساء ٢٢/.

٣. ليس في أ.

٤. نفس المصدر ٤٢١/٥، ح ٣.

٥. المصدر: «سني». وهكذا في مناقب آل أبي طالب وإعلام الوري للذين نقل عنهما في البحار ١٩٢/٢٢

٦. المصدر: الرجلين.

٢٠٤.

أَتَحِلُّ لَابْنَهُ؟ لَقَالُوا: لَا. فرسول الله ﷺ أعظم حرمة من آبائهم.

محمَّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد^(١)، عن علي بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن زرارة بن اعين، عن أبي جعفر عليه السلام نحوه. وقال في حديثه: و[لا]^(٢) هم يستحلون أن يتزوَّجوا أمهاتهم إن كانوا مؤمنين. وإن أزواج رسول الله ﷺ في الحرمة مثل أمهاتهم.

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾: كنكاحهنَّ على السننكم.

﴿أَوْ تُخْفَوْهُ﴾: في صدوركم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣): فيعلم ذلك، فيجازيكم به. وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ﴾: استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم.

روي أنه لما نزلت آية الحجاب، قال الآباء والأبناء والأقارب: يا رسول الله، أَوَنَكَلَمَهُنَّ أَيْضًا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ؟ فنزلت^(٤).

قيل^(٥): وإنا لم يذكر العم والخال، لأنهما بمنزلة الوالدين. ولذلك سُمِّي العم: أبا، في قوله^(٥): «واله آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق». أو لأنه كره ترك الحجاب عنهما، مخافة أن يصفيا لأبائهما.

﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾: يعني: نساء المؤمنات.

﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾: قيل^(٦): من العبيد والإماء وقيل: من الإماء خاصة.

وفي كتاب المناقب^(٧) لابن شهر آشوب: إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام تُوْفِيَ عَنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ: أُمَامَةَ

٢. من المصدر.

١. نفس المصدر والموضع، ح ٤.

٤. نفس المصدر والموضع.

٣. أنوار التنزيل ٢/٢٥١.

٦. نفس المصدر والموضع.

٥. البقرة/١٣٣.

٧. مناقب آل أبي طالب ٣/٣٠٥، بتصريف في صدره.

وأَمَّا زَيْنَبُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمِيْسٍ؛ وَلِئَلَّيْ التَّمِيْمِيَّةُ؛ وَأُمُّ الْبَنِيْنَ الْكَلَابِيَّةُ. وَلَمْ يَتَزَوَّجْنَ بَعْدَهُ.

وخطب المغيرة بن نوفل أمانة، ثم أبو الهياج بن أبي سفيان بن حارث. فروت عن عليّ ﷺ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَزْوَاجِ النَّبِيِّ وَالْوَصِيِّ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ بغيره بعده. فلم تتزوج امرأة ولا أم ولد بهذه الرواية.

وفي الكافي^(١): عَدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، [عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ^(٢)] إسماعيل، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبَلَادِ؛ وَيَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ معاوية بن عَمَّارٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا، إِذْ دَخَلَ أَبِي فَرَحَبٌ بِهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ طَوِيلًا.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ لِأَبِي مُعَاوِيَةَ حَاجَةً، فَلَوْ خَفَقْتُمْ^(٣). فقمنا جميعاً.

فقال لي أبي: ارجع، يا معاوية. فرجعت.

فقال أبو عبد الله ﷺ: هذا ابنك؟

قال: نعم، وهو يزعم أن أهل المدينة يصنعون شيئاً لا يحلّ لهم.

قال: وما هو؟

قلت: إِنَّ الْمَرْأَةَ الْقُرْشِيَّةَ وَالْهَاشِمِيَّةَ تَرْكَبُ وَتَضَعُ يَدَهَا عَلَى رَأْسِ الْأَسْوَدِ وَذِرَاعِهَا^(٤) عَلَى عُنُقِهِ.

فقال أبو عبد الله ﷺ: يَا بُنَيَّ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟

قلت: بلى.

قال: اقْرَأْ هَذِهِ الْآيَةَ: «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي آبَائِهِنَّ» حَتَّىٰ بَلَغَ «وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ».

ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، لَا بَأْسَ أَنْ يَرَى الْمَمْلُوكُ الشَّعْرَ وَالسَّاقَ.

١. الكافي ٥/٥٣١، ح ٢. ٢. من المصدر.

٣. هكذا في المصدرون. وفي سائر النسخ: خفتم.

٤. المصدر: ذراعها.

﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾: فيما أمرتن به.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ (٢): لاتخفى عليه خافية.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾: يعتنون بإظهار شرفه وتعظيم شأنه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾: اعتنوا أنتم أيضاً فإنكم أولى بذلك.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣): وانقادوا لأوامره.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (١): ثم ذكر ما فضل الله نبيه ﷺ. فقال جل ذكره: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

قال: صلوات الله عليه، تزكية له وثناء عليه. وصلوات (٢) الملائكة، مدحهم له. وصلوات (٣) الناس، دعاءهم له والتصديق والإقرار بفضله. وقوله تعالى: «وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» يعني: سلِّموا له بالولاية وبما جاء به.

وفي عيون الأخبار (٤)، في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة حديث طويل. وفيه: قالت العلماء: فأخبرنا، هل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب؟

فقال الرضا عليه السلام: فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً، إلى قوله عليه السلام: وأما الآية السابعة فقوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» [وقد علم المعاندون منهم أنه لما نزلت هذه الآية (٥)] قيل (٦): يا رسول الله، قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك؟

فقال: تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. فهل بينكم معاشر الناس، في هذه خلاف؟

١. تفسير القمي ١٩٦/٢.

٢. المصدر: صلوة.

٣. المصدر: صلوة.

٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٣١/١ و٢٣٦-٢٣٧.

٦. المصدر: قالوا.

٥. ليس في المصدر.

قالوا: لا. قال المأمون: هذا ممّا لاخلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأمة، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟

قال أبو الحسن عليه السلام: نعم، أخبروني عن قول الله تعالى^(١): «يس والقرآن الحكيم. إنك لمن المرسلين. على صراط مستقيم» فمن عنى بقوله: «يس»؟
 قالت العلماء: «يس» محمّد، لا يشكّ فيه أحد.

وقال أبو الحسن عليه السلام: فإنّ الله ﷻ أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلّا من عقله، وذلك أنّ الله ﷻ لم يسلم على أحد إلّا على الأنبياء صلوات الله عليهم. فقال تعالى^(٢): «سلام على نوح في العالمين». وقال^(٣): «سلام على إبراهيم» وقال^(٤): «سلام على موسى وهارون» ولم يقل: سلام على آل نوح. ولم يقل: سلام على آل إبراهيم. ولم يقل^(٥): سلام على آل موسى وهارون. وقال^(٦): «سلام على آل ياسين» يعني: آل محمّد ﷺ.

فقال المأمون: قد علمت أنّ في معدن النبوة شرح هذا وبيانه، فهذه السابعة.
 وفي باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون من محض الإسلام^(٧) وشرائع الدين^(٨):
 والصلاة^(٩) على النبي واجبة في كلّ المواطن، وعند العطاس والذبائح وغير ذلك.
 وفي أصول الكافي^(١٠): أبو علي الأشعري، عن محمّد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن حسين بن زيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله ﷻ ولم يصلّوا على نبيهم، إلّا كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم.

١. يس ١-٤.

٢. نفس السورة ١٠٩.

٣. نفس السورة ١٢٠.

٤. نفس السورة ١٣٠.

٥. المصدر: لا قال.

٦. نفس المصدر ١٢٤/٢.

٧. الأصل: الأيمان.

٨. المصدر: الصلوات.

٩. الكافي ٤٩٧/٢ ح ٥.

وفي كتاب الخصال^(١): عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: هذه شرائع الدين إلى أن قال عليه السلام: الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله واجبة في كل المواطن، وعند العطاس والرياح وغير ذلك.

وفيه^(٢)، فيما علم أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من الأربعمائة باب مما يصلح للمسلم في دينه ودنياه: صلّوا على محمد وآل محمد. فإن الله تعالى يقبل دعاءكم عند ذكر محمد، ودعاءكم له، وحفظكم إياه.

وإذا قراتم: «إن الله وملائكته يصلّون على النبي»^(٣). فصلّوا عليه في الصلاة كنتم أو في غيرها^(٤). عن أبي عبد الله عليه السلام^(٥) قال: أربعة أوتوا سمع الخلائق: النبي صلى الله عليه وآله؛ وهور العين؛ والجنة؛ والنار. فما من عبد يصلّي على النبي صلى الله عليه وآله أو^(٦) يسلم عليه، إلّا بلغه ذلك وسمعه. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي الكافي^(٧): علي بن إبراهيم، [عن أبيه]^(٨) عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إذا أذنت فافصح بالألف والهاء، وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله كلما ذكرته أو ذكره ذاكر في أذان أو غيره. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة^(٩).

وفي كتاب ثواب الأعمال^(١٠): عن أبي المغيرة^(١١) قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل أن يثني رجله أو يكلم أحداً: «إن الله وملائكته يصلّون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً». اللهم

١. الخصال/٦٠٧، ح ٩.
٢. نفس المصدر/٦١٣، ح ١٠.
٣. ذكر في الآية بطولها.
٤. نفس المصدر/٦٢٩.
٥. نفس المصدر/٢٠٢، صدر حديث ١٧.
٦. المصدر: و.
٧. الكافي/٣٠٣/٣، ح ٧.
٨. من المصدر.
٩. العبارة الأخيرة زائدة، لأن الحديث مذكور هناك.
١٠. ثواب الأعمال/١٨٧، صدر حديث ١.
١١. المصدر: ابن المغيرة.

صَلَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَذَرِيَّتِهِ^(١)، قَضَى اللَّهُ لَهُ مِائَةَ حَاجَةٍ سَبْعِينَ فِي الدُّنْيَا وَثَلَاثِينَ فِي الْآخِرَةِ.

قال: قلت ما معنى صلاة الله وصلاة ملائكته وصلاة المؤمنين؟^(٢)

قال: صلاة الله، رحمة من الله. وصلاة الملائكة تزكية منهم له. وصلاة المؤمنين^(٣)، دعاء منهم له. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي إرشاد المفيد^(٤) بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيِّ سَبْعَ سِنِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى السَّمَاءِ شَهَادَةٌ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إِلَّا مِنِّي وَمَنْ عَلَيَّ.

وفي مجمع البيان^(٥): وفي مسند السيد أبي طالب الهروي مرفوعاً إلى أيوب: عن النبي ﷺ قال: صَلَّتِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى عَلِيِّ سَبْعَ سِنِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَصَلِّ فِيهَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرِهِ.

وفي كتاب التوحيد^(٦)، خطبة لعلي عليه السلام وفيها: وبالشهادتين تدخلون^(٧) الجنة، وبالصلاة تنالون^(٨) الرحمة، فاكثروا من الصلاة على نبيكم وآله «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

وفي كتاب معاني الأخبار^(٩): حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مَسْرُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَامِرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الْمُعَلِّيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَمِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَفْصِ الْبَزَازِ الْكُوفِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

١. م وس وا: اللهم صل على محمد وآل محمد وذريته. المصدر: اللهم صل على محمد النبي وذريته.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: المؤمن. ٣. م وا وس ون: المؤمن.

٤. الإرشاد/ ٢١.

٥. لم نثر عليه في مجمع البيان ٦٥/٣. ولكن في تفسير نور الثقلين ٢٨٧/٤ - ٢٨٨، ح ١٥٩ وأيضاً ٣٠٢/٤.

٦. التوحيد/ ٧٣، ضمن حديث ٢٧. ح ٢٢٣ عنه.

٧. المصدر: يدخلون. ٨. المصدر: ينالون.

٩. معاني الأخبار/ ٣١٧-٣١٨، ح ١.

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﷻ: «أَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

فقال: الصلاة من الله ﷻ رحمة. ومن الملائكة، تزكية. ومن الناس، دعاء. وأما قوله ﷻ: «سَلِّمُوا تَسْلِيمًا» يعني: التسليم فيما ورد عنه.

قال: فقلت له: فكيف نصلي على محمد؟

قال: تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله. وجميع خلقه على محمد وآل محمد، عليه وعليهم، ورحمة الله وبركاته.

قال: قلت: فما ثواب من صلى على النبي وآله بهذه الصلاة؟

قال: الخروج من الذنوب، والله، كهيشته يوم ولدته أمه.

وفي الكافي^(١): أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن علي بن مهزيار، عن موسى بن القاسم قال: قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام: طفت يوماً عن رسول الله ﷺ.

فقال ثلاث مرّات: صلى الله على رسول الله. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي^(٢): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى قال: كنت عند الرضا عليه السلام فعطس.

فقلت له: [٣] صلى الله عليك. ثم عطس، فقلت: صلى الله عليك. [ثم عطس، فقلت: صلى الله عليك] ^(٤).

وقلت: جعلت فداك، إذا عطس مثلك نقول^(٥) له كما يقول بعضنا لبعض: یرحمک الله. أو كما نقول؟ ^(٦)

١. الكافي ٣١٤/٤، ضمن حديث ٢.

٢. نفس المصدر ٦٥٣/٢ - ٦٥٤، ح ٤.

٣. من المصدر.

٤. من المصدر.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تقول.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تقول.

قال: نعم، أليس تقول^(١): صَلَّى الله على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟

قلت: بلى. قال: أرحم^(٢) مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد؟

قال: بلى وقد صَلَّى عليه ورحمه، وإنما صلواتنا عليه رحمة لنا وقرية.

مُحَمَّد بن الحسن^(٣)، عن سهل بن زياد^(٤)، عن ابن فضال، عن علي بن النعمان، عن أبي مريم الأنصاري، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: كيف كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله؟

قال: لَمَّا غَسَلَهُ أمير المؤمنين عليه السلام وكَفَّنَهُ سَجَّاه، ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهِ عَشْرَةَ فِدَارُوا حَوْلَهُ، ثُمَّ وَقَفَ أمير المؤمنين عليه السلام فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا». فيقول القوم كما يقول. حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَأَهْلُ الْعَوَالِي.

مُحَمَّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب^(٥)، عن علي بن سيف، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فَوْجاً فَوْجاً.

[قال: ^(٦)] وَقَالَ أمير المؤمنين عليه السلام: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ فِي صَحَّتِهِ وَسَلَامَتِهِ: إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَيَّ فِي الصَّلَاةِ عَلَيَّ بَعْدَ قُبُضِ اللَّهِ لِي «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

وفي الكافي^(٧): أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزَارٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام انْتَهَى إِلَى

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يقول.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «رحم الله» بدل «قال ارحم» وفي هذه الصورة هنا سقطاً أو السائل سكت عن الجواب. كما أشار إليه في هامش نور الثقلين ٣٠٣/٤.

٣. المصدر والأصل (خ. ل.). مُحَمَّد بن الحسين.

٤. نفس المصدر ٤٥٠/١، ح ٣٥.

٥. نفس المصدر ٤٥١/١، ح ٣٨.

٦. من المصدر.

٧. نفس المصدر ٥٥٢/٥، ح ٤.

قبر النبي ﷺ فوضع يده عليه وقال: أسأل الله الذي اجتباك واختارك وهداك وهدى بك، أن يصلي عليك.

ثم قال: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً».

وفي روضة الكافي^(١): خطبة لأmir المؤمنين عليه السلام وفي خطبة الوسيلة. قال فيها عليه السلام: أكثروا من الصلاة على نبيكم «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً».

وخطبة له عليه السلام^(٢) يقول فيها: «إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً» اللهم صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد وتحنن على محمد وآل محمد وسلم على محمد وآل محمد، كأفضل ما صليت وباركت وترحمت وتحننت وسلمت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٣)، عن عمرو بن عثمان، عن علي بن عيسى رفعه قال: إن موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته، وقد ذكر محمداً ﷺ فصل عليه: يا ابن عمران، فإني أصلي عليه وملائكتي.

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي عليه السلام: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه: فأما ما علمه الجاهل والعالم من فضل رسول الله ﷺ من كتاب الله، فهو قول الله سبحانه: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً». ولهذه الآية ظاهر وباطن؛ فالظاهر قوله: «صلوا عليه» والباطن قوله: «وسلموا تسليماً» أي سلموا المن وصاه واستخلفه وفضله عليكم^(٥) وما عهد به إليه تسليماً.

١. نفس المصدر ١٩/٨، ضمن حديث ٤. ٢. نفس المصدر ١٧٥/٨، ضمن حديث ١٩٤.

٣. نفس المصدر ٤٤/٨، ضمن حديث ٨، وأوله في ص ٤٢.

٤. الاحتجاج ٢٧٧/١.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «عليكم فضله» بدل «وفضله عليكم».

وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه وصفا ذهنه وصحّ تمييزه^(١).
وفي محاسن البرقي^(٢): عنه، عن محمد بن سنان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام
في قول الله ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا».

قال: فقال: آمنوا عليه وسلّموا له.

وفي الصحيفة السجادية^(٣)، في دعائه عليه السلام في طلب الحوائج: وصلّ على محمد
وآله صلاة دائمة نامية لا انقطاع لأبدها ولا منتهى لأمدّها، واجعل ذلك عوناً لي وسبباً
لنجاح، إنك واسع كريم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): وروى الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه عليه السلام بإسناده،
عن أبي المغيرة قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: ما معني صلوات^(٥) الله وملائكته
والمؤمنين؟

قال: صلوات الله، رحمة الله. وصلوات^(٦) ملائكته، تزكية منهم له. وصلوات
المؤمنين، دعاء منهم له.

وقال محمد بن العباس عليه السلام^(٧): حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى، عن علي بن الجعد، عن
شعيب، عن الحكم قال: سمعت ابن أبي^(٨) ليلى يقول: لقيني كعب بن أبي عجرة فقال:
ألا أهدي إليك هدية؟

قلت: بلى.

قال: إنّ رسول الله ﷺ خرج إلينا، فقلت: يا رسول الله، قد علمنا كيف السلام عليك
فكيف الصلاة عليك؟

٢. المحاسن ٣٢٨، صدر حديث ٨٥.

٤. تأويل الآيات الباهرة، ٤٦٠/٢، ح ٢.

٦. المصدر: صلاة.

٨. ليس في أ، س والأصل.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: غيره.

٣. الصحيفة الكاملة، ذيل الدعاء ١٣.

٥. المصدر: صلاة.

٧. نفس المصدر والموضع.

قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد وآل محمد؛ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وآل محمد؛ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وروي عن الصادق عليه السلام^(١) قال: لما نزل قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا». قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟

قال: تقولون: اللهم صلّ على محمد وآل محمد؛ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ومما ورد في فضل الصلاة على محمد وآل محمد عليه السلام ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه عليه السلام^(٢) بإسناده إلى عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لأُمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم: ألا أبشرك؟

قال: بلى، بأبي أنت وأمي، فإنك لم تزل مبشراً بكل خير.
فقال: أخبرني جبرائيل أنفاً بالعجب.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما الذي أخبرك به، يا رسول الله؟

قال: أخبرني أن الرجل من أمتي إذا صلى عليّ وأتبع بالصلاة على أهل بيتي، فتحت له أبواب السماء، وصليت عليه الملائكة سبعين صلاة - وإنه لمذب خطي - ثم تحات عنه الذنوب؛ كما تحات الورق عن الشجر. ويقول الله تعالى: لبيك عبي وسعديك. يا ملائكتي، أنتم تصلّون عليه سبعين صلاة وأنا أصلي عليه سبعمئة صلاة. وإذا لم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً، ويقول الله ﷻ: لا لبيك ولا سعديك. يا ملائكتي، لا تصعدوا دعاء إلا أن يلحق بالنبي عترته. فلا يزال محجوباً حتّى يلحق بي أهل بيتي.

١. نفس المصدر والموضع. وفيه: «ما يؤيده للأكل: لما انزل» بدل «قال: لما نزل».

٢. نفس المصدر والموضع.

وروي أيضاً^(١) بإسناده، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إذا ذكر النبي فأكثروا من الصلاة عليه. فإنه من صلى عليه صلاة واحدة، صلى الله عليه ألف صلاة في ألف صف^(٢) من الملائكة، ولم يبق شيء مما خلق الله إلا صلى على ذلك العبد لصلاة الله عليه. فلا يرغب عن هذه إلا جاهل مغرور^(٣)، وقد برئ الله منه ورسوله.

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام^(٤) أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا عند الميزان يوم القيامة. فمن ثقلت سيئاته على حسناته، جئت بالصلوات عليّ حتى أثقل بها حسناته. وقد تقدّم البحث، بأن المصلي على محمد دعاؤه محبوب حتى يصلي على آله. ويؤيده ما رواه أيضاً بإسناده، عن أبي عبد الله عليه السلام^(٥) أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام كلّ دعاء محبوب عن السماء حتى يُصلى على النبي وآله صلوات الله عليهم. ومما رواه في فضل الصلاة على محمد وأهل بيته في تفسير الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام^(٦): أن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى إلى جبل بالمدينة في حديث طويل. قال^(٧): فقال: يا أيّها الجبل، إنّي أسألك بجاء محمد وآله الطيبين، الذين بذكر أسمائهم خفف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدرُوا على تحريكه، وهم خلق كثير لا يعرف عددهم إلا الله تعالى.

وقصة ذلك، قال الإمام عليه السلام في حديث طويل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله لما خلق العرش، خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن. وخلق عند كلّ ركن ثلاثمائة وستين ألف ملك، لو أذن الله لأصغرهم لالتقم السماوات السبع والأرضين السبع وما كان بين لهواته إلا كالرّملة في المفازة الفضفاضة.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: ضعف.

٤. نفس المصدر والموضع.

٦. نفس المصدر والموضع.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. المصدر: معزول.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فسأله.

فقال الله تعالى لهم: يا عبادي، احتملوا عرشي هذا. فتعاطوه، فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه. فخلق الله مع كل واحد منهم واحداً، فلم يقدرُوا أن يزعموه^(١). فخلق الله مع كل واحد منهم عشرة، فلم يقدرُوا أن يحركوه.

فقال الله ﷻ لجمعهم: خلّوه عليّ أمسكه بقدرتي. فخلّوه، فأمسكه الله ﷻ بقدرته. ثم قال لثمانية منهم: احملوا أنتم.

فقالوا: يا ربنا، لم نطقه نحن ولم يطيقوا^(٢) هذا الخلق الكثير والجمع الغفير، فكيف نطبق الآن دونهم؟

فقال الله ﷻ: لأنّي أنا الله المقرب^(٣) للبعيد، [والمذلّ للبعيد]^(٤) والمخفّف للشديد، والمسّهّل للعسير، أفعل ما أشاء، وأحكم ما أريد، أعلمكم كلمات تقولونها يُخفّف بها عليكم.

قالوا: وما هي، ربنا؟

قال: تقولون: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، وصلى الله على محمد وآله الطيّبين.

فقالوها، فحملوه وخفّ على كواهلهم؛ كشعرة نابتة على كاهل رجل قويّ. ثم قال الله ﷻ لسائر تلك الأملاك: خلّوا عن هؤلاء الثمانية عرشي^(٥) ليحملوه، وطوفوا أنتم حوله وسبحوني ومجدوني وقّسّوني. فإنّي أنا الله القادر على ما رأيتم وعلى كلّ شيء قدير.

فقد بان لك أنّ بالصلاة على محمد وآله حملت الملائكة العرش، ولولاها لم يطيقوا حمله ولا خفّ عليهم ثقله.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يضعضوه. ٢. ليس في المصدر.

٣. هكذا في المصدر ون. وفي س: «للقريب». وفي سائر النسخ: «للمقرب».

٤. ليس في المصدر.

٥. هكذا في المصدر. وفي ن: «عن شيء». وفي سائر النسخ: «شيء».

ومما ورد في الصلاة على محمد ﷺ في يوم الجمعة^(١)، فمن ذلك ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده، عن الباقر عليه السلام أنه سُئل: ما أفضل الأعمال يوم الجمعة؟ قال: لا أعلم عملاً أفضل من الصلاة على محمد وآل محمد.

وذكر الشيخ المفيد رحمه الله في المقنعة، عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم الخميس وليلة الجمعة، نزلت ملائكة من السماء ومعها أقلام الذهب وصحف الفضة، لا يكتبون إلا الصلاة على محمد وآله إلى أن تغرب^(٢) الشمس يوم الجمعة.

وذكر أيضاً عن الصادق عليه السلام أنه قال: الصدقة ليلة الجمعة ويوم الجمعة بألف. والصلاة على محمد وآله ليلة الجمعة ويوم الجمعة بألف من الحسنات، ويحط الله فيها ألفاً من السيئات، ويرفع بها ألفاً من الدرجات. وأن المصلي على محمد وآله ليلة الجمعة ويوم الجمعة يزهر^(٣) نوره في السماوات إلى يوم الساعة. وأن ملائكة الله في السماوات يستغفرون له والملك الموكل بقبر رسول الله ﷺ يستغفر له إلى أن تقوم الساعة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي. أو يؤذون رسول الله ﷺ بكسر ربايعيته، وقولهم: شاعر مجنون، ونحو ذلك. وذكر الله للتعظيم له. ومن جواز إطلاق اللفظ الواحد على معنيين، فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم عن رحمته.

﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾^(٤): يهينهم مع الإيلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥)، وقوله ﷻ: «أَنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً».

قال: نزلت فيمن غصب أمير المؤمنين عليه السلام حقه، وأخذ حق فاطمة عليها السلام وأذاها. وقد

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يغرب.

٤. تفسير القمي ١٩٦٢.

١. نفس المصدر والموضع.

٣. م وأوس ون: يظهر.

قال رسول الله ﷺ: من أذاها في حياتي؛ كمن أذاها بعد موتي. ومن أذاها بعد موتي؛ كمن أذاها في حياتي. ومن أذاها، فقد أذاني. ومن أذاني، فقد أذى الله. وهو قول الله ﷻ: «أَنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الآية.

وفي مجمع البيان^(١): حَدَّثَنَا السَّيِّدُ أَبُو الْحَمْدِ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَاكِمُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسْكَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دَارِمٍ الْحَافِظُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْعَجَلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَرْطَاةُ بْنُ حَبِيبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو خَالِدٍ الْوَاسِطِيُّ، وَهُوَ أَخَذَ بِشَعْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَهُوَ أَخَذَ بِشَعْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، وَهُوَ أَخَذَ بِشَعْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ^(٢) وَهُوَ أَخَذَ بِشَعْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ أَخَذَ بِشَعْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ أَخَذَ بِشَعْرِهِ، فَقَالَ [يَا عَلِيُّ^(٣)] مَنْ أَذَى شَعْرَةَ مَنْكَ، فَقَدْ أَذَانِي. وَمَنْ أَذَانِي، فَقَدْ أَذَى اللَّهَ. وَمَنْ أَذَى اللَّهَ، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ.

وفي تهذيب الأحكام^(٤): الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن عبد الله بن سنان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آخر رسول الله ﷺ ليلة من الليالي العشاء الآخرة ماشاء الله، فجاء عمر فدق الباب فقال: يا رسول الله، نام النساء، نام الصبيان. فخرج رسول الله ﷺ فقال: ليس لكم أن تؤذوني ولا تأمروني، إنما عليكم أن تسمعوا وتطيعوا.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾: بغير جناية استحقوا بها.
﴿فَقَدْ اخْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾: ظاهرًا.

قيل^(٥): [إنها] نزلت في المنافقين [كانوا] يؤذون علياً عليه السلام. وقيل: في أهل الإفك.

٢. من المصدر.

١. مجمع البيان ٣٧٠/٤.

٤. تهذيب الأحكام ٢٨٢/٢، ذيل حديث ٨١.

٣. ليس في المصدر.

٥. أنوار التنزيل ٢٥٢/٢.

وقيل: في زناة كانوا يبتغون النساء وهن كارهات.

وفي أصول الكافي^(١): الحسين بن محمد، عن أحمد بن إسحاق، عن سعدان بن مسلم، عن عبدالله بن سنان قال: كان رجل عند أبي عبدالله عليه السلام فقرأ هذه الآية: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً».

قال: فقال أبو عبدالله عليه السلام: فما ثواب من أدخل عليه السرور؟

فقلت: جعلت فداك، عشر حسنات؟

فقال: أي، والله، وألف ألف حسنة.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن سنان^(٢)، عن منذرين يزيد، عن المفضل بن عمر، قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الصدود لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم. فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم. ثم يؤمر بهم إلى جهنم.

وفي كتاب الخصال^(٣): عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الناس رجلان؛ مؤمن وجاهل. فلا تؤذ^(٤) المؤمن، ولا تجهل على^(٥) الجاهل فتكون مثله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٦): وقوله عليه السلام: «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات» يعني: علياً وفاطمة عليهما السلام «بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً» وهي جارية في الناس كلهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٧): في تفسير الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث جيشاً وأمر عليهم علياً عليه السلام. وما بعث جيشاً قط وفيهم

١. الكافي ١٩٢/٢، ح ١٣.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «سعد». انظر تنقيح المقال ٢٣٠/٢، رقم ٤٨٠٠.

٣. نفس المصدر ٣٥١/٢ ح ٢. ٤. الخصال ٤٩/٩، ح ٥٧.

٥. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: تؤذي.

٦. ليس في المصدر. ٧. تفسير القمي ١٩٦/٢.

٨. تأويل الآيات الباهرة، ٤٦٥/٢.

عليّ عليه السلام إلا جعله أميرهم . فلما غنموا رغب عليّ عليه السلام أن يشري من جملة الغنائم جارية ، وجعل ثمنها في جملة الغنائم . فكأيده فيها حاطب بن أبي بلتعة وبريدة الأسلمي وزايداه . فلما نظر إليهما يكأيدانه ويزايدانه ، انتظر أن بلغ قيمتها قيمة عدل في يومها ، فأخذها بذلك . فلما رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تواطئا على أن يقولوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فوقف بريدة قدام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا رسول ألم ترإلى ابن أبي طالب أخذ جارية من المغنم دون المسلمين ؟ فأعرض عنه . فجاء عن يمينه ، فقالها ، فأعرض عنه . فجاءه عن يساره ، فقالها ، فأعرض عنه .

قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضباً لم ير قبله ولا بعده غضباً مثله ، وتغير لونه ، وتريد ، وانتفخت أوداجه ، وارتعدت أعضاؤه ، وقال : ما لك يا بريدة ، أذيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ اليوم ؟ أما سمعت قول الله تعالى : «الَّذِينَ يُوْذَوْنَ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْفَاسِقِينَ» . والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ؟

فقال بريدة : ما علمت أنني قصدتك بأذى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أو تظنّ ، يا بريدة ، أنه لا يؤذيني إلا من قصد ذات نفسي ؟ أما علمت أنّ عليّاً مني وأنا منه ، وأن من أذى عليّاً فقد أذاني ، ومن أذاني فقد أذى الله ، ومن أذى الله فحقّ على الله أن يؤذيه بأليم عذابه في نار جهنّم ؟ يا بريدة ، أنت أعلم أم الله تعالى ؟ وأنت أعلم أم قرأ اللوح المحفوظ ؟ وأنت أعلم أم ملك الأرحام ؟

فقال بريدة : بل الله أعلم ، وقرأ اللوح المحفوظ أعلم ، وملك الأرحام أعلم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : وأنت اعلم يا بريدة ، أم حفظة عليّ بن أبي طالب ؟

قال : بل حفظة عليّ بن أبي طالب .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فكيف تخطئه وتلومه وتؤيخه وتشنع عليه في فعله ؟ وهذا جبرائيل أخبرني عن حفظة عليّ ، أنهم لم يكتبوا عليه قطّ خطيئة منذ وُلد . وهذا ملك الأرحام حدّثني أنه كتب قبل أن يولد حين استحكم في بطن أمة أنه لا يكون منه خطيئة

أبدأ. وهؤلاء قرءاء اللوح المحفوظ أخبروني ليلة أسري بي، أنهم وجدوا في اللوح المحفوظ مكتوباً: عليّ المعصوم من كلّ خطاء وزلل. فكيف تخطئه أنت يا بريدة؟ وقد صوّبه ربّ العالمين والملائكة المقرّبين؟ يا بريدة، لا تعرّض لعلّي بخلاف الحسن الجميل؛ فإنّه أمير المؤمنين، وسيد الصالحين، وفارس المسلمين، وقائد الغرّ المحجلّين، وقسيم الجنّة والنار، يقول: هذا لي، وهذا لك.

ثمّ قال: يا بريدة، أترى ليس لعلّي من الحقّ عليكم؟ معاشر المسلمين، أن تكايدوه ولا تعاندوه ولا تزايدوه، هيهات هيهات هيهات هيهات^(١)، إنّ قدر عليّ عند الله أعظم من قدره عندكم. أو لا أخبركم؟

قالوا: بلى، يا رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: إنّ الله ﷻ يبعث يوم القيامة أقواماً تمتلئ من جهة السيئات موازينهم.

فيقال لهم: هذه السيئات، فأين الحسنات؟ وإلّا فقد عطبتهم.

فيقولون: يا ربّنا، مانعرف لنا من حسنات.

فإذا النداء من قبل الله ﷻ: إنّ لم تعرفوا لأنفسكم من حسنات، فإنّي أعرفها لكم وأوفّيها^(٢) عليكم.

ثمّ تأتي الريح برقعة صغيرة تطرحها في كفّة حسناتهم فترجح بسيئاتهم بأكثر ما بين السماء والأرض فيقال لأحدهم: خذ بيد أبيك وأمك وإخوانك وأخواتك وخاصّتك وقرباتك وأخذانك ومعارفك، فأدخلهم الجنّة.

فيقول أهل المحشر: يا ربّنا، أمّا الذنوب فقد عرفناها، فما كانت حسناتهم؟

فيقول الله ﷻ يا عبادي، إنّ أحدهم مشى ببقية دين عليه لأخيه إلى أخيه، فقال له: خذها فإنّي أحبّك بحبّك لعلّي بن أبي طالب. فقال له الآخر: انّي قد تركتها لك بحبّك

١. وردت في المصدر وأ، مرتين.

٢. المصدر: أوفّرها.

لعليّ بن أبي طالب، ولك من مالي ماشت. فشكر الله تعالى لهما، فحطّ به خطاياهما، وجعل ذلك في حشو صحائفهما وموازينهما، وأوجب لهما ولوالديهما الجنة. قال: يا بريدة، إن من يدخل النار ببغض عليّ أكثر من الخنزف الذي يرمى عند الجمرات، فإياك أن تكون منهم.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾: يغطّين وجوههنّ وأبدانهنّ بملاحفهنّ إذا برزن لحاجة.

و«من» للتبعض. فإن المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلّع ببعض.

﴿ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرِضَ ﴾: يميّز من الإماء والقيينات.

﴿ فَلَا يُؤْذِينَ ﴾: فلا يؤذيهنّ أهل الريبة بالتعرّض^(١) لهنّ.

وفي مجمع البيان^(٢): أنّ أهل الريبة كانوا يمازحون الإماء، وربّما كان يتجاوز المنافقون إلى مازحة الحرائر. فإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: حسبناهنّ إماء. فقطع الله عذرهم.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٣): إنّه كان سبب نزولها، أنّ النساء كنّ يجتنن إلى المسجد ويصلّين خلف رسول الله ﷺ. فإذا كان بالليل وخرجن إلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة والغداة، يقصد الشبان^(٤) لهنّ في طريقهنّ فيؤذونهن^(٥) ويتعرّضون^(٦) لهنّ. فأنزل الله «يا أيّها النبيّ» الآية.

﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا ﴾: لما سلف.

﴿ رَحِيمًا ﴾^(٧): حيث يراعي مصالحهم حتّى الجزئيات منها.

١. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: بالتعريض. ٢. مجمع البيان ٣٧٠/٤.

٣. تفسير القمي ١٩٦/٢.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «الشباب لهم» بدل «الشبان لهنّ».

٥. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: فيؤذيهنّ.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يتعرّض.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾: عن نفاقهم.

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: ضعف إيمان وقلة ثبات عليه، أو فجور عن تزلزلهم في الدين، أو فجورهم.

﴿وَالْمُرْجَفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾: يرجفون أخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها. من إرجافهم. وأصله التحريك من الرجفة، وهي الزلزلة. سُمي به الأخبار الكاذب، لكونه متزلزلاً غير ثابت.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنأمرنك بقتالهم وإجلالهم، أو ما يضطرهم إلى طلب الجلاء. ﴿ثُمَّ لَا يَجَاوِرُونَكَ﴾: عطف على «لنغرينك». و«ثم» للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول أعظم ما يصيبهم.

﴿فِيهَا﴾: المدينة.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١): زماناً، أو جواراً قليلاً.

﴿مَسْلُوعِينَ﴾: نُصِبَ على الشتم، أو الحال. والاستثناء شامل له أيضاً: أي لا يجاورونك إلا ملعونين.

ولا يجوز أن ينتصب عن قوله:

﴿إِنَّمَا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَّلُوا تَقْتِيلًا﴾^(٢): لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وأما قوله ﷺ: «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض» أي شك. «والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً». فإنها^(٤) نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الله ﷺ إذا خرج إلى بعض غزواته. يقولون: قُتل وأسر. فيغتم المسلمون لذلك، ويشكون إلى رسول الله ﷺ. فأنزل الله ﷻ في ذلك «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض» أي شك «والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم»^(٥) ثم لا يجاورونك فيها إلا

٢. ليس في المصدر.

١. تفسير القمي ١٩٦٢-١٩٧.

٣. ليس في المصدر. وفيه: «إلى قوله» بدلاً منه.

قليلًا) أي نأمرك بإخراجهم من المدينة إلّا قليلاً «ملعونين أينما تُقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً».

وفي رواية أبي الجارود^(١): عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ملعونين» فوجبت عليهم اللعنة بقول الله بعد اللعنة [«أينما تُقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً»]^(٢).

﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾: مصدر موكد، أي سنَّ الله ذلك في الأمم الماضية؛ وهو أن يُقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما تُقفوا.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٣): لأنه لا يبدلها، ولا يقدر أحد أن يبدلها.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾: عن وقت قيامها، استهزاء وتعتناً؛ أي امتحاناً.

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾: لم يطلع عليه أحد، لا ملكاً ولا نبياً.

﴿وَمَا يُدْرِكُ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾^(٤): شيئاً قريباً، أو تكون الساعة عن قريب.

وانتصابه على الظرف. ويجوز أن يكون التذكير، لأن الساعة في معنى اليوم. وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعتنين.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾^(٥): ناراً شديدة الإيقاد.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا﴾: يحفظهم.

﴿وَلَا نَصِيرًا﴾^(٦): يدفع العذاب عنهم.

وفي أصول الكافي^(٣): علي بن محمد، عن بعض أصحابه، عن آدم بن إسحاق، عن عبد الرزاق بن مهران، عن الحسين بن ميمون، عن محمد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: «ولا يلعن الله مؤمناً. قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا. خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً».

١. نفس المصدر والموضع. ٢. من المصدر.

٣. الكافي ٣/١٢، ضمن حديث ١. وأوله في ص ٢٨.

﴿يَوْمَ تَقْلُبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾: تُصَرَّفُ من جهة إلى جهة؛ كاللحم يُشَوَّى بالنار. أو^(١) من حال إلى حال.

وقرئ: «تَقْلَبُ» بمعنى: تتَقَلَّبُ. [وتَقْلَبُ] ^(٢). متعلق الظرف ^(٣).

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ^(٤): فلن نبتلي بهذا العذاب.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾: يعنون قاداتهم الذين لقنوهم الكفر.

وقرأ ابن عامر ويعقوب: «ساداتنا» على جمع الجمع، للدلالة على الكثرة^(٥).

﴿فَاضْلُونا السَّبِيلَ﴾ ^(٦): بما زينوه لنا.

﴿رَبَّنَا أَنِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾: مثلي ما آتيتنا منه. لأنهم ضلّوا وأضلّوا.

﴿وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ^(٧): كثير العدد.

وقرأ عاصم بالياء، أي لعناً هو أشدّ اللعن وأعظمه^(٨).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩): وقال علي بن إبراهيم في قوله ﷺ: «يوم تقلب وجوههم في النار» فإنها كناية عن الذين غصبوا آل محمد حقهم. «يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول» يعني: في أمير المؤمنين صلوات الله عليه. «وقالوا ربنا إنا اطعنا ساداتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل». وهما رجلان. والسادة والكبراء، هما أول من بدأ بظلمهم وغصبهم. وقوله ﷺ: «فاضلونا السبيل» أي طريق الجنة. والسبيل: أمير المؤمنين ﷺ.

وفي مصباح شيخ الطائفة ﷺ^(١٠) خطبة لأmir المؤمنين ﷺ خطب بها يوم الغدير، فيها يقول ﷺ: وتقرّبوا إلى الله بتوحيده وطاعة من أمركم أن تطيعوه. ولا تمسكوا بعصم الكوافر، ولا يخلج بكم الغي^(١١)، فتضلّوا عن سبيل الرشاد باتّباع أولئك الذين

١. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: أي.

٣. أنوار التنزيل ٢/٢٥٣.

٥. نفس المصدر والموضع.

٧. مصباح المتجهد ٧٠١.

٢. من م والمصدر.

٤. نفس المصدر والموضع.

٦. تفسير القمي ١٩٧/٢.

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: البغي.

ضلّوا وأضلّوا. قال الله عزّ من قائل في طائفة ذكرهم بالذّم في كتابه: «إِنَّا اطعنا ساداتنا وكبراءنا فاضلّونا السبيلا، ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَ اللَّهُ مِنْهُمَا قَالُوا﴾: فأظهر براءته من مقولهم، يعني: مؤداه ومضمونه.

قيل^(١): وذلك أنّ قارون حرّض امرأة علىّ قذفه بنفسها، فعصمه كما مرّ في القصص.

أو آتهم ناس بقتل هارون لما خرج معه إلى الطور فمات هناك، فحملته الملائكة ومزّوا بهم حتّى رأوه غير مقتول. وقيل: أحياء الله فأخبرهم ببراءته^(٢).

أو قذفوه بعبث في بدنه من برص أو أذرة^(٣) لفرط تسوّره حياء، فأطلعهم الله علىّ أنّه بريء منه.

أو^(٤): نسبوه إلى السحر والجنون والكذب من بعد ما رأوا الآيات، فبرّاه الله منه. ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾^(٥): ذّا قرّبه ووجاهة. أو خطر عند الله لا يسأل شيئاً إلاّ أعطاه.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(٥): حدّثني أبي، عن النضر بن سويد، عن صفوان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ بني إسرائيل كانوا يقولون: ليس لموسى ما للرجال. وكان موسى إذا أراد الاغتسال، ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من الناس. فكان يوماً يغتسل علىّ شطّ نهر، وقد وضع ثيابه علىّ صخرة، فأمر الله ﷻ الصخرة فتباعدت عنه حتّى نظر بنو إسرائيل إليه فعلموا أنّه ليس كما قالوا. فأنزل الله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ» الآية.

٢. المصدر: براءة موسى.

١. أنوار التنزيل ٢/٢٥٣.

٣. الأذرة: انتفاخ الخُصية، لتسرّب سائل فيها. و: الخُصية المتنفخة. ج: أذر.

٥. تفسير القمي ٢/١٩٧.

٤. مجمع البيان ٤/٣٧٢.

أخبرنا الحسين بن محمد^(١)، عن معلى بن محمد، عن أحمد بن النضر، عن محمد بن مروان رفعه إليهم عليه السلام قال: يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا رسول الله في علي والأئمة صلوات الله عليهم؛ كما آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا.

وفي مجمع البيان^(٢): واختلف فيما أودى به موسى على أقوال:

أحدها، أن موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون. فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلت. فأمر الله الملائكة، فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا أنه قدماء وبرأه الله من ذلك. عن علي عليه السلام.

وثانيها، أن موسى عليه السلام كان حياً ستيراً^(٣) يغتسل وحده. فقالوا: ماتسّر^(٤) منا إلا لعب بجلده؛ إما برص، وإما أذرة. فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، فمر الحجر بثوبه، فطلبه موسى فرآه بنو إسرائيل عرباناً كأحسن الرجال خلقاً، فبرأه الله مما قالوا. رواه أبوهريرة مرفوعاً.

وفي أمالي الصدوق^(٥)، بإسناده إلى الصادق عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام لعلقة: يا علقمة، إن رضا الناس لا يملك، وألستهم لأتضبط. ألم ينسبوا موسى عليه السلام إلى أنه عنين وآذوه، حتى برأه الله مما قالوا «وكان عند الله وجيهاً».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾: في ارتكاب ما يكرهه، فضلاً عما يؤذي رسوله.

﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾^(٦): قاصداً إلى الحق. من سدّ، يسدّ، سداداً. والمراد: النهي عن ضده.

﴿يُضِلْخ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: يوفقكم للأعمال الصالحة. أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾: ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل.

١. نفس المصدر والموضع. وفي أم ون: وفي أصول الكافي أخبرنا الحسين بن محمد....

٢. مجمع البيان ٣٧٢/٤. وفيه: واختلفوا.... ٣. الحي: ذوالحياة. والستير: العفيف.

٤. المصدر: يستتر. ٥. أمالي الصدوق ٩١/٩٢، ضمن حديث ٣.

وفي روضة الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لعبد بن كثير البصري الصوفي: ويحك يا عبد، غرك أن عف بطنك وفرجك. إن الله ﷻ يقول في كتابه: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم». اعلم أنه لا يقبل^(٢) الله ﷻ منك شيئاً، حتى تقول قولاً عدلاً.

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: في الأوامر والنواهي.

﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾^(٣): يعيش في الدنيا حميداً وفي الآخرة سعيداً.

وفي أصول الكافي^(٤): الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي والائمة^(٥) من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً». هكذا نزلت.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٦): قال محمد بن العباس عليه السلام عن أحمد بن القاسم، عن أحمد بن محمد السيار، عن محمد بن علي بن أسباط، عن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ومن يطع الله ورسوله في ولاية علي والائمة من بعده فقد فاز فوزاً عظيماً».

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾: [قيل^(٧): تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة. وسماها أمانة من حيث أنها واجبة الأداء.

والمعنى: أنها لعظمة شأنها بحيث لو عُرضت على هذه الأجرام^(٨) والعظام وكانت

١. الكافي ١٠٧/٨، ح ٨١.

٢. المصدر: لا يقبل.

٣. نفس المصدر ٤١٤/١، ح ٨.

٤. المصدر: [ولاية] الائمة.

٥. تأويل الآيات الباهرة، ٤٦٩/٢.

٦. أنوار التنزيل ٢٥٤/٢.

٧. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: الاجسام.

ذات شعور وإدراك، لَأَيِّتَنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا. وحملها الإنسان^(١) مع ضعف
بنيته ورخاوة قوته، لاجرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين.

﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا﴾: حيث لم يف بها ولم يراع حقها.

﴿جَهُولًا﴾^(٢): بكنه عاقبتها. وهذا وصف للجنس، باعتبار الأغلب.

وقيل^(٣): المراد بالأمانة؛ الطاعة التي تعمّ الطبيعية والاختيارية. وبعرضها؛
استدعاؤها الذي يعمّ طلب الفعل من المختار وإرادة صدور من غيره. وبجهلها؛
الخيانة [فيها والامتناع عن أدائها. ومنه قولهم: حامل الأمانة ومحملها، لمن
لا يؤذيها]^(٤) فتبرأ ذمته. فيكونه الإباء عنه إتياناً بما يمكن أن يتأتى منه. والظلم
والجهالة؛ الخيانة والتقصير.

وقيل^(٥): إِنَّهُ تعالى لَمَّا خلق [هذه الأجرام، خلق]^(٥) فيها فهماً. وقال لها: إِنِّي
فرضت فريضة، وخلقْتُ جَنَّةً لمن أطاعني فيها وناراً لمن عصاني.

فقلن: نحن مسخّرات على ما خلقتنا، لانتحلل فريضة ولا نبتغي ثواباً ولا عقاباً.
ولمّا خلق آدم، عرض عليه مثل ذلك فحمله. فكان ظلوماً لنفسه بتحمّل [ما يشقّ
عليها، جهولاً بوخامة عاقبته^(٦).

ولعلّ المراد بالأمانة؛ العقل أو التكليف. وبعرضها عليهنّ؛ اعتبار بالإضافة إلى
استعدادهنّ^(٧). وبإبائهنّ؛ الإباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد. وبحمل
الإنسان؛ قابليته واستعداده لها. وكونه ظلوماً جهولاً؛ لما غلب عليه من القوة الغضبيّة
والشهويّة.

١. ليس في س. ٢. نفس المصدر ٢٥٣/٢ - ٢٥٤.

٣. من المصدر ون. ٤. نفس المصدر ٢٥٣/٢ - ٢٥٤.

٥. من المصدر.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «بتحمّل ماشق جهولاً وخامة عاقبته» بدل «بتحمّله ما يشقّ عليها جهولاً»

٧. ليس في أ.

بوخامة عاقبته.

وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فإن من فوائد العقل، أن يكون مهمناً على القوتين، حافظاً لهما عن التعدي ومجاوزة الحد. ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المتفرقة، بإسناده إلى الحسين بن خالد قال: سألت علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا» الآية^(٢). فقال: الأمانة: الولاية. من أداها بغير حق، [فقد]^(٣) كفر.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٤)، بإسناده إلى محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام. فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة^(٥) عليهم السلام. فعرضها على السماوات والأرض والجبال، فغشيها نورهم.

فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي، ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منهم، لهم ولمن تولاهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري. فمن ادّعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي، عذّبه عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري. ومن أقرب بولايتهم ولم يدّع منزلتهم مني ومكانهم من عظمتي، جعلته^(٦) معهم في روضات جنّاتي، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحثهم كرامتي، وأحللتهم جوارِي، وشفّعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي. فولايتهم أمانة عند خلقي. فأبكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه؟^(٧)

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٣٠٦/١، ح ٦٦. ٢. ليس في المصدر.

٣. من المصدر. ٤. معاني الأخبار ١٠٨-١١٠، ح ١.

٥. المصدر: والأئمة [بعدهم]. ٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: جعلتهم.

٧. هنا زيادة في المصدر. وهي: دون خيرتي.

فأبّت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، من ادّعاء منزلتها وتمنّي محلّها من عظمة ربّهم^(١).

فلما أسكن الله ﷻ آدم وزوجته الجنّة قال لهما^(٢): «كلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة» يعني: شجرة الحنطة «فتكونا من الظالمين».

فنظرا^(٣) إلى منزلة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم صلوات الله عليهم فوجداهما أشرف منازل أهل الجنّة.

فقالا: ربّنا، لمن هذه المنزلة؟

فقال الله ﷻ: ارفعا رؤوسكما إلى ساق العرش^(٤).

فرفعا رؤوسهما، فوجدا أسماء^(٥) محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم^(٦) مكتوبة على ساق العرش بنور الله الجبار ﷻ.

فقالا: يا ربّنا، ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك، وما أحبّهم إليك، وما أشرفهم لديك!

فقال الله ﷻ لولاهم ما خلقتكما. هؤلاء خزنة علمي وأمنائي على سرّي. إياكما أن

تنظرا إليهم بعين الحسد وتمنّيا^(٧) منزلتهم عندي ومحلّهم من كرامتي، فتدخلا بذلك في نهبي وعصيانني فتكونا من الظالمين.

قالا: ربّنا، ومن الظالمون؟

قال: المدّعون لمنزلتهم بغير حقّ.

قالا: ربّنا، فأرنا منازل ظالمهم^(٨) في نارك حتّى نراها؛ كما رأينا منزلتهم في جنّتك.

فأمر الله تبارك وتعالى النار، فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال والعذاب.

وقال ﷻ: مكان الظالمين لهم المدّعين منزلتهم في أسفل درك منها، كلّما أرادوا أن

١. المصدر: ربّها.

٢. البقرة/٣٥.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فَنظَر.

٤. المصدر: عرشي.

٥. المصدر: اسم.

٦. من المصدر.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تمنّيا.

٨. هكذا في المصدر. وفي النسخ: منزله ظالمهم.

يخرجوا منها أعيدها فيها، وكلّما نضجت جلودهم بدلناهم^(١) سواها ليدوقوا العذاب. يا آدم ويا حواء، لا تنظرا إلى أنوارى وحججى بعين الحسد فأهبطكما عن جوارى وأحلّ بكما هوانى «فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماؤرى عنهما من سواتهما، وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما أنى لكما لمن الناصحين فدلّاهما بغرور»^(٢) وحملهما على تمنّى منزلتهما، فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتّى أكلا من شجرة الحنطة، فعاد مكان ما أكلا شعيراً. فأصل الحنطة كلّها ممّا لم يأكله، وأصل الشعير كلّ ممّا عاد مكان ما أكلاه.

فلما أكلا من الشجرة، طار الحليّ والحلل عن أجسادهما وبقيا عريانين «وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وناداهما ربّهما ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقلّ لكما أنّ الشيطان لكما عدوّ مبين قالّا ربّنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين»^(٣) «قال اهبطا»^(٤) من جوارى فلا يجاورنى فى جنتى من يعصينى. فهبطا موكلين إلى أنفسهما فى طلب المعاش.

فلما أراد الله ﷻ أن يتوب عليهما، جاءهما جبرائيل عليه السلام فقال لهما: إنكما إن ظلمتما أنفسكما بتمنّى منزلة من فضّل عليكما، فجزاؤكما ما قد عوقبتما من الهبوط من جوار الله إلى أرضه. فسألا ربكما بحقّ الأسماء التى رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما.

فقالا: اللهمّ إنّنا نسألك بحقّ الأكرمين عليك؛ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة، إلّا تبّت علينا ورحمتنا. فتاب الله عليهما، إنّه هو التوّاب الرحيم. فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أمّتهم، فيأبون حملها ويشفقون من ادّعائها، وحملها الإنسان الذي قد عُرِف. فأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامة. وذلك قول الله ﷻ: «إنّا عرضنا الأمانة على

٢. الأعراف ٢٠/٢٢.

١. المصدر: بدلوا (بدلناهم خ. ل. ج.).

٤. طه ١٢٣.

٣. الأعراف ٢٢/٢٣.

السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً.

حدثنا [محمد بن^(١)] موسى بن المتوكل عليه السلام^(٢) قال: حدثنا عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن فضال، عن مروان بن مسلم، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً».

قال: الإمانة؛ الولاية. والإنسان؛ أبو البشر. روي: المنافق^(٣).

وفي أصول الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين، عن إسحاق بن عمار، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: «إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً».

قال: هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بعض أصحابه، عن أبي حمزة، عن عقيل الخزاعي، أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان إذا حضر الحرب، يوصي المسلمين^(٦) بكلمات.

يقول: تعاهدوا الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها وتقربوا بها. ثم أن الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام على أهل الإسلام، ومن لم يعطها طيب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها، فإنه جاهل بالسنة مغبون الأجر ضال العمر

١. من المصدر.

٢. نفس المصدر/ ١١٠، ح ٢.

٣. المصدر: «الإنسان أبو الشرور المنافق» بدل «الإنسان أبو البشر وروي المنافق».

٤. الكافي ٤١٣/١، ح ٢.

٥. نفس المصدر ٣٦٥ و ٣٧، مقطعين من حديث ١.

٦. المصدر: للمسلمين.

طويل الندم بترك أمر الله تعالى والرغبة عما عليه . صالحوا عباد الله ، يقول الله ﷻ: «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى» من الأمانة . فقد خسر من ليس من أهلها ، وضل عمله ، وعُرضت على السماوات المبنية والأرض المهاده والجبال المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم ، لو امتنعت^(٢) من طول أو عرض أو قوة أو عزة^(٣) امتنعن ولكن أشفقن من العقوبة . والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة .

وفي نهج البلاغة^(٤): ثم أداء الأمانة ، فقد خاب من ليس أهلها . إنها عُرضت على السماوات المبنية والأرض^(٥) المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة ، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها ، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز لا تمتنعن ، ولكن أشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل من^(٦) أضعف منهن وهو الإنسان «إنه كان ظلوماً جهولاً» .

وفي كتاب الاحتجاج^(٧) للطبرسي رحمه الله: عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل . يقول فيه عليه السلام لبعض الزنادقة - وقد قال : وأجده يقول : «إننا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً» .

فما هذه الأمانة ، ومن هذا الإنسان ؟ وليس من صفة^(٨) القدير الحكيم^(٩) التلبيس على عباده .

وأما الأمانة التي ذكرتها ، فهي الأمانة التي لا تجب ولا تجوز أن تكون إلا في الأنبياء وأوصيائهم . لأن الله تبارك وتعالى ائتمنهم على خلقه وجعلهم حججاً في أرضه .

١ . النساء / ١١٥ .

٢ . المصدر : لو امتنعن .

٣ . هنا في المصدر زيادة . وهي : أو عظم .

٤ . نهج البلاغة / ٣١٧-٣١٨ ، ذيل خطبة ١٩٩ .

٥ . المصدر : الارضين .

٦ . المصدر : من هو .

٧ . المصدر : صفته .

٨ . الاحتجاج / ١ / ٣٦٤ و ٣٧٤ .

٩ . المصدر : «العزير العليم» بدل «القدير الحكيم» .

فبالسامري^(١) ومن اجتمع معه وأعانه من الكفار [على^(٢)] عبادة العجل عند غيبة موسى، ما تم انتحال محل^(٣) موسى من الطعام^(٤) والاحتمال لتلك الأمانة التي لا ينبغي إلا لظاهر من الرجس. فاحتمال وزرها ووزر من سلك سبيله من الظالمين وأعوانهم. ولذلك قال النبي ﷺ: من استنَّ بسنة حق، كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. [ومن استنَّ سنة باطل، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة]^(٥). وفي عوالي اللثالي^(٦): وفي الحديث: أن علياً عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتملأ ويتزلزل ويتلون.

فيقال له: مالك، يا أمير المؤمنين؟

فيقول: جاء وقت الصلاة، وقت أمانة عرضها [الله]^(٧) على السماوات والأرض [والجبال]^(٨) فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

وفي تهذيب الأحكام^(٩): الحسين بن سعيد، عن الحسن بن علي، عن علي بن النعمان وأبي [المغراء و]^(١٠) الوليد بن مدرك، عن إسحاق قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول له: اتبع لي ثوباً. فيطلب له في السوق، فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق، فيعطيه من عنده؟

قال: لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه. إن الله ﷻ يقول: «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً». وإن كان عنده خير مما يجد له في السوق، فلا يعطيه من عنده.

١. المصدر: والسامري.

٢. من المصدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مجلس.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الطعام. والطعام: أرذل الناس وأوغادهم.

٥. ليس في المصدر. ٦. عوالي اللثالي ١/٣٢٤، ح ٦٢.

٧. ليس في المصدر. ٨. ليس في المصدر.

٩. تهذيب الأحكام ٦/٣٥٢، ح ٩٩٩. ١٠. من المصدر.

وفي بصائر الدرجات^(١): أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، [عن عثمان بن سعيد^(٢)]، عن مفضل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله ﷻ: «إِنَّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها».

قال: الولاية. فأبين أن يحملنها [كفراً بها وعناداً^(٣)]، وحملها الإنسان. والإنسان الذي حملها، أبو فلان.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وقال علي بن إبراهيم في قوله ﷻ: «إِنَّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها».

قال: [٥] الأمانة؛ هي الإمامة والأمر والنهي. والدليل على أن الأمانة هي الإمامة [قوله ﷻ للأئمة^(٦) صلوات الله عليهم^(٧)]: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» يعني: الإمامة. فالأمانة؛ هي الإمامة [٨] عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها. قال: أبين أن يدعوها أو يغصبوها أهلها «وأشفقن منها وحملها الإنسان» أي الأول^(٩) «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا».

وفي شرح الآيات الباهرة^(١٠): روى محمد بن العباس عليه السلام عن الحسين بن عامر، عن محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين^(١١)، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله ﷻ: «إِنَّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا لِنَفْسِهِ»^(١٢) «جهولاً» قال: يعني بها: ولاية علي بن أبي طالب.

١. بصائر الدرجات ٩٦، ح ٣. ٢. ليس في المصدر.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «كفراً» بدل «كفراً بها وعناداً».

٤. تفسير القمي ١٩٨/٢. ٥. ليس في أ.

٦. المصدر: في الأئمة. ٧. النساء ٥٨/.

٨. ليس في ن. ٩. «أي الأول» ليس في ن. وفي المصدر: أي فلان.

١٠. تأويل الآيات الباهرة، ٤٧٠/٢.

١١. المصدر: «الحكيم بن مسكان». انظر تنقيح المقال ٣٦٠/١، رقم ٣٢٤٨.

١٢. ليس في المصدر. و«ظلوماً لنفسه» ليس في أ.

ويؤيده ما رواه الشيخ محمد بن يعقوب رحمته الله ^(١) بطريق آخر: عن محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن مسكان ^(٢)، عن إسحاق بن عمار في قوله عَلَيْكَ: «إِنَّا عرضنا الأمانة» إلى آخر الآية.

قال: هي الولاية لأمر المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى ذريته الطيبين، صلاة باقية دائمة إلى يوم الدين.

﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: تعليل للحمل، من حيث إنه نتيجة؛ كالتأديب للضرب في: ضربته تأديباً.

وذكر التوبة في الوعد، إشعار بأن كونهم ظلوماً جهولاً في جبلتهم لا يخليهم عن فرطات.

﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ^(٣): حيث تاب على فرطاتهم، وأثاب بالفوز على طاعاتهم.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. المصدر: «محمد بن الحسن عن الحكم بن مسكان» بدل «محمد بن الحسين عن الحسن بن مسكان». ولم نثر على «الحكم بن مسكان» في كتب الرجال. وأما بالنسبة إلى «الحسن بن مسكان» انظر تنقيح المقال ٣١٠/١، رقم ٢٧٥٦.

سورة سبأ

سورة سبأ

مَكِّيَّة. وقيل^(١): «إلا» ويرى الذين أوتوا العلم «أربع أو خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(٢)، بإسناده إلى ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ^(٣) الحمدنين جميعاً؛ حمد سبأ وحمد فاطر^(٤) في ليلة، لم يزل في ليله^(٥) في حفظ الله وكلاءته. فإن قرأهما في نهاره، لم يصبه في نهاره مكروه، وأُعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه.

وفي مجمع البيان^(٦): «أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قرأ سورة سبأ، لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً ونعمة. فله الحمد في الدنيا، لكمال قدرته وعلى تمام نعمته.

﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾: لأن ما في الآخرة أيضاً كذلك. وليس هذا من عطف المقيد على المطلق؛ فإن الوصف يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية، فقيّد الحمد بها. وتقديم الصلة للاختصاص؛ فإن النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لأجلها، ولا كذلك نعم الآخرة.

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: الذي أحكم أمور الدارين.

١. أنوار التنزيل ٢/٢٥٤.

٢. ثواب الأعمال ١٣٧-١٣٨، ح ١.

٣. «من قرأ» ليس في المصدر.

٤. هنا زيادة في المصدر. وهي: «من قرأهما».

٥. المصدر: ليلته.

٦. مجمع البيان ٤/٣٧٥.

﴿الْخَبِيرُ﴾^(١): بواطن الأشياء .

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾: كالغيث، ينفذ في موضع [ويخرج من موضع]^(٢) آخر .
وكالكنوز والدفائن والأموات .

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون .

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٣): وقوله عَلَيْهِ السَّلَام: «يعلم ما يلج في الأرض» قال: ما يدخل فيها . «وما خرج منها» قال: من النبات .

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والأنداء والصواعق .

﴿وَمَا يَمْرُجُ فِيهَا﴾: كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة .

﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾^(٤): للمفرطين في شكر نعمه مع كثرتها . أو في الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفاتنة للحصر .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: منكرو البعث .

﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾: إنكار لمجيئها . أو استبطاء، استهزاء^(٥) بالوعد به .

﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي﴾: رد لكلامهم، وإثبات لمانفوه .

﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ﴾: تكرير لإيجابه، مؤكداً بالقسم، مقررراً لوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه وتنفي استبعاده، على ما مر غير مرة .

وقرأ حمزة والكسائي: «عَلَامُ الغيب» للمبالغة . ونافع وابن عامر ورويس: «عالم الغيب» بالرفع، على أنه خبر [مبتدأ]^(٦) محذوف . أو مبتدأ، خبره :

﴿لَا يَغْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٧): وقرأ الكسائي: «لا يعزب» بالكسر^(٨) .

١. من ن . ٢. تفسير القمي ١٩٨/٢ .

٣. هكذا في ن وم . وفي سائر النسخ: استظهار . ٤. من المصدر .

٥. أنوار التنزيل ٢٥٥/٢ . ٦. نفس المصدر والموضع .

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١): جملة مؤكدة لنفي العزوب؛

رفعهما^(٢) بالابتداء. ويؤيده القراءة بالفتح، على نفي الجنس^(٣).

ولا يجوز عطف المرفوع على «مثقال» والمفتوح على «ذرة» بأنه فتح في موضع الجر، لامتناع الصرف. لأن الاستثناء يمنع، اللهم إلا إذا جعل الضمير في «عنه» للغيب، وجعل المثبت في اللوح خارجاً عنه لظهوره على المطالعين^(٤). فيكون المعنى: لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطوراً في اللوح.

وفي أصول الكافي^(٥): عنه، عذة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله^(٦): «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم».

فقال: هو واحد، واحدي الذات، بائن من خلقه وبذلك وصف نفسه. وهو بكل شيء محيط، بالإشراف والإحاطة والقدرة «لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر» بالاحاطة والعلم بالذات. لأن الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة. فإذا كان بالذات، لزمها الحواية.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: علة لقوله: «لتأتينكم» وبيان لما يقتضي

إتيانها.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٧): لاتعب فيه، ولا من عليه.

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾: بالإبطال، وتزهيد الناس فيها.

﴿مُعَاجِزِينَ﴾: مقدرين اعجاز ربهم، وظائين أنهم يفوتونه.

وقيل^(٨): «معاجزين» مسابقين كي يفوتونا.

١. هكذا في م. وفي سائر النسخ: رفعها.

٢. ن: الطالعين.

٣. مجمع البيان ٤/٣٧٧.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. الكافي ١٢٦/١-١٢٧، ح ٥.

٦. المجادلة ٧/.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «معجزين» أي مثبطين عن الإيمان من أَرَادَهُ^(١).

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ وَجْزٍ﴾: من سيء العذاب.

﴿الْيَمِ﴾^(٢): مؤلم. ورفع ابن كثير ويعقوب وحفص^(٣).

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: يعلم أولو العلم من الصحابة، ومن شايعهم من الأمة.

أو من مسلمي أهل الكتاب. أو كل من أوتي العلم بالدين.

﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: القرآن.

﴿هُوَ الْحَقُّ﴾: ومن رفع «الحق» جعل «هو» ضميراً مبتدأ، و«الحق» خبره. والجمله

ثاني مفعولي «يرى». وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد بأولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات.

وقيل^(٤): منصوب معطوف على «ليجزى» أي ليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة

أنه الحق عياناً؛ كما علموه الآن برهاناً.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فَكُتِبَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وقوله ﷻ: «ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق» فقال: هو

أمير المؤمنين عليه السلام.

﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْمُرْتَبِتِ الْحَمِيدِ﴾^(٦): الذي هو التوحيد، والتدرج بلباس

التقوى.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: قال بعضهم لبعض:

١. أنوار التنزيل ٢/٢٥٥.

٢. «اليم» هي مرفوعة. لأنها صفة «العذاب» وليس «لرجز».

٣. نفس المصدر والموضع. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. تفسير القمي ٢/١٩٨.

﴿ هَلْ نَذَلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾: يعنون محمداً ﷺ.

﴿ يَبْتَنِّكُمْ ﴾: يحدّثكم بأعجب الأعاجيب.

﴿ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مَرْقٍ أَنْتُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٧): إنكم تنشؤون خلقاً جديداً، بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزق وتفريق، بحيث تصير تراباً.

وتقديم الظرف، للدلالة على البعد والمبالغة فيه. وعامله محذوف دلّ عليه ما بعده، فإنّ ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف إليه. أو محجوب بينه وبينه «بأن». و«مرق» يحتمل أن يكون مكاناً، بمعنى: إذا مرقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح.

و«جديد» بمعنى فاعل. من جدّ؛ فهو جديد، كحدّ، فهو حديد.

وقيل (١): بمعنى: مفعول. من جدّ النساج [الثوب]: (٢) إذا قطعه.

﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾: جنون يوهمه ذلك ويُلْقَىٰ على لسانه. واستدلّ بجعلهم إياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه، على أنّ بين الصدق والكذب واسطة؛ وهي كلّ خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين. لأنّ الافتراء أخصّ من الكذب.

﴿ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴾ (٨): ردّ من الله عليهم ترديدهم، وإثبات لهم (٣) ما هو أظع من القسمين؛ وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجئ الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب. وجعله رسيلاً له في الوقوع ومقدماً عليه في اللفظ، للمبالغة في استحقاقهم له.

والبعد في الأصل صفة الضالّ، ووُصف الضلال به على الإسناد المجازي.

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ نَحْصِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾: تذكير بما يعاينونه، ممّا يدلّ على كمال

قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم الإحياء، حتّى جعلوه افتراءً وهزأً وتهديداً عليها.

والمعنى: أعموا، فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض، ولم يتفكروا أهم أشدّ خلقاً أم هي. وإنا إن نشأ، نخسف بهم أو نسقط عليهم كسفاً لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات.

وقرأ حمزة والكسائي: «يشأ ويخسف ويسقط» بالياء. لقولهم: «أفترى على الله». وحفص: «كسفاً» بالتحريك^(١).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾: النظر والتفكر فيهما وما يدلّان عليه.

﴿لَايَةً﴾: لدلالة.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾^(٢): راجع إلى ربّه. فإنّه يكون كثير التأمل في أمره.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً﴾: أي على سائر الأنبياء، وهو ما ذكر بعد. أو على سائر

الناس، فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن.

﴿يَا جِبَالُ أَوِيبِي مَعَهُ﴾: رجعي معه التسبيح. وذلك إمّا بخلق صوت مثل صوته، أو

بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل فيها. أو سيري معه حيث سار.

وقرئ: «أوبي» [من الأوب] أي ارجعي في التسبيح كلّما رجع فيه. وهو بدل من

«فضلاً»، أو من «آتيناً» بإضمار «قولنا» [أو «قلنا»]^(٣).

﴿وَالطَّيْرِ﴾: عطف على محلّ «الجبال». ويؤيده القراءة بالرفع، عطفاً على لفظها،

تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية. أو على «فضلاً». أو مفعول [معه]^(٣)

لـ «أوبي»، وعلى هذا يجوز أن يكون الرفع بالعطف على ضميره. وكان الأصل: ولقد

آتيناً داود منّا فضلاً تأويب الجبال والطير. فبدّل بهذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة

٢. نفس المصدر والموضع. والزيادتان من المصدر.

١. أنوار التنزيل ٢٥٦٢.

٣. من المصدر.

على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه، حيث جعل الجبال والطير كالعقلاء المنقادين لأمره في نفاذ مشيئته فيها^(١).

﴿وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ﴾^(٢): جعلناه في يده كالشمع، يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بالمطرقة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): قال جلّ ذكره: «ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه» أي سبّح الله «والطير والنّال الحديدي».

قال: كان داود عليه السلام إذا مرّ في البراري يقرأ الزبور، تسبّح الجبال والطير والوحوش معه. وألأن الله سبحانه له الحديد مثل الشمع، حتّى كان يتخذ منه ما أحبّ.

وقال الصادق عليه السلام: اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء، فإنّه اليوم الذي ألأن الله فيه الحديد لداود عليه السلام.

وفيه^(٤): قال: أعطى داود وسليمان عليه السلام ما لم يعط أحد من أنبياء الله من الآيات؛ علمهما منطق الطير، وألأن لهما الحديد والصفير من غير نار، وجعلت الجبال يسبحن مع داود عليه السلام.

وفي كتاب المناقب^(٥) لابن شهر آشوب: كتاب الإرشاد للزهري: قال سعيد بن المسيّب: كان الناس لا يخرجون إلى مكّة حتّى يخرج علي بن الحسين عليه السلام. فخرج وخرجت معه. فنزل في بعض المنازل، فصلّى ركعتين. فسبح^(٦) في سجوده، فلم يبق شجر ولا مدر إلا سبّحوا معه. ففرغت منه.

فرفع رأسه فقال: يا سعيد، أفزعت؟

قلت: نعم، يا ابن رسول الله.

فقال: هذا التسبيح الأعظم.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ١٩٩/٢.

٣. نفس المصدر ١٣٧/٢.

٤. مناقب آل أبي طالب ١٣٧/٤ - ١٣٧.

٥. المصدر: سبّح.

وفي رواية سعيد بن المسيّب^(١) قال: كان القراء لا يحجّون حتّى يحجّ زين العابدين عليه السلام. وكان يتخذ لهم السوق الحلو والحامض، ويمنع^(٢) نفسه. فسبق يوماً إلى الرحل، فألفيته^(٣) وهو ساجد. فوالذي نفس سعيد بيده، لقد رأيت الشجر والمدر والرحل والراحلة يردّون عليه مثل كلامه.

وفي أصول الكافي^(٤): بإسناده إلى سالم بن أبي حفصة العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان في رسول الله ﷺ ثلاثة لم تكن في أحد غيره: لم يكن له فيء، وكان لا يمرّ في طريق فيمرّ فيه بعد يومين أو ثلاثة إلّا عرف قد مرّ فيه لطيب عُرْفه، وكان لا يمرّ بحجر ولا شجر إلّا سجد له.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن عليّ بن جعفر قال: جاء رجل إلى أخي موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: جعلت فداك، أريد الخروج إلى السفر^(٦) فادع لي.

قال عليه السلام: ومتى تخرج؟ إلى أن قال عليه السلام: ألا أدلك على يوم سهل^(٧) ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام؟

قال الرجل: بلى، جعلت فداك.

قال: اخرج يوم الثلاثاء.

وفي روضة الكافي^(٨): عليّ بن إبراهيم، عن أبيه وعليّ بن محمّد جميعاً، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان المنقري، عن حفص ابن غياث^(٩) قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ومن تعذّرت عليه الحوائج، فليتمسّ طلبها يوم الثلاثاء. فإنّه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. هكذا في المصدر. وفي الأصل: «يمنع». وفي سائر النسخ: «يمنعه».

٣. م وس وأ: فاتيته. ٤. الكافي ٤٤٢/١، ح ١١.

٥. الخصال ٣٨٥/٦٧، ح ٦٧. ٦. ليس في المصدر.

٧. المصدر: سهل لّين. ٨. الكافي ١٤٣/٨، ذيل حديث ١٠٩.

٩. ليس في المصدر.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١) بإسناده إلى هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال في حديث يذكر فيه قصة داود عليه السلام: أنه خرج يقرأ الزبور (وكان إذا قرأ الزبور)^(٢) لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر إلا أجابه^(٣).

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي رحمته الله: روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأmir المؤمنين عليه السلام: فإن هذا داود بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه. قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. ومحمد عليه السلام أعطي ما هو أفضل من هذا؛ أنه كان إذا قام إلى الصلاة، سمع لصدره وجوفه أزيز كأزيز المرجل^(٥) على الأثافي من شدة البكاء، وقد آمنه الله تعالى من عقابه. فأراد أن يتخسّع لربه ببكائه، فيكون إماماً لمن اقتدى به.

ولقد قام عليه السلام عشر سنين على أطرف أصابعه، حتى تورمت قدماء واصفر وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك. فقال الله تعالى: «طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى». بل لتسعد به. ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه، فقليل له: يا رسول الله، أليس الله تعالى قد غفرلك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: بلى، أفلا أكون عبداً شكوراً.

ولئن سارت الجبال وسبحت معه، لقد عمل لمحمد عليه السلام ما هو أفضل من هذا، إذ كنا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل، فقال له: قر، فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق شهيد. فقرّ الجبل مجيباً^(٦) لأمره ومنتهاً إلى طاعته.

ولقد مررنا معه بجبل، وإذا الدموع تجري من بعضه.

١. كمال الدين وتمام النعمة / ٥٢٤، صدر حديث ٦.

٢. ليس في الأصل وم. المصدر: جابوته.

٣. المصدر: أريز كأريز المرجل.

٤. الاحتجاج ٣٢٥/١ و٣٢٦.

٥. المصدر: مطيعاً.

٦. طه ١.

فقال له [النبي:] ما يبكيك، يا جبل؟

فقال: يا رسول الله، كان المسيح مربي وهو يخوف الناس بنار^(١) وقودها الناس والحجارة، وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة.

قال له: لا تخف، تلك الحجارة الكبرى. فقرّ الجبل وسكن وهذا أجاب لقوله.

قال له اليهودي: فهذا داود عليه السلام قد لئى الله ﷻ له الحديد فعمل^(٢) منه الدروع.

قال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. ومحمد ﷺ [قد]^(٣) أعطي ما هو أفضل من هذا؛

[أنه]^(٤) لئى الله ﷻ له الصمّ الصخور الصلاب وجعلها غاراً. ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لئىة حتى صارت كهيئة العجين، قد رأينا ذلك والتمسناه تحت رايته.

وفي الكافي^(٥): أحمد بن أبي عبدالله، عن شريف بن سابق، عن المفضل بن أبي

قرّة، عن أبي عبدالله عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: أوحى الله ﷻ إلى داود عليه السلام: إنك نعم العبد لو لا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً.

قال: فبكى داود أربعين صباحاً. فأوحى الله ﷻ^(٦) إلى الحديد: أن لى لعبيدي

داود عليه السلام. فالان الله ﷻ له الحديد. فكان يعمل في كل يوم درعاً، فيبيعها بألف درهم.

فعمل ثلاثمائة وستين درعاً، فباعها بثلاثمائة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال.

﴿أَنْ اَعْمَلْ﴾: أمرناه.

«أن» مفسرة، أو مصدرية.

﴿سَابِقَاتٍ﴾: دروعاً واسعات.

وقرئ: «صابغات» وهو أول من اتخذها^(٧).

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: قد يعمل.

٤. من المصدر.

٦. ليس في أ.

١. المصدر: من نار.

٣. من المصدر.

٥. الكافي ٧٤/٥، ح ٥.

٧. أنوار التنزيل ٢٥٧/٢.

﴿وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ﴾: وقَدَّر في نسجها بحيث يتناسب حلقها. أو قَدَّر مساميرها، فلا تجعلها دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتخرق.

وفي قرب الإسناد^(١) للحميري: أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألتنا الرضا عليه السلام هل أحد من أصحابكم يعالج السلاح؟ فقلت: رجل من أصحابنا زَرَاد.

فقال: إنما هو سَرَاد. أما تقرأ كتاب الله ﷻ في قول الله لداود عليه السلام: «أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرُ فِي السَّرْدِ» الحلقة بعد الحلقة.

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحاً﴾: الضمير فيه لداود وأهله.

﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٢): فأجازيكم عليه.

﴿وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾: أي وسخرنا له الرِّيح.

وقرأ أبو بكر: «الرِّيحُ» بالرفع، أي ولسليمان الرِّيح مسخرة. وقرئ: الرِّيح^(٣).

﴿غَدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾: جريانها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك. وقرئ: غدوتها وروحها^(٤).

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): وقوله ﷻ: «أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ» قال: الدروع «وقدَّر في السرد» قال: المسامير التي في الحلقة. وقوله ﷻ: «وَلَسْلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ» قال: كانت الرِّيح تحمل كرسى، فتسير به في الغداة مسيرة شهر وفي العشي مسيرة شهر.

وفي كتاب المناقب^(٦)، لابن شهر آشوب: الأصمغ بن نباتة قال: سألت الحسين عليه السلام فقلت: يا سيدي، أسألك عن شيء أنا به موقن وأنه من سر الله وأنت المسرور إليه ذلك السر.

٤-٢. أنوار التنزيل ٢٥٧/٢.

٦. مناقب آل أبي طالب ٥٢/٤.

١. قرب الإسناد ١٦٠.

٥. تفسير القمي ١٩٩/٢.

فقال: يا أصبغ، أتريد أن ترى مخاطبة رسول الله ﷺ لأبي دون^(١) يوم مسجد قبا؟ قلت: هو^(٢) الذي أردت.

قال: قم.

فإذا أنا وهو بالكوفة. فنظرت، فإذا المسجد من قبل أن يرتد إلي بصري. فتبسم ﷺ في وجهي.

فقال: يا أصبغ، إن سليمان بن داود أعطي الريح غدوها شهر ورواحها شهر، وأنا قد أعطيت أكثر مما أعطي سليمان.

فقلت: صدقت، والله، يا ابن رسول الله.

فقال: نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه وليس عند أحد^(٣) من خلقه ما عندنا، لأننا أهل سر الله. ثم تبسم^(٤) في وجهي، ثم قال: نحن آل الله وورثة رسول الله ﷺ^(٥).

فقلت: أحمده الله على ذلك.

ثم قال لي: أدخل.

فدخلت، فإذا أنا^(٦) برسول الله ﷺ محتب^(٧) في المحراب بردائه. فنظرت، فإذا أنا بأمر المؤمنين علي^(٨) قابض على تلايب الأعرس^(٩). فرأيت رسول الله ﷺ يعص

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: لأبي درداء، يوجد في هامش نسخة م: رأيت هذا الحديث بعينه في بحار الأنوار ونقلتها منها وذكرته في تأليفي المسماة ببيكاء العنين في مصيبة مولانا أبي عبد الله الحسين. ولفظ الحديث هكذا: «أتريد أن ترى مخاطبة رسول الله ﷺ لأبي دون» وتعرض شيخني أدام الله فيضه لبيان لفظ «دون» وقال: المراد به أبو بكر. ويمكن أن يكون به عمر لعنهما الله ع. ن. عفي عنه. وأشار في هامش المصدر: حكي عن المجلسي ﷺ أن المراد بأبي دون، أبو بكر. عـبر به عنه تقية. والدون: الخسيس.

٢. المصدر: «لأحد» بدل «عند أحد».

٣. المصدر: «م» وأ: «فتبسم» بدل «ثم تبسم».

٤. من المصدر.

٥. المصدر: رسوله.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: محتبي. احتبى بالثوب: اشمط به.

٧. الأعرس: الشديد. أو الشؤم. والمراد به الأول أو الثاني؛ كما ذكره المجلسي ﷺ.

الأنامل وهو يقول: بنس الخلف خلّفتني أنت وأصحابك، عليكم لعنة الله ولعنتي. الخبر.

وفي عيون الأخبار^(١)، عن الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، [عن أبيه جعفر]^(٢) بن محمد عليه السلام حديث طويل، وقد سبق عند قوله تعالى: «قالت نملة» الآية، وفيه: ثم قالت النملة: هل تدري لم سُخِّرَت لك الريح من بين سائر المملكة؟ قال سليمان عليه السلام: مالي بهذا علم.

قالت النملة: يعني ﷺ بذلك: لو سُخِّرَت لك جميع المملكة؛ كما سُخِّرَت لك هذه الريح، لكان زوالها من بين يديك كزوال الريح. فحينئذ تبسم ضاحكاً من قولها. وفي كتاب الاحتجاج^(٣) للطبرسي عليه السلام رُوي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام أن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأُمير المؤمنين عليه السلام: فإن هذا سليمان قد سُخِّرَت له الرياح^(٤)، فسارت في بلاده غدوها شهر ورواحها شهر.

فقال له علي عليه السلام: لقد كان كذلك. ومحمد ﷺ أعطي ما هو أفضل من هذا؛ أنه أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام^(٥) في أقل من ثلث ليلة، حتّى انتهى إلى ساق العرش. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب سعد السعود^(٦)، لابن طاوس عليه السلام عن تفسير أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد القزويني، بإسناده إلى أنس بن مالك قال: أهدى لرسول الله ﷺ بساط من قرية يقال لها: بهتدف^(٧). فقعده عليه علي وأيوبكر وعمر وعثمان والزيبر وعبدالرحمن بن عوف وسعد.

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٧٨/٢، ذيل حديث ٨. ٢. من المصدر.

٣. الاحتجاج ٣٢٧/١. ٤. في جميع النسخ سوى الاصل: الريح.

٥. ليس في أ. ٦. سعد السعود ١١٢/١١٣.

٧. ن: «لهتدف». م: «يهتدف». المصدر: «بهتدت».

فقال النبي ﷺ لعلي^(١): يا علي، قل: يا ربح، احملينا.
فقال علي: يا ربح، احملينا. فحملتهم^(٢). حتى أتوا أصحاب الكهف. فسلم أبو بكر
وعمر فلم يردوا عليهما السلام. ثم قام علي عليه السلام، فردوا عليه السلام.
فقال أبو بكر: يا علي، ما بالهم ردوا عليك ولم يردوا علينا؟
فقال لهم علي: قالوا: إنا لانرد بعد الموت إلا على نبي أو وصي نبي.
ثم قال علي عليه السلام: يا ربح، احملينا^(٣). فحملتنا.
ثم قال يا ربح، ضعينا. فوضعنا. فوكر^(٤) برجله الأرض فتوضاً وتوضاًنا^(٥).
ثم قال: يا ربح، احملينا. فحملتنا. فوافينا المدينة، والنبي ﷺ في صلاة الغداة
وهو يقرأ^(٦): «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً». فلما
قضى النبي ﷺ الصلاة قال: يا علي، أخبروني^(٧) عن مسيركم، أم تحبون أن
أخبركم؟ قالوا: بل نخبرنا، يا رسول الله.
قال أنس بن مالك: فقص القصّة^(٨)، كأنه معنا.
﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾: النحاس المذاب. أساله له من معدنه، فنيع منه نبوع الماء
من الينبوع. فلذلك سمّاه عيناً. وكان ذلك باليمن.
﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: عطف على «الريح». «ومن الجن» حال متقدمة،
أو جملة من مبتدأ وخبر.
﴿يَا ذُنَّ رِيَّ﴾: بأمره.

١. ليس في المصدر.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «احمل بنا. فحمل بهم» بدل «احملينا. فقال علي: يا ربح احملينا فحملتهم».

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: احمل بنا.

٤. المصدر: فركز.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «فتوضاً علي فتوضاًنا» بدل «فتوضاً وتوضاًنا».

٦. الكهف/٩. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أخبروني.

٨. المصدر: «فقال أنس. ثم قص القصّة» بدل «قال أنس بن مالك. فقص القصّة».

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْهُمْ﴾: ومن يعدل منهم.

﴿عَنْ أَمْرِنَا﴾: عما أمرناه من طاعة سليمان.

وقرئ: «يَرْغَبُ» من أزاغه^(١).

﴿نَذِفُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٢): عذاب الآخرة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وقوله ﷻ: «وأسلنا له عين القطر».

قال^(٤): الصفر.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ﴾: قصوراً حصينة ومساكن شريفة. سُميت به،

لأنها يذب عنها ويحارب عليها.

﴿وَتَمَائِيلَ﴾: وطيوراً^(٥) وتمائيل للملائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات

ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم. وحرمة التصاوير شرع مجدد.

وروي: أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد،

بسط الاسدان له ذراعيهما. وإذا قعد [على الكرسي]^(٥) ظلّه النسران باجنحتهما.

﴿وَجَفَانٍ﴾: وصحاف.

﴿كَالْجَوَابِ﴾: كالحياض الكبار. جمع جابية. من الجباية وهي من الصفات

الغالبة؛ كالداية.

وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي^(٦) روي عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه،

عن الحسين بن علي^(٦) أن يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام:

فإن هذا سليمان سُخِّرَ له الشياطين يعملون له ما يشاء من محارب وتماديل.

قال له علي^(٦): لقد كان كذلك. ولقد أعطي محمد ﷺ ما هو أفضل من هذا؛ أن

الشياطين سُخِّرَت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، وقد سُخِّرَت لنبوّة محمد ﷺ

٢. تفسير القمي ١٩٩/٢.

٤. ن: «قيل صوراً» بدل «وطيوراً».

١. أنوار التنزيل ٢٥٧/٢.

٣. المصدر: أي.

٥. ليس في المصدر.

الشياطين بالإيمان. فأقبل إليه الجن^(١) التسعة من أشرافهم، من جن نصيبين^(٢)، واليمن^(٣) من بني عمرو بن عامر من الأحبة، منهم سقناه، ومصماه^(٤)، والهملكان، والمرزيان، والمازمان، ونفات^(٥)، وهاضب، وهاصب^(٦)، وعمرو. وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم^(٧): «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن وهم التسعة يستمعون القرآن»^(٨) فأقبل إليه الجن والنبي ﷺ ببطن النخلة، فاعتذروا بأنهم «ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً»^(٩).

ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم، فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين^(١٠)، واعتذروا بأنهم قالوا «على الله شططاً»^(١١) وهذا أفضل مما أعطي سليمان. سبحان من سخرها لنبوة محمد ﷺ بعد أن كانت تتمرد وتزعم أن لله ولداً. فلقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى.

وفيه^(١٢) عن أبي عبد الله عليه السلام حديث طويل. وفيه قال السائل: كيف سعدت الشياطين إلى السماء، وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة، وقد كانوا يبنون لسليمان بن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟

قال: غلظوا^(١٣) لسليمان لما سَخَرُوا^(١٤)، وهم خلق رقيق، غذاؤهم التنسم^(١٥). والدليل على ذلك^(١٦) صعودهم إلى السماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها إلا بسلم أو سبب.

١. المصدر: من الجنة.

٣. المصدر: الثمان.

٥. المصدر: نضاه.

٧. الاحقاف ٢٩.

٩. الجن ٧.

١١. الجن ٤.

١٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: غلظن.

١٥. المصدر: النسيم.

٢. المصدر: واحد من جن نصيبين.

٤. المصدر: «شضاء ومضاه» بدل «سقناه ومصماه».

٦. المصدر: هضب.

٨. المصدر: يستمعون القرآن وهم التسعة.

١٠. ن: نصر المسلمين.

١٢. نفس المصدر ٨١/٢.

١٤. المصدر: كما سَخَرُوا.

١٦. المصدر: كل ذلك.

وفي الكافي^(١): «عَدَّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن داود بن الحصين، عن الفضل بن أبي العباس^(٢) قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: [قول الله ﷻ]:^(٣) «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب».

قال: ما هي تماثيل الرجال والنساء، ولكنها تماثيل الشجر وشبهه.

علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي^(٤)، عن جعفر بن بشير، عن مَنْ ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كانت لعلي بن الحسين عليه السلام وسائد وأنماط فيها تماثيل يجلس عليها.

محمد بن يحيى، عن أحمد وعبدالله^(٥) ابني محمد بن [عيسى، عن] علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن أبي العباس^(٦)، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله ﷻ: «يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل».

فقال^(٨): والله ما هي تماثيل الرجال والنساء، ولكنها الشجر وشبهه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٩)، وقوله ﷻ: «يعملون ما يشاء من محاريب وتماثيل». قال: [١٠] هي الشجر. وقوله ﷻ: «وجفان كالجواب» أي جفنة^(١١) كالحفرة.

﴿وَقُدُورَ رَاسِيَّاتٍ﴾: ثابتات على الأثافي، لا تُنزل عنها لعظمها.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾: حكاية لما قيل لهم.

«شكراً» نُصِب على العلة، أي اعملوا له واعبدوه شكراً. والمصدر، لأنَّ العمل له شكر. أو الوصف له. أو الحال. أو المفعول به.

١. الكافي ٤٧٦/٦-٤٧٧، ح ٣.

٢. المصدر: الفضل أبي العباس م وأوس: الفضل بن أبي العباس.

٣. من المصدر. ٤. الكافي ٤٧٦/٦، ح ٤.

٥. نفس المصدر ٥٢٧/٦، ح ٧. وهكذا في المصدر. وفي النسخ: «عن أحمد بن عبدالله» بدل «عن أحمد وعبدالله».

٦. من المصدر.

٧. ن: عن العباس. ٨. س ون: فقال: في الشجر.

٩. تفسير القمي ١٩٩/٢.

١٠. المصدر: جفون.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(١٣): المتوفّر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته، ومع ذلك [لا يوفي حقّه. لأنّ توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية. ولذلك]^(١٤) قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم^(١٥): وقوله ﷺ: «وقدور راسيات» أي ثابتات. ثمّ قال جلّ ذكره: «اعملوا آل داود شكراً» قال: اعملوا ما تشكرون عليه. ثمّ قال سبحانه: [«وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ».

وفي أصول الكافي^(١٦): [أبو عبدالله الأشعريّ، عن^(١٧) بعض أصحابنا رفعه، عن هشام بن الحكم قال: قال [إليّ]^(١٨) أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا هشام، ثمّ مدح القلّة، فقال: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ».

وفي روضة الكافي^(١٩): سهل، عن عبيدالله، عن أحمد بن عمر قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وأنا وحسين [بن ثوير]^(٢٠) بن أبي فاختة. فقلت له: جعلت فداك، إنّنا كنّا في سعة من الرزق وغضارة من العيش، فتغيّرت الحال بعض التغيير. فادع الله ﷻ أن يرّد ذلك إلينا.

فقال: أيّ شيء، تريدون تكونون ملوكاً؟ أيسرّك أن تكون مثل طاهر وهرثمة^(٢١)، وإنّك على خلاف [ما أنت عليه؟

قلت: لا، والله، ما يسرّني أنّ لي الدنيا بما فيها ذهباً وفضّةً وإنّي على خلاف^(٢٢) ما أنا عليه.

١. ليس في م.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. ليس في الأصل.

٤. الكافي ١٥/١، ضمن حديث ١٢.

٥. من المصدر.

٦. من المصدر.

٧. نفس المصدر ٣٤٦/٨-٣٤٧، صدر حديث ٥٤٦.

٨. من المصدر.

٩. الطاهر هو أبو الطيّب، أو أبو طلحة طاهر بن الحسين، المعروف بذي اليمينين، والي خراسان. وهرثمة

هو هرثمة بن أعين، وهو من أصحاب الرضا عليه السلام. وكلاهما من قزّاد المأمون وخدمته. (حاشية نور

١٠. من المصدر.

القليلين ص ٣٣٣، ج ٤).

قال: فقال: فمن أيسر منكم، فليشكر الله. إن الله ﷻ يقول^(١): «لئن شكرتم لأزيدنكم» وقال ﷻ: «اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي نهج البلاغة^(٢): أوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنها حق الله عليكم، والموجبة على الله حقكم، وأن تستعينوا عليها بالله، وتستعينوا بها على الله. فإن التقوى في اليوم الحِرْزُ والْجُنَّةُ، وفي غدِ الطريق إلى الجنة. مسلكها واضح، وسالكها رابح، ومستودعها حافظ. لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضية منكم والغابرين، لحاجتهم إليها غداً، إذا أعاد الله ما أبدى، وأخذ ما أعطى، وسأل عما أسدى. فما أقل من قَبْلِهَا، وحملها حق حملها! أولئك الأقلون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: «وقليل من عبادي الشكور».

وفي مصباح الشريعة^(٣): قال الصادق عليه السلام: ولو كان عند الله عبادة يتعبد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل حال، لأطلق لفظه فيهم من جميع الخلق بها. فلما لم يكن أفضل منها، خصّها من بين العبادات وخصّ أربابها. فقال تعالى: «وقليل من عبادي الشكور».

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ﴾: أي على سليمان.

﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ ﴾: مادّل الجن.

وقيل: آله^(٤).

﴿ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾: أي الأرضة. أضيف إلى فعلها.

وقرئ بفتح الراء. وهو تأثر الخشبة من فعلها. يقال: أرضت الخشبة أرضاً، فأرضت أرضاً: مثل: أكلت القوادح الأسنان أكلاً، فأكلت أكلاً^(٥).

١. إبراهيم ٧.

٢. نهج البلاغة ٢٨٤، ضمن خطبة ١٩١.

٣. شرح فارسي لمصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة ٥٥.

٤. نفس المصدر ٢٥٧/٢-٢٥٨.

٥. أنوار التنزيل ٢٥٧/٢.

﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾: عصاه. من نسأت البعير، إذا طردته. لأنه يطرد بها.

وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة، قلباً وحذفاً على غير قياس. إذ القياس إخراجها بين بين^(١).

و«منسأته» على مفعالة؛ كميضأة في ميضأة. ومن سأته، أي طرف عصاه. مشتقاً من سأة القوس. وفيه لغتان؛ كما في قحة وقحة.

وقرأ نافع وأبو عمرو: «منسأته» بألف ساكنة، بدلاً من الهمزة. وابن ذكوان، بهمزة ساكنة. وحمزة، إذا وقف جعلها بين بين^(٢).

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ﴾: علمت الجن بعد التباس الأمر عليهم.

﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٣): أنهم لو كانوا يعلمون الغيب؛ كما يزعمون، يعلمون موته حيثما وقع، فلم يلبثوا بعده حولاً في تسخيرهِ إلى أن خرَّ أو ظهرت الجن.

و«أن» بما في حيزه بدل منه؛ أي ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب.

وذلك أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام. فمات قبل تمامه. فوصى به إلى سليمان، فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد إذ دنا أجله وأعلم به. فأراد أن يعمي عليهم موته ليتمّوه، فدعاهم فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب. فقام يصلي متكئاً على عصاه. فقبض روحه وهو متكئ عليها. فبقي كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر. ثم فتحوا عنه. وأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت يوماً وليلة مقداراً، فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة. وكان

١. نفس المصدر ٢٥٨/٢.

٢. لم نثر عليه في التفاسير. ولعله وجد في نسخة المفسر من دون نسخ الموجودة من أنوار التنزيل. كما يوجد بعض فقراته في متن بعض شروح الأنوار.

عمره ثلاثاً وخمسين سنة. وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مضيئ من ملكه^(١).

وفي عيون الأخبار^(٢)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار النادرة في فنون شتى، بإسناده إلى الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي عليه السلام. قال: إن سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: إن الله تعالى وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي: سخر لي الريح والإنس والجن والطيور والوحوش، وعلمني منطق الطير، وأتاني من كل شيء، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تم لي سرور يوم إلى الليل. وقد أحببت أن أدخل قصري في غد فأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكه، فلا تأذنوا لأحد علي [بالدخول لئلا يرد علي]^(٣) ما ينقص علي يومي. فقالوا: نعم.

فلما كان من الغد، أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره. ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه، سروراً بما أوتي، فرحاً بما أعطي، إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره.

فلما بصره سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم، فيأذن من دخلت؟

قال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه، وبأذنه دخلت.

فقال: ربّه أحقّ به منّي. فمن أنت؟

قال: أنا ملك الموت.

قال: وفيما جئت؟

قال: جئت^(٤) لأقبض روحك.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٢٦٥-٢٦٦، ح ٢٤.

٤. ليس في المصدر.

١. أنوار التنزيل ٢/ ٢٥٨.

٣. من المصدر.

قال: امض لما أمرت به، فهذا^(١) يوم سروري، وأبى الله ﷻ أن يكون لي سرور دون لقائه^(٢).

فقبض ملك الموت روحه، وهو متكئ على عصاه. فبقي سليمان متكئاً على عصاه وهو ميت ماشاء الله، والناس ينظرون إليه وهم يقدرّون أنه حي. فافتتنوا فيه واختلفوا. فمنهم من قال: إن سليمان قد بقي متكئاً على عصاه هذه الأيام الكثيرة [ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب]^(٣) إنه لربنا الذي يجب علينا أن نعبد. وقال قوم: إن سليمان ساحر، وإنه يرينا أنه واقف متكئ على عصاه يسحر أعيننا، وليس كذلك.

فقال المؤمنون: إن سليمان هو عبدالله ونبيّه، يدبر الله أمره بما يشاء^(٤). فلما اختلفوا بعث الله ﷻ دابة الأرض^(٥) فدبت في عصاه. فلما أكلت جوفها انكسرت العصا، وخزّ سليمان من قصره على وجهه. فشكرت الجنّ الأرضة على صنيعها^(٦). فلاجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان، إلّا وعندها ماء وطين. وذلك قول الله ﷻ: «فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلّا دابة الأرض تأكل^(٧) منسأته» [يعني عصاه]^(٨). «فلما خرّ تبينت الجنّ أن الإنس لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين».

قال الصادق عليه السلام: والله^(٩)، ما نزلت هذه الآية هكذا. وإنما نزلت «فلما خرّ تبينت الإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين». وفي كتاب علل الشرائع^(١٠)، مثل ما نقلنا عن عيون الأخبار، إلّا أن آخرها: وإنما

١. المصدر: في هذا.

٢. المصدر: لقائك.

٣. ليس في ن. وفي المصدر: ولم يأكل ولم يشرب ولم يتعب ولم ينم.

٤. المصدر: بما شاء.

٥. المصدر: «الأرضة» بدل «دابة الأرض».

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «للأرضة صنيعها» بدل «الأرضة على صنيعها».

٧. المصدر: فأكل.

٨. من المصدر.

٩. ليس في المصدر.

١٠. علل الشرائع/ ٧٣-٧٤، ح ٢.

نزلت «فلَمَّا تَبَيَّنَ الْجَنُّ أَنَّ الْإِنْسَ^(١) لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمَهِينِ».

حَدَّثَنَا أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) قَالَ : حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ ، عَنْ أَبَانَ ، عَنْ أَبِي بصيرٍ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَمَرَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْجَنُّ ، فَصَنَعُوا لَهُ قُبَّةً مِنْ قَوَارِيرٍ . فَبَيْنَا هُوَ مَتَكِّيٌّ عَلَى عَصَاهُ فِي الْقُبَّةِ يَنْظُرُ إِلَى الْجَنِّ كَيْفَ [يَعْمَلُونَ وَهُمْ]^(٣) يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، إِذْ حَانَتْ مِنْهُ التَّفَاتَةُ ، فَإِذَا رَجُلٌ مَعَهُ فِي الْقُبَّةِ . قَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟

قال : أنا الذي لا أقبل الرشا ولا أهَاب الملوك . أنا ملك الموت .
فقبضه وهو قائم مَتَكِّيٌّ عَلَى عَصَاهُ فِي الْقُبَّةِ ، وَالْجَنُّ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ .
قال : فمَكَّثُوا سَنَةً يَدَّابُونَ لَهُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَرْضَةَ فَأَكَلَتْ مَنَسَاتِهِ ؛ وَهِيَ الْعَصَا «فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَ الْجَنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمَهِينِ» .
قال أَبُو جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ الْجَنِّ يَشْكُرُونَ الْأَرْضَةَ لِمَا صَنَعَتْ بَعْصَا سُلَيْمَانَ ، فَمَا تَكَادُ تَرَاهَا فِي مَكَانٍ إِلَّا وَعِنْدَهَا مَاءٌ وَطِينٌ .

وَبِإِسْنَادِهِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ^(٤) ، [عَنْ عَلِيٍّ]^(٥) بْنِ عَقْبَةَ ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَقَدْ شَكَرَتِ الشَّيَاطِينُ الْأَرْضَةَ حِينَ أَكَلَتْ عَصَا سُلَيْمَانَ حَتَّى سَقَطَ ، وَقَالُوا : عَلَيْكَ الْخَرَابُ وَعَلَيْنَا الْمَاءُ وَالطِّينُ . فَلَا تَكَادُ تَرَاهَا فِي مَوْضِعٍ إِلَّا رَأَيْتَ مَاءً وَطِيناً .

وَفِي كِتَابِ كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ^(٦) ، بِإِسْنَادِهِ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٧) ، عَنْ أَبِيهِ ،

١ . المصدر : «الْإِنْسُ أَنَّ الْجَنِّ» بدل «الْجَنُّ أَنَّ الْإِنْسَ» . وَعَلَى هَذَا فَلَا دَاعِيَ لِذِكْرِ آخِرِ حَدِيثِ الْعَمَلِ ، فَلَا يَوْجَدُ هُنَاكَ اخْتِلَافٌ فِيمَا بَيْنَهُمَا فِي نَزُولِ الْآيَةِ .

٢ . نفس المصدر / ٧٤ ، ح ٣ .

٣ . من المصدر .

٤ . نفس المصدر ٧٤-٧٥ ، ح ٤ .

٥ . من المصدر .

٦ . كَمَالِ الدِّينِ وَتَمَامِ النِّعْمَةِ / ٥٢٤ ، ضَمَّنَ حَدِيثَ ٣ . وَأَوَّلُهُ فِي ص ٥٢٣ .

٧ . هَكَذَا فِي الْمَصْدَرِ . وَفِي النُّسخ : مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ .

عن جدّه، عن رسول الله ﷺ قال: عاش سليمان بن داود عليه السلام سبعمائة سنة واثنى عشرة سنة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام أمر الجنّ^(٢)، فبنوا له بيتاً من قوارير.

قال: فبينما هو متكئ على عصاه ينظر إلى الشياطين كيف يعملون وينظرون إليه، اذحانت منه التفاتة، فإذا هو برجل معه في القبة ففزع منه.
فقال: من أنت؟

فقال: أنا الذي لا أقبل الرشا ولا أهاب الملوك. أنا ملك الموت.
فقبضه وهو متكئ على عصاه. فمكثوا سنة يبنون وينظرون إليه ويدأبون^(٣) له ويعملون حتّى بعث الله تعالى الأرضة فأكلت منسأته؛ وهي العصا «فلما خر تبينت الإنس»^(٤) أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب مالبثوا سنة في العذاب المهين». فالجنّ تشكر الأرضة بما عملت بعضا سليمان.

قال: فلا تكاد تراها في مكان إلّا وعندها^(٥) ماء وطين.
وفي روضة الكافي^(٦): ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله ﷻ أوحى إلى سليمان بن داود عليه السلام: أن آية موتك أن شجرة تخرج من بيت المقدس، يقال لها: الخرنوبة.

قال: فنظر سليمان يوماً، فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس.
فقال لها: ما اسمك؟
قالت: الخرنوبة.

١. تفسير القمي ٥٤١/١ - ٥٥.

٣. المصدر: يذانون.

٥. المصدر: إلّا وجد عندها.

٢. المصدر: أمر الجنّ والانس.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: الجنّ.

٦. الكافي ١٤٤/٨، ح ١١٤.

قال: فولّى سليمان مدبراً إلى محرابه، فقام فيه متكئاً على عصاه، فقبض روحه من ساعته.

قال: فجعلت الجنّ والإنس يخدمونه ويسمعون في أمره؛ كما كانوا. وهم يظنون أنه حيّ لم يمت يغدون ويروحون، وهو قائم ثابت. حتّى دبّت الأرضة من عصاه، فأكلت منسأته، فانكسرت وخرّ سليمان إلى الأرض. أفلا تسمع لقوله ﷻ: «فلما خرّ تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب لالبثوا في العذاب المهين». وفي مجمع البيان^(١): وفي الشواذّ «تبينت الإنس» وهي قراءة عليّ بن الحسين وأبي عبد الله عليه السلام.

وفيه^(٢)، حديث آخر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان آصف بن برخيا يدبّر أمره حتّى دبّت الأرضة.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسِ بٌ﴾: لأولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ومنع^(٣) الصرف عنه ابن كثير وابن عمرو. لأنّه صار اسم القبيلة.

وعن ابن كثير، قلب همزته ألفاً. ولعلّه أخرجه بين بين، فلم يؤدّه الراوي كما وجب^(٤).

﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾: في مواضع سكناهم؛ وهي باليمن. يقال لها: مأرب. بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث.

وقرأ حمزة وحفص بالإفراد والفتح. والكسائي بالكسر، حملاً على ما شدّ من القياس؛ كالمسجد والمطلع^(٥).

﴿آيَةٌ﴾: علامة دالة على وجود الصانع المختار.

﴿جَنَّاتٍ﴾: بدل من «آية» أو خبر محذوف؛ تقديره: الآية جنتان.

١. مجمع البيان ٣٨٠/٤. وفيه: وفي الشواذّ قراءة ابن عباس والضحاك....

٢. نفس المصدر ٣٨٤/٤. ٣. أنوار التنزيل ٢٥٨/٢.

٤. نفس المصدر والموضع. ٥. نفس المصدر والموضع.

وقرئ بالنصب، على المدح. والمراد: جماعتان من البساتين^(١).

﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: جماعة عن يمين بلدهم، وجماعة عن شماله. كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها؛ كأنها جنة واحدة. أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم عليه السلام^(٢): وقوله: «لقد كان لسبأ في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال».

قال: فإن بحراً كان من اليمن. وكان سليمان عليه السلام أمر جنوده أن يجروا لهم خليجاً من البحر العذب إلى بلاد الهند، ففعلوا ذلك. وعقدوا له عقدة^(٣) من الصخر واكلس حتى يفيض على بلادهم. وجعلوا للخليج مجارياً. فكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء، أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه. وكانت لهم جنتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيام، فيها يمر المار^(٤). لا يقع عليه الشمس من التفافها.

فلما عملوا بالمعاصي وعتوا عن أمر ربهم ونهاهم الصالحون فلم ينتهوا، بعث الله ﷻ على ذلك السد الجرد؛ وهي الفأرة الكبيرة. فكانت تقلع الصخرة التي لا يستقلها الرجل وترمي بها. فلما رأى ذلك قوم منهم، هربوا وتركوا البلاد. فما زال الجرد يقلع الحجر حتى خرّبوا ذلك السد، فلم يشعروا حتى غشيهم السيل وخرّب بلادهم وقلع أشجارهم.

وفي مجمع البيان^(٥): وفي الحديث، عن فروة بن مسيك أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن سبأ، أ رجل هو أم امرأة؟

فقال: هو رجل من العرب ولد عشرة، تيامن منهم ستة وتشاء منهم أربعة. فأما الذين تيامنوا، فالأزد وكندة ومذحج والأشعرون وأنمار وحمير.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. تفسير القمي ٢/٢٠٠-٢٠١.

٣. المصدر: عقدة عظيمة.

٤. من المصدر.

٥. مجمع البيان ٤/٣٨٦.

فقال رجل من القوم: ما أنصار؟ قال: الذين منهم خشع وبجيلة. وأما الذين تشاءموا، فعاملة وجذام ولخم وغسان.

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾: حكاية لما قال لهم نبيهم ذلك.

﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾^(٥): استئناف للدلالة على موجب الشكر؛ أي هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة، وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره.

وقرئ: الكل، بالنصب، على المدح.

وقيل^(١): كانت أخصب البلاد وأطيبها. لم يكن فيها عاهة ولا هامة.

﴿فَاعْرَضُوا﴾: عن الشكر.

﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾: قيل^(٢): سيل الأمر العرم؛ أي الصعب. من عرم الرجل، فهو عارم. وعرم: إذا شرس خلقه وصعب. أو المطر الشديد. أو الجرد، أضاف إليه السيل لأنه نقب عليهم سكرًا^(٣) ضربته لهم بلقيس، فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبًا^(٤) على مقدار ما يحتاجون إليه. أو المسناة التي عُقدت^(٥) سكرًا^(٦). على أنه جمع عرمة؛ وهي الحجارة المركومة.

وقيل^(٧): اسم وادٍ جاء السيل من قبلة. وكان ذلك بين عيسى ومحمد ﷺ.

﴿وَدَلَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: بشع. فإن الخمط كل نبت أخذ طعاماً من مرارة.

وقيل^(٨): الأراك. أو كل شجر لاشوك له. والتقدير: أكل اكل خمط. فحذف

١. أنوار التنزيل ٢٥٨/٢.

٢. نفس المصدر ٢٥٨/٢-٢٥٩.

٣. ن والأصل: سداً. السكز: ما يُسدّ به النهر ونحوه.

٤. المصدر: ثقباً.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: عقلت.

٦. ن والأصل: سداً.

٧. نفس المصدر ٢٥٩/٢.

٨. نفس المصدر والموضع. وفي النسخ: «وقيل: الأراك وكل شجر له شوك. والتقدير: أكل كل ...» وما أثبتناه في المتن موافق المصدر.

المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، في كونه بدلاً أو عطف بيان .

﴿وَأَنْثِلْ وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ (١٦) : معطوفان على «أَكُلْ» لا على «خِمْطُ» . فَإِنَّ الْأَنْثِلَ ؛ هو الطرفاء ولاثمر له .

وقرنا بالنصب ، عطفاً على «جَنَّتَيْنِ» . ووصف الصدر بالقلّة . فَإِنَّ جَنَاهُ ؛ وهو النبق ممّا يطيب أكله ، ولذلك يغرس في البساتين . وتسمية البدل : «جَنَّتَيْنِ» للمشاكلة والتهمك (١) .

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ : بكفران النعمة ، أو بكفرهم للرسول . إذ نُقِلَ : أَنَّهُ بُعِثَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ نَبِيًّا ، فَكَذَّبُوهُمْ . وتقديم المفعول للتعظيم ، لا للتخصيص (٢) .
﴿وَمَلَّ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ﴾ (٣٧) : وهل يجازئ بمثل ما فعلنا بهم . إِلَّا الْبَلِيغُ فِي الْكُفْرَانِ ، أَوِ الْكُفْرُ ؟

وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص : «نجازي» بالنون . و«الكفور» بالنصب (٣) .
﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ : بالتوسعة على أهلها . وهي قرى الشام .

﴿قَرْيَ ظَاهِرَةٍ﴾ : متواصلة . يظهر بعضها لبعض ، أو راكبة سنن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل .

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ : بحيث يقبل الغادي في قرية ويبست الراح في قرية ، إلى أن يبلغ الشام .

﴿سَيَرُوا فِيهَا﴾ : على إرادة القول بلسان الحال ، أو المقال .

﴿لَيَالِيٍّ وَأَيَّامًا﴾ : متى شئتم من ليل ونهار .

﴿آمِنِينَ﴾ (٣٨) : لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات . أو سيروا آمنين ، وإن طالت

١ . نفس المصدر والموضع .

٢ . نفس المصدر والموضع .

٣ . نفس المصدر والموضع . وفيه ، في متن الآية «يجازي» بالياء . وفي المصحف الإمام ، «نجازي» بالنون ، و«الكفور» بالنصب .

مدّة سفركم فيها ليالي أعماركم وأيامها، لاتلقون فيها إلا الأمن.

وفي كتاب علل الشرائع^(١)، بإسناده إلى أبي زاهر شيب بن أنس^(٢) [عن بعض أصحابه]^(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لأبي حنيفة: يا أبا حنيفة، تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: نعم.

قال: يا أبا حنيفة، لقد ادّعت علماً، وملك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، وملك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبيّنا ﷺ وما ورثك الله من كتابه حرفاً. فإن كنت كما تقول، ولست كما تقول، فأخبرني عن قول الله ﷻ: «سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» أين ذلك من الأرض؟ قال: احسبه ما بين مكة والمدينة.

فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إلى أصحابه، فقال: تعلمون أنّ الناس يقطع عليهم ما بين المدينة ومكة، فتؤخذ أموالهم ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون؟ قالوا: نعم.

[قال: (٤)] فسكت أبو حنيفة.

فقال: يا أبا حنيفة، أخبرني عن قول الله ﷻ: «ومن دخله كان آمناً» أين ذلك من الأرض؟

قال: الكعبة.

قال: أفتعلم أنّ الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله، كان آمناً فيها؟ قال: فسكت.

١. علل الشرائع / ٩٠ و ٩١، مقطعين من ح ٥. وأزلة في ص ٨٩.

٢. ن: أبي زاهر شيب بن أنس. والمصدر: أبي زاهر حبيب بن أنس.

٣. ليس في الأصل وأ. من المصدر.

٥. آل عمران / ٩٧.

فقال أبو بكر الحضرمي: جعلت فداك، الجواب في المسألتين الأولتين.
 قال: يا أبا بكر «سيرا فيها ليالي وأياماً آمنين» فقال: مع قائمنا أهل البيت. وأما قوله:
 «ومن دخله كان آمناً» فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل في عدة^(١)
 أصحابه، كان آمناً. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.
 وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): روى محمد بن العباس عليه السلام عن الحسين بن علي بن
 زكريا البصري، عن الهيثم بن عبدالله الرماني قال: حدثني علي بن موسى قال: حدثني
 أبي موسى، عن أبيه جعفر عليه السلام قال: دخل على أبي بعض من يفسر القرآن.
 فقال له: أنت فلان؟ وسماه باسمه.

قال: نعم.

قال: أنت الذي تفسر القرآن؟

قال: نعم.

قال: فكيف تفسر هذه الآية «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة
 وقدرنا فيها السير سيرا فيها ليالي وأياماً آمنين».

قال: هذه بين مكة ومنى.

فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أيقون في هذا الموضع خوف وقطيع؟

قال: نعم.

قال: فموضع [يقول الله]:^(٣) يكون آمن فيه خوف وقطيع؟

قال: فما هو؟^(٤)

قال: ذاك^(٥) نحن أهل البيت. وقد سماكم الله: ناساً. وسمانا: قرى^(٦).

٢. تاويل الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٧١.

٤. المصدر: فما هوذاك؟

١. المصدر: عقد.

٣. من المصدر.

٥. ليس في المصدر.

٦. المصدر: «قال: سماكم الله أياماً وسَمَى هذه قرى» بدل «وقد سماكم ناساً وسمانا قرى».

[قال: جعلت فداك، وجدت هذا في كتاب الله أن القرى رجال؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام قال: سماكم الله ناساً. وسَمَى هذه: قرى] ^(١) قال أبو عبد الله: ليس الله تعالى يقول ^(٢): «واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها» فللجدران والحيطان السؤال أم للناس؟ وقال تعالى ^(٣): «وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً» فمن المعذب الرجال أم الجدران والحيطان؟ ويؤيده ما رواه أيضاً: عن أحمد بن هوزة الباهلي ^(٤)، عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي، عن عبد الله بن حماد الأنصاري، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل [الحسن] ^(٥) البصري على محمد بن علي عليه السلام.

فقال له: يا أبا أهل البصرة، بلغني أنك فسرت ^(٦) آية من كتاب الله على غير ما أنزلت. فإن كنت فعلت، فقد هلكت واستهلك.

قال: وما هي، جعلت فداك؟

قال: قول الله تعالى: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين». ويحك، كيف يجعل الله لقوم أماناً ومتاعهم يُسرَق بمكة والمدينة وما بينهما؟ وربما أخذ عبد أو قُتل وفاتت نفسه. ثم مكث ملياً أو ما بيده إلى صدره وقال: نحن القرى التي بارك الله فيها.

قال: جعلت فداك، أوجدت هذا في كتاب الله، أن القرى رجال؟

قال: نعم، قول الله تعالى ^(٧): «وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله، فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً» فمن العاتي على الله تعالى الحيطان، أم البيوت، أم الرجال؟

١. ليس في المصدر.

٢. يوسف/٨٢.

٣. الاسراء/٥٨.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. من المصدر.

٦. المصدر: قرأت.

٧. الطلاق/٨.

فقال: الرجال.

ثم قال: قلت: جعلت فداك، زدني.

قال: قوله ﷺ في سورة يوسف^(١): «أسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها»

لمن أمروه أن يسأل، القرية والعير أم الرجال؟

فقال: جعلت فداك، فأخبرني عن القرى الظاهرة.

قال: هم شيعة؛ يعني العلماء منهم.

وقوله: «سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» روى أبو حمزة الثمالي^(٢)، عن علي بن

الحسين عليه السلام أنه قال: آمنين من الزيغ؛ أي فيما يقتبسونه منهم من العلم في [الدنيا و]^(٣)

الدين.

وفي كتاب الاحتجاج^(٤) للطبرسي عليه السلام عن أبي حمزة الثمالي قال: دخل قاضٍ من

قضاة أهل الكوفة على علي بن الحسين عليه السلام.

فقال له: جعلني الله فداك، أخبرني عن قول الله ﷻ: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي

باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين».

فقال له: ما يقول الناس فيها قبلكم بالعراق؟^(٥)

قال: يقولون: إنها مكة.

قال: وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه بمكة؟

قال: فما هو؟

قال: إنما عنى الرجال.

قال: وأين ذلك في كتاب الله؟ [فقال:]^(٦) أو ما تسمع إلى قوله ﷻ: «وكأين من

١. يوسف/٨٢.

٢. نفس المصدر/١٦٩.

٣. ليس في المصدر.

٤. الاحتجاج ٤١/٢ - ٤٣.

٥. ليس في المصدر.

٦. من المصدر.

٧. الطلاق/٨.

قرية عنت عن أمر ربها ورسله» وقال^(١): «وتلك القرى أهلكناهم» وقال: «واسألوا القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها» أفسأل^(٢) القرية [أو الرجال أو]^(٣) العير؟ قال: وتلا عَلَيْهِ^(٤) آيات في هذا المعنى.

قال: جعلت فداك، فمن هم؟

قال: نحن هم.

قال: أولم تسمع قوله: «سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين». قال: آمنين من الزيف.

وعن أبي حمزة الثمالي^(٥) قال: أتى الحسن البصري^(٦) أبا جعفر عَلَيْهِ فقال: [جئت]^(٧) لأسألك عن أشياء من كتاب الله.

فقال له أبو جعفر: ألسنت فقيه أهل البصرة؟

قال: قديقال ذلك.

فقال له أبو جعفر عَلَيْهِ: هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟

قال: لا.

قال: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟

قال: نعم.

فقال أبو جعفر عَلَيْهِ: سبحان الله، لقد تقلدت^(٨) عظيماً من الأمر^(٩). بلغني عنك أمر،

فما أدري ألكاذك أنت أم يكذب عليك؟

قال ما هو؟

قال: زعموا أنك تقول: أن الله خلق العباد ففوّض إليهم أمورهم.

١. الكهف/٥٩. ٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فليسأل.

٣. من المصدر. وفي النسخ: و. ٤. ليس في المصدر.

٥. نفس المصدر ٦٢/٢-٦٣.

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أبوالحسن البصري.

٧. من المصدر. ٨. هكذا في الأصل. وفي سائر النسخ: نقلت.

٩. هكذا في المصدر وس. وفي سائر النسخ: الأرض.

قال: فسكت [الحسن]^(١). فقال: أرايت من قال له الله في كتابه: إِنَّكَ آمَنَ. هل عليه خوف بعد هذا القول منه؟
فقال الحسن: لا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: إِنِّي أعرض عليك آية وأنهاي إليك خطباً، ولا أحسبك إلا وقد فسرتة على غير وجهه. فإن كنت فعلت ذلك، فقد هلكت وأهلكت.
فقال له: وما هو؟

قال: أرايت حيث يقول: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين». يا حسن، بلغني أنك أفتيت الناس، فقلت: هي مكة. فقال أبو جعفر عليه السلام: هل يقطع على من حجّ مكة، وهل يخاف أهل مكة، وهل تذهب أموالهم؟
[قال: بلى.]

قال: [٢] فمتى يكونون آمنين؟ بل فينا ضرب الله الأمثال في القرآن. فنحن القرى التي بارك الله فيها. وذلك قول الله ﷻ: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة» والقرى الظاهرة: الرسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا، وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا. وقوله تعالى: «قدرنا فيها السير» فالسير مثل العلم «سيروا فيها»^(٤) ليالي وأياماً» مثل لما يسير من العلم في الليالي والايام عنّا اليهم في الحلال والحرام والفرائض والاحكام. «آمنين» فيها إذا أخذوا [عن معدنها الذي أمروا أن يأخذوا]^(٥) منه، آمنين من الشك والضلال والنقلة من الحرام إلى الحلال. لأنهم أخذوا العلم ممن وجب لهم بأخذهم^(٦) إياه عنهم بالمعرفة^(٧)، لأنهم

١. من المصدر. ٢. من المصدر.

٣. ليس في المصدر. وفيه: «بينهم وبين شيعتهم» بدلاً.

٤. المصدر: «مثل للعلم سيربه» بدل «مثل العلم سيروا فيها»

٥. ليس في المصدر. ٦. ن: «بأخذهم». المصدر: «أخذهم».

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: المغفرة.

أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا، ذرية مصطفاه^(١) بعضها من بعض. فلم ينته الاصطفاء إليكم، بل إلينا انتهى. ونحن تلك الذرية المصطفاه، لا أنت ولا أشباهك. يا حسن، فلو قلت لك حين ادّعت ماليس لك وليس إليك: يا جاهل أهل البصرة. لم أقل فيك إلا ما علمته منك وظهر لي عنك. وإياك أن تقول بالتفويض. فإن الله ﷻ لم يفوض الأمر إلى خلقه وهنا منه وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيهم ظلماً^(٢). والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة. انتهى.

وفي روضة الكافي^(٣) عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟

فقال: هكذا يزعمون.

فقال: أبو جعفر عليه السلام: بلغني أنك تفسر القرآن.

قال له قتادة: نعم.

قال: أبو جعفر عليه السلام: بعلم تفسره^(٤) أم بجهل؟

قال: لا، بعلم.

فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم، فأنت أنت^(٥)، وإلا أنا أسألك.

قال قتادة: سل.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مصفاة.

٢. يوجد في هامش نسخة م: وعن علي عليه السلام قال: نحن القرى التي بارك الله فيها. وذلك قوله تعالى: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة». قال: «القرى الظاهرة»، الرسل. والنقلة عن أبي شيعة وشيعتنا إلى شيعةنا بأسمائه. الآية. ٣. الكافي ٣١١/٨-٣١٢، ح ٤٨٥.

٤. ليس في الأصل.

٥. قال المجلسي عليه السلام: أي فأنت العالم المتوحد الذي لا يحتاج إلى المدح والوصف، وينبغي أن يرجع إليك في العلوم. (حاشية المصدر، نقلًا عن مرآة العقول، للمجلسي عليه السلام).

قال: أخبرني عن قول الله ﷻ^(١): «وقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لَيْلِي وَأَيَّاماً آمَنِينَ». فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزد [حلال]^(٢) وراحلة وكراء حلال^(٣) يريد هذا البيت، كان آمناً حتَّى يرجع إلى أهله.

فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك بالله، يا قتادة، هل تعلم إنَّه قد يخرج الرجل^(٤) من بيته بزد حلال وراحلة وكراء حلال^(٥) يريد هذا البيت، فيقطع عليه الطريق، فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟^(٦) قال قتادة: اللهم نعم.

فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتاده، إن كنت إنَّما فسرت القرآن من تلقاء نفسك، فقد هلكت وأهلك. [وإن كنت أخذته من الرجال، فقد هلكت وأهلك]^(٧). ويحك، يا قتادة، ذلك من خرج من بيته بزد وراحلة وكراء حلال^(٨) يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه؛ كما قال الله ﷻ^(٩): «فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم» ولم يعن البيت فيقول: «إليه» فنحن، والله، دعوة إبراهيم عليه السلام التي^(١٠) من هوانا قلبه قُبِلَتْ حَجَّتْهُ، والآ فلا، يا قتادة. [إذا كان كذلك، كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة]. قال قتادة: [١١] لاجرم، والله، لا فسرتها إلا هكذا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك، يا قتادة، إنَّما يعرف القرآن من خوطب به. وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(١٢)، بإسناده إلى محمد بن صالح الهمداني قال: كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام: [إنَّ أهل بيتي]^(١٣) يؤذونني ويقرعونني بالحديث الذي

١. هنا زيادة في المصدر. وهي: في سبأ. ٢. من المصدر.

٣. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: «أو كراحل» بدل «وكراء حلال».

٤. ليس في أوس والاصل.

٥. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: «أو كراحل» بدل «وكراء حلال».

٦. الاجتياح: الإهلاك. ٧. ليس في أ.

٨. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: حل. ٩. إبراهيم/٣٧.

١٠. من المصدر. ١١. من المصدر.

١٢. كمال الدين وتمام النعمة/٤٨٣، ح ٢. ١٣. من المصدر.

روي عن آبائك ﷺ أنهم قالوا: خدامنا وقوامنا شرار خلق الله .

فكتب ﷺ: ويحكم، أما تقرؤون^(١) ما قال الله ﷻ: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة» نحن والله، القرى التي بارك الله فيها. وأنتم القرى الظاهرة.
قال عبدالله بن جعفر: وحدَّثنا بهذا الحديث علي بن محمد الكليني، عن محمد بن صالح، عن صاحب الزمان صلوات الله عليه.

﴿قَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾: أشروا النعمة؛ كبنى إسرائيل. فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفاوز، ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد. فأجابهم الله^(٢) بتخريب القرى المتوسطة.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد ويعقوب: «باعد» بلفظ الخبر، على أنه شكوى منهم لبعد سفرهم إفراطاً في الترفيه وعدم الاعتداد بما أنعم الله عليهم فيه. ومثله قراءة من قرأ: «ربنا بعد» و«بعد» على النداء، وإسناد الفعل إلى «بين»^(٣).
﴿وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾: حيث بطروا النعمة، أولم يعتدوا بها.

وفي أصول الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب. عن جميل بن صالح، عن سدير قال: سأل رجل أبا عبد الله ﷺ عن قول الله ﷻ: «قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم» الآية.

فقال: هؤلاء قوم، كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارية وأموال ظاهرة. فكفروا بأنعم الله ﷻ وغيروا ما بأنفسهم من عافية^(٥) الله، فغير الله ما بهم من نعمة. وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. فأرسل الله عليهم سيل العرم، فغرق قراهم وخرَّب ديارهم وأذهب أموالهم. وأبدلهم مكان جناتهم «جنتين ذواتي

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «ما تعرفون» بدل «أما تقرؤون».

٢. هكذا في م. وفي سائر النسخ: «فاذا جاء بهم» بدل «فاجابهم الله».

٣. أنوار التنزيل ٢٥٩/٢. ٤. الكافي ٢٧٤/٢، ح ٢٣.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: عاقبة.

أَكُلْ خَمْطٌ وَأَثَلٌ وَشَيْءٌ مِنْ سَدَرٍ قَلِيلٍ». ثُمَّ قَالَ اللَّهُ ﷻ: «ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ».

وفي روضة الكافي^(١): مُحَمَّدٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ ابْنِ مَجْبُوبٍ^(٢)، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: «فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ»

فَقَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ، كَانَتْ لَهُمْ قَرَى مُتَّصِلَةٌ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَنْهَارٌ جَارِيَةٌ وَأَمْوَالٌ ظَاهِرَةٌ. فَكَفَرُوا بِأَنْعَمِ اللَّهِ وَغَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ. فَغَرَّقَ قَرَاهِمَ وَأَخْرَبَ دِيَارَهُمْ [وَأَذْهَبَ بِأَمْوَالِهِمْ]^(٣). وَأَبْدَلَهُمْ مَكَانَ جَنَّتِهِمْ «جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكُلْ خَمْطٌ وَأَثَلٌ وَشَيْءٌ مِنْ سَدَرٍ قَلِيلٍ». ثُمَّ قَالَ اللَّهُ ﷻ: «ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ».

وبإسناده إلى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ^(٤) خُطِبَةٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَفِيهَا يَقُولُ ﷺ: «وَأَسْفَأَ مِنْ فَعَلَاتٍ شِيعَتِي مِنْ بَعْدِ قَرَبِ مَوَدَّتِهَا الْيَوْمَ كَيْفَ يَسْتَذِلُّ بَعْدِي بَعْضُهُمْ^(٥) بَعْضًا، [وَكَيْفَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ^(٦) بَعْضًا]^(٧) الْمَتَشَتَّةَ غَدًا عَنِ الْأَصْلِ، النَّازِلَةَ بِالْفَرْعِ، الْمُؤَمَّلَةَ الْفَتْحِ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ، كُلَّ حِزْبٍ مِنْهُمْ أَخَذَ^(٨) بِغَضْنٍ أَيْنَمَا مَالُ الْغَضَنِ مَالٌ مَعَهُ. مَعَ أَنَّ اللَّهَ - وَلَهُ الْحَمْدُ - سَيَجْمَعُ هَؤُلَاءَ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمِّيَّةٍ؛ كَمَا يَجْمَعُ قَرْعَ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رَكَامًا؛ كَرَكَامِ السَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابًا يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَشَارِهِمْ؛ كَسِيلِ الْجَنَّتَيْنِ سَيْلَ^(٩) الْعَرَمِ. حَيْثُ بَعَثَ عَلَيْهِ فَأَرَةً فَلَمْ يَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكْمَةً وَلَمْ يَرُدَّ سَنَّهُ مِنْ طُودٍ. يَذْعُدُهُمُ اللَّهُ فِي بَطُونٍ أَوْدِيَةٍ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنْابِيعَ فِي الْأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ

١. نفس المصدر ٣٩٥/٨-٣٩٦، ح ٥٩٦.

٢. هكذا في المصدر، أو م وس. وفي سائر النسخ: مُحَمَّدٌ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مَجْبُوبٍ.

٣. من المصدر. ٤. نفس المصدر ٦٤/٨-٦٥، ضمن حديث ٢٢.

٥. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: بعضها.

٦. هكذا في ن. وفي سائر النسخ والمصدر: بعضها.

٧. ليس في م. ٨. المصدر: أَخَذَ [مِنْهُ].

٩. ليس في أ وس والمصدر.

حقوق قوم ويمكن من قوم لديار^(١) قوم، تشديداً لبني أمية.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾: يتحدث الناس بهم تعجباً. وضرب مثل، فيقولون تفرقوا أيدي سبأ.

﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرقناهم غاية التفريق؛ حتى لحق غسان^(٢) منهم بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان.

وفي كتاب علل الشرائع^(٣)، بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ حديث طويل. يقول فيه ﷺ: يا بلال، اصعد أباقيس فناد عليه: إن رسول الله ﷺ حرم الجري والضب والحرر الأهلية، ألا فاتقوا الله ولا تأكلوا من السمك إلا ما كان له قشر ومع القشر فلوس. إن الله تبارك وتعالى مسح سبعمئة أمة عصوا الأوصياء بعد الرسل، فأخذ أربعمئة أمة منهم برأ، وثلاثمئة منهم بحرأ. ثم تلا هذه الآية: «وجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق».

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾: عن المعاصي.

﴿شُكُورٍ﴾^(٤): على النعم.

في شرح الآيات الباهرة: قال محمد بن العباس ﷺ: حدثنا محمد بن أحمد بن ثابت، عن القاسم بن اسماعيل، عن محمد بن سنان، عن سماعة بن مهران، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر ﷺ في قول الله ﷻ: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شُكُورٍ». قال: «صبار» على مودتنا وعلى منازل به من شدة أو رخاء، صبور على الأذى فينا. «شكور» لله على ولايتنا أهل البيت.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾: أي صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه؛ مثل: فعلته

جهدك.

١. المصدر: «بهم قوماً من ديار»، م وس وأ: «من قوم في ديار» بدل «من قوم لديار».

٢. هكذا في س. وفي م ون: «غيتان» وفي أ: «غشان». وفي الأصل: «غشاه».

٣. علل الشرائع / ٤٦١ - ٤٦٢، ضمن حديث ١.

ويجوز أن يُعدَّى الفعل إليه بنفسه؛ كما في صدق وعده. لأنه نوع من القول. وشدَّده الكوفيون؛ بمعنى: حقَّ ظنَّه، أو وجده صادقاً.

وقرئ بنصب «إبليس» ورفع «الظنَّ» مع التشديد^(١)؛ بمعنى: وجده ظنَّه صادقاً. والتخفيف؛ بمعنى: قال له ظنَّه الصدق حين خيله إغواءهم. وبرفعهما والتخفيف، على الإبدال. وذلك إمَّا ظنَّه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات، أو ببني آدم حين رأى ماركب فيهم من الشهوات والغضب، أو سمع من الملائكة «اتجعل فيها من يفسد فيها» فقال: لأضلَّتهم ولأغوينهم.

﴿فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢): إلَّا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه. وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار، أو «إلَّا فريقاً» من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون.

وفي روضة الكافي^(٣): محمد بن يحيى، أحمد بن سليمان، عن عبد الله بن محمد اليماني، عن [عبد الله بن]^(٤) مسمع بن الحجاج، عن صباح الحذاء، عن صباح المزني، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام يوم الغدير، صرخ إبليس في جنوده صرخة فلم يبق منهم في بر ولا بحر إلَّا أتاه.

فقالوا: يا سيدهم ومولاهم^(٥)، ما ذا دهاك، فما سمعنا لك صرخة أو حش من صرختك هذه؟

١. أنوار التنزيل ٢/٢٦٠. ٢. الكافي ٨/٣٤٤-٣٥٤، ح ٥٤٢.

٣. ليس في س واون والمصدر.

٤. يوجد في هامش نسخة م: لم ينسب إليه بقوله عليه السلام «سيدنا». لأن هذه القاعدة من قواعد الفصحاء وهو لا ينسبون الشيء القبيح إلى أنفسهم عند التكلم. سمعت من م ق ررو.

وفي حاشية المصدر نقلاً عن العلامة المجلسي عليه السلام في كتابه مرآت العقول: أي قالوا: «يا سيدنا وبنا مولانا». وإنما غيَّره لئلا يوهم انصرافه إليه عليه السلام. وهذا شائع في كلام البلغاء في نقل أمر لا يرضى القائل لنفسه؛ كما في قوله تعالى: «أَلْ لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين». وقوله: «ما ذا دهاك» يقال: دهاه: إذا أصابته داهية.

فقال لهم: فعل هذا النبي ﷺ فعلاً إن تم لم يُعص الله أبداً.

فقالوا: يا سيدهم، أنت كنت لآدم.

فلما قال المنافقون: إنه ينطق عن الهوى. وقال أحدهما لصاحبه: أما ترى عينيه

تدوران في رأسه كأنه مجنون - يعنون: رسول الله ﷺ - صرخ إبليس صرخة بطرب

فجمع أولياؤه، فقال: أما علمتم أنني كنت لآدم من قبل؟

قالوا: نعم.

قال: آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب، وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول ﷺ.

[فلما قبض رسول الله ﷺ]^(١) وأقام الناس غير عليّ، لبس إبليس تاج الملك

ونصب منبراً وقعد في الوثبة^(٢) وجمع خيله ورجله ثم قال لهم: اطربوا، لا يطاع الله

حتى يقوم الإمام.

وتلا أبو جعفر عليه السلام: «ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين».

قال أبو جعفر عليه السلام: كان تأويل هذه الآية لما قبض رسول الله ﷺ. والظن من إبليس

حين قالوا لرسول الله ﷺ: إنه ينطق عن الهوى. فظن بهم إبليس ظناً فصدّقوا ظنه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن

أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أمر الله نبيه ﷺ أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس في قوله^(٤):

«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» في عليّ بغدير خمّ، فقال: من كنت مولاه،

فعليّ مولاه.

فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر^(٥)، وحثوا التراب على رؤوسهم.

فقال لهم إبليس: مالكم؟

١. ليس في م.

٢. هكذا في المصدر. وفي سائر النسخ: الزينة. الوثبة: الوسادة.

٣. تفسير القمي ٢/٢٠١. ٤. المائدة ٦٧.

٥. ليس في أ.

قالوا: إن هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلها شيء إلى يوم القيامة.

فقال لهم إبليس: كلاً، إن الذين حوله قد وعدوني فيه عدة^(١) لن يخلفوني. فأنزل

الله ﷻ على رسول الله: «ولقد صدق عليهم إبليس ظنه» الآية.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال محمد بن العباس ﷺ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ

الْمَالِكِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ أَبِي فَضَّالٍ^(٣)، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ

عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِغَدِيرِ خَمٍّ

فَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ، كَانَ إِبْلِيسَ حَاضِراً بِعَفَارِيتهِ.

فقلت له - حيث قال: من كنت مولا، فعلي مولا - : والله، ما هكذا قلت لنا، لقد

أخبرتنا إن هذا إذا مضى افترق^(٤) أصحابه، وهذا أمر مستقر كلما أراد أن يذهب واحد

بدر آخر.

فقال: افترقوا، فإن أصحابه قد وعدوني أن لا يفرّوا له بشيء مما قال. وهو قوله ﷻ:

«وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ».

﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾: تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾: إلا يتعلق علمنا بذلك تعلقاً

يترتب عليه الجزاء، أو ليميز المؤمن من الشاك. والمراد من حصول العلم، حصول

متعلقه بمبالغة.

﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ﴾^(٥): محافظ. والزنتان متأخيتان.

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أي زعمتموهم آلهة.

وهما مفعولان «زعم». حذف الأول لطول الموصول بصلته، والثاني لقيام صفته

مقامه. ولا يجوز أن يكون «هو» مفعوله الثاني، لأنه لا يلائم مع الضمير كلاماً. ولا «لا

يملكون» لأنهم لا يزعمونه

٢. تاويل الآيات الباهرة، ج ١، ص ٤٧٣.

١. الأصل: مدة.

٤. المصدر: افترق.

٣. المصدر: ابن فضال.

﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾: والمعنى ادعوهم فيما يهتمكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلهم يستجيرون لكم إن صح دعواكم.

ثم أجاب عنهم اشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة، فقال:

﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾: من خير أو شر.

﴿ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾: في أمرنا^(١). وذكرهما، للعموم العرفي. أولاً لأن الهتهم بعضها سماوية؛ كالملائكة والكواكب، وبعضها أرضية؛ كالأصنام. أولاً لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم.

﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ ﴾: من شركة، لا خلقاً ولا ملكاً.

﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾^(٢): يعينه على تدبير أمرهما.

﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ﴾: ولا تنفعهم شفاعاة أيضاً؛ كما يزعمون. إذ لا تنفع الشفاعاة عند الله.

﴿ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾: أن يشفع، أو أذن أن يشفع له لعلو شأنه. ولم يثبت ذلك. واللام على الأول: كاللام في قولك: الكرم لزيد. والثاني كاللام في: جئتك لزيد.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي، بضم الهمزة^(٣).

﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾: غاية لمفهوم الكلام من أن ثمة توقفاً وانتظاراً للإذن؛ أي يترصدون فزعين، حتى إذا كُشِفَ الفزع عن قلوب، الشافعين والمشفوع لهم بالإذن.

وقيل^(٤): الضمير للملائكة، وقد تقدّم ذكرهم ضمناً.

وقرأ ابن عامر ويعقوب: «فزع» على البناء للفاعل. وقرئ «فزع» أي نفى الوجل، من فزع الزاد إذا فني^(٥)

١. هكذا في النسخ. وفي تفسير الصافي ٢١٨/٤: «أمرهما». وفي أنوار التنزيل ٢٦٠/٢: «أمرما». والأخير أظهر بدلالة: «لا يملكون مثقال ذرة». و«أمرهما» أقوى بدلالة: «في السماوات ولا في الأرض» والله العالم. ٢-٤. أنوار التنزيل ٢٦٠/٢.

﴿ قَالُوا ﴾ : بعضهم لبعض .

﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ : في الشفاعة .

﴿ قَالُوا الْحَقَّ ﴾ : قالوا : قال القول الحق . وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى ، وهم

المؤمنون .

وقرئ بالرفع ؛ أي مقوله الحق ^(١) .

﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ^(٢) : ذوالعلو والكبرياء . ليس لملك ولانبي أن يتكلم ذلك

اليوم ^(٣) إلا بإذنه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٤) : في قوله ﷻ : « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له »

قال : لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة [حتى يأذن الله له . إلا رسول الله ﷺ

فإن الله تعالى قد اذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة ^(٥)] فالشفاعة له وللأنمة ﷺ ثم

بعد ذلك للأنبياء ﷺ .

قال ^(٦) : حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن عمار ، عن أبي العباس المكي

قال : دخل مولى لامرأة علي بن الحسين عليه السلام يقال له : أبو أيمن .

فقال له : يا أبا جعفر ، تغزون الناس وتقولون : شفاعة محمد شفاعة محمد ﷺ !

فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى ترند ^(٧) وجهه . ثم قال له : ويحك يا أبا أيمن ، أغرك أن

عَفَ بطنك وفرجك . أما لو قد رأيت أفزع يوم القيامة لقد احتجت إلى شفاعة

محمد ﷺ . ويلك ، وهل يشفع إلا لمن وجبت له النار ^(٨) .

ثم قال : مامن أحد من الأولين والآخرين إلا وهو محتاج إلى شفاعة رسول الله ﷺ

يوم القيامة .

١ . نفس المصدر ٢/٢٦١ .

٢ . من ن وم .

٣ . تفسير القمي ٢/٢٠١ - ٢٠٢ .

٤ . ليس في ن .

٥ . نفس المصدر والموضع .

٦ . ترند : تغير .

٧ . ليس في الأصل ون .

ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشَّفَاعَةَ [فِي أُمَّتِهِ، وَلَنَا الشَّفَاعَةُ فِي شِيعَتِنَا، وَلَشِيعَتِنَا الشَّفَاعَةُ ^(١)] فِي أَهَالِيهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُشْفَعُ فِي مِثْلِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُشْفَعُ حَتَّى لَخَادِمِهِ، وَيَقُولُ: يَا رَبِّ، حَقَّ خِدْمَتِي، كَانَ يَقِينِي الْحَرَّو الْبَرِدَ.

وَفِي ^(٢) رَوَايَةِ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام ^(٣) فِي قَوْلِهِ: «حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ، قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ». وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ لَمْ يَسْمَعُوا وَحْيًا فِيمَا بَيْنَ أَنْ بَعَثَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ جِبْرِئِيلَ عليه السلام إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ^(٤) سَمِعَ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ صَوْتَ وَحْيِ الْقُرْآنِ كَوَقْعِ الْحَدِيدِ عَلَى الصِّفَا، فَصُغِقَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ. فَلَمَّا فَرِغَ مِنَ الْوَحْيِ انْحَدَرَ جِبْرِائِيلُ عليه السلام [كَلَمًا مَرَّ ^(٥)] بِأَهْلِ سَمَاءِ فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ؛ يَقُولُ: كَشَفَ عَنْ قُلُوبِهِمْ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ» ^(٦) وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

وَفِي شَرْحِ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ ^(٧): قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ رحمته الله: رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَا تَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ حَتَّى يَأْذَنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^(٨). فَالشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلِلْأَئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ عليهم السلام. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام.

وَرَوَى أَيْضًا ^(٩) عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ زُرْعَةَ، عَنْ سَمَاعَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُلْجَمُهُمْ ^(١٠) الْعِرْقُ. فَيَقُولُونَ:

-
١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: شفاعته.
 ٢. ليس في أ.
 ٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أمر.
 ٤. ليس في أ.
 ٥. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٧٦.
 ٦. ليس في أ.
 ٧. نفس المصدر والموضع.
 ٨. المصدر: في يوم القيامة.
 ٩. نفس المصدر والموضع.
 ١٠. أوم وس: فيجمعهم.

انطلقوا بنا إلى آدم ﷺ ليشفع لنا^(١) فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لنا عند ربك.

فيقول: إن لي ذنباً وخطيئة [فأستحي من ربي، فعليكم بنوح.

فيأتون نوحاً، فيزدهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه من الأنبياء]^(٢) حتى ينتهوا إلى عيسى.

فيقول: عليكم بمحمد.

فيأتون محمداً، فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه أن يشفع لهم.

فيقول لهم: انطلقوا بنا.

فينطلقون حتى يأتي باب الجنة، فيستقبل وجه الرحمن^(٣) سبحانه ويخّر ساجداً، فيمكنك ما شاء الله.

فيقول [الله]^(٤) له: ارفع رأسك، يا محمد، واشفع تُشَفِّعْ وسل تُعْطَ. فيشفع فيهم.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يريد به تقرير قوله: «لا يملكون».

﴿قُلِ اللَّهُ﴾: إذ لا جواب له سواه. وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعموا في الجواب مخافة الإلزام، فهم مقرّون به بقلوبهم.

﴿وَأَنَا أَوْ يَاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٥): أي وإن أحد الفريقين من

الموحدّين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشرّكين به الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية، لعلّى أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين. وهو بعدما تقدّم من التقرير البليغ الدالّ على من هو على الهدى ومن هو في ضلال أبلغ من التصريح، لأنّه في صورة الإنصاف المسكت للخصم المشاغب.

واختلاف الحرفين، لأنّ الهادي؛ كمن صعد مناراً ينظر الأشياء ويتطلّع عليها، أو ركب جواداً يركضه حيث يشاء. والضالّ؛ كأنّه منغمس في ظلام^(٥) من قبل أنّه لا يرى

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يشفع.

٢. ليس في أ.

٣. المصدر: وجه الرحمن الرحيم.

٤. من م والمصدر.

٥. ن: ضلال.

شيئاً، أو محبوبس في مطمورة لا يستطيع أن يتفصى^(١) منها.

وفي كتاب الاحتجاج^(٢) للطبرسي عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام كلام طويل . وفيه : وأما قولكم «أني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين : انظرا، فإن كان معاوية أحق بها مني فاثبتاه»^(٣). فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ شَكًّا مِنِّي، وَلَكِنِّي أَنْصَفْتُ بِالْقَوْلِ. قال الله : «وَأَنَا أَوْ إِنَّاكُم لَعَلَى هَدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ». ولم يكن ذلك شكاً، وقد علم الله أَنَّ نَبِيَّهٗ عَلَى الْحَقِّ.

﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ ﴾^(٤) : هذا أدخل في الإنصاف وأبلغ في الإخبات، حيث أسند الإجماع إلى أنفسهم والعمل إلى المخاطبين.

﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ﴾ : يوم القيامة.

﴿ ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ : يحكم ويفصل . بأن يدخل^(٥) المحققين الجنة والمبطلين النار.

﴿ وَهُوَ الْفَتْاحُ ﴾ : الحاكم الفیصل في القضايا المغلقة.

﴿ الْعَلِيمُ ﴾^(٦) : بما ينبغي أن يقضي به .

﴿ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ الْحَقُّم بِهِ شُرَكَاءَ ﴾ : لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة . وهو استفسار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم، زيادة في تبكيهم.

﴿ كَلَّا ﴾ : ردع لهم عن المشاركة، بعد إبطال المقايسة.

﴿ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٧) : الموصوف بالغلبة وكمال القدرة . والضمير «الله» أو للشان.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ﴾ : إلّا إرسالة^(٨) عامة لهم . من الكف، فإنها إذا عمّتهم فقد كفّتهم أن يخرج منها أحد . أو إلّا جامعاً لهم في الإبلاغ . فهي حال من الكاف . والتاء

٢ . الاحتجاج ١/ ٢٧٧- ٢٧٨ .

١ . تفصى من الشيء، وعنه : تخلّص منه .

٤ . هكذا في م ون . وفي سائر النسخ : يداخل .

٣ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : فاشتبه .

٥ . ن : رسالة .

للمبالغة. ولا يجوز جعلها حالاً من «الناس» على المختار.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّائِي قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَمِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ الْكَتَّانِي قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَكِيرٍ الْأَرْجَانِي^(٢) قَالَ: قَالَ لِي الصَّادِقُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّسُولِ ﷺ كَانَ عَاماً لِلنَّاسِ بَشِيراً، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ» لأهل الشرق والغرب وأهل السماء والأرض من الجن والإنس، هل بلغ رسالته إليهم كلهم؟

[قلت: لا أدري.]

قال: يا ابن بكير: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لم يخرج من المدينة، فكيف أبلغ أهل الشرق والغرب؟^(٣)

قلت: لا أدري.

قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أمر جبرائيل فاقطع الأرض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله ﷺ فكانت بين يديه مثل راحته في كفّه، ينظر أهل الشرق والغرب، ويخاطب كل قوم بالسنتهم ويدعوهم إلى الله ﷻ وإلى نبوته بنفسه، فما بقيت قرية ولا مدينة إلا ودعاهم النبي ﷺ بنفسه.

وفي أصول الكافي^(٤): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، وعدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن محمد بن مروان جميعاً، عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ

١. تفسير القمي ٢٠٢/٢ - ٢٠٣.

٢. هكذا في ن. وفي سائر النسخ: «الرجاني». وفي المصدر: «الدجاني». ولعل الأصوب: «عبدالله بن بكر الأرجاني». انظر تنقيح المقال ١٧٢/٢، رقم ٦٧٦٩ و ص. ١٧٠، رقم ٦٧٦٦.

٣. هنا زيادة في المصدر. وهي: في محكم كتابه.

٤. الكافي ١٧/٢، ضمن حديث ١.

٥. ليس في ن.

تبارك وتعالى أعطى محمداً ﷺ شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى - إلى أن قال -: وأرسله كافة إلى الأبيض والأسود والجن والإنس .

وفي كتاب الخصال^(١) : عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : فُضِّلْتُ بأربع خصال^(٢) : جُعِلْتُ لي^(٣) الأرض مسجداً - إلى قوله - : وأرسلت إلى الناس كافة .

وفي مجمع البيان^(٤) : عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : أُعْطِيتَ خمساً ولا أقول فخراً ؛ بُعِثْتُ إلى الأحمر والأصفر^(٥) . الحديث .

وفي روضة الواعظين^(٦) ، للمفيد رحمه الله : قال علي بن الحسين عليه السلام : سئل أبو طالب^(٧) : سله^(٨) ، أرسله الله إلينا خاصة أم إلى الناس كافة ؟

فقال أبو طالب : يا ابن أخ ، إلى الناس كافة أرسلت أم إلى قومك خاصة ؟ قال : لا ، بل إلى الناس أرسلت كافة ؛ الأبيض والأسود^(٩) والعربي والعجمي . والذي نفسي بيده ، لأدعون إلى هذا الأمر الأبيض والأسود ومن على رؤوس الجبال ومن في لجج البحار ، ولأدعون السنة فارس والروم .

وفي كتاب كمال الدين وتعمام النعمة^(١٠) ، بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر^(١١) الباقر عليه السلام حديث طويل . وفيه وإن الأنبياء بُعِثُوا خاصة وعامة ؛ فأما نوح ، فإنه أرسل إلى من في الأرض نبوة عامة ورسالة عامة . وأما هود ، فإنه أرسل إلى عاد^(١٢) نبوة خاصة . وأما صالح ، فإنه أرسل إلى ثمود ، وهي قرية واحدة لاتكمل

١ . الخصال / ٢٠١ ، صدر وذييل حديث ١٤ .

٢ . ليس في المصدر .

٣ . المصدر : لا متي .

٤ . مجمع البيان ٣٩١/٤ .

٥ . المصدر : الأسود .

٦ . روضة الواعظين للنيسابوري / ٥٤ ، في حديث طويل .

٧ . المصدر : « فقالوا يا أبو طالب بدل « سئل أبو طالب » .

٨ . ليس في الأصل وم .

٩ . هنا زيادة في المصدر . وهي والأحمر .

١٠ . كمال الدين وتعمام النعمة / ٢١٩ - ٢٢٠ ، ضمن حديث ١ . وأوله في ص ٢١٣ .

١١ . المصدر : أبي جعفر محمد بن علي .

١٢ . من المصدر .

أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة. وأما شعيب، فإنه أرسل إلى مدين، وهي لا تكمل أربعين بيتاً. وأما إبراهيم نبوته بكوثا، وهي قرية من قرى السواد فيها بدأ أول أمره، ثم هاجر منها وليست بهجرة. فقال في ذلك ^(١) قوله ﷺ: «أني مهاجر إلى ربي سيهدين» ^(٢). وكانت هجرة إبراهيم بغير قتال. وأما إسحاق، فكانت نبوته بعد إبراهيم. وأما يعقوب، فكانت نبوته بأرض كنعان، ثم هبط إلى أرض مصر فتوفي فيها، ثم حُمل بعد ذلك جسده حتى دُفن بأرض كنعان. والرؤيا التي رأى يوسف الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين، فكانت نبوته في أرض مصر بدوها، ثم إن الله تبارك وتعالى أرسل الأسباط اثني عشر بعد يوسف. ثم موسى وهارون إلى فرعون وملائه إلى أرض ^(٣) مصر وحدها. ثم إن الله تبارك وتعالى أرسل يوشع بن نون إلى بني إسرائيل من بعد موسى، فنبوته بدوها في البرية التي تاه فيها بنو إسرائيل. ثم كانت أنبياء كثيرون، منهم من قصه الله ﷻ على محمد ﷺ ومنهم من لم يقصصه على محمد ﷺ. ثم إن الله ﷻ أرسل عيسى إلى بني إسرائيل خاصة، وكانت نبوته ببيت المقدس وكان من بعده الحواريون اثنا عشر. لم يزل الإيمان يستتر ^(٤) في بقية أهله منذ رفع الله عيسى عليه السلام. ثم أرسل الله محمداً ﷺ إلى الجن والإنس عامة، وكان خاتم الأنبياء.

وبإسناده إلى محمد بن الفضيل ^(٥)، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي [الباقري عليه السلام] ^(٦) حديث طويل. وفيه يقول عليه السلام: فمكث نوح عليه السلام [في قومه] ^(٧) ألف سنة إلا خمسين عاماً، لم يشاركه في نبوته أحد.

١. المصدر: «وليس بهجرة قتال. وذلك» بدل «وليس بهجرة. فقال في ذلك».

٢. هكذا في النسخ والمصدر. وأما في المصحف: «أني ذاهب...» (الصفات/ ٩٩)، أو كما وردت في الفوق

ولكن بدون «سيهدين» فتكون في سورة العنكبوت/ ٢٦. والاحتمال الأول أظهر.

٣. ليس في المصدر. ٤. م. وأ. يستر. والمصدر: يستتر.

٥. نفس المصدر/ ٢١٥، ضمن حديث ١. وهو نفس الحديث السابق.

٦. من المصدر. ٧. من المصدر.

وفي روضة الكافي^(١) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن الفضل، عن أبي جعفر عليه السلام مثل ما نقلنا من كتاب كمال الدين وتمام النعمة أخيراً سواء.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢): فيحملهم جهلهم على مخالفتك. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: من فرط جهلهم.

﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: يعني: المبشِّر به والمنذَر عنه. أو الموعود بقوله^(٣): «يجمع بيننا ربنا».

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤): يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين. ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ﴾: وعد يوم، أو زمان وعد. فإضافته إلى «اليوم» للتبيين. ويؤيده أنه قرئ: «يوم» على البدل. وقرئ: «يوماً» بإضمار اعني^(٥).

﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٦): إذا جاءكم. وهو جواب تهديد، جاء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على النعت.

قيل^(٧): إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله. فأخبروهم أنهم يجدون نعته في كتبهم. فغضبوا وقالوا ذلك.

وقيل^(٨): الذي بين يديه يوم القيامة.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: أي في موضع المحاسبة.

﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾: يتحاورون ويراجعون القول.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾: يقول الاتباع.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾: للرؤساء.

﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾: إضلالكم وصدكم إيانا عن الإيمان.

﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١): باتباع الرسول.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ (٣٢): أنكروا أنهم كانوا صَادِينَ لهم عن الإيمان، وأثبتوا أنهم هم الذين صَدَّوْا أنفسهم حيث أَعْرَضُوا عن الهدى وآثروا التقليد عليه. ولذلك بنوا الإنكار على الاسم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾: إضراب عن إضرابهم؛ أي لم يكن إجرامنا الصاد، بل مكرهم لنا دائماً ليلاً ونهاراً حتى أغرتم علينا رأينا.

﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً﴾: وإضافة المكر إلى الظرف على الاتساع.

وقرئ: «مكر الليل» بالنصب على المصدر. ومكر الليل، بالتثنية ونصب الظرف. ومكر الليل، من الكرور^(١).

﴿وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾: وأضمر الفريقان الندامة على الضلال والإضلال، وأخفاها كل عن صاحبه مخافة التعبير. أو أظهرها. فإنه من الأضداد. إذ الهمة تصلح للإثبات والسلب؛ كما في: أشكيت.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): قوله: «وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ» قال: يَسْرُونَ الندامة في النار إذا رَأَوْا ولي الله.

فقيل: يا رسول الله، وما يغنيهم إسرارهم الندامة وهم في العذاب؟
قال: يكرهون شماتة الأعداء.

﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: [أي في أعناقهم]^(١). فجاء بالظاهر، تنوياً بذمتهم، وإشعاراً بموجب أغلالهم.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢): أي لا يفعل بهم ما يفعل إلا جزاء على أعمالهم.

وتعدية «يجزي» إما لتضمين معنى: يقضي. أو بنزع الخافض.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾: تسلياً لرسول الله ﷺ مما مني به من قومه.

وتخصيص المتنعمين بالتكذيب، لأن الداعي إليه التكبر والمفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها. ولذلك ضموا التهكم والتفاخر إلى التكذيب فقالوا:

﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾^(٣): مقابلة الجمع بالجمع.

﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾: فنحن أولى بما تدعونه إن أمكن.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾^(٤): إما لأن العذاب لا يكون. أو لأنه أكرمنا بذلك، فلا يهيننا بالعذاب.

وفي نهج البلاغة^(٥): وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم فقالوا: «نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين». فإن كان لابد من العصبية، فليكن تعصبكم لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الأمور، التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء^(٦) من بيوتات العرب ويعاسيب^(٧) القبائل بالأخلاق الرغبية^(٨)

١. ليس في الأصل . ٢. نهج البلاغة/ ٢٩٥، ضمن خطبة ١٩٢ .

٣. هكذا في المصدر . وفي النسخ: «فيه المجد والنجدة» بدل «فيها المجدة والنجدة» .

٤. هكذا في المصدر . وفي النسخ: تعاصيب . يعاسيب - جمع يعسوب - وهو أمير النحل . ويستعمل

مجازاً في رئيس القوم كما هنا . ٥. الأخلاق الرغبية: المرضية المرغوبة .

والأحلام^(١) العظيمة والأخطار الجليلة والآثار المحمودّة.

﴿قُلْ﴾: ردّ لحسانهم.

﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ولذلك يختلف فيه الأشخاص المتماثلة

في الخصائص والصفات. ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبه، لم يكن بمشيئته.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢): فيظنون أنّ كثرة الأموال والأولاد، للشرف

والكرامة. وكثيراً ما يكون للاستدراج كما قال:

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى﴾: قربة.

و«التي» إمّا لأنّ المراد: وما جماعة أموالكم والأولاد. أو لأنّها صفة محذوف؛

كالتقوى والخصلة.

وقرئ: «بالذي» أي بالشيء الذي يقربكم^(٣).

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾: استثناء من مفعول «تقربكم» أي الأموال والأولاد

لا تقرب أحداً، إلّا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير

ويربّه على الصلاح. أو من «أموالكم وأولادكم» على حذف المضاف؛ أي أموال

وأولاد من آمن وعمل صالحاً.

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾: أي يتجاوز^(٤) الضعف إلى عشر فما فوقه.

والأصل إضافة المصدر إلى المفعول.

وقرئ بالأعمال على الأصل. وعن يعقوب، دفعهما على إبدال الضعف^(٥). ونصب

الجزاء على التمييز أو المصدر، لفعله الذي دلّ عليه «لهم».

﴿بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾^(٦): من المكارة.

وقرئ بفتح الراء وسكونها^(٧).

٢. أنوار التنزيل ٢/٢٦٣.

١. الأحلام: العقول.

٤ و٥. أنوار التنزيل ٢/٢٦٣.

٣. أظهر: يجازوا.

وقرأ حمزة: «في الغرفة» على إرادة الجنس^(١).

وفي كتاب علل الشرائع^(٢)، بإسنادة إلى أبي بصير قال: ذكرنا عند أبي جعفر عليه السلام من الأغنياء من الشيعة، فكأنه كره ما سمع منا فيهم.

قال: يا أبا محمد، إذا كان المؤمن غنياً رحيماً وصولاً له معروف إلى أصحابه، أعطاه الله أجراً ينفي في البر أجره مرتين ضعفين. لأن الله ﷻ يقول في كتابه: «وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهو في الغرفات آمنون».

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): وذكر رجل عند أبي عبد الله عليه السلام الأغنياء ووقع فيهم. فقال أبو عبد الله عليه السلام اسكت، فإن الغني إذا كان وصولاً لرحمه^(٤) باراً بإخوانه، أضعف الله له الأجر ضعفين. لأن الله يقول: «وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون».

وفي أمالي شيخ الطائفة رحمته^(٥)، بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه عليه السلام: حتى إذا كان يوم القيامة حسب لهم [حسناتهم]^(٦) ثم أعطاهم بكل واحدة عشر^(٧) أمثالها إلى سبعمئة ضعف. قال الله ﷻ: «جزاء من ربك عطاء حساباً». وقال: «اولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون».

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾: بالردّ والطعن فيها.

﴿مَعَاجِزٍ﴾: سابقين لأنبيائنا. أوظائين أنّهم يفوتوننا.

﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾^(٣٨) ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

١. نفس المصدر والموضع.

٣. تفسير القمي ٢٠٣/٢ - ٢٠٤.

٥. أمالي الطوسي ٢٥/١ ح ٣١.

٧. المصدر: عشرة.

٢. علل الشرائع / ٦٠٤، ح ٧٣.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: برحمه.

٦. من المصدر.

٨. النبأ ٣٧.

وَيَقْدِرُ لَهُ: ﴿يوسَع عليه تارة ويضيق عليه أخرى. فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين، وما سبق في شخصين. فلا تكرير.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾: عوضاً. أما عاجلاً أو آجلاً.

﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٣٩): فإن غيره وسط في إيصال رزقه، لاحقية لرازيته.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (١): وقوله ﷻ: «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين».

قال: فإنه حدثني أبي، عن حماد، عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الرب تبارك وتعالى ينزل أمره في كل ليلة جمعة إلى السماء الدنيا من أول الليل، وفي كل ليلة في الثلث الأخير، وأمامه ملك ينادي: هل من تائب يتاب عليه، هل من مستغفر يغفر له، هل من سائل فيعطى سؤله؟ (٢) اللهم أعط كل منفق خلفاً، وكل ممسك تلفاً. إلى أن يطلع الفجر؛ فإذا طلع الفجر عاد أمر الرب تبارك وتعالى إلى عرشه، فيقسم الأرزاق بين العباد.

ثم قال للفضيل بن يسار: يا فضيل، نصيبك من ذلك، وهو قول الله: «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» إلى قوله: «أكثرهم بهم مؤمنون» (٣).

وفي أصول الكافي (٤): علي بن إبراهيم [عن أبيه] (٥) عن عثمان بن عيسى، عن حدثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: آيتين في كتاب الله أطلبهما ولا أجدهما.

قال: وما هما؟

قلت: قول الله ﷻ: «ادعوني استجب لكم».

١. تفسير القمي ٢/ ٢٠٤.

٢. يوجد في هامش نسخه م: السؤال بالضم: المسؤول؛ كالخبر والمخبور. كذا في ق. وقال في الوافي:

الأنس بالضم: جمع مأنوس. (جعفر - عفي عنه).

٣. المصدر: «وهو خير الرازقين» [نهاية آية ٣٩] بدل [إلى قوله أكثرهم بهم مؤمنون] [نهاية آية ٤١]

٥. من المصدر.

٤. الكافي ٤٨٦٢، ح ٨.

٦. المؤمن / ٦٠.

إلى أن قال: وما الآية الأخرى؟

قلت: قول الله ﷻ: «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين». وإني أنفق ولا أرى خلفاً.

قال: أفترى الله ﷻ أخلف وعده؟

قلت: لا.

قال: فممّ ذلك؟

قلت: لا أدري.

قال: لو أنّ أحدكم اكتسب المال من حلّه [وأنفقه في حلّه] ^(١) لم ينفق درهماً إلّا أخلف عليه.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى ^(٢) [عن عثمان بن عيسى] ^(٣) عن يحيى، عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: من بسط يده بالمعروف إذا وجده، يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته. والحديثان طويلان أخذت منهما موضع الحاجة.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه ^(٤)، بإسناده إلى أبان [بن عثمان] ^(٥) الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ أنّه جاء إليه رجل فقال له: بأبي أنت وأمي [يا بن رسول الله]، ^(٦) عطني ^(٧) موعظة.

فقال ﷺ: فإن كان الحساب حقاً، فالجمع لماذا. وإن كان الخلف من الله ﷻ حقاً، فالبخل لماذا؟ الحديث.

وفي الكافي ^(٨): عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن النوفلي، عن السكوني،

١. من المصدر.

٢. نفس المصدر ١٥٤/٢، ضمن حديث ١٩.

٣. من المصدر.

٤. من لا يحضره الفقيه ٢٨١/٤، ضمن حديث ٨٣٢.

٥. من المصدر.

٦. من المصدر.

٧. المصدر: علّمني.

٨. الكافي ٢/٤، ح ٤.

عن أبي عبد الله عليه السلام : قال رسول الله ﷺ : من صدّق بالخلف، جاد بالعطيّة .

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(١)، عن علي بن الحكم، عن موسى بن راشد، عن سماعة، عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أيقن بالخلف، سخت نفسه بالنّفقة .

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد^(٢)، عن عثمان بن عيسى، عن بعض من حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ (٣) في كلام له : ومن بسط يده بالمعروف إذا وجده، يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته .

علي بن إبراهيم، عن أبيه^(٤)، عن حماد بن عيسى، عن عمر بن أذينة رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أو أبي جعفر عليه السلام قال : ينزل الله المعونة من السماء إلى العبد بقدر المؤنة، فمن أيقن بالخلف سخت نفسه بالنّفقة .

أحمد بن محمد، عن أبيه^(٥)، عن الحسين بن أيمن، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : يا حسين، أنفق وأيقن بالخلف من الله . فإنّه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يرضى الله ﷻ إلا أنفق أضعافها فيما يسخط الله .

محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين^(٦)، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : دخل عليه مولى له .

فقال له : هل أنفقت اليوم شيئاً ؟

فقال : لا، والله .

فقال أبو الحسن [الرضا عليه السلام] (٧) فمن أين يخلف الله علينا ؟

١. نفس المصدر ٤٣/٤، ح ٣ .

٢. نفس المصدر والموضع، ح ٤ .

٣. المصدر : «أمير المؤمنين صلوات الله عليه» بدل «رسول الله ﷺ» .

٤. نفس المصدر ٤٤/٤، ح ٨ .

٥. نفس المصدر ٤٣/٤، ح ٧ . وهنا في المصدر زيادة . وهي : عن سعدان .

٦. نفس المصدر ٤٤/٤، ح ٩ . وله ذيل .

٧. من ن .

عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى^(١) وأحمد بن محمد بن خالد جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن مهزم، عن رجل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنَّ الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي: يا صاحب الخير، أتم وأبشر. وملك ينادي: يا صاحب الشرِّ، أنزع^(٢) وأقصر. وملك ينادي: اعطِ منفقاً خلفاً وآتِ ممسكاً تلفاً. وملك ينضحها^(٣) بالماء. ولو لا ذلك، اشتعلت^(٤) الأرض.

محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد^(٥)، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنة: أنفق ولا تخف فقراً، وانصف الناس من نفسك، وافش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقاً. وفي مجمع البيان^(٦): عن جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كل معروف صدقة، وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً إلا ما كان من نفقة في بنين أو معصية. وعن أبي أمامة^(٧) قال: إنكم تأولون هذه الآية في غير تأويلها «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وآل أفضمتا يقول: إياكم والسرف في المال والنفقة، وعليكم بالاعتقاد. فما افتقر قوم قط اقتصدوا.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾: المستكبرين والمستضعفين.

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٨): تعريضاً للمشركين، وتبكيئاً

لهم، وإقناطاً عما يتوقعون من شفاعتهم.

وتخصيص الملائكة، لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب، ولأن عبادتهم مبدأ الشرك وأصله.

١. نفس المصدر ٤/٤٢، ح ١. ٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: أفرغ.

٣. الأصل: وينزجها، وما أثبتناه في المتن موافق سائر النسخ والمصدر.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: اشعلت. ٥. نفس المصدر ٤/٤٤، ح ١٠.

٦. مجمع البيان ٤/٣٩٤. ٧. نفس المصدر والموضع.

وقرأ حفص بالياء، فيهما^(١).

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾: أنت الذي نواله من دونهم لاموالاة بيننا وبينهم، كأنهم يبنوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم، ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم:

﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾: أي الشياطين، حيث أطاعوهم في عبادة غير الله.

وقيل^(٢): كانوا يتمثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة، فيعبدونهم.

﴿أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾^(٣): الضمير الأول للإنس، أو للمشركين. و«الأكثر»

بمعنى: الكل. والثاني للجن.

﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾: إذ الأمر فيه كله له. لأن الدار دار

جزاء، وهو المجازي وحده.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْذِبُونَ﴾^(٤): عطف على

«يملك» مبين للمقصود من تمهيده.

﴿وَإِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا﴾: يعنون: محمداً ﷺ.

﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ﴾: فيستبعمكم بما يستبدعه.

﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾: يعنون: القرآن.

﴿إِلَّا أَفْكٌ﴾: لعدم مطابقة ما فيه الواقع.

﴿مُفْتَرًى﴾: بإضافته إلى الله سبحانه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: لأمر النبوة، أو للاسلام، أو للقرآن. والأول

باعتبار معناه، وهذا باعتبار لفظه وعجازه.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ﴾^(٥): ظاهر سحره.

وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في «الأمين» من الإشارة إلى القائلين

والمقول فيه وما في «لَمَّا» من المبادهة إلى البتّ تمهيداً للقول، إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾: وفيها دليل على صحّة الإِشراك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ (٣٥): يدعوهم إليه وينذرهم على تركه. وقد بان من قبل أن لا وجه له، فمن أين وقع لهم هذه الشبهة. وهذا في غاية التجهيل^(١) لهم والتسفيه لرأيهم. ثمّ هدّدهم فقال:

﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: كما كذّبوا.

﴿وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾: وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوّة وطول العمر وكثرة المال. أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البيّنات والهدى.

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٣٦): فحين كذّبوا رسلي، جاءهم إنكارى بالتدوير فكيف كان نكيري لهم. فليحذر هؤلاء من مثله. ولا تكرير في «كذّب» لأنّ الأول للتكثير والثاني للتكذيب. أو الأول مطلق والثاني مقيد، ولذلك عطف عليه بالفاء.

في تفسير عليّ بن إبراهيم^(٢): حدّثنا عليّ بن الحسين قال: حدّثنا أحمد بن عبدالله^(٣)، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن حسان، عن هشام بن عمار يرفعه في قوله: «وكذّب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذّبوا رسلي فكيف كان نكير».

قال: كذّب الذين من قبلهم رسلهم، وما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمّداً وآل محمّد ﷺ.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾: رشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة. وهي مادّل عليه:

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾: قيل^(٤): وهو القيام من مجلس رسول الله ﷺ. أو الانتصاب في

١. هكذا في م ون. وفي سائر النسخ: التجهيد. ٢. تفسير القمي ٢/٢٠٤.

٣. المصدر: أحمد بن أبي عبدالله. ٤. أنوار التنزيل ٢/٣٦٤.

الأمر خالصاً لوجه الله، معرضاً عن المراء والتقليد.

ومحلّه الجَزَ، على البدل أو البيان. والرفع والنصب، بإضمار «هو» أو «أعني». ﴿مَتَّى وَفَرَادَى﴾: متفرّقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا. فَإِنَّ الازدحام يشوّش الخاطر ويخلط القول.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي حمزة الثمالي قال: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ [بِوَحِدَةٍ]

قَالَ: «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ»^(٢) بَوْلَايَةِ عَلِيِّ عليه السلام. هِيَ الْوَاحِدَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى^(٣). وَفِي أَصُولِ الْكَافِي^(٤): الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مَعْلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ الْوَشَاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضِيلِ، عَنْ أَبِي حمزة قال: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ [بِوَحِدَةٍ].

فَقَالَ: «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ»^(٥) بَوْلَايَةِ عَلِيِّ عليه السلام. هِيَ الْوَاحِدَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحِدَةٍ».

وفي كتاب الاحتجاج^(٦) للطبرسي رحمته الله عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل. وفيه: وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحِدَةٍ» فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ نَزَلَ عَزَائِمُ^(٧) الشَّرَائِعِ وَأَيَّاتِ الْفَرَائِضِ فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا قَيَّدَهُمْ بِهِ الْإِقْرَارُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ وَالشَّهَادَةُ بِأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَلَمَّا أَقَرُّوا بِذَلِكَ تَلَاهُ بِالْإِقْرَارِ لِنَبِيِّهِ صلوات الله عليه بِالنَّبَوَّةِ وَالشَّهَادَةُ لَهُ بِالرِّسَالَةِ. فَلَمَّا انْقَادُوا لِذَلِكَ فَفَرَضَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةَ، ثُمَّ الصَّوْمَ، ثُمَّ الْحَجَّ، ثُمَّ الْجِهَادَ، ثُمَّ

١. تفسير القمي ٢/٢٠٤. ٢. ليس في الأصل وم.

٣. هنا زيادة في النسخ سوى ن. وهي: «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحِدَةٍ». وفي كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمته الله قال: «إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحِدَةٍ عَلِيٍّ». وهي الواحدة التي قال الله تعالى.

٤. الكافي ١/٤٢٠، ح ٤١. ٥. من المصدر.

٦. الاحتجاج ٣٧٩/١.

٧. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «أُنْزِلَ الْعَزَائِمُ» بدل «نَزَلَ عَزَائِمُ».

الزكاة، ثم الصدقات وما يجري مجراها من مال الفيء.

فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا - بعد الذي فرض علينا - شيء آخر يفترضه فتذكره، لتسكن أنفسنا إلى أنه لم يبق غيره؟

فأنزل الله في ذلك: «قل إنما اعظكم بواحدة» يعني الولاية. [فأنزل الله^(١)] «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون».^(٢)

وفي كتاب المناقب^(٣) لابن شهر آشوب، عن الباقر والصادق عليهما السلام في قوله تعالى: «قل إنما اعظكم بواحدة» قال: الولاية «ان تقوموا لله مشئ» قال: الأئمة من^(٤) ذريتهما. وفي شرح الآيات الباهرة^(٥): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا أحمد بن محمد النوفلي، عن يعقوب بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: «قل إنما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مشئ وفرادي» قال: بالولاية.

قلت: وكيف ذاك؟

قال: إنه لما نصب النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام للناس فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اغتابه رجل وقال: إن محمداً ليدعو كل يوم إلى أمر جديد، وقد بدأ بأهل بيته يملكهم رقابنا. فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله بذلك قرأناً، فقال له: «قل إنما اعظكم بواحدة» فقد أذيت إليكم ما افترض ربكم عليكم.

قلت: فما معنى قوله تعالى: «أن تقوموا لله مشئ وفرادي»؟

فقال: أما مشئ: طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعة أمير المؤمنين عليه السلام. وأما فرادي فيعني: طاعة الإمام من ذريتهما من بعدهما. ولا، والله يا يعقوب، ما عني غير ذلك.

١. المصدر: «أنزل» بدل «فأنزل الله». والآية في سورة المائدة / ٥٥.

٢. ما بين المعقوفتين وهي الآية ترتبط بموضوع آخر في المصدر. ويمكن أن يكون إيرادها هنا زائداً.

٣. مناقب آل أبي طالب ١٨٠/٤. ٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: و.

٥. تاويل الآيات الباهرة، ج ٢ ص ٤٧٧.

وروى الشيخ محمد بن يعقوب عليه السلام ^(١) عن الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن الوشاء، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «قل إنما أعظكم بواحدة».

فقال: إنما أعظكم بولاية ^(٢) علي عليه السلام. هي الواحدة التي قال الله تعالى: «إنما أعظكم» ^(٣) بواحدة.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾: في أمر محمد عليه السلام وما جاء به، لتعلموا حقيقته.

﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾: فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك.

وقيل: «ما» استفهامية. والمعنى: ثم تفكروا أي شيء به من آثار الجنون.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ^(٤): قدامه. وهو عذاب يوم القيامة.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾: قيل: أي شيء، سألتكم من أجر على الرسالة.

﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾: والمراد نفى السؤال. فإنه إما أن يكون لغرض، أو غيره. وأياً ما كان،

يلزم أحدهما. ثم نفى كلاً منهما.

وقيل ^(٥): «ما» موصولة. يراد بها: ما سألهم، بقوله ^(٥): «ما أسألكم عليه من أجر إلا من

شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً». وقوله ^(٦): «لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى».

وأتخاذ السبيل ينفعهم. وقرباه قرباهم.

وفي روضة الكافي ^(٧): علي بن محمد، عن علي بن العباس، عن علي بن حماد،

عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى ^(٨): «ومن يقترب

حسنة نزد له فيها حسناً».

١. نفس المصدر والموضع.

٢. المصدر: «قال: ولاية» بدل «فقال: إنما أعظكم بولاية».

٣. ليس في أ. ٤. نفس المصدر ٢/٣٦٥.

٥. الفرقان/ ٥٧. ٦. الشورى/ ٢٣.

٧. الكافي ٨/٣٧٩، صدر حديث ٥٧٤. ٨. الشورى/ ٢٣.

قال: من تولى الاوصياء من آل محمد وأتبع آثارهم، فذلك يزيد به ولاية من مضى من النبيين والمؤمنين الأولين حتى تصل ولايتهم إلى آدم عليه السلام. وهو قول الله ﷻ: «من جاء بالحسنة فله خير منها» تُدخله (٢) الجنة. وهو قول الله ﷻ: «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم» يقول: أجر المودة الذي لم أسألكم غيره، فهو لكم تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيامة. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان (٣): «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم» إلى قوله: وقال الماوردي: معناه: أن أجراً دعوتكم إليه من إجابتي وذخره هو لكم دوني. وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٤): وفي رواية أبي الجاورد، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم» وذلك أن رسول الله ﷺ سأل قومه أن يوذوا أقاربه ولا يؤذوهم. وأما قوله: «فهو لكم» يقول: ثوابه لكم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥) مطَّلَع، يعلم صدقي وخلوص نيتي.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾: يلقيه وينزله على من يجتبه من عباده. أو يرمي به الباطل، فيدمغه. أو يرمي به إلى أقطار الآفاق، فيكون وعداً بإظهار الإسلام وإفشائه.

﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ (٦): صفة محمولة على «أَنْ» اسمها. أو بدل المستكن في «يقذف». أو خبر ثان. أو خبر محذوف.

وقرئ بالنصب، صفة «لرَبِّي». أو مقدَّر «باعني» (٥).

و«الغُيُوب» بالكسر: كالبُيُوت. وبالضَم: كالْعُشُور. وبالْفَتْح: كالصُّيُود. على أنه مبالغة غائب.

١. النمل / ٨٩.

٢. ن: يدخل م. ندخله. المصدر: يدخله. م: ندخله. المصدر: يدخله.

٣. مجمع البيان ٣٩٦/٤. ٤. تفسير القمي ٢٠٤/٢.

٥. أنوار التنزيل ٢٦٥/٢.

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾: أي الإسلام.

﴿وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ﴾^(١): قيل^(٢): وزهق الباطل، أي الشرك، بحيث لم يبق له أثر. مأخوذ من هلاك الحي، فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة.
وقيل^(٣): «الباطل» إبليس، أو الصنم. والمعنى. لا ينشئ خلقاً ولا يعيده أولاً يبدئ خيراً لأهله ولا يعيده.

وقيل^(٣): «ما» استفهامية. منتصبة^(٤) بما بعدها.

وفي الكافي^(٥): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد بن عثمان قال: أولم اسماعيل. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: عليك بالمساكين، فأشبعهم. فإن الله يكثر يقول: «وما يبدئ الباطل وما يعيد».

وفي مجمع البيان^(٦): قال ابن مسعود: دخل رسول الله ﷺ مكة، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً. فجعل يطعنهما بعود في يده ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقاً»^(٧) «جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد».

وفي أمالي شيخ الطائفة عليه السلام^(٨)، بإسناده إلى علي بن موسى، عن أبيه، عن جعفر بن محمد [عن أبيه]^(٩) عن آبائه عليه السلام مثل ما نقلنا عن مجمع البيان.

﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ﴾: عن الحق.

﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾: فإن وبال ضلالي عليها، فإنه بسببها، إذ هي الجاهلة بالذات والأمانة بالسوء. وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله:

﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾: فإن الاهتداء بهدایتة وتوفيقه.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر والموضع.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. المصدر: منصبة.

٥. الكافي ٢٩٩/٦، ح ١٦.

٦. مجمع البيان ٣٩٧/٤.

٧. الأسراء ٨١.

٨. أمالي الطوسي ٣٤٦/١، ح ٢٣.

٩. من المصدر.

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾^(٢): يدرك قول كل ضالٍّ ومهتدٍ وفعله وإن أخفاه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا﴾: عند الموت، أو البعث، أو يوم بدر. وجواب «لو» محذوف، مثل: لرأيتَه فضيعةً.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا يفوتون الله بهرب أو تحصن.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٣): من ظهر الأرض إلى بطنها، أو من الموقف إلى النار، أو من صحراء بدر إلى القلب.

والعطف على «فزعوا». أو «لا فوت»، ويؤيده أنه قرئ: «وأخذ» عطفاً على محله، أي فلا فوت هناك وهناك أخذوا^(٤).

﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾: بمحمد ﷺ. وقد مر ذكره في قوله: «ما بصاحبكم».

وفي مجمع البيان^(٥) ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب.

قال أبو حمزة الثمالي: سمعت علي بن الحسين وإلـ الحسن بن^(٦) الحسن بن علي عليه السلام يقولان: هو جيش البيداء، يؤخذون من تحت أقدامهم.

وروي عن حذيفة بن اليمان^(٧): أن النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب.

قال: فبينما هم كذلك، يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق. فيبعث جيشين: جيشاً إلى المشرق، وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل^(٨) من المدينة الملعونة، يعني: بغداد. فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة امرأة، ويقتلون فيها ثلاثمائة [كباش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة، فيخربون ما حولها. ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج

١. أنوار التنزيل ٢/٢٦٥.

٢. مجمع البيان ٤/٣٩٧.

٤. نفس المصدر ٤/٣٩٨.

٣. من المصدر.

٥. يوجد في هامش نسخة م: «فيه: أن بابل من أراضي بغداد. أقول: قريبة من الحلة بثلاثة فراسخ تقريباً...».

راية هدى من الكوفة^(١) فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لايفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم. ويحل الجيش الثاني بالمدينة، فينهونها ثلاثة أيام بلياليها. ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبدياء بعث الله ﷺ جبرائيل. فيقول: يا جبرائيل، اذهب فأبدهم. فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها. ولايفلت منهم إلا رجلان من جهينة، فلذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين. فلذلك قوله: «ولو ترى اذ فرعوا» إلى آخره. أورده الثعلبي في تفسيره. وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام مثله.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): وقال علي بن إبراهيم عليه السلام في قوله: «ولو ترى اذ فرعوا فلافوت» فإنه حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي خالد الكابلي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: والله، لكأنني أنظر إلى القائم وقد أسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد الله حقه.

ثم يقول: يا أيها الناس، من يحاجني في الله فأنا أولى بالله. أيها الناس، من يحاجني في آدم عليه السلام فأنا أولى بآدم. أيها الناس، من يحاجني في نوح فأنا أولى بنوح. أيها الناس، من يحاجني في إبراهيم. فأنا أولى بإبراهيم. أيها الناس، من يحاجني في موسى فأنا أولى بموسى. أيها الناس، من يحاجني في عيسى فأنا أولى بعيسى. أيها الناس، من يحاجني في محمد ﷺ فأنا أولى بمحمد. أيها الناس، من يحاجني في كتاب الله فأنا أولى بكتاب الله.

ثم ينتهي إلى المقام، فيصلّي ركعتين وينشد الله حقه.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: هو، والله، المضطرّ في كتاب الله في قوله^(٣): «أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض». فيكون أول من يبايعه جبرائيل عليه السلام ثم الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً. فمن كان ابتلى بالمسير وافاه، ومن

لم يتبل بالمسير فُقد عن فراشه. وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام: هم المفقودون عن فرشهم. وذلك قول الله ^(١): «فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً» قال: «الخيرات» الولاية. وقال في موضع آخر ^(٢): «ولئن أحرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة» وهم والله أصحاب القائم عليه السلام يجتمعون والله إليه في ساعة واحدة. فإذا جاء إلى البداء يخرج إليه جيش السفيناني، فيأمر الله تعالى الأرض فتأخذ بأقدامهم. وهو قوله تعالى: «ولو ترى اذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به» يعني: بالقائم من آل محمد صلوات الله عليهم.

وفي رواية أبي الجارود ^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «ولو ترى اذ فرعوا فلا فوت» قال: من الصوت، وذلك الصوت من السماء. وقوله تعالى: «وأخذوا من مكان قريب» قال: من تحت أقدامهم خسف بهم.

وفي شرح الآيات الباهرة ^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا محمد بن الحسن بن علي بن ^(٥) الصباح المدائني، عن الحسن بن محمد بن شعيب، عن موسى بن عمر بن زيد ^(٦)، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يخرج القائم عليه السلام فيسير حتى يمر بمز ^(٧)، فيبلغه أن عامله ^(٨) قد قتل، فيرجع اليهم فيقتل المقاتلة ولا يزيد على ذلك شيئاً. ثم ينطلق فيدعو الناس حتى ينتهي إلى البداء، فيخرج جيشان للسفيناني، فيأمر الله تعالى الأرض أن تأخذ بأقدامهم. وهو قوله تعالى: «ولو ترى اذ فرعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به» يعني: بقيام القائم «وقد كفروا به من قبل» يعني بقيام القائم من ^(٩) آل محمد صلوات الله عليهم.

-
١. البقرة/ ١٤٨.
 ٢. هود/ ٨.
 ٣. نفس المصدر ٢٠٥-٢٠٦.
 ٤. تاويل الآيات الباهرة، ج ١ ص ٤٧٨.
 ٥. من المصدر. وفي الأصل: «عن». وهما ليسا في سائر النسخ.
 ٦. المصدر: «عن يزيد» بدل «بن زيد».
 ٧. المصدر: بمز.
 ٨. المصدر: عالمه.
 ٩. المصدر: «قائم» بدل «القائم من».

﴿وَأَتَى لَهُمُ التَّنَافُسُ﴾: ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً؟

﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٢٦): فإنه في حيز التكليف وقد بعد عنهم أوانه. تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعدما فات عنهم، بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة.

وقرأ أبو عمرو والكوفيون غير حفص، بالهمزة، على قلب الواو لضعفها. أو لأنه من ناشت الشيء: إذا طلبته: أو من ناشت: إذا تأخرت. فيكون بمعنى التناول من بعد (١) ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾: قيل (٢) بمحمد ﷺ. أو بالعذاب. ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: ذلك، أو ان التكليف.

﴿وَيَقَذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: قيل (٣): ويرجمون بما لم يظهر لهم في الرسول ﷺ. [من المطاعن. أو في العذاب، من البت على نفيه.

﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٢٧): من أمره. وهي الشبهة التي تمحلوها في أمر الرسول ﷺ (٤). أو حال الآخرة؛ كما حكاها من قبل. ولعله تمثيل لحالهم في ذلك، بحال من يرمي شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه.

وقرئ: «وَيَقَذِفُونَ» على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك (٥).

والعطف على «وقد كفروا» على حكاية الحال الماضية. أو على «قالوا» فيكون تمثيلاً لحالهم، بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾: من نفع الإيمان والنجاة.

وقرأ ابن عامر والكسائي، بإشمام الضمة للحاء (٦).

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾: من كفره الأمم الدارجة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ (٢٨): موقع في الريبة، أو ذي الريبة منقول من

٢. نفس المصدر ٢٦٦/٢.

٤. ليس في ن.

٦. نفس المصدر والموضع. وفي م وأوس ون:

١. أنوار التنزيل ٢٦٥/٢-٢٦٦.

٣. نفس المصدر والموضع.

٥. أنوار التنزيل ٢٦٦/٢.

المشكك، أو الشاك نعت به الشك للمبالغة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(١) [وقوله ﷺ: ^(٢)] «وأنتي لهم التناوش من مكان بعيد» [إلى قوله: ^(٣)] «وحيل بينهم وبين ما يشتهون» يعني: أن [لا] ^(٤) يعذبوا «كما فعل بأشياهم من قبل» يعني: من كان قبلهم من المكذبين هلكوا. «أنهم كانوا في شك مريب».

أخبرنا الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد ^(٥)، عن محمد بن جمهور، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة قال: سألت ^(٦) أبا جعفر عليه السلام عن قوله ﷺ: «وأنتي لهم التناوش من مكان بعيد»

قال: إنهم طلبوا الهدى من حيث لا يُنال، وقد كان لهم مبدولاً من حيث يُنال.

٢. ليس في المصدر.

٤. من المصدر.

١. تفسير القمي ٢/٢٠٥.

٣. من المصدر.

٥. نفس المصدر ٢/٢٠٦.

٦. كذا في المصدر، ون. وفي النسخ «سمعت» بدل «سألت».

سورة الملائكة (فاطر)

سورة الملائكة

(فاطر)

مَكِّيَّة. وهي خمس أو ست وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

في كتاب ثواب الأعمال^(١)، بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: للحمدين جميعاً^(٢)؛ حمد سبأ وحمد فاطر، من قرأهما في ليلة لم يزل في ليلة في حفظ الله وكلاءته. فمن^(٣) قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه، وأعطى من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلب ولم يبلغ مناه.

وفي مجمع البيان^(٤): أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من قرأ سورة الملائكة، دعت يوم القيامة ثلاث أبواب من الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مبدعهما. من الفطر؛ بمعنى: الشق. حمد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده. والإضافة مخصصة، لأنه بمعنى الماضي.

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾: وسائط بينه وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلغون إليهم رسالته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة. أو بينه وبين خلقه، يوصلون إليهم آثار صنعه.

﴿أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾: ذوي أجنحة متعددة متفاوتة، بتفاوت ما لهم

١. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال/ ١٣٧-١٣٨، ح ١.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «الحمدين» بدل «للحمدين جميعاً».

٣. المصدر: فإن. ٤. مجمع البيان ٣٩٩/٤.

من المراتب. ينزلون بها ويعرجون، أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصيرون فيه على ما أمرهم به.

قيل^(١): ولعلّه لم يرد خصوصيّة الاعداد ونفي ما زاد عليها، لما روي أنّه ﷺ رأى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح.

وفي كتاب الخصال^(٢)، في احتجاج عليّ عليه السلام على أبي بكر قال: فأنشدك بالله، أخوك المزيّن بالجناحين في الجنّة يطير بهما مع الملائكة أم أخي؟ قال: بل أخوك.

وفيه^(٣)، وفي احتجاج عليّ عليه السلام يوم الشورى على الناس: ونشدتكم بالله، هل فيكم أحده أخ مثل أخي جعفر المزيّن بالجناحين في الجنّة^(٤)، يحلّ فيها حيث يشاء غيري؟

قالوا: اللهم لا.

وفيه^(٥) أيضاً قال عليه السلام: وأما السادسة والعشرون، فإنّ جعفر أخ الطيّار في الجنّة مع الملائكة المزيّن بالجناحين من درّ وياقوت وزبرجد.

وفيه^(٦) أيضاً فيها، قال عليه السلام: وأما الثامنة والأربعون، فإنّ رسول الله ﷺ أتاني في منزلي ولم يكن طعمنا منذ ثلاثة أيّام.

فقال: يا عليّ، هل عندك شيء؟

فقلت: والذي أكرمك بالكرامة واصطفاك بالرسالة، ما طعمت وزوجتي وابنائي منذ ثلاثة أيّام.

فقال النبي ﷺ: يا فاطمة، ادخلي البيت وانظري، هل تجددين شيئاً؟

فقلت: خرجت الساعة.

-
- | | |
|--------------------------|---------------------------------------|
| ١. أنوار التنزيل ٢/ ٢٦٦. | ٢. الخصال/ ٥٥١. ح ٣٠. |
| ٣. نفس المصدر/ ٥٥٥ ح ٣١. | ٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: بالجنة. |
| ٥. نفس المصدر/ ٥٧٥. ح ١. | ٦. نفس المصدر/ ٥٧٨. ح ١. |

فقلت: يا رسول الله ﷺ أَدْخَلَهُ أَنَا.

فقال: أَدْخَلَ [وَقُل] ^(١) بِسْمِ اللَّهِ.

فَدَخَلْتُ، فَإِذَا أَنَا بِطَبَقِ مَوْضُوعٍ ^(٢) عَلَيْهِ رَطْبٌ وَجَفْنَةٌ ^(٣) مِنْ ثَرِيدٍ فَحَمَلْتُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا عَلِيَّ، رَأَيْتَ الرَّسُولَ الَّذِي حَمَلَ الطَّعَامَ؟
فقلت: نعم.

فقال: صفه لي.

فقلت: مِنْ بَيْنِ أَحْمَرَ وَأَخْضَرَ وَأَصْفَرَ.

فقال: تِلْكَ خَطَطُ جَبْرَائِيلَ مَكْلَمَةٌ بِالْذَرِّ وَالْيَاقُوتِ.

فَاكَلْنَا مِنَ الثَّرِيدِ حَتَّى شَبَعْنَا، فَمَا أَرَى إِلَّا خَدَشَ أَيْدِينَا وَأَصَابِعُنَا. إِنْ لَمْ يَنْقُصْ مِنَ الطَّعَامِ شَيْءٌ ^(٤) فَخَصَّنِي اللَّهُ بِذَلِكَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِهِ.

عَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ ^(٥)، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كَانَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ تَعْوِذَانِ، حَشَوْهُمَا مِنْ زَعْبٍ ^(٦) جَبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ طَلْحَةَ ^(٧)، بِإِسْنَادِهِ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْمَلَائِكَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ: فَجُزْءٌ لَهُمْ جَنَاحَانِ، وَجُزْءٌ لَهُمْ ثَلَاثَةُ أَجْنَحَةٍ، وَجُزْءٌ لَهُمْ أَرْبَعَةُ أَجْنَحَةٍ.

عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَبِي صَفِيَّةٍ ^(٨) قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ الْعَبَّاسَ؛ يَعْنِي ابْنَ عَلِيٍّ. فَلَقَدْ أَثَّرَ وَأَبْلَى ^(٩) وَفَدَى أَبِي ^(١٠) بِنَفْسِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ؛ كَمَا جُعِلَ لَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَإِنْ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْزَلَةٍ يَغْطِيهِ بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

١. ليس في المصدر. ٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: موضع.

٣. المصدر: من تمر وجفنة. الجفنة: القصة. ٤. ليس في المصدر.

٥. الخصال/٦٧، ح ٩٩. ٦. الزغب: صغار الريش. وقيل: أول ما يبدو منه.

٧. نفس المصدر/١٥٣، ح ١٩١. ٨. نفس المصدر/٦٨، ح ١٠١.

٩. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «أبي» بدل «وأبلى».

١٠. المصدر: أخاه.

عن زيد بن وهب^(١) قال: سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن قدرة الله تعالى فقال خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال إن الله تبارك وتعالى ملائكة، لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقته وكثرة أجنحته. ومنهم من لو كُلفت الجن والإنس أن يصفوه، ما وصفوه لبعدهما بين مفاصله وحسن تركيب صورته. وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنيه. ومنهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته، دون عظم بدنه. ومنهم من السماوات إلى حجزته^(٢). ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبته^(٣). ومنهم من لو ألقي في نقرة إبهامه جميع المياه، لو سعتها. ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه، لجرت دهر الداهرين. فتبارك الله أحسن الخالقين.

عن أبي أيوب الأنصاري^(٤)، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث طويل. يقول فيه للزَّهراء فاطمة عليها السلام: يا فاطمة، إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يُعطها أحد من الأولين قبلنا ولا يدركها أحد من الآخرين بعدنا: نبينا خير الأنبياء، وهو أبوك. وصينا خير الأوصياء وهو بعلك. وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة^(٥) عم أبيك، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة، وهو جعفر. ومنا سبطا هذه الأمة، وهما ابنك.

وفي كتاب التوحيد^(٦): عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة، نصف جسده الأعلى نار ونصفه الأسفل ثلج. فلا النار تذيب الثلج [ولا الثلج^(٧) يطفئ النار]. وهو قائم ينادي بصوت له رفيع: سبحان^(٨) الذي كفَّ حرَّ هذه النار فلا تذيب^(٩)

١. نفس المصدر/ ٤٠٠-٤٠١، صدر حديث ١٠٩.

٢. الحجة: معقد الإزار. ٣. المصدر وأ: ركبته ..

٤. نفس المصدر/ ٤١٢، ذيل حديث ١٦. ٥. من المصدر.

٦. التوحيد/ ٢٨٠، ح ٥. ٧. ليس في أ.

٨. المصدر: سبحان الله. ٩. م وأ وس ون: «تذيب» بدل «فلا تذيب».

[الثلج^(١)، وكَفَّ برد هذا الثلج]^(٢) فلا يطفئ هذه النار^(٣). اللهم يا مؤلفاً^(٤) بين الثلج والنار أَلَف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٥)، بإسناده إلى مجاهد قال: قال ابن عباس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ملكاً يقال له: دردايل. كان له ستة عشر ألف جناح، ما بين الجناح^(٦) والجناح هواء، والهواء كما بين السماء^(٧) والأرض. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي أصول الكافي^(٨): مُحَمَّد بن يحيى، عن أحمد بن مُحَمَّد [عن محمد]^(٩) بن خالد، عن مُحَمَّد بن القاسم، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حسين - وضرب بيده إلى مساور^(١٠) في البيت - مساور طالما اتَّكَأْتُ^(١١) عليها الملائكة. وربما التقطنا من زغبها.

مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد، عن علي بن الحكم^(١٢) قال: حَدَّثَنِي مالك بن عطية الأحمسي، عن أبي حمزة الثمالي قال: دخلت على علي بن الحسين عليه السلام فاحتبست في الدار ساعة، ثُمَّ دخلت البيت، وهو يلتقط شيئاً وأدخل يده من وراء الستر فنأوله من كان في البيت.

فقلت: جعلت فداك [هذا الذي أراك تلتقطه، أي شيء هو؟

١. المصدر: هذا الثلج.

٢. ليس في م وس وأ. و«وكف برد هذا الثلج» ليس في ن.

٣. المصدر: حرَّ هذه النار. م وس وأ: الحر النار. ٤. م وأوم ون: يا مؤلف.

٥. كمال الدين وتمام النعمة / ٢٨٢، صدر الحديث ٣٦.

٦. المصدر: إلى.

٧. المصدر: إلى.

٨. الكافي ١/ ٣٩٣، ح ٢.

٩. من المصدر.

١٠. المساور - جمع المسور - متكأ من جلد.

١١. هكذا في أوس وم. وفي الأصل ون: «انكت». وفي المصدر: «انكت».

١٢. نفس المصدر ١/ ٣٩٣ - ٣٩٤، ح ٣. وفيه: محمد بن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم.

قال: فضلة من زغب الملائكة نجمعه إذا خلونا [نجعلها] ^(١) سباحاً ^(٢) لأولادنا.

فقلت: جعلت فداك، [وانهم ليأتونكم؟

فقال: يا أبا حمزة، إنهم ليزاحموننا على تكأتنا ^(٣).

وفي بصائر الدرجات ^(٤): أحمد بن موسى، عن أحمد المعروف بغزال ^(٥) مولى

حرب بن زياد البجلي، عن محمد بن أبي جعفر ^(٦) الحمامي الكوفي، عن الأزهر

الطبخي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله ﻻ يرضى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلتها

الملائكة، وأباها ملك يقال له: فطرس. فكسر الله جناحه.

فلما ولد الحسين بن علي عليه السلام بعث الله جبرائيل في سبعين ألف ملك إلى

محمد ﷺ يهنئهم بولادته فمر بفطرس.

فقال له فطرس: إلى أين تذهب؟

قال: بعثني الله إلى محمد أهنتهم بمولود ولد في هذه الليلة.

فقال له فطرس: احملني معك، وسل محمداً يدعو لي.

جبرائيل: اركب جناحي.

فركب جناحه، فأتى محمداً ﷺ فدخل عليه وهناه.

فقال له: يا رسول الله، إن فطرس بيني وبينه أخوة، وسألني أن أسألك أن تدعو الله أن

يردّ عليه جناحه.

فقال له رسول الله ﷺ لفطرس ^(٧)، أتفعل؟

قال: نعم.

فعرض عليه رسول الله ﷺ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها.

٢. السبح: ضرب من البرود.

١. من المصدر.

٤. بصائر الدرجات/ ٨٨، ح ٧.

٣. النكأة: ما يعتمد عليه حين الجلوس.

٦. المصدر: محمد أبي جعفر.

٥. المصدر: محمد بن المعروف بغزال.

٧. المصدر: «يا فطرس» بدل «لفطرس».

فقال له رسول الله ﷺ: شأنك المهد^(١)، فتمسّح به وتمرّغ فيه.

قال: فمشى^(٢) فطرس إلى مهد^(٣) الحسين بن علي عليه السلام ورسول الله ﷺ يدعو له.

قال^(٤) رسول الله: فنظرت إلى ريشه، وإنّه ليطلع ويجري فيه^(٥) الدم ويطول حتّى

لحق بجناحه الآخر، وعرج مع جبرائيل إلى السماء وصار إلى موضعه.

أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن عمرو بن سعيد^(٦)، عن مصدّق بن صدقة،

عن عمّار الساباطي قال: أصبت شيئاً [كان على وسائد كانت في منزل أبي عبد الله عليه السلام].

فقال له بعض أصحابنا: ما هذا، جعلت فداك؟ وكان يشبه شيئاً يكون^(٧) في

الحشيش كثيراً؛ كأنّه جوزة^(٨).

فقال له أبو عبد الله عليه السلام: هذا مما يسقط من أجنحة الملائكة.

ثم قال: يا عمّار، إنّ الملائكة [لثأتينا، وإنّها لتمرّ بأجنتها على رؤوس صبياننا. يا

عمّار، إنّ الملائكة]^(٩) لتزاحمنا على نمارقنا^(١٠).

إبراهيم بن هاشم، عن عبد الله بن حمّاد^(١١)، عن المفصّل بن عمر قال: دخلت على

أبي عبد الله عليه السلام. فبينما أنا عنده جالس إذ أقبل موسى ابنه عليه السلام وفي رقبته قلادة فيها ريش

غلاظ. فدعوت به فقبلته وضممته إلى صدري^(١٢).

ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، أي شيء هذا الذي في رقبة موسى؟

فقال: هذا من أجنحة الملائكة.

١. المصدر: بالمهد.

٢. المصدر: فمشى إلى مهد.

٣. المصدر: قال قال.

٤. المصدر: منه.

٥. نفس المصدر / ١١١، ح ٥. وفيه: محمّد بن الحسن بن علي بن فضال، عن عمرو بن سعيد.

٦. ليس في أ.

٧. م: «صورة». المصدر: «خرزة».

٨. من المصدر.

٩. نفس المصدر / ١١٣، ح ١٣. وفيه: إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد.

١٠. المصدر: «إلي» بدل «إلى صدري».

قال: قلت: وإنها لتأتينكم؟

فقال: نعم، إنها لتأتينا وتتغفر^(١) في فرشنا. وإن هذا الذي في رقبة موسى من أجنتها.

أحمد بن الحسين، عن الحسن بن برّة الأصم^(٢) [عن ابن أبي بكير]^(٣) عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن الملائكة لتنزل علينا في رحالنا، وتتقلب علينا فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا من كل نبات في زمانه رطب ويابس، وتتقلب علينا أجنتها [وتقلب أجنتها]^(٤) على صيانتنا.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): قال الصادق عليه السلام: خلق الله الملائكة مختلفة، وقد رأى رسول الله ﷺ جبرائيل وله ستمائة جناح، على ساقه الدرّ؛ مثل القطر على البقل. قد ملأ ما بين السماء وبين الأرض.

وقال: إذا أمر الله ﷻ ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا، صارت رجله [اليمنى]^(٦) في السماء السابعة والأخرى في الأرضين^(٧) السابعة. وإن لله ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلفاً بين البرد والنار، ثبت قلوبنا على طاعتك.

وقال: إن لله ملكاً بعد ما بين شحمة أذنيه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام، بخفقان^(٨) الطير.

وقال: إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وإنما يعيشون بنسيم العرش. وإن لله ﷻ ملائكة ركعاً إلى يوم القيامة. وإن لله ﷻ ملائكة سجداً إلى يوم القيامة.

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ: تغفر.

٢. نفس المصدر ١١٣-١١٤، صدر حديث ١٧. وفيه: أحمد عن الحسين عن الحسن بن برّة الأصم.

٣. ليس في المصدر.

٤. ليس في الأصل ون.

٥. من المصدر.

٦. تفسير القمي ٢٠٦/٢-٢٠٧.

٧. المصدر: خفقان.

٨. المصدر: الأرض.

ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ ﷻ أَكْثَرَ مِنْ الْمَلَائِكَةِ. وَإِنَّهُ لَيَهْبِطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، فَيَأْتُونَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ فَيُطَوِّفُونَ بِهِ، ثُمَّ يَأْتُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ يَأْتُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَيَسْلَمُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَأْتُونَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقِيمُونَ عِنْدَهُ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ السَّحَرِ وَضَعَ لَهُمْ مِعْرَاجًا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ أَبَدًا.

وقال أبو جعفر عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ ﷻ خَلَقَ إِسْرَافِيلَ وَجِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَسْبِيحَةِ وَاحِدَةٍ، وَجَعَلَ لَهُمُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَجُودَةَ^(١) الْعَقْلَ وَسُرْعَةَ الْفَهْمِ.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خلقه الملائكة: وَمَلَائِكَةُ خَلْقَتِهِمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، فَلَيْسَ فِيهِمْ فِتْرَةٌ وَلَا عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ وَلَا فِيهِمْ مَعْصِيَةٌ. هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخَوْفُ خَلْقِكَ مِنْكَ، وَأَقْرَبُ خَلْقِكَ إِلَيْكَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِطَاعَتِكَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعَيُونِ، وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ، وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ. لَمْ يَسْكُنُوا^(٢) الْأَصْلَابَ، لَمْ يَضْمَعْهُمْ^(٣) الْأَرْحَامَ، وَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ. إِذْ أَنْشَأْتَهُمْ إِنْشَاءً. فَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجَوَارِكَ، وَاتَّمَمْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ، وَجَنَّبْتَهُمُ الْآفَاتِ، وَوَقَيْتَهُمُ الْبَلِيَّاتِ، وَطَهَّرْتَهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ. وَلَوْلَا قُوَّتُكَ، لَمْ يَقُوا. وَلَوْلَا تَشْيِيتُكَ، لَمْ يَثْبَتُوا. وَلَوْلَا رَحْمَتُكَ، لَمْ يَطِيعُوا^(٤). وَلَوْلَا أَنْتَ، لَمْ يَكُونُوا. أَمَّا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْكَ وَطَاعَتِهِمْ إِيَّاكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ وَقَلَّةَ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا مَا خَفِيَ عَنْهُمْ مِنْكَ لَاحْتَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ وَلَازَرُوا^(٥) عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا، مَا أَحْسَنَ بِلَاؤُكَ عِنْدَ خَلْقِكَ.

﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾: اسْتِثْنَاءٌ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ تَفَاوُتَهُمْ فِي ذَلِكَ مُقْتَضَى مَشِيتِهِ وَمُؤَدَّى حُكْمَتِهِ، لَا أَمْرٌ يَسْتَدْعِيهِ ذَوَاتُهُمْ. لِأَنَّ اخْتِلَافَ الْأَصْنَافِ وَالْأَنْوَاعِ

١. ن: «مِنْ جُنُودِهِ». وَفِي سَائِرِ النُّسخ: «مَوْجُودِهِ». وَمَا اثْبَتَاهُ فِي الْمَثْنِ مُوَافِقُ الْمَصْدَرِ.

٢. هَكَذَا فِي الْمَصْدَرِ. وَفِي النُّسخ: لَمْ يَسْكُنْ. ٣. الْمَصْدَرُ: لَمْ تَضْمَعْهُمْ.

٤. الْمَصْدَرُ: طَوَاعَتِهِمْ. ٥. أَزْرَى عَلَيْهِ: عَابَهُ وَعَاتَبَهُ.

بالخواص والفضول إن كان لذواتهم المشتركة، لزم تنافي لوازم الأمور المتفقة، وهو محال.

والآية متناولة زيادات الصور والمعاني؛ كملاحة الوجه، وحسن الصوت، وحصافة العقل، وسماحة النفس.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة. وبإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: حَسَنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ. فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حَسَنًا. وقرئ: [«والله»]^(٢) يزيد في الخلق ما يشاء.

وفي كتاب التوحيد^(٣): [أبي ﷺ قال:]^(٤) حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ يَزِيدَ، عَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنْ زُرَّارَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ خَلَقَانِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ «والله يزيد في الخلق ما يشاء».

[وفي مجمع البيان^(٥): «يزيد في الخلق ما يشاء»]^(٦) وروى أبوهريرة، عن النبي ﷺ قال: هو الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٧) وتخصيص بعض الأشياء بالتحصيل^(٨) دون بعض، إنما هو من جهة الإرادة.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾: ما يطلق لهم ويرسل. من تجوز السبب للمسبب.

﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾: كنعمة وأمن وصحة وعلم ونبوة.

﴿فَلَا مُمْلِكَ لَهَا﴾: يحبسها.

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦٩/٢، ح ٣٢٢. ويوجد في هامش نسخة م: هذا الخبر يدل على جواز الغناء لاحتمال أن يكون المراد بالصوت الحسن، لحن العرب؛ كما في قوله ﷺ: اقرأوا القرآن بألحان العرب. [جامع الأخبار/ ٥٧، ضمن فصل ٢٣] (جعفر).

٢. من المصدر. ٣. التوحيد/ ٣٦٤، ح ١.

٤. من المصدر. ٥. مجمع البيان ٤٠٠/٤.

٦. ليس في م. ٧. أون وس: بالتحصل.

﴿وَمَا يُمْسِكَ فَلَا تُرْسِلَ لَهُ﴾: يطلقه.

واختلاف الضميرين، لأن الموصول الأول، مُفسَّر^(١) بالرحمة، والثاني مطلق يتناولها والغضب. وفي ذلك إشعار بأن رحمته سبقت غضبه.

﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد إمساكه.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب على ما يشاء، ليس لأحد أن ينازعه فيه.

﴿الْحَكِيمُ﴾^(٢): لا يفعل إلا بعلم واتقان.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٣): أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن مالك بن عبدالله بن أسلم، عن أبيه، عن رجل من الكوفيين، عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها» قال: والمتعة من ذلك.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا أبو محمد أحمد بن محمد النوفلي، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن مرزم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قول الله ﷻ: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها»

قال: هي ما أجرى الله على لسان الإمام، يعني أن الذي يجريه الله على لسان الإمام عليه السلام من الكلام^(٥) هو رحمة منه فتح بها على الناس. لأنه لا ينطق عن الهوى، وما ينطق إلا عن الله، وكلما يكون من الله فهو رحمة. ومنه قوله تعالى^(٥): «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». وكذلك أهل بيته الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين. ثم لما بين أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الإطلاق، أمر الناس أن يشكروا إنعامه فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: احفظوها بمعرفه حقها، والاعتراف بها،

وطاعة مولاها.

٢. تفسير القمي ٢/٢٠٧.

٤. المصدر: كلامهم.

١. ن: منسوب.

٣. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٧٩.

٥. الأنبياء/١٠٧.

ثم أنكر أن يكون لغيره في ذلك مدخل، فيستحق أن يُشرك به بقوله تعالى:
﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴾ (٢):
فمن أي وجه تُصرفون عن التوحيد إلى إشراك غيره به ؟
ورفع «غير» للحمل على محل «من خالق» بأنه وصف أو بدل، فإن الاستفهام بمعنى
النفي. أو لأنه فاعل «خالق» (١).

وجزه حمزة والكسائي، حملاً على لفظه (٢).
وقد نُصِبَ على الاستثناء. و«يرزقكم» صفة «لخالق» أو استئناف مفسر (٣) له، أو
كلام مبتدأ على أن يكون إطلاق «هل من خالق» مانعاً لإطلاقه على غير الله تعالى (٤).
﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ ﴾: أي فتأس بهم في الصبر على
تكذيبهم. فوضع «فقد كذبت» موضعه استغناء بالسبب (٥) عن المسبب. وتنكير
«رسل» للتعظيم، المقتضي زيادة التسلية والحث على المصابرة.
﴿ وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴾ (٦): فيجازيك وإياهم على الصبر والتكذيب.
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴾: بالحشر والجزاء.
﴿ حَقٌّ ﴾: لاخلف فيه.

﴿ فَلَا تَعْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾: فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها.
﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ ﴾ (٧): الشيطان. بأن يمتيكم المغفرة مع الإصرار على
المعصية، فإنها وإن أمكنت لكن الذنب بهذا التوقع؛ كتناول السم اعتماداً على دفع
الطبيعة.

وقرئ بالضم. وهو مصدر، أو جمع؛ كقعود (٨).
﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكَنْ عَدُوٌّ ﴾: وعداوته قديمة.

٢. نفس المصدر والموضع.

١. أنوار التنزيل ٢٦٧/٢.

٤. نفس المصدر والموضع.

٣. ن: مفضل.

٦. أنوار التنزيل ٢٦٧/٢.

٥. ليس في م.

﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾: في عقائدكم وأفعالكم، وكونوا على حذر منه في مجامع أحوالكم.

وفي كتاب التوحيد^(١)، بإسناده إلى الأصبع بن نباتة قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى - لموسى عليه السلام: يا موسى، احفظ وصيتي لك بأربعة - إلى أن قال -: والرابعة، مادمت لا ترى الشيطان ميتاً فلا تأمن مكره.

وبإسناده إلى أبان الأحمر^(٢)، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه جاء إليه رجل فقال له: بأبي أنت وأمي، عظمي موعظة. فقال عليه السلام: إن كان الشيطان عدوًّا، فالغفلة لماذا؟ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وبإسناده إلى أبان الأحمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: إن كان الشيطان عدوًّا، فالغفلة لماذا؟ والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣): تقرير لعداوته، وبيان لغرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى الدنيا.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٤): وعيد لمن أجاب دعاءه، ووعد لمن خالفه، وقطع للأمامي الفارغة، وبناء الأمر كله على الإيمان والعمل الصالح.

وقوله تعالى:

﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾: تقرير له: أي أقمن زُيِّنَ له سوء عمله، بأن غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقاً والقيح حسناً؛ كمن لم يُزَيَّنْ له بل وُفِّقَ حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه. فحذف الجواب لدلالة

﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾: عليه.

[وقيل^(١): تقديره: أضمن زَيْن له سوء عمله]^(٢) ذهبت نفسك عليهم حسرة. فحذف

الجواب لدلالة

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾ عليه.

ومعناه: فلا تهلك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب.

والفاءات [٣] الثلاثة للسببية، غير أن الأوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت

على المسبب.

وجمع «الحسرات» للدلالة على تضاعف اغتمامه على إصرارهم، أو كثرة مساوئ

أفعالهم المقتضية للتأسف.

و«عليهم» ليس صلة لها، لأن صلة المصدر لا تتقدّم بل صلة «تذهب» أو بيان

للمتحسّر عليه.

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾^(٤): فيجازيهم عليه.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥): أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمد، عن

علي بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن حسان، عن هشام بن عمار يرفعه في قوله:

«افمن زَيْن له سوء عمله فرأه حسناً فإن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب

نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون».

قال: نزلت في زريق وحبتر.

وفي أصول الكافي^(٦): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن علي بن أسباط، عن أحمد بن

عمر الحلال، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن العُجب الذي

يفسد العمل.

١. أنوار التنزيل ٢/٢٦٨.

٢. ليس في م.

٣. ليس في أ.

٤. تفسير القمي ٢/٢٠٧.

٥. الكافي ٣/٣١٣، ح ٣. وله ذيل.

فقال: العُجب درجات؛ منها أن يُزَيَّن للعبد سوء عمله فرآه حسناً، فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً.

محمد بن يحيى، عن أحمد [بن محمد^(١)] بن عيسى، عن علي بن أسباط، عن رجل من أصحابنا من أهل خراسان من ولد إبراهيم بن سيار يرفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العُجب، ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنوب أبداً.

علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد^(٢)، عن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: بينما موسى عليه السلام جالساً، إذ أقبل إبليس وعليه برنس^(٤) ذوالوان. فلما دنى من موسى عليه السلام خلع البرنس. وقام إلى موسى عليه السلام فسلم عليه.

فقال له موسى: [من أنت؟

قال: أنا إبليس.

قال: أنت، فلا قرب الله دارك.

قال: إني إنما جئت لأسلم [عليك]^(٥) لمكانك من الله.

قال: فقال له موسى: [فما هذا البرنس؟

قال: به أختطف قلوب بني آدم.

فقال له موسى: فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟

قال: إذ أعجبه نفسه، واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه.

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ﴾: وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: الريح^(٧).

١. نفس المصدر والموضع، ح ١.

٢. من أوس والمصدر.

٣. نفس المصدر ٢/٣١٤، ح ٨. وله ذيل.

٤. البرنس: كل ثوب رأسه ملتزق به.

٥. من المصدر.

٦. ليس في أ.

٧. أنوار التنزيل / ٢٦٨.

﴿فَتَشِيرُ سَحَاباً﴾: على حكاية الحال الماضية، استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة، ولأنَّ المراد بيان إحداثها بهذه الخاصية، ولذلك أسنده إليها. ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال، للدلالة على استمرار الأمر.

﴿فَسَفَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْبَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾: بالمطر النازل منه. وذكر السحاب؛ كذكره. أو بالسحاب، فإنه سبب السبب أو الصائر مطراً.

﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: بعد يسبها. والعدول فيهما من الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع.

﴿كَذَلِكَ النَّشُورُ﴾ (٥): أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحّة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادّة في المقيس عليه، وذلك لمدخل له فيها. وقيل (١): في كيفية الإحياء، فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرض تنبت منه أجساد الخلق.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٢): حدّثني أبي، عن العزمي (٣)، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن حارث الأعور، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سئل عن السحاب، أين يكون؟ قال: يكون على شجر، على كتيب (٤)، على شاطئ (٥) البحر يأوي إليه. فإذا أراد الله ﷻ أن يرسله (٦)، أرسل ريحاً فأثاره ووكل به ملائكة يضربونه بالمخاريق، وهو البرق فيرتفع.

وفي روضة الكافي (٧): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن

١. نفس المصدر والموضع. ٢. تفسير القمي ٢/٢٧٦.

٣. النسخ: العزمي. المصدر: العزمي ط (العزمي م). والعزمي هو لقب جمع منهم: إسحق بن منصور وحماد بن عثمان وعمرو بن جبير ومحمد بن سلام ومحمد بن عبد الرحمن ومحمد بن عبيد الله وغيرهم. انظر تنقيح المقال، فصل الألقاب، ٥٤/٣.

٤. المصدر: «كيف» بدل «على» كتيب.

٥. هكذا في الأصل وفي سائر النسخ والمصدر: ساحل.

٦. المصدر: يرسل. ٧. الكافي ٨/٢١٨-٢١٩، ح ٢٦٨.

الحسين بن سعيد، عن ابن العزمي رفعه^(١) قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن السحاب أين يكون؟

قال: يكون على شجر، على كثيب، على شاطئ البحر يأوي إليه. فإذا أراد الله تعالى أن يرسله، أرسل ريحاً فأثارتته. ووكل به ملائكة يضربونه بالمخاريق، وهو البرق فيرتفع. ثم قرأ هذه الآية: «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت» الآية، والملك اسمه الرعد.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٢): حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الله أن يبعث الخلق، أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم. وفي أمالي الصدوق^(٣) مثله سواء.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾: الشرف والمنعة.

﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾: أي فليطلبها من عنده، فإنّ له كلّها. فاستغنى بالدليل عن المدلول.

وفي مجمع البيان^(٤): «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً» روى أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إِنْ رَبَّكُمْ يَقُولُ كُلُّ يَوْمٍ: أَنَا الْعَزِيزُ. فَمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدَّارَيْنِ، فَلْيَطْعِ الْعَزِيزَ.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾: بيان لما يُطَلَّب به العِزَّة، وهو التوحيد والعمل الصالح. وصعودهما إليه مجاز عن قبوله إياهما، أو صعود الكتب بصحيفتهما.

والمستكّن في «يرفعه» «للكلم»، فإنّ العمل لا يقبل إلا بالتوحيد. ويؤيِّده أنّه نصب «العمل». أو «للعمل» فإنّه يحقّق الإيمان ويقوّيه «الله» وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة.

٢. تفسير القمي ٢/٢٥٣.

٤. مجمع البيان ٤/٤٠٢.

١. ليس في الأصل.

٣. أمالي الصدوق ١٤٩، ح ٥.

وقرئ: «يصعد» على البناءين . والمصعد هو الله تعالى . أو المتكلم به . أو الملك ^(١) .
وقيل ^(٢) : الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن ، وعنه عليه السلام : هو : سبحانه الله
والحمد لله ولا اله إلا الله والله اكبر . فإذا قالها العبد ، عرج بها الملك إلى السماء فحيًا بها
وجه الرحمن . فإذا لم يكن عمل صالح ، لم يُقبل .
وفي تفسير علي بن إبراهيم ^(٣) : وقوله عليه السلام : «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه» .

قال : كلمة الإخلاص والإقرار بما جاء به من عند الله من الفرائض ، والولاية ترفع
العمل الصالح إلى الله عليه السلام .

وعن الصادق عليه السلام ^(٤) أنه قال : «الكلم الطيب» قول المؤمن : لا اله إلا الله ، محمد
رسول الله ، علي ولي الله وخليفة رسول الله ،
وقال : و«العمل الصالح» الاعتقاد بالقلب ، أن هذا هو الحق من عند الله لا شك فيه من
رب العالمين .

وفي رواية أبي الجارود ^(٥) ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله عليه السلام : إن لكل قول
مصدقاً من عمل يصدقه أو يكذبه . فإذا قال ابن آدم صدق قوله بعمله ، رفع قوله
بعمله إلى الله . وإذا قال وخالف قوله عمله ^(٦) ، ردّ قوله على عمله الخبيث وهوى به في
النار .

وفي كتاب التوحيد ^(٧) ، بإسناده إلى زيد بن علي عن أبيه سيّد العابدين عليه السلام حديث
طويل . وفيه يقول سيّد العابدين عليه السلام : وإنّ الله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته ، فمن
عرج به إلى ^(٨) [بقعة منها] ^(٩) فقد عرج به إليه . ألا تسمع الله عليه السلام يقول ^(١٠) : «تعرج

٣-٥ . تفسير القمي ٢/٢٠٨ .

١ و٢ . أنوار التنزيل ٢/٢٦٧ .

٦ . هكذا في المصدر . وفي النسخ : عمله قوله . ٧ . التوحيد / ١٧٧ ، ذيل حديث ٨ .

٨ . المصدر : إليها .

٩ . ليس في المصدر . وما في المتن مطابق لما في البحار عن التوحيد . كذا أشار في حاشية المصدر .

١٠ . المعارف / ٤ .

الملائكة والروح إليه». [ويقول ﷺ في قصة عيسى بن مريم ﷺ: «بل رفعه الله إليه»^(١) ويقول ﷺ: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

وفي الفقيه^(٢)، مثله سواء.

وفي أصول الكافي^(٣): علي بن محمد وغيره، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي، عن عمار الأسدي، عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله ﷻ: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» ولا يتنا أهل البيت - وأهوى بيده إلى صدره - فمن لم يتولنا، لم يرفع الله له عملاً.

وفي نهج البلاغة^(٤): ولولا إقرارهم له بالربوبية وإذعانهم له بالطاعة، لما جعلهم الله موضعاً لعرشه ولا مسكناً لملائكته ولا مصعداً للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه.

وفي كتاب الاحتجاج^(٥) للطبرسي رحمه الله عن أمير المؤمنين ﷺ حديث طويل. وفيه قال ابن الكواء: يا أمير المؤمنين، فما ثواب من قال: لا إله إلا الله؟

قال: من قال: لا إله إلا الله مخلصاً، طُمِسَتْ ذنوبه؛ كما يُطْمَس الحرف الأسود من الورق^(٦) الأبيض. فإذا قال ثانية: لا إله إلا الله مخلصاً، خرقت أبواب السماء وصفوف الملائكة حتى يقول الملائكة بعضها لبعض: اخشعوا لعظمة الله. فإذا قال ثالثة مخلصاً^(٧): لا إله إلا الله، لم تنته دون العرش. فيقول الجليل: اسكني، فو عزتي وجلالي، لأغفرن لقائلك بما كان فيه. ثم تلا هذه الآية: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» يعني: إذا كان عمله خالصاً^(٨) ارتفع قوله وكلامه.

١. ليس من المصدر. وأشار في حاشية المصدر إلى أن هذه القطعة موجودة في البحار عند ذكره حديث التوحيد.

٢. من لا يحضره الفقيه ١/١٢٧، ذيل حديث ٦٠٣. وهو يطابق المتن.

٣. الكافي ١/٤٣٠، ح ٨٥. ٤. نهج البلاغة/ ٢٦١، ضمن خطبة ١٨٢.

٥. الاحتجاج ١/٣٨٦-٣٨٧. ٦. المصدر: الرق.

٧. ليس في المصدر. ٨. المصدر: صالحاً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): روى الشيخ محمد بن يعقوب رحمته الله، عن علي بن محمد وغيره، عن سهل بن زياد، عن يعقوب بن يزيد، عن زياد القندي، عن عمار بن يقطان الأسدي، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

قال: ولا يتناهل البيت - وأهوى بيده إلى صدره - فمن لم يتوكلنا، لم يرفع الله له عملاً؛ يعني: أن الولاية هي العمل الصالح الذي يرفع الكلم الطيب إلى الله تعالى. ويؤيده ما رواه عن الإمام علي بن موسى عليه السلام^(٢) في قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه».

قال: «الكلم الطيب» هو قول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، علي ولي الله وخليفته حقاً وخلفاؤه خلفاء الله. «والعمل الصالح يرفعه» فهو دليله. وعمله، اعتقاده الذي في قلبه بأن هذا الكلام صحيح كما قلته بلساني؛ يعني: أن قوله بلسانه غير كاف إذا لم يكن بقلبه ولسانه وجوارحه وأركانه.

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: المكرات السيئات؛ يعني: مكرات قريش للنبي صلى الله عليه وآله في دار الندوة وتدارسهم الرأي في إحدى ثلاث: حبسه، وقتله، وإجلاله.

وقيل^(٣): يعملون السيئات. وقيل: يشركون بالله.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: لا يؤبّه دونه بما يمكرون به.

﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾^(٤): يفسد ولا ينفذ. لأن الأمور مقدرة لا تتغير به؛ كما دلّ

عليه بقوله:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾: بخلق آدم منه.

﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: يخلق ذريته منها.

﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً﴾: ذكراناً وأنثاء.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: إلّا معلومة له.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾: وما يمدّ في عمره من مصيره إلى الكبير.

﴿وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾: من عمر المعمر لغيره. بأن يُعطى له عمر ناقص من

عمره، أو لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصاً.

والضمير له وإن لم يُذكر، لدلالة مقابله عليه. أو للمعمر على التسامح فيه، ثقة بفهم

السامع؛ كقوله: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلّا بحق.

وقيل ^(١): الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح؛

مثل: أن يكون فيه إن حجّ زيد ^(٢) فعمره ستون سنة وإلّا فاربعون.

وقيل ^(٣): المراد بالنقصان، ما يمرّ من عمره وينقص فإنّه يُكتب في صحيفة عمره

يوماً فيوماً.

وعن يعقوب ^(٤): «ولا ينقص» على البناء للفاعل.

﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: هو علم الله، أو اللوح، أو الصحيفة.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم ^(٥): وقال عليّ بن إبراهيم عليه السلام في قوله: «وما يعمر من

معمر ولا يُنقص من عمره إلّا في كتاب» يعني يُكتب في كتاب.

وهو ردّ على من ينكر البداء.

وفي جوامع الجامع ^(٦): وقيل معناه: لا يطول عمر ولا ينقص ^(٧) إلّا في كتاب الله ^(٨).

وهو أن يُكتب في اللوح [المحفوظ]: ^(٩) لو أطاع الله فلان، بقي إلى وقت كذا. وإذا

عصى، نقص من عمره الذي وُقّت له. وإليه أشار رسول الله ﷺ في قوله: إنّ الصدقة

وصلة الرحم تعمّران الديار وتزيّدان في الأعمار.

١. أنوار التنزيل ٢/٢٦٩.

٢. المصدر: عمرو.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. تفسير القمي ٢/٢٠٨.

٥. جوامع الجامع ٣٨٧.

٦. المصدر: لا ينقص.

٧. ليس في أ.

٨. من المصدر.

وفي أصول الكافي^(١): علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان بن يحيى، عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما نعلم شيئاً يزيد في العمر إلا صلة الرحم، حتى أن الرجل يكون أجله ثلاث سنين فيكون وصلاً للرحمن فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة^(٢)، أو يكون^(٣) قاطعاً للرحم فينقصه الله جل وعز عن ثلاثين سنة ويجعل أجله إلى ثلاث سنين.

الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد^(٤) عن الحسن بن علي الوشاء، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام مثله.

وفي كتاب الخصال^(٥): عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من سرّه أن ييسط له في رزقه وينسأ له في أجله، فليصل رحمه.

عن أبي جعفر عليه السلام^(٦) قال: في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ حتى يرى وبالهنّ: البغي، وقطيعة الرحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها، إلى قوله عليه السلام: وإن القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون، فتتمى أموالهم فيبوزون فيزاد في أعمارهم^(٧) وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع^(٨) من أهلها.

عن أبي عبدالله عليه السلام^(٩) قال: من صدق لسانه، زكى عمله. ومن حسنت نيّته، زاد الله في رزقه. ومن حسن برّه في أهله، زاد الله في عمره.

عن حذيفة بن اليمان^(١٠) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا معشر المسلمين، إياكم والزنا،

١. الكافي ١٥٢/٢-١٥٣، ح ١٧.

٢. هنا في المصدر زيادة وهي: فيجعلها ثلاثاً وثلاثين سنة ويكون أجله ثلاثاً وثلاثين سنة.

٣. ن والمصدر: فيكون.

٤. نفس المصدر والموضع.

٥. الخصال ٣٢، ح ١١٢.

٦. المصدر: «يبوزون فتزداد أعمارهم» بدل «يبوزون فيزاد في أعمارهم».

٨. بلاقع - جمع بلقع -: وهي الأرض القفر التي لا شيء بها.

٩. نفس المصدر ٨٨، ح ٢١.

١٠. نفس المصدر ٣٢٠، صدر حديث ٢.

فإن فيه ستّ خصال؛ ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. أمّا التي في الدنيا، فإنّه يذهب بالبهاء ويورث الفقر وينقص العمر. الحديث.

وعن عليّ بن أبي طالب ^(١)، عن النبيّ صلى الله عليهما وآلهما أنّه قال في وصيّته له. مثله بتغيير يسير.

وعن أبي عبدالله عليه السلام مثله كذلك.

وفي كتاب التوحيد ^(٢)، في باب مجلس الرضا عليه السلام مع سليمان المروزيّ. قال الرضا عليه السلام: لقد أخبرني أبي، عن آبائه أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله ﷻ أوحى إلى نبيّ من أنبيائه: أن أخبر فلان الملك أنّي متوفّيه كذا وكذا.

فأتاه ذلك النبيّ فأخبره.

فدعا الله الملك، وهو على سريره، حتّى سقط من السرير، فقال: يا ربّ، أجّلني حتّى يشبّ طفلي وأقضيّ أمري.

فأوحى الله ﷻ إلى ذلك النبيّ: أن انت إلى فلان الملك، فأعلمه أنّي قد أنسأت في أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة.

فقال ذلك النبيّ: يا ربّ، إنّك تعلم أنّي لم أكذب قطّ.

فأوحى الله ﷻ إليه: إنّما أنت عبد مأمور، فأبلغه ذلك، والله لا يسأل عمّا يفعل.

وفي عيون الأخبار ^(٣)، مثله سواء.

وفي روضة الكافي ^(٤): عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن أبي إسحاق الجرجانيّ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله ﷻ جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدة من ليالٍ وأيام وسنين وشهور. فإن عدلوا في الناس، أمر الله ﷻ صاحب الفلك أن يبطن بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنوهم ^(٥) وشهورهم.

١. التوحيد/٤٣٣-٤٤٤. ح ١

١. نفس المصدر/٣٢١، ح ٣.

٢. الكافي/٢٧١/٨، ح ٤٠٠.

٣. عيون اخبار الرضا عليه السلام/١٨١-١٨٢.

٤. المصدر: سنينهم وفي النسخ: سنونهم.

وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا، أمر الله ﷻ صاحب الفلك فأسرع بإدارته فقصرت لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم. وقد وفي لهم^(١) ﷻ بعدد الليالي والشهور. وفي إرشاد المفيد^(٢) : وروى المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى الناس^(٣) عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم أنثى. وفي تهذيب الأحكام^(٤) : أبو القاسم جعفر بن محمد [عن محمد بن عبد الله]،^(٥) عن الحسين بن علي بن زكريا، عن الهيثم بن عبد الله، عن الرضا علي بن موسى عليه السلام عن أبيه قال : قال الصادق عليه السلام : إن أيام زائري الحسين بن علي عليه السلام لا تعد من أجالهم. وعنه^(٦) ، محمد بن عبد الله بن جعفر، عن أبيه، عن محمد بن عبد الحميد، عن سيف بن عميرة، عن منصور بن حازم قال : سمعته يقول : من أتى عليه حول ولم يأت قبر الحسين عليه السلام نقص الله من عمره حولاً. ولو قلت : إن أحدكم ليموت قبل أجله بثلاثين سنة، لكنت صادقاً. وذلك أنكم تتركون زيارته. فلا تدعوها، يمد الله في أعماركم ويزيد في أرزاقكم. وإذا تركتم زيارته، نقص الله من أعماركم وأرزاقكم. وفي عيون الأخبار^(٧) : في باب ماجاء عن الرضا عليه السلام من أخبار هذه المجموعة، وبإسناده قال : قال رسول الله ﷺ : يا علي، من كرامة المؤمن على الله أنه لم يجعل لأجله وقتاً حتى يهمل ببائقة^(٨). فإذا هم ببائقة، قبضه إليه. قال : وقال جعفر بن محمد عليه السلام : تجنبوا البوائق، يمد لكم في الأعمار. وفي أصول الكافي^(٩) : علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن موسى بن القاسم

١. هكذا في المصدر. وفي النسخ : «وفي» بدل «وقد وفي لهم».

٢. الإرشاد/٣٦٣.

٣. المصدر: العباد.

٤. تهذيب الأحكام ٤٣/٦، ح ٩٠.

٥. نفس المصدر والموضع، ح ٩١. وله ذيل.

٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٣٦/٢، ح ٩٠.

٧. البائقة، الشر، الظلم. والجمع بوائق.

٨. الكافي ٤٨٥/١-٤٨٦، ح ٨.

الجلبي، عن علي بن جعفر عليه السلام قال: جاءني محمد بن اسماعيل وقد اعتمرنا عمرة رجب، ونحن يومئذ بمكة.

فقال: يا عم، أريد بغداد وقد أحببت أن أودع عمي أبا الحسن، يعني موسى بن جعفر عليه السلام. وأحببت أن تذهب معي إليه.

فخرجت معه نحو أخي وهو في داره التي بالحوية، وذلك بعد المغرب بقليل. فضربت الباب.

فأجابني أخي فقال: من هذا؟

فقلت: علي.

فقال: هو ذا أخرج. وكان يبطئ الوضوء.

فقلت: العجل.

قال: وأعجل.

فخرج وعليه إزار مشق^(١) قد عقده في عنقه، حتى قعد تحت عتبة الباب.

فقال علي بن جعفر: فانكبت عليه فقبلت رأسه، وقلت: قد جئتك في أمر إن تره صواباً فالله^(٢) وفق، وإن يكن^(٣) غير ذلك فما أكثر ما نخطئ.

قال: وما هو؟

قلت: هذا ابن أخيك يريد أن يودعك ويخرج إلى بغداد.

فقال لي: ادعه^(٤). فدعوته، وكان متنجساً.

فدنا منه فقبل رأسه، وقال: جعلت فداك، أوصني.

فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي.

١. مشق: أي مصبوغ بالمشق. وهو الطين الأحمر.

٢. هكذا في المصدر وفي النسخ: «ترى ثواباً لله» بدل «تره صواباً فالله».

٣. هكذا في المصدر وأ. وفي سائر النسخ: لم يكن.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «له ادنه» بدل «لي ادعه».

فقال: من أرادك بسوء فعل الله به وفعل^(١).

ثم عاد فقبل رأسه، ثم قال: يا عمّ أوصني.

فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي.

فقال: من أرادك بسوء. فعل الله به وفعل^(٢). ثم قال: يا عمّ، أوصني.

فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي.

فدعا عليّ من أراد به سوء، ثم تنحى عنه ومضيت معه.

فقال لي أخي: يا عليّ، مكانك.

فقمّت مكانني. فدخل منزله ثم دعاني، فدخلت إليه. فتناول صرة فيها مائة دينار

فأعطانيها، وقال: قل لابن أخيك، يستعين بها على سفره.

قال عليّ: فأخذتها فأدرجتها في حاشية ردائي، ثم ناولني مائة أخرى وقال: أعطه

أيضاً. ثم ناولني صرة أخرى وقال: أعطه أيضاً.

فقلت: جعلت فداك، إذا كنت تخاف منه مثل الذي ذكرت؛ فلمّ تعينه على نفسك؟

فقال: إذا وصلته وقطعني، قطع الله أجله. ثم تناول مخدة آدم فيها ثلاثة آلاف درهم

وضح^(٣) فقال: أعطه هذا أيضاً.

قال: فخرجت إليه فأعطيته المائة الأولى ففرح فرحاً شديداً ودعا لعمّه، ثم أعطيته

الثانية [والثالثة]^(٤) ففرح حتّى ظننت أنّه سيرجع ولا يخرج، ثم أعطيته الثلاثة آلاف

درهم.

فمضى عليّ وجهه حتّى دخل على هارون، فسلمّ عليه بالخلافة وقال: ما ظننت أنّ

في الأرض خليفتين حتّى رأيت عمي موسى بن جعفر عليه السلام يسلمّ عليه بالخلافة.

١. المصدر: «وجهل يدعو على من يریده بسوء» بدل «وفعل».

٢. هنا زيادة في المصدر. وهي: ثم عاد فقبل رأسه.

٣. الوضع: الدرهم الصحيح. ٤. من المصدر.

فأرسل هارون إليه بمائة ألف درهم، فرماه الله بالذبحه^(١). فما نظر منها إلى درهم ولا منته.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢): إشارة إلى الحفظ، أو الزيادة، أو النقص.
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: ضرب مثل للمؤمن والكافر.

و«الفرات» الذي يكسر العطش. و«السائغ» الذي يسهل انحذاره. و«الأجاج» الذي يحرق بملوحته.

وقرئ: «سَيْغٌ» بالتشديد والتخفيف. و«ملح على فعل»^(٣).
وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٤): وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر^(٥) في قوله^(٦): «وما يستوي البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج» فالأجاج: المر.

﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيبًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم، أو تمام التمثيل.

والمعنى كما أتهما وإن اشتركا في بعض القوائد، لا يتساويان من حيث أتهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء. فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته. لا يتساوى المؤمن والكافر وإن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات؛ كالشجاعة والسخاوة، لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وهي بقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر. أو تفضيل للأجاج على الكافر بما يشارك العذب من المنافع. والمراد بالحلية اللثالي والياقوت.

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ﴾: في كل.

﴿مَوَاحِرَ﴾: تشق الماء بجريها.

١. الذبحة: وجع في الحلق، أو دم يخنق فيقتل. ٢. أنوار التنزيل ٢/٢٦٩.

﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: من فضل الله بالثقله فيها.

و«اللام» متعلقة «بمواخر» ويجوز أن تتعلق بمادلّ عليه الأفعال المذكورة.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٧): على ذلك. وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر

الحال.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هي مدة دوره، أو منتهاه، أو يوم القيامة.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾: الإشارة إلى الفاعل لهذه الأشياء. وفيها إشعار بأن فاعليته لها موجبة لثبوت الأخبار المترادفة. ويحتمل أن يكون «له الملك» كلاماً مبتدأ في قرآن.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٧): للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية.

و«القطمير» لفافة النواة.

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾: لأنهم جماد.

﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾: على سبيل الفرض.

﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: لعدم قدرتهم على الإنفاع، أو لتبرئهم منكم مما تدعون لهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ﴾: بإشراككم لهم. يقرون بطلانه، أو يقولون: ما

كنتم إيانا تعبدون.

﴿وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١٨): ولا يخبرك بالأمر مخبر مثل خبير به أخبرك، وهو الله

سبحانه. فإنه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين. والمراد، تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾: في أنفسكم وما يعنّ لكم. وتعريف الفقراء

للمبالغة في فقرهم؛ كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء. فإن افتقار سائر

الخالق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به. ولذلك قال ^(١): «وُخْلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا».

﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ^(٢): المستغني على الإطلاق، المنعم على سائر الموجودات، حتى استحق عليهم الحمد.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ^(٣): يقوم أطوع منكم، أو بعالم آخر غير ما تعرفونه.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ^(٤): بمتعذر، أو متعسر.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾: ولا تحمل نفس أثمة إثم نفس أخرى. وأما قوله ^(٥):

«وليحملن أثقالهن وأثقالاً مع أثقالهن». ففي الضالين المضلين. فإنهم يحملون أثقال اضلالهم مع أثقال ضلالهم. وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم.

﴿وَأَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفس اثقلتها الاوزار.

﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾: تحمّل بعض أوزارها.

﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾: لم تجب لحمل شيء منه. نفى أن يُحمّل عنها ذنبها؛ كما نفى أن يُحمّل عليها ذنب غيرها.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: ولو كان المدعو ذا قرابتها. فأضمر المدعو، لدلالة «ان تدع» عليه.

وقرئ: «ذوقربى» على حذف الخبر. وهو أولى من جعل «كان» التامة، فإنها لا تلائم نظم الكلام ^(٦).

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: غائبين عن عذابه، أو عن الناس في خلواتهم.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: فإنهم المنتفعون بالإنذار لاغير. واختلاف الفعلين لما مر.

﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾: ومن تطهر عن دنس المعاصي.

﴿فَأَنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾: إذ نفعه لها.

وقرئ: «ومن ازكى فانما يزكي»^(١). وهو اعتراض مؤكّد لخشيتهم وإقامتهم الصلاة، لأنهما من جملة التزكي.

﴿وَالَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٢): فيجازيهم على تزكيهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾^(٣): الكافر والمؤمن.

وقيل^(٤): هما مثلان، للصنم والله ﷻ.

﴿وَالَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾^(٥): ولا الباطل ولا الحق.

﴿وَالَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾^(٦): ولا الثواب ولا العقاب. «ولا» لتأكيد نفي الاستواء،

تكريرها على الشقين لمزيد التأكيد.

و«الحرور» فعول، من الحرّ غلب على السموم.

وقيل^(٧): السموم، ما يهب [نهاراً]. والحرور، ما يهب [ليلاً].

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من

الأول، ولذلك كرّر الفعل.

وقيل^(٨): للعلماء والجهلاء.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾: هدايته، فيوفقه لفهم آياته والاعتاظ بعظاته.

﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾^(٩): ترشيح لتمثيل المصيرين على الكفر

بالأموات، ومبالغة في إقناطه عنهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١٠): وقوله ﷻ: «وما يستوي الأعمى والبصير» مثل

ضربه الله ﷻ للمؤمن والكافر. «ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور» فالظل،

١. نفس المصدر والموضع.

٢. نفس المصدر ٢/٢٧١.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. ليس في م.

٥. أنوار التنزيل ٢/٢٧١.

٦. تفسير القمي ٢/٢٠٨-٢٠٩.

الناس. والحرور، البهائم^(١). ثم قال: «إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور» قال: هؤلاء الكفار لا يسمعون منك؛ كما لا يسمع أهل القبور.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): روي عن أنس بن مالك، عن ابن شهاب^(٣)، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قوله ﷻ: «وما يستوي الأعمى والبصير». قال: الأعمى^(٤)، أبوجهل. والبصير، أمير المؤمنين ﷺ. «ولا الظلمات ولا النور» فالظلمات، أبوجهل، والنور، أمير المؤمنين ﷺ. «ولا الظل ولا الحرور» والظل، ظلة أمير المؤمنين ﷺ في الجنة. والحرور؛ يعني: جهنم لأبي جهل. ثم جمعهم جميعاً فقال: «وما يستوي الأحياء ولا الأموات» والأحياء، علي وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة وخديجة ﷺ. والأموات، كفار مكة.

﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾^(٥): فما عليك إلا الإنذار. أما الاسماع، فلا إليك. ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ محققين، أو محققاً، أو إرسالاً مصحوباً بالحق.

ويجوز أن يكون صلة لقوله تعالى:

﴿بَشِيرًا﴾: بالوعد الحق.

﴿وَنَذِيرًا﴾: بالوعيد الحق.

﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾: أهل عصر.

﴿إِلَّا خَلَا﴾: مضى.

﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٦): من [نبي، أو]^(٧) عالم منذر عنه. والاكتفاء بذكره، للعلم بأن النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل. أو لأن الإنذار هو المقصود الأهم من البعثة.

١. هنا زيادة في المصدر. وهي: «وما يستوي الأحياء ولا الأموات».

٢. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٨٠. وفيه: تأويله من طريق العامة ما روي...

٣. المصدر: أنس مالك بن شهاب. ٤. المصدر «فالأعمى» بدل «قال الأعمى».

٥. من ن.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(١): وقوله ﷺ: «وان من أمة إلا خلا فيها نذير» قال: لكل زمان إمام.

وفي أصول الكافي^(٢)، بإسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال: يامعشر الشيعة، خاصموا بسورة «إنا أنزلناه» تفلحوا. فوالله، إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله. وإنها لسيدة دينكم. وإنها لغاية^(٣) علمنا. يامعشر الشيعة، خاصموا «بحم، والكتاب المبين»^(٤)، إنا أنزلناه في ليلة مباركة، إنا كنا منذرين». فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله ﷺ. يامعشر الشيعة، يقول الله تبارك وتعالى: «وان من أمة إلا خلا فيها نذير».

قيل: يا أبا جعفر، نذيرها محمد ﷺ!

قال: صدقت، فهل كان نذير وهو حي من البعثة في أقطار الأرض؟

فقال السائل: لا.

قال أبو جعفر عليه السلام: رأيت بعثته^(٥) ليس نذيره؛ كما أن رسول الله ﷺ في بعثته من الله ﷻ نذير؟

فقال: بلى.

قال: قال: فكذلك لم يمت محمد إلا وله بعث^(٦) نذير. قال: فإن قلت: لا، فقد

ضيع رسول الله ﷺ من في أصلاب الرجال من أمته.

قال: وما يكفيهم القرآن؟

قال: بلى، إن وجدوا له مفسراً.

قال: وما فسر رسول الله ﷺ؟

١. تفسير القمي ٢/٢٠٩.

٢. الكافي ١/٢٤٩-٢٥٠، ح ٦. وله ذيل.

٣. هكذا في المصدر. وفي النسخ: العامة.

٤. الدخان/١-٣.

٥. هكذا في المصدر. وفي ن: «بعث». وفي م: «بعثة». وفي سائر النسخ: «بعثته».

٦. هكذا في المصدر. وفي النسخ: مبعث.

قال: بلى قد فسّره لرجل واحد وفسّره للامة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي كتاب الاحتجاج ^(١) للطبرسي عليه السلام في احتجاج أبي عبدالله الصادق عليه السلام: قال السائل: فأخبرني عن المجوس، أفبُعث ^(٢) إليهم نبياً فإنني أجد لهم كتباً محكمة، ومواظب بليغة، وأمثالاً شافية، ويقرّون بالثواب والعقاب، ولهم شرائع يعملون بها.

قال: ما من أمة إلا خلا فيها نذير، وقد بُعث إليهم نبي بكتاب من عند الله فأنكروه وجحدوا كتابه.

﴿وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم.

﴿وَبِالزُّبُرِ﴾: كصحف إبراهيم عليه السلام.

﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ^(٣): كالتوراة والإنجيل. على إرادة التفضيل دون الجمع. ويجوز أن يراد بهما واحد. والعطف لتغاير الوصفين.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ^(٤): أي إنكاري بالعقوبة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: أجناسها، أو أصنافها. على أن كلّاً منها ذو أصناف مختلفة، أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما.

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾: أي ذو جدد؛ خطط وطرائق. ويقال: جدّة الحمار، للخطّة السوداء على ظهره.

وقرئ: «جُدَد» بالضم. جمع جديدة؛ بمعنى: الجدة. و«جَدَد» بفتحتين، وهو الطريق الواضح ^(٥).

٢. المصدر: أفبُعث الله.

١. الاحتجاج ٩١/٢.

٣. أنوار التنزيل ٢٧١/٢.

﴿يَبْيَضُ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾: بالشدة والضعف.

﴿وَعَرَابِيْبُ سُودٍ﴾^(٧): عطف على «بيض» أو على «جدد» كأنه قيل^(١): من الجبال ذو جدد مختلف الألوان ومنها غرابيب متحدة اللون. وهو تأكيد مضمّر يفسره مابعده. فإن الغرابيب تأكيد للسود، وحقّ التأكيد أن يتبع المؤكّد. ونظير ذلك في الصفة قول النابغة:

والمؤمن العائذات الطير يمسحها

وفي مثله مزيد تأكيد من التكرير باعتبار الإضمار والإظهار.

والغريب الشديد السواد، الذي يشبه لون الغراب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَّابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾: كاختلاف الثمار والجبال.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾: إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه. ولذلك قال ﷺ^(٢): إني أخشاكم بالله وتقاكم له. ولهذا اتبعه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته.

وتقديم المفعول، لأنّ المقصود حصر الفاعلية. ولو آخر انعكس الأمر.

وقرئ برفع «الله» ونصب «العلماء». على أنّ الخشية مستعارة للتعظيم. فإن العظيم يكون مهيباً^(٣).

وفي أصول الكافي: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن صالح بن حمزة رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ من العبادة شدة الخوف من الله ﷻ. يقول الله ﷻ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي روضة الكافي^(٤): محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى وعلي بن

١. نفس المصدر والموضع. ٢. نفس المصدر ٢/٢٧٢.

٣. نفس المصدر والموضع. وفيه: فإنّ المعظم يكون مهيباً.

٤. نفس المصدر ٨/١٦، ضمن حديث ٢.

إبراهيم، عن أبيه جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: وما العلم بالله والعمل إلا إلفان مؤتلفان. فمن عرف الله، خافه وحنه^(١) الخوف على العمل بطاعة الله. وإن أرباب العلم وأتباعهم، الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه. وقد قال الله: «إنما يخشى الله من عباده العلماء». والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفي مجمع البيان^(٢): ورؤي عن الصادق عليه السلام أنه قال: يعني بالعلماء: من صدق قوله فعله. ومن لم يصدق فعله قوله، فليس بعالم. وفي الحديث^(٣): أعلمكم بالله، أخوفكم لله.

وفي مصباح الشريعة^(٤): قال الصادق عليه السلام: ودليل الخشية^(٥)، التعظيم لله والتمسك بخالص الطاعة^(٦) وأوامره [والخوف]^(٧) والحدز^(٨)، ودليلهما العلم. قال الله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

وفي مصباح شيخ الطائفة عليه السلام في دعاء يوم الأربعاء: اللهم اشدّ خلقك خشية لك أعلمهم بك، وأفضل خلقك لك^(٩) علماً أخوفهم لك^(١٠). لا علم إلا خشيتك، ولا حكم^(١١) إلا الإيمان بك. ليس لمن لم يخشك علم، ولا لمن لم يؤمن بك حكم. وفي شرح الآيات الباهرة^(١٢): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدّثنا علي بن أبي طالب،

١. م وأ: خشية.

٢. نفس المصدر والوضع.

٣. شرح فارسي لمصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة/ ٣٥-٣٦.

٤. المصدر: «الخواف» وفي نسخة أخرى: «الخشية».

٥. المصدر: بتخليص طاعته.

٦. هنا زيادة في المصدر. وهي: مع الوقوف عن محارمه.

٧. مصباح المتهجد/ ٤٢٤.

٨. هنا زيادة في المصدر. وهي: وأطوع خلقك لك اقربهم منك. وأشدّ خلقك لك اعظاماً أدناهم إليك.

٩. المصدر: حلم (حكم خ. ل.).

١٠. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٨١.

١١. مجمع البيان ٤/ ٤٠٧.

عن إبراهيم بن محمد، عن جعفر بن عمر، عن مقاتل بن سلمان، عن الضحّاك بن مزاحم، عن ابن عباس في قوله ﷻ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ».

قال: يعني به: عليّاً عليه السلام كان عالماً بالله، ويخشى الله ويراقبه، ويعمل بفرائضه، ويجاهد في سبيله، ويتبع جميع أمره برضاه ورضا رسول الله ﷺ.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٣٨): تعليل لوجوب الخشية، لدلالته على أنه معاقب للمصرّ على طغيانه غفور للتائب من عصيانه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾: يداومون قراءته أو متابعة مافيه، حتّى صارت سمة لهم وعنواناً.

والمراد بالكتاب، القرآن أو جنس كتب الله، فيكون ثناء على المصدّقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذّبين.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾: كيف اتّفق من غير قصد إليهما.

وقيل ^(١): السّر في المسنونة، والعلانية في المفروضة.

﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾: تحصيل ثواب بالطاعة. وهو خبر «إِنَّ».

﴿لَنْ يَكُورَ﴾ (٣٩): لن تكسد ولن تهلك بالخسران. صفة «للتجارة».

وفي مجمع البيان ^(٢): «وانفقوا ممّا رزقناهم سراً وعلانية». الآية، وعن عبد الله بن

عبيد بن عمير الليثي ^(٣) قال: قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، مالي لا أحب الموت؟

قال: ألك مال؟

قال: نعم.

قال: فقدمه.

قال: لا أستطيع.

قال: فإن قلب الرجل مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحق به، وإن أخره أحب أن يتأخر معه.

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه^(١): وقال عليه السلام: إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله تعالى. ولم يعطكموها لتكنزوها.

وفي كتاب الخصال^(٢): عن هشام بن معاذ قال: كنت جليس عمر بن عبدالعزيز^(٣) حيث دخل المدينة. فأمر مناديه فتأدى: من كانت له مظلمة أو ظلامة فليأت الباب. فأتاه محمد بن علي؛ يعني: الباقر عليه السلام.

فدخل إليه مولاه مزاحم فقال: إن محمد بن علي بالباب.

فقال له: أدخله، يا مزاحم.

قال: فدخل، وعمر يمسح عينيه من الدموع.

فقال له محمد بن علي: ما أبكاك، يا عمر؟

فقال هشام: أبكاك كذا وكذا، يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال محمد بن علي: يا عمر، إنما الدنيا سوق من الأسواق، منها خرج قوم بما ينفعهم ومنها خرجوا بما يضرهم، إلى قوله عليه السلام: واجعل في قلبك اثنتين: تنظر الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك، فقدمه بين يديك. وتنظر الذي تكره أن يكون معك إذا قدمت على ربك، فابتغ به البذل. ولا تذهبن إلى سلعة^(٤) قد بارت على من كان قبلك، ترجو أن تجوز عنك. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

﴿لِيُؤْفِقَهُمْ﴾: بنفقتها.

﴿أَجُورَهُمْ﴾: أي فعلوا ذلك ليوقيهم الله أجورهم بالثواب.

١. من لا يحضره الفقيه ٣١/٢، ح ١٢٠. ٢. الخصال/ ١٠٤-١٠٥، ضمن حديث ٦٤.

٣. المصدر: جليساً لعمر بن عبدالعزيز.

٤. هكذا في المصدر وم ون. وفي أ: «سلفة». وفي الأصل وس: «سلهة».

﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: على ما يقابل أعمالهم.

وفي مجمع البيان^(١): روى ابن مسعود، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ»: هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفاً في الدنيا.

﴿إِنَّهُ غَفُورٌ﴾^(٢): لطاعاتهم؛ أي مجازيهم عليها. وهو علة للتوفية والزيادة. أو خبر «إِنَّ» و«يَرْجُونَ» حال من «وَأَوْفَقُوا».

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: يعني القرآن، و«من» للتبيين. أو الجنس، ومن للتبعيض.

﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أحقه مصداقاً لما تقدمه من الكتب السماوية. حال مؤكدة، لأن حقيقته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾^(٣): عالم بالباطن والظواهر. فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة، لم يوح إليك مثل هذا الكتاب المعجز، الذي هو عيار على سائر الكتب. وتقديم «الخبير» للدلالة على أن العمدية في ذلك الأمور الروحانية.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾: حكمنا بتوريثه منك، أو نوره. فعبّر عنه بالماضي لتحققه. أو أورثناه من الأمم السالفة.

والعطف على «أَنْ الَّذِينَ يَتْلُونَ» و«الذي أوحينا إليك» اعتراض لبيان كيفية التورث.

﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: قيل^(٤): يعني علماء الأمة [من الصحابة ومن بعدهم]. أو الأمة بأسرهم، فإن الله اصطفاهم على سائر الأمم.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: بالتقصير في العمل به.

﴿وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ﴾: يعمل به في أغلب الأوقات.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾: يضم التعليم والإرشاد إلى العمل.

وقيل^(٥): «الظالم» الجاهل. و«المقتصد» المتعلم. و«السابق» العالم.

وقيل ^(١): «الظالم» المجرم. و«المقتصد» الذي خلط العمل ^(٢) الصالح بالسّيء. و«السابق» الذي ترجّحت ^(٣) حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة، وهو معنى قوله ﷺ: «أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا فأولئك يحبسون ^(٤) في طول المحشر ثم يتلقّاهم الله برحمته.

وقيل ^(٥): «الظالم» الكافر. على أن الضمير «للعباد». وتقديمه لكثرة الظالمين.

﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٣٠): إشارة إلى التورث والاصطفاء والسبق.

وفي أصول الكافي ^(٦): الحسين بن محمد، عن معلي بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن حماد بن عيسى، عن عبد المؤمن عن سالم قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله ﷻ: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ».

قال: «السابق بالخيرات» الإمام. و«المقتصد» العارف للإمام. و«الظالم لنفسه» الذي لا يعرف الامام.

الحسين، عن المعلّى ^(٧)، عن الوشاء، عن عبد الكريم، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سألته عن قوله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا».

فقال: أي شيء تقولون أنتم؟

قلت: نقول: إنها في الفاطميين.

قال: ليس حيث تذهب، ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى خلاف.

١. نفس المصدر والموضع.

٢. ليس في المصدر.

٣. المصدر: رجحت.

٤. هكذا في المصدر. وفي النسخ: يحاسبون.

٥. نفس المصدر والموضع.

٦. الكافي ٢١٤/١، ح ١.

٧. نفس المصدر ٢١٤/١-٢١٥، ح ٢.

فقلت: أي شيء الظالم لنفسه؟

قال: الجالس في بيته لا يعرف حق الإمام. و«المقتصد» العارف بحق الإمام. و«السابق بالخيرات» الإمام.

الحسين بن محمد، عن المعلّى^(١)، عن الحسن، عن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله ﷻ: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» الآية.

قال: فقال: ولد فاطمة عليها السلام. و«السابق بالخيرات» الإمام. و«المقتصد» العارف بالإمام. و«الظالم لنفسه» الذي لا يعرف الإمام.

محمد بن يحيى، عن أبي زاهر^(٢) أو غيره، عن محمد بن حماد، عن أخيه أحمد بن حماد، عن إبراهيم^(٣)، عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: وقد أورثنا نحن هذا القرآن، الذي فيه ما تُسَيَّر به الجبال وتُقَطَّع به البلدان وتحْيَى به الموتى. ونحن نعرف الماء تحت الهواء. وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون، جعله الله لنا في أم الكتاب. إن الله يقول^(٤): «وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين. ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» فنحن الذين اصطفانا الله ﷻ وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء.

وفي بصائر الدرجات^(٥): أحمد بن الحسن بن علي بن فضال، عن حميد بن المثنى، عن أبي سلام المرعشي، عن سورة بن كليب قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْ أُنْذِرَ».

قال: «السابق بالخيرات» الامام.

١. نفس المصدر ٢١٥/١، ح ٣. وفيه: «معلّى بن محمد» بدل «المعلّى».

٢. نفس المصدر ٢٢٦/١، ذيل حديث ٧. المصدر: إبراهيم عن أبيه.

٥. بصائر الدرجات ٦٤/١، ح ١.

٤. النمل/٧٧.

أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد^(١)، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن ابن مسكان، عن ميسر، عن سورة بن كليب، عن أبي جعفر عليه السلام قال في هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» [إلى آخره]^(٢) الآية.

قال: «السابق بالخيرات» الإمام. فهي في ولد علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام.

وفي كتاب سعد السعود^(٣)، لابن طاوس رحمته الله نقلاً عن كتاب محمد بن العباس بن مروان، بإسناده إلى أبي إسحاق السبيعي قال: خرجت حاجاً فلقيت محمد بن علي فسألته عن الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير فقال ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق يعني أهل الكوفة قال قلت يقولون إنها لهم قال فما يخوفهم إذا كانوا في الجنة قال فما تقول أنت جعلت فداك فقال هي لنا خاصة يا أبا إسحاق أما السابق بالخيرات فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين والشهيد منا والمقتصد فصائم بالنهار قائم بالليل وأما الظالم لنفسه ففيه ما في الناس وهو مغفور له وفيه أيضاً يقول علي بن موسى بن طاوس: وجدت كثيراً من الأخبار وقد ذكرت بعضها في كتاب البهجة بثمره المهجة متضمنة إن قوله عليه السلام: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير» أن المراد بهذه الآية جميع ذرية النبي صلى الله عليه وآله وإن الظالم لنفسه هو الجاهل بإمام زمانه والمقتصد هو العارف به والسابق بالخيرات هو إمام الوقت عليه السلام.

فمن روي ذلك عنه الشيخ أبو جعفر محمد بن بابويه^(٤) من كتاب الفرق، بإسناده إلى الصادق عليه السلام. [من كتاب الواحدة لابن جمهور فيما رواه، عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري صلوات الله عليه. ورويناه من كتاب الدلائل لعبدالله بن جعفر الحميري، عن مولانا الحسن العسكري عليه السلام ورويناه من كتاب محمد بن علي بن

١. نفس المصدر/ ٦٥، ح ٣.

٢. ليس في المصدر.

٣. سعد السعود/ ١٠٧.

٤. نفس المصدر والموضع.

رباح، بإسناده إلى الصادق عليه السلام^(١). ورويناه من كتاب محمد بن مسعود بن عباس في تفسير القرآن. ورويناه من الجامع الصغير ليونس بن عبد الرحمن. ورويناه من كتاب عبدالله بن حماد الأنصاري. ورويناه من كتاب إبراهيم [بن] الخزّاز^(٢) وغيرهم رضوان الله عليهم ممّن لم يحضرني ذكر أسمائهم والإشارة إليهم.

وفي كتاب معاني الأخبار^(٣): حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي بن نصر البخاري المقرّي قال: حدّثنا أبو عبدالله الكوفي العلوي الفقيه بفرغانة، بإسناد متصل إلى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنّه سئل عن قول الله ﷻ: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ.

فقال: «الظالم» يحوم حوم^(٤) نفسه. و«المقتصد» يحوم حوم^(٥) قلبه. و«السابق» يحوم حوم^(٦) ربه ﷻ.

حدّثنا محمد بن الحسن القطّان^(٧) قال: حدّثنا الحسن بن علي، أعني: ابن السكري^(٨)، قال: أخبرنا محمد بن زكريّا الجوهري قال: حدّثنا جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: سألته عن قول الله ﷻ: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ».

فقال: «الظالم منّا» من لا يعرف حقّ الإمام. و«المقتصد» العارف بحقّ الإمام. و«السابق بالخيرات بإذن الله» هو الإمام. «جَنّاتٌ عِدْنٌ يُدْخِلُونَهَا» يعني: المقتصد والسابق.

١. ليس في المصدر. ٢. من ن وم.

٣. المصدر: «إبراهيم الجزار». وهي خطأ. انظر الفهرست لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، باب إبراهيم بن عثمان الخزّاز الكوفي.

٤. معاني الأخبار/ ١٠٤، ح ١. ٥. الأصل: يحرم حرم.

٦. الأصل: يحرم حرم. ٧. الأصل: يحرم حرم.

٨. نفس المصدر/ ١٠٤-١٠٥، ح ٢. ٩. المصدر: الحسن بن علي بن الحسين السكري.

حدَّثنا أبو عبدالله الحسين بن يحيى البجلي^(١) قال: حدَّثنا أبي قال: حدَّثنا أبو عوانة موسى بن يوسف الكوفي قال: حدَّثنا عبدالله بن يحيى، عن يعقوب بن يحيى، عن أبي حفص، عن أبي حمزة الثمالي قال: كنت جالساً في المسجد الحرام مع أبي جعفر عليه السلام. إذ أتاه رجلان من أهل البصرة.

فقالا له: يا ابن رسول الله، إننا نريد أن نسألك عن مسألة.

فقال لهما: سلا عما أحببتما^(٢).

فقالا: أخبرنا عن قول الله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» إلى آخر الآيتين.

قال: نزلت فينا أهل البيت.

قال أبو حمزه: فقلت: بأبي أنت وأمي، فمن الظالم لنفسه؟

قال: من استوت حسناته وسيئاته من أهل البيت، فهو الظالم لنفسه.

فقلت: من المقتصد منكم؟

قال: العابد لله^(٣) في الحالين حتى يأتيه اليقين^(٤).

فقلت: فمن السابق منكم بالخيرات؟

قال: من دعا، والله، إلى سبيل ربه وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ولم يكن للمضلين عضداً ولا للخائنين خصيماً ولم يرض بحكم الفاسقين، إلا من خاف على نفسه ودينه ولم يجد أعواناً.

١. نفس المصدر/ ١٠٥، ح ٣. وفي النسخ: الحسن بن يحيى البجلي. وهي خطأ. انظر تنقيح المقال ١/ ٣٤٩.

٣٥٠. رقمين ٣١٠١ و ٣١٠٢.

٢. المصدر: «سألاً عما جئتما» بدل «سلاً عما أحببتما». وأشار المحقق في حاشية المصدر إلى أنه في أكثر

النسخ: سلاً عما أحببتما. المصدر: لله ربه.

٤. يوجد في هامش نسخة م: «اليقين»: الموت. وسَمِّي به لتيقن وقوعه. (جعفر).

وفي كتاب الاحتجاج^(١) للطبرسي، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

قال: أي شيء تقول؟

قلت: إني أقول: إنها خاصة لولد فاطمة.

فقال عليه السلام: أما من سل سيفه ودعا الناس إلى نفسه إلى الضلال من ولد فاطمة وغيرهم، فليس بداخل في هذه الآية.

قلت: من يدخل فيها؟

قال: «الظالم لنفسه» الذين لا يدعون الناس إلى ضلال ولا هدى. و«المقتصد منا أهل البيت» العارف حق الإمام. و«السابق بالخيرات» هو الإمام.

وفي الخرائج والجرائح^(٢): روي عن الحسن بن راشد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا حسن، إن فاطمة لعظمها على الله حرمت وذريتها على النار، وفيهم نزلت «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات». فأما «الظالم لنفسه» الذي لا يعرف الإمام. و«المقتصد» العارف بحق الإمام. و«السابق بالخيرات» هو الامام. والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجة.

وفيه^(٣)، في أعلام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام قال أبو هاشم: إنه سأله عن قوله: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات».

قال عليه السلام: كلهم من آل محمد. «الظالم لنفسه» الذي لا يقرب بالإمام، و«المقتصد» العارف بالإمام، و«السابق بالخيرات» الإمام.

١. الاحتجاج ١٣٨/٢ - ١٣٩.

٢. عنه في تفسير نور الثقلين ٣٦٤/٤، ح ٨٦. الخرائج والجرائح ج ٢٨١/١.

٣. نفس المصدر والموضع، ح ٨٧. الخرائج والجرائح ج ٢٨٧/٢ ح ٩.

وفي كتاب المناقب ^(١)، لابن شهر آشوب: قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» نزلت في حقنا وحق ذريتنا [خاصة] ^(٢).

وفي ^(٣) رواية عنه، وعن أبيه عليه السلام: هي لنا خاصة، وإيانا عنى.

وفي ^(٤) رواية أبي الجارود، عن الباقر عليه السلام: هم آل محمد.

وفي مجمع البيان ^(٥): اختلف في أن الضمير في «منهم» إلى من يعود، على قولين: أحدهما، أنه يعود إلى «العباد» إلى قوله: والثاني أن الضمير يعود إلى «المصطفين» من العباد. عن أكثر المفسرين.

ثم اختلف في أحوال الفرق الثلاث على قولين: أحدهما، أن جميعهم ناج. ويؤيد ذلك ماورد في الحديث عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في الآية: أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب. وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً. وأما الظالم لنفسه فيحبس ^(٦) في المقام ثم يدخل الجنة، فهم الذين قالوا: «الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن».

وروى أصحابنا، عن ميسربن عبدالعزيز ^(٧)، عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «الظالم لنفسه منّا» من لا يعرف حق الإمام. و«المقتصد منّا» من يعرف حق الإمام ^(٨). و«السابق بالخيرات» هؤلاء كلهم مغفور لهم.

عن زياد بن المنذر ^(٩)، عن أبي جعفر عليه السلام: أما «الظالم لنفسه منّا» فمن عمل صالحاً وآخر سيئاً. وأما «المقتصد» فهو المتعبد المجتهد. وأما «السابق بالخيرات» فعلي والحسن والحسين ومن قُتل من آل محمد شهيداً.

١. مناقب آل أبي طالب ١٣٠/٤.

٢. من المصدر.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. مجمع البيان ٤٠٨/٤.

٥. هكذا في المصدر. وفي النسخ: فيجلس.

٦. نفس المصدر ٤٠٩/٤.

٧. المصدر: «العارف بحق الامام» بدل «من يعرف حق الامام».

٨. نفس المصدر والموضع.

وفي عيون الأخبار^(١)، في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون، في الفرق بين العترة والأمة، بإسناده إلى الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء العراق وخراسان.

فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

فقلت العلماء: أراد الله تعالى بذلك الأمة كلها.

فقال المأمون: ما تقول، يا أبا الحسن؟

فقال الرضا عليه السلام: ما أقول كما قالوا، ولكني أقول أراد الله ﷻ بذلك العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف عنى العترة من دون الأمة؟

فقال الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة، لكانت بأجمعها في الجنة، لقول الله ﷻ: «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير». ثم جمعهم كلهم في الجنة، فقال «جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب» الآية. فصارت الورثة للعترة الطاهرة، لا لغيرهم.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٢): قال محمد بن العباس عليه السلام: حدثنا علي بن عبد الله بن أسد، عن إبراهيم بن محمد، عن عثمان بن سعيد، عن إسحاق بن بريد الفراء^(٣)، عن غالب الهمداني، عن أبي إسحاق السبيعي قال: خرجت حاجاً فلقيت محمد بن علي عليه السلام فسألته عن هذه الآية «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق؛ يعني أهل الكوفة؟

قال: قلت: يقولون: إنها لهم.

قال: فما يخوفهم إذا كانوا من أهل الجنة؟

١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢٢٨/١ - ٢٢٩، صدر حديث ١.

٢. تأويل الآيات الباهرة، مخطوط، ج ٢ ص ٤٨١.

٣. المصدر: إسحاق بن زيد الفراء؛ تفسير البرهان ٣/٣٦٤، رقم ١١، إسحاق بن يزيد الفراء.

قلت: فما تقول أنت، جعلت فداك؟

قال: هي لنا خاصة، يا أبا إسحاق. أما «السابقون بالخيرات» فعليّ والحسن والحسين والامام منّا. و«المقتصد» فصائم بالنهار وقائم بالليل. و«الظالم لنفسه» ففيه ما في الناس، وهو ^(١) مغفور له. يا أبا إسحاق، بنا يفكّ الله رقابكم، وبنا يحلّ الله وثاق ^(٢) الذلّ من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح، وبنا يختم. ونحن كهفكم؛ كهف أصحاب الكهف. ونحن سفيتكم؛ كسفينة نوح. ونحن باب حطّكم؛ كباب حطة بني إسرائيل.

وقال أيضاً ^(٣): حدّثنا حميد بن زياد ^(٤)، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن ابن أبي حمزة، عن زكريّا المؤمن ^(٥)، عن أبي سلام عن سورة بن كليب ^(٦) قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام ما معنى قوله ﷻ: «ثمّ أورتنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» الآية؟ قال: «الظالم لنفسه» الذي لا يعرف الإمام.

قلت: فمن المقتصد؟

قال: الذي يعرف الإمام.

قلت: فمن السابق بالخيرات؟

قال: الإمام.

قلت: فما لشيعتكم؟

قال: تُكفّر ذنوبهم وتُقصّي ديونهم. ونحن باب حطّهم، وبنا يُغفّر لهم.

وقال أيضاً ^(٧): حدّثنا محمّد بن الحسن بن حميد، عن جعفر بن عبد الله

١. الأصل وم: هؤلاء.

٢. هكذا في المصدر. وفي النسخ: «رقاب» وفي تفسير البرهان: «ريان ق».

٣. نفس المصدر والموضع.

٤. المصدر: أحمد بن زياد.

٥. المصدر: زياد المؤمن.

٦. س: سيرة بن كلب. المصدر: سورة بن كلب.

٧. نفس المصدر والموضع.

المحمّدي^(١)، عن كثير بن عيَّاش، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﷺ: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا».

قال: فهم آل محمّد صفوة الله. فمنهم ظالم لنفسه، وهو الهالك. ومنهم مقتصد، وهم الصالحون. ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، فهو علي بن أبي طالب عليه السلام. يقول الله ﷻ: «ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» يعني القرآن.

وقال علي بن إبراهيم^(٢) في هذه الآية: هم آل محمّد صلوات الله عليهم خاصّة، ليس لأحد فيها شيء، أورشهم الله الكتاب الذي أنزله على محمّد ﷺ تامّاً كاملاً.

وقال الصادق عليه السلام^(٣): فمنهم ظالم لنفسه، وهو الجاحد للإمام من آل محمّد. ومنهم مقتصد، وهو المقرّ بالإمام. والسابق بالخيرات، هو الإمام.

﴿جَنَاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾: مبتدأ وخبر. والضمير للثلاثة، أو للذين، أو للمقتصد والسابق. فإنّ المراد بهما الجنس.

وقرئ: «جَنَّةٌ عَدْنٌ» و«جَنَاتٌ عَدْنٌ» منصوبة بفعل يفسّره الظاهر^(٤).

وقرأ أبو عمرو «يدخلونها» على بناء المفعول^(٥).

﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا﴾: خبر ثان، أو حال مقدّرة.

وقرئ: «يحلّون». من حلّيت المرأة، فهي حالية^(٦).

﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: «مِنْ» الأولى، للتبعض. والثانية، للتبيين.

﴿وَلَوْثُؤًا﴾: عطف على «ذهب» أي من ذهب مرصع باللؤلؤ، أو من ذهب في صفاء

اللؤلؤ. ونصبه نافع وعاصم، عطفاً على محلّ «من أساور».

﴿وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾: من خوف

العاقبة. أو همّهم من أجل المعاش وآفاته. أو من وسوسة إبليس وغيرها.

١. م: عبدالله المحمّدي المهديّ.

٢. نفس المصدر/ج ٢، ص ٤٨٢.

٣. نفس المصدر والموضع.

٤-٦. أنوار التنزيل ٢/٢٧٣.

وقرئ: الحزن^(١).

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾: للمذنبين.

﴿شُكُورٌ﴾^(٢): للمطيعين.

وفي معاني الأخبار^(٣): عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جَنَاتُ عَدْنٍ يدخلونها؛ يعني المقتصد والسابق، الحديث. وقد سبق قريباً.

وفي كتاب الخصال^(٤)، في احتجاج علي عليه السلام على الناس يوم الشورى. قال: نشدكم بالله، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: من سره أن يحيى حياتي، ويموت مماتي^(٥) ويسكن جنّتي التي وعدني الله ربي «جَنَاتُ عَدْنٍ» قضيب غرسه الله بيده، ثم قال له: كن، فكان. فليوال علي بن أبي طالب عليه السلام وذريته من بعده، فهم الأئمة وهم الأوصياء، أعطاهم الله علمي وفهمي، لا يدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم من باب هدى، لا تعلموهم فهم أعلم منكم يزول الحقّ معهم أينما زالوا، غيري؟ قالوا: اللهم لا.

وعن علي عليه السلام^(٦) وقد سأله بعض اليهود عن مسائل.

قال اليهودي: فأين يسكن نبيكم من الجنة؟

قال: في أعلاها درجة وأشرفها مكاناً، في جَنَاتِ^(٧) عَدْنٍ.

قال: صدقت، والله، إنّه لبخطّ هارون واملأه موسى.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٨): حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن إسحاق، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا دخل المؤمن في منزله في

١. نفس المصدر والموضع.

٢. معاني الأخبار/ ١٠٥، ذيل حديث ٢. وفيه: «عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام بدل «عن أبي

عبد الله عليه السلام».

٣. الخصال/ ٥٥٨، ح ٣١.

٤. نفس المصدر/ ٤٧٦-٤٧٧، ح ٤٠.

٥. المصدر: موتي.

٦. تفسير القمي/ ٢٤٧/٢.

٧. المصدر: جنة.

الجنة، وُضع على رأسه تاج الملك والكرامة، وألبس [حلل الذهب والفضة، والياقوت والدرّ منظوماً في الاكلیل تحت التاج وألبس]^(١) سبعين حلّة حرير^(٢) بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر. وذلك قوله: «يُحَلَّونَ فِيهَا أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤٍ وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ».

وفي روضة الكافي^(٣)، مثله سنداً ومتناً.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٤)، في الحديث السابق متصلاً بقوله: يعني القرآن. يقول الله ﷻ: «جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا» يعني آل محمد يدخلون قصور جنّات. كلّ قصر من لؤلؤة واحدة، ليس فيها صدع ولا وصل. لو اجتمع أهل الإسلام فيها، ما كان ذلك القصر إلا سعة لهم. له القباب من الزبرجد، كلّ قبة لها مصراعان طوله اثنا عشر ميلاً. يقول الله ﷻ: «يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤٍ وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ» قال: و«الحزن» ما أصابهم في الدنيا من الخوف والشدة.

«الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ»: دار الإقامة والخلود فيها أبداً لا يموتون ولا يخرجون^(٥) عنها.

«مِنْ فَضْلِهِ»: من إنعامه وتفضله.

«لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ»: تعب.

«وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ»^(٦): كلال. إذ لا تكليف فيها ولا كد. أتبع نفى ما يتبعه، مبالغة.

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٧): «لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ».

قال: «النصب» العناء. و«اللغوب» الكسل والضجر.

١. ليس في ن.

٢. ليس في المصدر.

٣. الكافي ٩٧/٨، ضمن حديث ٦٩.

٤. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢ ص ٤٨٣.

٥. هكذا في ن وم. وفي سائر النسخ: يحزنون.

٦. تفسير القمي ٢٠٩/٢.

وفيه ^(١)، في الحديث المنقول متصلاً بآخر ما نقلنا لفظة: «حرير» (آخر الآية) بلا فصل، قال: فتخرج عليه زه جته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفاءها تحنيها ^(٢)، عليها سبعون حلّة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد صبيغ بمسك وعنبر، وعلى رأسها تاج الكرامة، وفي رجلها إعلان من ذهب مكنّان بالياقوت واللؤلؤ شراكهما ياقوت حمر. فإذا دنت ^(٣) من ولي الله، وهو يقوم إليها شوقاً، تقول له: يا ولي الله، ليس هذا يوم نعب ولا نصب، ولاتقم أنا لك وأنت لي.

وفي رواية الكافي ^(٤)، مثله كذلك.

وفي نهج البلاغة ^(٥): وأكرم أسماعهم عن أن تسم حسيس نار أبداً، وصا. أجسادهم أن تلقى لغوباً ونصباً.

وفي من لا يحضره الفقيه ^(٦)، بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: ومن مات يوم الأربعاء من المؤمنين وقاه الله نحس يوم القيامة، وأسعده بمجاورته، وأحلّه دار المآمة من فضله، لا يمسّه فيها نصب ولا يمسّه فيها لغوب.

وفي كتاب سعد السعود ^(٧)، لابن طاووس عليه السلام من مختصر تفسير محمد بن العباس بن مروان، بإسناده إلى جعفر بن محمد، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام بن أبي طالب، عن النبي صلى الله عليه وآله حديث طويل. يذكر فيه ما أعد الله لمحبي علي عليه السلام يوم القيامة. وفيه: فإذا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهتفونهم بكرامة ربهم، حتى إذا استقرّوا قرارهم قبل لهم: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ قالوا: نعم: ربنا رضينا فارض عنا.

قال: برضاي عنكم وبحبكم أهل بيت نبّي، حللتكم داري وصافحتكم الملائكة.

١. نفس المصدر ٢/٢٤٧.

٢. هكذا في المصدر. في النسخ: تجنّبها.

٣. المصدر: أدنيت.

٤. الكافي ٨/٩٧-٩٨، ضمن حديث ٦٩.

٥. نهج البلاغة ٢٦٨، ذيل خطبة ١٨٣.

٦. من لا يحضره الفقيه ٤/٢٩٥، ضمن حديث ٨٩٢.

٧. الاصل: وجد. المصدر: وعدكم.

١. نفس المصدر ٢/٢٤٧.

٢. المصدر: أدنيت.

٣. نهج البلاغة ٢٦٨، ذيل خطبة ١٨٣.

٤. الكافي ٨/٩٧-٩٨، ضمن حديث ٦٩.

٥. من لا يحضره الفقيه ٤/٢٩٥، ضمن حديث ٨٩٢.

٦. الاصل: وجد. المصدر: وعدكم.

٧. سعد السعود ١١١.

فهنيئاً هنيئاً، عطاء غير مجذوذ، ليس فيه تنغيص.

فعندها قالوا: «الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وأحلنا دار المقامة من فضله [لايمسنا فيها نصب و]^(١) لايمسنا فيها لغوب إن ربنا لغفور شكور».

وفي هذا الحديث، أن محبي علي عليه السلام يقولون لله ﷻ إذا دخلوا الجنة: فائذن لنا بالسجود.

قال لهم ربهم ﷻ: اني قد وضعت عنكم مؤنة العبادة وأرحت لكم أبدانكم، فطال ما أنصبتكم بي الأبدان و[عنيتم إلي]^(٢) الوجه، فالآن أفضيتكم إلى روعي ورحمتي.

وفي شرح الآيات الباهرة^(٣): وذكر الشيخ أبو جعفر بن بابويه عليه السلام في تأويل قوله تعالى: «الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن» إلى قوله: «لغوب» خبر يتضمن بعض فضائل الزهراء عليه السلام.

قال^(٤): حدثنا عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب، عن أبي الحسن أحمد بن محمد الشعراني، عن أبي محمد عبد الباقي^(٥)، عن عمر بن سنان المينجي^(٦)، عن حاجب بن سليمان، عن وكيع بن الجراح، عن سليمان بن مهران الأعمش^(٧)، عن ابن ظبيان، عن أبي ذر عليه السلام قال: رأيت سلمان وبلال يقبلان إلى النبي ﷺ إذ انكب سلمان على قدم رسول الله ﷺ يقبلها. فزجره النبي ﷺ عن ذلك.

ثم قال له: يا سلمان، لاتصنع بي ماتصنع الأعاجم بملوكها. أنا عبد من عبيد الله، أكل ما يأكل العبيد وأقعد كما يقعد العبيد.

فقال له سلمان: يا مولاي، سألتك بالله إلا أخبرتني بفضل^(٨) فاطمة يوم القيامة.

١. ليس في المصدر. ٢. ليس في ن. وفي المصدر: عتم لي.

٣. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢ ص ٤٨٤. ٤. نفس المصدر والموضع.

٥. هكذا في المصدر ون. وفي سائر النسخ: محمد الباقي.

٦. ن: «المسيحي». م: «المينجي». س وأ: «المسيحي». المصدر: «المنجي».

٧. المصدر: سليمان الأعمش. ٨. المصدر: بفضائل.

قال: فاقبل النبي ﷺ ضاحكاً مستبشراً. ثم قال: والذي نفسي بيده، إنها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقه رأسها من خشية الله، وعيناها من نور الله، وخطامها من جلال الله، وعنقها من بهاء الله، وسنامها من رضوان الله، وذنبها من قدس الله، وقوائمها من مجد الله. إن مشيت، سبحت. وإن رغت، قذست. عليها هودج من نور، فيه جارية أنسية حورية عزيزة، جمعت فخلقت وصنعت ومثلت ثلاثة أصناف. فأولها من مسك أذفر، وأوسطها من العنبر الأشهب، وآخرها من الزعفران الأحمر عجنّت بماء الحيوان. لو تفلت تفلّة في سبعة أبحر مألحة، لعذبت. ولو أخرجت ظفر خنصرها إلى دار الدنيا، يغشي^(١) الشمس والقمر. جبرائيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها^(٢)، وعليّ أمامها، والحسن والحسين وراءها، والله يكلاؤها ويحفظها فيجوزون في عرصة القيامة.

فإذا النداء من قبل الله ﷻ: معاشر الخلائق، غصّوا ابصاركم ونكّسوا رؤوسكم، هذه فاطمة بنت محمد نبيكم زوجة عليّ إمامكم أمّ الحسن والحسين^(٣). فتجوز الصراط، وعليها ريطتان بيضاوتان. فإذا دخلت إلى الجنة ونظرت إلى ما أعد الله لها من الكرامة، قرأت: «بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن، إنّ ربنا لغفور شكور، الذي أحلّنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب».

قال: فيوحي الله إليها: يا فاطمة، سليني أعطك، وتمنّي عليّ أرضك. فتقول: إلهي أنت المنى وفوق المنى، أسألك أن لاتعذب محبّي ومحَبّ عترتي بالنار.

فيوحي الله إليها: يا فاطمة، وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي

١. المصدر: لغشي.

٢. المصدر: شمالها.

٣. المصدر: «أمّ الحسين» بدل «أمّ الحسن والحسين».

من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفي عام، أن لا أعذب محبيك ومحبي عترتك بالنار.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ : لا يحكم عليهم بموت ثان
﴿فَيَمُوتُوا﴾ : ويستريحوا. ونصبه بإضمار «أن».

وقرئ: «فيموتون» عطفاً على «لا يُقْضَىٰ»^(١)؛ كقوله^(٢): «ولا يؤذن لهم فيعتذرون».
﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ : بل كلما خبت زيد إسعارها.
﴿كَذَلِكَ﴾ : مثل ذلك.

﴿نَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ﴾^(٣) : مبالغ في الكفر.

وقرأ أبو عمرو: «يُجْزَى» على بناء المفعول، وإسناده إلى «كل». قرئ: يجازي^(٤).
﴿وَهُمْ يَضْطَرُّونَ فِيهَا﴾ : يستغيثون. يفتعل، من الصراخ: وهو الصياح. استعمل
في الاستغاثة، لجهر المستغيث صوته.

﴿وَبِنَا أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ : بإضمار القول. وتقييد العمل
الصالح بالوصف المذكور، للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به،
والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه، وأنهم كانوا يحسبون أنه صالح والآن تحقق خلافه.
وفي كتاب التوحيد^(٥)، بإسناده إلى الفتح بن يزيد الجرجاني، عن أبي الحسن عليه السلام
حديث طويل. وفي آخره قلت: جعلت فداك، بقيت مسألة.
قال: هات، لله أبوك.

قلت: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون.
قال: ويحك، إن مسائلك لصعبة. أما سمعت الله يقول^(٦): «لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا». وقوله^(٧): «ولعلا بعضهم على بعض». وقال^(٨): يحكي قول أهل النار:

١. أنوار التنزيل ٢/٢٧٣.

٢. المرسلات/٣٦.

٣. نفس المصدر والموضع

٤. التوحيد/٦٥، في أواخر حديث ١٨.

لأنبياء/٢٢.

٥. المؤمنون/٩١.

٦. الأنعام/٢٨.

«أرجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل». وقال: «لو رُدُّوا لعادوا لما نُهوا عنه». فقد علم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون.

وفي شرح الآيات الباهرة^(١): قال محمد بن العباس عليه السلام: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلِ الْعَطَّارِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ أَبِيهِ [عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام]: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ، مَا بَيْنَ مَنْ يَحِبُّكَ وَبَيْنَ أَنْ يَرَى مَا تَقْرِبُهُ عَيْنَاهُ إِلَّا أَنْ يَعَايِنَ الْمَوْتَ.

ثم تلا: «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ» يعني: أَنْ اْعْدَاءَهُ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ قَالُوا: «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً» فِي وِلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ فِي عِدَاوَتِهِ.

فيقال لهم في الجواب: «اولم نَعْمَرَكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ» وهو النبي صلى الله عليه وآله. «فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ» لَأَلَّ مُحَمَّدٌ «مَنْ نَصِيرُ» يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْجِيهِمْ مِنْهُ وَلَا يَحْجِبُهُمْ عَنْهُ.

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: جواب من الله وتوبيخ لهم. قيل^(٢): و«ما يتذكر فيه» متناول لكلِّ عمر، يمكن المكلف فيه من التفكير والتذكر. وقيل^(٣): ما بين العشرين إلى الستين.

والعطف في «جاءكم» على معنى «اولم نَعْمَرَكُم» فَإِنَّهُ لِلتَّقْرِيرِ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: عَمَرْنَاكُمْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ. وهو النبي صلى الله عليه وآله، أو الكتاب.

وقيل^(٤): العقل، أو الشيب، أو موت الأقارب.

وفي من لا يحضره الفقيه^(٥): وسئل عن قول الله صلى الله عليه وآله: «اولم نَعْمَرَكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرُ».

١. تأويل الآيات الباهرة، ج ٢، ص ٤٨٥.

٢. ليس في المصدر.

٣. أنوار التنزيل ٢/٢٧٣.

٤. نفس المصدر ٢/٢٧٣ - ٢٧٤.

٥. من لا يحضره الفقيه ١/١١٨، ح ٥٦١.

قال: توبىخ لابن ثمانى عشرة سنة.

[وفي كتاب الخصال^(١)، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر»

قال: توبىخ لابن ثمانى عشرة سنة]^(٢).

وفي نهج البلاغة^(٣): قال عليه السلام: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم، ستون سنة.

وفي مجمع البيان^(٤): «اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» اختلف في هذا المقدار، فقيل: هو ستون سنة. وهو المروي عن أبي عبدالله عليه السلام^(٥).

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً مرفوعاً أنه قال: من عمره الله ستين سنة، فقد أعذر إليه.

وقيل^(٦): هو توبىخ لابن ثمانى عشرة سنة. وروي ذلك عن الباقر عليه السلام^(٨).

﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾^(٩): يدفع العذاب عنهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: لا يخفى عليه خافية. فلا يخفى عليه أحوالهم.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١٠): تعليل له. لأنه إذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون، كان أعلم بغيره.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾: يلقي إليكم مقاليد التصرف فيها.

وقيل^(١١): خلفاً بعد خلف، جمع خليفة. والخلفاء، جمع خليف.

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾: جزاؤه.

﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا

١. الخصال/٥٠٩، ح ٢.

٢. ليس الأصل ون.

٣. نهج البلاغة/٥٣٢، حكمة رقم ٣٢٦.

٤. مجمع البيان ٤/٤١٠.

٥. المصدر: أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ و ٧. نفس المصدر والموضع.

٨. المصدر: الصادق عليه السلام.

٩. أنوار التنزيل ٢/٢٧٤.

خَسَاراً ﴿٣١﴾ بيان له وتكرير التجنب على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين مستقل باقتضاء قبحه وجوب للدلالة عنه.

والمراد «بالمقت» وهو أشد البغض: مقت الله. و«بالخسار» خسار الآخرة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: يعني آلهتهم. والإضافة إليهم، لأنهم جعلوهم شركاء الله، أو لأنفسهم فيما يملكونه.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾: بدل من «أرأيتم» بدل الاشتمال، لأنه بمعنى: أخبروني؛ كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشركاء أروني أي جزء من الأرض استبدوا^(١) بخلقه.

﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾: أم لهم شركة مع الله في خلق السماوات، فاستحقوا بذلك شركة في الألوهية الذاتية.

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً﴾: ينطق على أننا اتخذناهم شركاء.

﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾: على حجة من ذلك الكتاب، بأن لهم شركة جعلية. ويجوز أن يكون «هم» للمشركين لقوله^(٢): «أم أنزلنا عليهم سلطاناً».

وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر: «على بَيِّنَات» فيكون إيماء إلى أن الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل^(٣).

﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾^(٤): لما نفى أنواع الحجج في ذلك، اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه. وهو تعزير الأسلاف الأخلاف والرؤساء الاتباع، بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب إليهم.

﴿أَنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾: كرامة أن تزولا، فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ. أو يمنعهما من أن تزولا، لأن الإمساك منع.

﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾: ما أمسكهما.

١. هكذا في ن. في سائر النسخ: استبدل.

٢. الروم/٣٥.

٣. أنوار التنزيل ٢٧٤/٢.

﴿ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾: من بعد الله. أو من بعد الزوال. والجملة ساذة مسدّ الجوابين. ومن الأولى زائدة، والثانية للابتداء.

﴿ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (١١): حيث أمسكهما، وكانتا جديرتين بأن تُهدَا هَذَا؛ كما قال (١): تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدأً.

وفي من لا يحضره الفقيه (٢)، في وصيّة النبي ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ، أمان لأمتي من الهدم: «إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا».

وروى عبّاس بن هلال (٣)، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: لم يقل أحد قط إذا أراد أن ينام: «إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا». فيسقط (٤) عليه البيت.

وفي أصول الكافي (٥): أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب قال: حدّثني عليّ بن إبراهيم [بن هاشم]، (٦) عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن عبد الرحمن، عن عليّ بن منصور، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أَنَّهُ قال لبعض الزنادقة: يا أخا أهل مصر، إن الذي تذهبون إليه وتظنون أَنَّهُ الدهر، إن كان الدهر يذهب بهم لِمَ لا يردّهم؟ وإن كان يردّهم لِمَ لا يذهب بهم؟ القوم مضطرون، يا أخا أهل مصر، لِمَ السماء مرفوعة، والأرض موضوعة لِمَ لا ينحدر (٧) السماء على الأرض لِمَ لا ينحدر (٨) الأرض فوق طباقها ولا يتماسكان ولا يماسك من عليها؟ قال الزنديق: أمسكهما الله ربّهما وسيّدهما.

قال: فأمن الزنديق علىّ يدي أبي عبد الله عليه السلام.

٢. من لا يحضره الفقيه ٢٦٨/٤.

٤. المصدر: إلى آخر الآية فقط.

٦. من المصدر.

٨. المصدر: لم لا يسقط.

١. مريم/٩٠.

٣. نفس المصدر ٢٩٨/١، ح ١٣٦٢.

٥. الكافي ٧٣/١-٧٤، ضمن حديث ١.

٧. المصدر: لم لا يسقط.

عَدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد البرقي^(١) رفعه قال: جاء^(٢) الجاثليق إلى^(٣) أمير المؤمنين عليه السلام. فقال له: أخبرني عن الله ﷻ يحمل العرش أم العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله ﷻ حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما، وذلك قول الله: «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا». والحديثان طويلان أخذت منهما موضع الحاجة.

وفي كتاب كمال الدين وتمام النعمة^(٤)، بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود، عن الرضا عليه السلام حديث طويل. وفيه: بنا يمسك الله السموات والأرض أن تزولا. وبإسناده إلى أبي حمزة الثمالي^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟

قال: لو بقيت الأرض بغير إمام ساعة، لساخت. وبإسناده إلى محمد بن الفضيل^(٦) عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام؟ فقال: لا.

قلت: فإننا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله على أهل الأرض أو على العباد. فقال: لو تبقى^(٧)، إذا لساخت.

وبإسناده إلى أحمد بن عمر الحلال^(٨) قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إننا رويناه عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال: إن الأرض لا تبقى بغير إمام أو تبقى ولا إمام فيها.

١. نفس المصدر ١/١٢٩، صدر حديث ١.
٢. ليس في المصدر.
٣. كمال الدين وتمام النعمة ٢٠٢، ضمن حديث ٦.
٤. نفس المصدر ٢٠٢/٢، ح ١.
٥. نفس المصدر ٢٠١/٢، ح ١.
٦. نفس المصدر والموضع، ح ٥.
٧. نفس المصدر ١/١٢٩، صدر حديث ١.

فقال: معاذ الله، لاتبقى ساعة، اذاً لساخت.

وبإسناده له آخر إلى أحمد بن عمر^(١) قال: سألت أبا الحسن عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام؟

قال: لا.

قلت: فإننا نروي أنها لاتبقى إلا أن يسخط الله على العباد.

فقال: لاتبقى، اذاً لساخت.

وبإسناده إلى عمرو بن ثابت^(٢)، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منا [لساخت]^(٣) بأهلها ولعذبهم الله بأشدّ عذابه. إن الله تبارك وتعالى جعلنا حجة في أرضه وأماناً في الأرض لأهل الأرض، لن يزالوا^(٤) في أمان من أن تسيخ بهم الأرض مادماً بين أظهرهم. فإذا أراد أن يهلكهم ثم لا يمهلهم ولا ينظرهم ذهب بنا من بينهم ورفعنا إليه، ثم يفعل الله ما يشاء^(٥) وأحب.

وبإسناده إلى سليمان بن مهران الأعمش^(٦)، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام حديث طويل. يقول فيه: ولولا ما في الأرض منا، لساخت بأهلها.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾: وذلك إن قريشاً لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، قالوا: لعن الله اليهود والنصارى، لو أتانا رسول^(٧) لنكوننَّ أهدي من إحدى الأمم؛ أي من واحدة من الأمم اليهود والنصارى وغيرهم. أو من الأمة التي يقال فيها: هي إحدى الامم، تفضيلاً لها

١. نفس المصدر/٢٠٣، ح ٨.

٢. نفس المصدر/٢٠٤، ح ١٤. وفي النسخ: «عمر بن ثابت». وما أثبتناه في المتن موافق المصدر.

٣. من المصدر.

٤. المصدر: لم يزالوا.

٥. المصدر: شاء.

٦. نفس المصدر/٢٠٧، ضمن حديث ٢٢.

٧. النسخ: «رسول الله ﷺ». وما أثبتناه في المتن موافق المصدر.

على غيرها في الهدى والاستقامة^(١).

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ ﴾ : يعني : محمد ﷺ .

﴿ مَا زَادَهُمْ ﴾ : أي النذير ، أو مجيئه على التسبب .

﴿ إِلَّا نُفُوراً ﴾^(٢) : تباعداً عن الحق .

﴿ اسْتَجْبَاراً فِي الْأَرْضِ ﴾ : بدل من «نفوراً» . أو مفعول له .

﴿ وَمَكْرُ السَّيِّئِ ﴾ : أصله : وأن مكروا المكر السيئ . فحذف الموصوف استغناء

بوصفه ، ثم بدل «أن» مع الفعل بالمصدر ، ثم أضيف .

﴿ وَلَا يَحِيقُ ﴾ : ولا يحيط .

﴿ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ : وهو الماكر . وقد حاق بهم يوم بدر .

وقرئ : ولا يحيق [المكر؛ أي لا يحيق] الله^(٣) .

﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ ﴾ : فهل ينتظرون ؟

﴿ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولِينَ ﴾ : سنة فيهم بتعذيب مكذبيهم .

﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾^(٤) : إذ لا يبدلها بجعل غير

التعذيب تعذيباً ، ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم .

وقوله :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ : استشهاد عليه ،

بما يشاهدونه في مسائرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين .

وفي تفسير علي بن إبراهيم^(٥) : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه الذي كتبه إلى

شيعته ، يذكر فيه خروج عائشة إلى البصرة وعظم خطأ طلحة والزبير قال : وأي خطيئة

أعظم مما أنيا ، أخرجنا زوجة رسول الله ﷺ من بيتها وكشفا عنها حجاباً ستره الله

عليها ، وصانا حلالهما في بيوتهما . ما أنصفا لا لله ولا لرسوله من أنفسهما ثلاث

٢ . نفس المصدر ٢/٢٧٥ . وزيادة من المصدر .

١ . أنوار التنزيل ٢/٢٤٧ - ٢٧٥ .

٣ . تفسير القمي ٢/٢١٠ .

خصال، مرجعها على الناس في كتاب الله ﷻ: البغي والمكر والنكت. قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾. وقال (١): «فمن نكت فإنما ينكت على نفسه». وقال: «ولا يحق المكر السيء إلا بأهله». وقد بغيا علينا، ونكتا بيعتي، ومكرا بي. وقوله ﷻ: «أولم يسيروا في الأرض». قال: أولم ينظروا في القرآن وفي أخبار الأمم الهالكة.

﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: ليسبقه ويفوته.

﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾: بالأشياء كلها.

﴿قَدِيرًا﴾ (٢): عليها.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾: من المعاصي.

﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرٍهَا﴾: ظهر الأرض.

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾: من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم.

وقيل (٣): المراد بالدابة: الإنس وحده، لقوله:

﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو يوم القيامة.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٤): فيجازيهم على أعمالهم.

وفي تفسير علي بن إبراهيم (٤): قال: وحدثني أبي، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: سبق العلم وجف القلم ومضى القضاء وتمّ القدر، بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل، وبالسعادة من الله لمن آمن واتقى، وبالشفاء لمن كذب وكفر بالولاية من الله ﷻ للمؤمنين وبالبراءة منه للمشركين.

ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله ﷻ يقول: يا ابن آدم، بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء، وبإرادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي، وبقوتي وعصمتي وعافيتي أديت إلي فرائضي، وأنا أولى

بحسناتك منك. وأنت أولى بذنبك مني، إليك واصل بما أوليتك به، والشر منك^(١) إليك بما جنيت جزاء وبكثير من تسلطي^(٢) لك انطويت على^(٣) طاعتي، وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي، فلي الحمد والحجة عليك بالبيان، ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك الجزاء الحسن عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك ولم آخذك عند غرتك. وهو قوله ﷺ: «ولو يؤاخذ الناس بما كسبوا مترك على ظهرها من دابة» لم أكلفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلا بما أقررت بها على نفسك ورضيت لنفسي منك مارضيت به لنفسك مني. ثم قال ﷺ: «ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً»^(٤).

قد وقع الفراغ من تأليف المجلد الثالث من كتاب كنز الدقائق وبحر الغرائب، في

١. المصدر: مني . ٢. المصدر: تسليطي (تسلطي خ. ل.).

٣. المصدر: عن .

٤. إلى هنا تم متن الجزء الثالث من تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب حسب تجزئة المفسر. وأما نهايات النسخ، سوى نسخة الأصل:

نسخة م: قد وقع الفراغ من تأليف المجلد الثالث من كتاب كنز الغرائب وبحر الدقائق في يوم الأربعاء بيسر ويكم [كذا] شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتان بعد الألف من الهجرة النبوية [!]. وفي هامشه: بلغ قبلاً بقدر الوسع وطاقة البشر إلا ما زاغ عنه البصر. بحمد الله وحسن توفيقه.

نسخة ن: قد فرغت من تسويد هذه النسخة الشريفة في ليلة الاثنين سادس شهر رجب الرجب. وأنا أقل الطلبة محمد رضا بن عزيز الله التونسي، في سنة إحدى عشر ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية عليه وآله أفضل الصلوة والسلام وأكملهما والحمد لله أولاً وآخراً. وصلى الله على محمد وآله أجمعين.

نسخة س: قد وقع الفراغ من تأليف المجلد الثالث من كتاب كنز الغرائب وبحر الدقائق في صبيحة يوم الغدير في السنة السابعة الماضية بعد الألف والتسعين من الهجرة النبوية، في مشهد ثامن الاثمة عليه وآبائه الكرام وابنائهم المعظم ألف ألف تحية والسلام على يد مؤلفه الفقير ميرزا محمد بن محمد رضا بن اسماعيل بن جمال الدين القمي غفر الله له ولآبائه وابنائهم بشفاعته محمد وعلى وأولاده.

نسخة أ: بعد ورود فقرات أخير الذكر؛ نهاية نسخة س: - أنا المفتقر إلى الله الغني كاتب كنز الغرائب وبحر الدقائق بحسب الامر مولانا المعظم المكرم الاعظم؛ جامع الاصول والفروع؛ حاوي المنقول والمعقول؛ مبين الحلال والحرام؛ اعني: مولانا ميرزا محمد كاظم الموسوي غفر الله له وله في درجات الآخرة ولمن يقرأ الفاتحة في حقّي وحقّه بحقّ أئمة المعصومين، آمين.

صبيحة يوم الغدير، في السنة السابعة الماضية بعد الألف والتسعين من الهجرة النبوية، في مشهد ثامن الأئمة عليه وآبائه الكرام وأبنائه العظام ألف ألف تحية وسلام. على يد مؤلفه الفقير ميرزا محمد بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي، غفر الله له ولآبائه وأبنائه بشفاعه محمد وولاية علي وأولاده.

قد وقع الفراغ من تسويده في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٦٧.

الفهرس

٥	كلمة المحقق.....
٩	سورة القصص.....
١٠٩	سورة العنكبوت.....
١٦٧	سورة الروم.....
٢٢٧	سورة لقمان.....
٢٨٥	سورة السجدة.....
٣١٩	سورة الأحزاب.....
٤٨١	سورة سبأ.....
٥٥٥	سورة الملائكة..... (بناظر)